حاشية العلامة مصطفى العروسي

المسماة

نتائج الأفكار القدسية

في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية

لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري

المتوفى ٩٢٦ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه

الشيخ عبد الوارث محمد علي

المجلد الأول

١-٢




دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة ١٩٧١

بيروت - لبنان

Title: Natā'ij al-'afkār al-qudsiyyah
fī bayān ma'ānī
Šarḥ al-Risālah al-Qušayriyyah

Classification : *Sufism*
Author : Muṣṭafā al-'Arūsī
Editor : 'Abdul-Wāriṯ Muḥammad 'Alī
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 1508 (2 volumes)
Year : 2007
Printed in : Lebanon
Edition : 2nd

الكتاب: حاشية العلامة مصطفى العروسي
المسماة: نتائج الأفكار القدسية
في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية
التصنيف : تصوف
المؤلف : العلامة الشيخ مصطفى العروسي
المحقق : الشيخ عبد الوارث محمد علي
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات : 1508 (4 أجزاء بمجلدين)
سنة الطباعة : 2007
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الثانية


ISBN 2-7451-2620-2 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-2620-7 (13 dig)
90000
9 782745 126207



دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان




الطبعة الثانية
٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Solh Beirut 1107 2290

عرمون - القبة
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com



ترجمة صاحب الرسالة القشيرية(١)

هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري، القشيري، الشافعي (أبو القاسم، زين الإسلام) صوفي، مفسر، فقيه، أصولي، محدث، متكلم، واعظ، أديب، ناثر، ناظم. ولد في ربيع الأول سنة ٣٧٦، وقيل: ٣٧٥، وقيل: ٣٧٧هـ، وتعانى الفروسية والعمل بالسلاح حتى برع في ذلك، ثم تعلم الكتابة والعربية، ثم سمع الحديث. وتوفي بنيسابور في ١٦ ربيع الآخر سنة ٤٦٥هـ.

من تصانيفه: التيسير في التفسير، حياة الأرواح والدليل إلى طريق الصلاح، الرسالة القشيرية في التصوف وهو الكتاب الذي بين أيدينا، الفصول في الأصول، وأربعون حديثاً، التحبير في شرح أسماء الله الحسنى، لطائف الإشارات ويعرف بتفسير القرآن، الأربعون الأمالي، نحو القلوب، الجواهر الثمينة.

---

(١) انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢/ ٢١٢).

ترجمة شارح الرسالة الشيخ زكريا الأنصاري[1]

هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي نسبة إلى سنيكة بليدة من شرقية مصر القاهري الأزهري الشافعي، زين الدين أبو يحيى. عالم مشارك في الفقه والفرائض والتفسير والقراءات والتجويد والحديث والتصوف والنحو والتصريف والمنطق والجدل، ولد بسنيكة سنة ٨٢٦، وقيل: سنة ٨٢٣، وقيل: سنة ٨٢٤هـ، ونشأ بها، ثم تحول إلى القاهرة وتولى القضاء وتوفي بها في ٤ ذي الحجة سنة ٩٢٦هـ، وقيل: سنة ٩٢٥. من تصانيفه الكثيرة: شرح مختصر المزني في فروع الفقه الشافعي، حاشية على تفسير البيضاوي، حاشية على شرح بدر الدين لألفية ابن مالك في النحو سماها الدرر السنية، شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، وشرح صحيح مسلم. المطلع شرح إيساغوجي للأبهري في المنطق، شرح المنهج، فتح الباقي بشرح ألفية العراقي، شرح التبصرة والتذكرة في أصول الحديث، شرح التحرير، الدقائق المحكمة في التجويد، فتح المبدع في شرح المقنع في الجبر والمقابلة، تحفة الباري بشرح صحيح البخاري، المقصد لتلخيص ما في المرشد، أحكام الدلالة على تحرير الرسالة للقشيري في التصوف، فتح الرحمن في كشف ما يلتبس في القرآن، فتح الرحمن بشرح لقطة العجلان وبلة الظمآن، البهجة الوردية في فروع الفقه، شرح منظومة ابن الهائم في الحساب، فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب في الفقه، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية، لب الأصول، الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة للبوصيري، الفتحة الأنسية، الفتاوى، فتح الجليل لبيان خفي أنوار التنزيل، المناهج الكافية في شرح الشافية، فتح منزل المثاني بشرح أقصى الأماني، شرح تحرير تنقيح اللباب، تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، شرح البسملة، المقصد لتلخيص ما في المرشد للعماني، بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب، ثبت، شرح الورقات لإمام الحرمين، تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب، رسالة في كرامات الأولياء.

(١) انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/ ٧٣٣).

ترجمة العروسي صاحب الحاشية[1]

هو مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى العروسي، المصري، الشافعي. عالم مشارك في بعض العلوم. تولى مشيخة الجامع الأزهر، وأبطل الشحاذة بالقرآن في الطرق، وعزم على امتحان المدرسين في الأزهر، ففاجأه العزل. ولد سنة ١٢١٣هـ، وتوفي سنة ١٢٩٣هـ.

من مؤلفاته: نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية في التصوف في أربع مجلدات وهو الكتاب الذي بين أيدينا، كشف الغمة في تقييد معاني أدعية سيد الأمة، العقود الفرائد في بيان معاني العقائد، أحكام المفاكهات في أنواع الفنوح المتفرقات، والأنوار البهية في بيان أحقية مذهب الشافعية.

---

(١) انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣/ ٨٧٩).

(يقول كاتبه مؤلف وجامع هذه النتائج
حاكياً قول بعض الأفاضل)

يقولون إن المرء يحيا بنسله … وليس له ذكر إذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي … فإن فاتنا نسل فإنا بها نسلو

(وأقول: أيضاً متمثلاً بقول بعض العارفين من المحبين):

وقد تبنيت آبائي على ثقة … ولا محالة إني جدّ كل أب

(وأقول: أيضاً متمثلاً بقول العارف النابلسي شارح ديوان ابن الفارض)

دع المنكرين الجاحدين فإنهم … ستائرنا اللاتي لحجب الأجانب
من الغيب مدت بالكثافة، وهي من … تجلى اسمه الستار رب المواهب
نصان بهم كالدر في صدف السوى … وكالعين بالأجفان تحت الحواجب
ولا ملك إلا وحجابه به … تحف اشتمالاً بالقنا والقواضب
وللكنز أرصاد وفيه طلاسم … يصان بها في الناس عن نيل طالب
صدقت هم الحساد نار قلوبهم … لقد نفحت في عودنا بالاطايب
وصان بهم عنهم لباب علومنا … إله البرايا بالقشور السوالب
وقد ذادهم عن ورد حوض نبينا … لدينا بتبديل من الوهم غالب
خيالات أفكار من الغيب سلطت … ملائكة فهم بهم في تناسب
ويخبث أو يزكو من الأرض نبعها … على قدرها، وهو اختلاف المشارب

(وفيما ذكرته الكفاية، والله ولي الهداية).

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عين الأعيان بفيض نوره الأقدس، وقدرها بعلمه في ذاته على وجه الحكمة الأنفس، وأشرق ببديع الابداع، وعجيب الاختراع ما كشف به حجاب العماء، وديجور خفاء الظلماء فأظهرها بمفاتيح الجود والكرم، وأبرزها من مكامن الغيوب ومقار العدم وقضى بالخير لمن شاء، وبالشر لمن شاء على حسب استعداد كل بما سبق به العلم والحكم، وذلك بإبداء ملابس أسمائه في القدم، وأنشأها بتدبيره فأتقن وأحكم، فسبحانه من إله قد تجلى بذاته لذاته، فأبدع آدم، وأودعه مظاهر أسمائه المنعوتة بالعالم، وأجمل فيه جميع الحقائق وألهم، فجعله مظهر اسمه الجامع لما تأخر وتقدم، وجعل له من نعوت التلوين ما قد يكون بغير التمكين مزلة للقدم، ومنحه سر العليم الأعلم فهو العلم والعلم والمعلم والحاكم والمحكوم عليه والمحكم، والمسمى بالأسماء الحسنى، ومرآت درج الكمال الأسنى، وصورة صور الكائنات، ومجمع أسرار الآيات البينات كيف لا وهو الإنسان الكامل، والطلسم المعمى على سائر الأواخر والأوائل، المكتمل بإيداع جوهر السعادات، ويتيمة عقد النبوات والرسالات من قيل فيه: لولاك ما خلقت الأفلاك السيد الفاتح الخاتم سيدنا ورسولنا أبو القاسم جمع الجوامع وسر الأسرار من كان من نوره سائر الأنوار، فهو الاسم الأعظم الناطق بلسان أنا سيد ولد آدم أوّل التعينات الإلهية، وآخر الدلالات الارشادية المبعوث إلى كافة الأرواح والأجسام من المجردات والمركبات، من أوّل التعين إلى آخر الختام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مولى الفضائل ورب الإحسان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الخلق بأشرف الأديان، صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه المصطفين من العرب والعجم والدافعين بأنوارهم آثار الظلم، وعلى الوارثين من العارفين المفاض على أسرارهم بدائع الحكم. (وبعد) فيقول الفقير المعترف بالقصور والتقصير مصطفى محمد العروسي الصغير: إني لما وفقني الله سبحانه وتعالى لمطالعة رسالة العارف القشيري بشرحها في مجمع من أهل العلم بمسجد جدي، وقدوتي إلى ربي العارف الكامل مربي الفقراء المريدين، والأفاضل سيدي وأستاذي، وعمدتي

بسم الله الرحمن الرحيم

وثقتي وملاذي المرحوم برحمة ربه الكريم المنان سيدي الحاج أحمد أبي بدير الشهير بالعريان كتبت على هامش نسخة شرح الرسالة ما ألهمته وقت القراءة من باب إمداد الفتح المبين من غير مراجعة ديوان من الدواوين، والسبب عدم ذلك عندي.

ولو فرض وجوده فشأني لا أعيد ولا أبدي لأن حقيقتي من القصور والتقصير لا تخفى على كبير ولا صغير، ثم بعد إتمام هذه الرسالة أردت جمع ما حررته من تلك المقالة، فساعدني الحق تعالى حيث لاح بدر الفلاح، وتيسر نقل ما راق ولاح، فأرجو ممن اطلع عليها، ومد البصر إليها أن يصلح ما عساه يكون من الخلل، ويسامح فيما قد يظهر منا الزلل، ولا سيما وقد قيل:

إن تجد عيباً فسدّ الخللا | جل من لا عيب فيه وعلا

وأستغفر الله العظيم، وأتوب إليه مما ذكرت، إنه مراد الصوفية نفعنا الله بهم لقصور فهمي، ولم يكن في نفس الأمر مرادهم، ومما زدته على كلامهم لما قام عندي أنه يقتضيه كلامهم، وكان في الواقع خارجاً عنه بعيداً منه، وأبرأ إلى الله سبحانه وتعالى من نسبة شيء مما صح لي إثباته لنفسي، حيث أعتقد اعتقاداً جازماً أن الله جل جلاله الفاعل المختار يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد وربك يخلق ما يشاء ويختار، فالأمور جميعها منه تعالى إيجاداً وإليه معاداً.

(وسميته) نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، وأسأل الله تعالى من خزائن جوده، وكنز وجوده أن يجعلنا من الذين تألفت أرواحهم في الملكوت، وكشفت لهم حجب الجبروت، فخاضوا في بحر اليقين، وتنزهوا في زهر رياض المتقين، وركبوا سفينة التوكل، وأقلعوا بشراع التوسل، وساروا بريح المحبة في جداول قرب رب العزة، وحطوا بشاطىء الإخلاص فنبذوا الخطايا، وحملوا الطاعات برحمتك يا أرحم الراحمين.

(قال المؤلف: بسم الله الرحمن الرحيم) الباء فيها قيل إنها زائدة فلا تحتاج إلى متعلق، وقيل أصلية للاستعانة وللمصاحبة متعلقة بمحذوف مثل أبتدىء أو أؤلف مستعيناً باسم الله أو متبركاً به والاسم عند البصريين من الأسماء المحذوفة الأعجاز لكثرة الاستعمال بنيت أوائلها على السكون بمعنى وضعت ساكنة، وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن، وهو مشتق من السمو، وهو العلو أو من السمة، وهي العلامة، أو من السيما فوزنه على الأوّل أفع، وعلى الثاني أعل وعلى الثالث أفل كما لا يخفى على من له إلمام بالتصريف، والاسم إن أريد منه اللفظ فغير المسمى قطعاً لأنه يتألف من حروف، وأصوات مقطعة غير قارة، ويختلف باختلاف الأمم والأعصار، ويتعدد تارة ويتحد أخرى، والمسمى لا يكون كذلك، وإن أريد به ذات الشيء، فهو

قوله: لكنه لم يشتهر الخ أي مع عدم الداعي إلى ذلك، فلا فائدة في هذا الاختلاف، ولا وجه للدعاء إلى القول بأنه عين المسمى مع مخالفته للغة، والاصطلاح اهـ مؤلفه.

قوله: قيل أنه مشتق الخ أقول الأدب ترك هذا الاختلاف عند من أحب أن يكون من الرقاق، وأرباب الاتفاق اهـ مؤلفه.

المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى فنشأ الاختلاف عند من يقول هو عين المسمى كأكثر الأشاعرة، ومن يقول هو غير المسمى من غير الأشاعرة إنما جاء من هذين الاستعمالين، إذ لا يذهب عاقل إلى القول بأنه عين المسمى مع إرادة لفظ الاسم ولا بأنه غيره مع إرادة الذات، والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد شخصيّ جزئي، وإن كان لا يقال ذلك إلا في مقام التعليم، وعمليته بالغلبة التقديرية عند جمع منهم صاحب الكشاف والقاضي، وبالغلبة التحقيقية عند جمع منهم ابن مالك، ولكل وجهة هو موليها، فإذا أردت الوقوف على ذلك فارجع إلى المطولات، حيث نكتفي بهذا المقصد، وهذا الاسم الشريف أعرف المعارف، قيل إنه مشتق، وقيل: مرتجل، وعلى القول باشتقاقه فهو من إله بمعنى عبد، أو من أله إذا تحير أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه، والمناسبة لا تخفى على عارف على أنه قيل غير ذلك.

قال بعض المحققين: الحق أنه وصف في أصله لكنه لما غلب عليه، بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم أجري مجراه في إجراء الأوصاف عليه، وامتناع الوصف به، وعدم تطرق احتمال الشركة إليه لأن ذاته من حيث هي بلا اعتبار أمر آخر حقيقي، أو غيره غير معقولة للبشر فلا يمكن أن يدل عليها بلفظ، وهو عربي خلافاً للبلخي حيث زعم أنه معرب، والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم بتنزيله منزلة اللازم أو بجعله لازماً، ونقله إلى فعل بالضم والرحمة، وإن كان أصل معناها في اللغة رقة القلب، وانعطافاً تقتضي التفضل والإحسان المراد منها هنا غايتها، فلا تؤخذ في أسماء الله تعالى إلا باعتبار الغايات كما لا يخفى، وعليه فهي صفة ذات أو صفة فعل، وقدم لفظ الجلالة عليهما لأنه اسم ذات، وهما اسما صفة، وقدم الرحمن على الرحيم لأنه اسم خاص لا يقال لغيره تعالى، والرحيم عام يقال له ولغيره تعالى، والخاص مقدم على العام، ولأنه لما دلّ على جلائل النعم، وأصولها ذكر بعده الرحيم ليتناول ما دق منها ولطف، ليكون كالتتمة له والرديف، وللمحافظة على رؤوس الآي، والأبلغية تارة تؤخذ باعتبار الكمية، ولهذا قيل يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر، ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن، وتارة باعتبار الكيفية، ولهذا قيل يا رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا لأن النعم الأخروية كلها جسام بخلاف الدنيويه، فبعضها جليل، وبعضها حقير، وقيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم جمع بينهما تأكيداً، وقيل الرحيم أبلغ.

قوله: بحضرة العماء أي، وهي مقام الأحدية اهـ مؤلفه.

هذا وبعبارة أخرى مناسبة لما نحن بصدده، فنقول ألف البسملة يشار به إلى حضرة الذات الأحدية المعبر عنها بحضرة العماء، إذ لا يعرفها أحد غيره تعالى، فهو تعالى في حجاب الجلال، وقيل هي الحضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات، لأن العماء هو الغيم الرقيق، والغيم هو الحائل بين السماء والأرض، فهذه الحضرة هي الحائلة بين سماء الأحدية وبين أرض الكثرة الخلقية، ويؤيد ذلك الحديث النبوي حين سئل عليه الصلاة والسلام أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق، فقال: «كان في عماء» يعني هو مستور بالإطلاق في هواء عدم التعينات، وهذه الحضرة تتعين بالتعين الأوّل لأنها محل الكثرة، ومظهر ظهور الحقائق، والنسب الأسمائية، وكل ما تعين فهو مخلوق فهي العقل الأوّل.

قال عليه الصلاة والسلام: أول ما خلق الله العقل فإذا لم يكن فيه قبل أن يخلق الخلق بل الأول بعده، والدليل على ذلك أن القائل بهذا القول يسمي هذه الحضرة بحضرة الإمكان وحضرة الجمع بين أحكام الوجوب، والإمكان والحقيقة الإنسانية، وكل ذلك من قبيل المخلوقات، ويعترف بأن الحق في هذه الحضرة متجلّ بصفات الخلق، وكل ذلك يقتضي أنه ليس قبل أن يخلق الخلق اللهم إلا أن يكون مراد السائل بالخلق العالم الجسماني، فيكون العماء الحضرة الإلهية المسماة بالبرزخ الجامع، ويقوّيه أنه سئل عن مكان الرب، فإن الحضرة الإلهية منشأ الربوبية.

هذا ويوضح قولنا يشار بالألف إلى الحضرة الأحدية أن الحقيقة إن أخذت بشرط أن لا يكون معها شيء، فهي المسماة بالمرتبة الأحدية المستهلكة فيها جميع الأسماء والصفات، وتسمى أيضاً جمع الجمع وحقيقة الحقائق والعماء، وإن أخذت بشرط شيء، فإما أن تؤخذ بشرط جميع الأشياء اللازمة لها كلياتها وجزئياتها المسماة بالأسماء والصفات، فهي المرتبة الإلهية المسماة عندهم بالواحدية ومقام الجمع، وهذه المرتبة باعتبار الإيصال لظاهر الأسماء التي هي للأعيان، والحقائق إلى كمالاتها المناسبة لاستعداداتها في الخارج تسمى مرتبة الربوبية، وإن أخذت لا بشرط شيء، ولا بشرط لا شيء، فهي المسماة بالهوّية السارية في جميع الوجودات، وإن أخذت بشرط ثبوت الصور العلمية فيها فهي مرتبة الاسم الباطن المطلق والأول والعليم، ورب الأعيان الثابتة، وإن أخذت بشرط كليات الأشياء فقط، فهي مرتبة الاسم الرحمن رب العقل الأول المسمى بلوح القضاء وأم الكتاب والقلم الأعلى، وإن أخذت بشرط أن الكليات فيها جزئيات مفصلة ثابتة من غير احتجابها عن كلياتها، فهي مرتبة الاسم الرحيم رب النفس الكلية المسماة بلوح القدر، وهو اللوح المحفوظ والكتاب المبين، وإن أخذت

بشرط أن تكون الصور المفصلة جزئية متغيرة فهي مرتبة الاسم الماحي والمثبت والمحي رب النفس المنطبعة في الجسم الكلي المسمى بلوح المحو والإثبات، وإن أخذت بشرط أن تكون قابلة للصور النوعية الروحانية والجسمانية، فهي مرتبة الاسم القابل رب الهيولى المشار إليها بالكتاب المسطور والرق المنشور، وإن أخذت مع قابلية التأثير والتأثر، فهي مرتبة الاسم الفاعل المعبر عنه بالموجد والخالق رب الطبيعة الكلية، وإن أخذت بشرط الصور الروحانية المجردة، فهي مرتبة الاسم العليم والمفصل والمدبر رب النفوس والعقول الناطقة، وما يسمى باصطلاح أهل النظر بالعقل الأوّل يسمى باصطلاح أهل الله بالروح، ولذلك قال الله للعقل الأوّل روح القدس، وما يسمى بالنفس الناطقة المجردة يسمى عندهم بالقلب إذا كانت الكليات فيها مفصلة، وهي مشاهدة إياها شهوداً عيانياً، والمراد بالنفس عندهم المنطبعة الحيوانية، وإن أخذت بشرط الصور الحسية الغيبية، فهي مرتبة الاسم المصور رب عالم الخيال المطلق والمقيد، وإن أخذت بشرط الصور الحسية الشهادية، فهي مرتبة الاسم الظاهر المطلق رب عالم الملك، ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جميع المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والحسية، ومراتب الطبيعة إلى تنزلات الوجود، وتسمى بالمرتبة العمائية أيضاً، فهي مضاهية للمرتبة الإلهية، ولا فرق بينهما إلا بالربوبية والمربوبية، فلذلك صار خليفة الله سبحانه وتعالى، فإذا علمت هذا علمت الفرق بين المراتب الإلهية والكونية، والربوبية أشار إلى ذلك العارف السهروردي، وغيره من المحققين.

ويشار بالباء إلى أوّل الممكنات وهي المرتبة الثانية من الوجود الملوّح له بخبر: «كنت كنزاً مخفياً» المعبر عنه بالنكاح الساري في جميع الذراري الذي هو التوجه الحبي، فإن قوله في الخبر المذكور «كنت كنزاً مخفياً» يشير إلى سبق الخفاء والغيبة والإطلاق على الظهور والتعين سبقاً أزلياً ذاتياً، وقوله فيه: «فأحببت أن أعرف» يشير إلى ميل أصلي وحب ذاتي هو الوصلة بين الخفاء المشار إليه بكنت كنزاً مخفياً، وبين الظهور والإظهار المشار إليه بأن أعرف، فتلك الوصلة هي أصل النكاح الساري في جميع الذراري، فإن الوحدة المقتضية لحب الظهور شؤون الأحدية تسري في جميع مراتب التعينات المرتبة، وتفاصيل كلياتها بحيث لا يخلو شيء عن ذلك، وهي الحافظة لشمل الكثرة في جميع الصور عن الشتات والتفرقة، فاقتران تلك الوحدة بالكثرة هو وصله النكاح أوّلاً في مرتبة الحضرة الواحدية بأحدية الذات في صور التعينات وبأحدية جميع الأسماء ثم بأحدية الوجود الإضافي التي هي منشأ جميع المراتب في الأكوان بحسبها حتى في حصول النتيجة من حدود القياس والتعليم والتعلم والذكر والأنثى، فهذا الحب المقتضي للمحبية والمحبوبية بل العلم المقتضي للعالمية والمعلومية، وهو أوّل سريان الوحدة في الكثرة،

وظهور التثليث الموجب للإيجاد بالتأثير بالفاعلية والمفعولية، وذلك هو النكاح الساري في جميع الذراري.

ويشار بالباء أيضاً إلى باب الأبواب، وهي التوبة، لأنه أول ما يدخل به العبد حضرة القرب من جناب الرب، وإلى البارقة، وهي لائحة تبدو من الجناب الأقدس وتنقطع سريعاً، وهي من أوائل الكشف ومباديه.

ويشار باسم إلى الذات المسمى باعتبار صفة وجودية كالعليم والقدير، أو عدمية كالقدّوس والسلام، فليس المراد عند الصوفية بالاسم اللفظ بل ما قدمناه، ومن الأسماء أسماء ذاتية، وهي التي لا يتوقف وجودها على وجود الغير وإن توقفت على اعتباره كالعليم، وتسمى الأسماء الأولية ومفاتيح الغيب.

وأئمة الأسماء والجامع لها جميعها هو الله فهو الاسم الأعظم، إذ هو اسم للذات الموصوفة بجميع الصفات المسماة بكل الأسماء، فهو مرجع الأسماء الإلهية، إذ جميعها يدور على الاسم المعظم دوران الصفات والنعوت، فهو معدن سر جميع الأسماء والصفات الإلهية لكمون معانيها وانطوائها تحت حيطته، ويشار بالرحمن إلى الجمعية الأسمائية التي في الحضرة الإلهية الفائض منها الوجود، وما يتبعه من الكمالات على سائر الممكنات.

ويشار بالرحيم إلى فيضان الكمالات المعنوية على أهل الإيمان كالمعرفة والتوحيد، ويشار بهما إلى الرحمة الامتنانية المفيضة للنعم السابقة على العمل، وهي التي وسعت كل شيء، وإلى الرحمة الوجوبية، وهي الموعود بها للمتقين والمحسنين في قوله جل شأنه ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقوله عز سلطانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وهي داخلة في الامتنانية لأن الوعد بها على العمل محض المنة.

والحاصل أن الباء يشار بها إلى بدء الكائنات، والألف يشار بها إلى مقام الأحديات، والاسم يشار به إلى المسمى بالأسماء والمنعوت بالصفات، ولفظ الجلالة يشار به إلى معدن الأسماء والصفات، ولفظ الرحمن يشار به إلى منشأ الرحمة الامتنانية التي تعم المؤمن والكافر والمطيع والمخالف، واسم الرحيم يشار به إلى منشأ الرحمة الوجوبية التي تخص المؤمن المشار إليها بقوله جل جلاله ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

هذا وقد وقع خلاف في الاسم فقيل أنه عين المسمى، وقيل غيره ولكل وجهة هوموليها، وطرق هو معانيها، والتحقيق أنه إن أريد به اللفظ، فهو غير مسماه قطعاً وإن أريد به ما يفهم منه، فهو عينه ولا فرق في ذلك بين جامد ومشتق فيما يقضي به التأمل الصحيح، والقول بأنه عين المسمى لأكثر الأشاعرة. **(فإن قلت)** على ما ذكرناه من هذا التفصيل في الاسم، فكيف صح الاختلاف فيه **(فالجواب)** كما أفاده السعد أن اللفظ قد

قال الشيخ الإمام: (**قوله الإمام**): أي يأتم به غيره ويقدمه في مهمات دينه اهـ مؤلفه.

يراد به نفسه كضرب فعل ماض، وقد يراد به الماهية الكلية كالإنسان نوع، وقد يستعمل في فرد معين أو غير معين كجاءني إنسان إلى غير ذلك فكان هذا مثيراً للتردد هل هو عين أو غير، ثم، وقد قيل الرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، وقيل الرحيم أبلغ لأنه على صيغة فعيل، وقيل هما سيان، وقد تقدم بعض هذا، وإن أردت سبر ما تشير إليه البسملة، فهو غير ممكن لأن ذلك مما تقصر عنه القوى البشرية.

قال بعضهم في بيان بعض فوائد البسملة، مما تشير إليه: هذه الكلمة تزيل الهم هذه الكلمة تكشف الغم هذه الكلمة تبطل السم هذه الكلمة نورها يعم: الله يغلب كل غالب، الله مظهر العجائب، الله سلطانه رفيع، الله جنابه منيع، الله مطلع على العباد، الله رقيب على الفؤاد، الله قاهر الجبابرة، الله قصام الأكاسرة، الله عالم السر والعلانية، الله لا يخفى عليه خافية، فمن كان لله كان في حفظ الله، ومن أحب الله لا يرى غير الله، ومن سلك طريق الله وصل إلى الله، ومن وصل إلى الله عاش في كنف الله، ومن اشتاق إلى الله أنس بالله اقرع باب الله إلجأ إلى جناب الله هذا سماع اسمي في دار الشقاء، فكيف الحال عند اللقاء هذا في دار المحنة، فكيف في دار النعمة هذا وأنت على الباب، فكيف إذا كشف الحجاب، هذا وقد ناديت فكيف إذا تجليت، القوم في المشاهدة، وأبحر الفضل إليهم واردة المحب كالطير في الأشجار يناجي حبيبه في رياض الأسحار.

(**قوله: قال الشيخ**) هذه الديباجة إن كانت لغير الشيخ، فالأمر ظاهر، وإلا فتكون من باب التحدث بالنعمة، أو قصد بها تقوية حال المريد المحب للشيخ، والشيخ في اللغة من بلغ الأربعين، وفي إصطلاح الصوفية العارف بالله وبأسمائه وبصفاته المشتغل بها المستغرق فيها الفاني عن السوى الصالح لإرشاد غيره من المريدين، واعلم أن له شروطاً تأتي في آخر الرسالة وحقائق ونعوتا زيادة عما ذكرناه.

(**قوله العالم**) أي الشخص الذي قام به صفة العلم، ولو مسألة، غير أن المراد به هنا العارف، وهو من أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأفعاله إذ المعرفة حالة تحدث عن شهود، والعالم من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود بل عن يقين مستند إلى دليل وبرهان، والعلماء بهذا المعنى هم العامة في إصطلاح الصوفية لأن العلماء عندهم هم الذين اقتصر عملهم على أحكام الشريعة فهم علماء الرسوم، والرسم هو الخلق وصفاته لأن الرسوم هي الآثار، فكل ما سوى الله تعالى آثاره الناشئة عن أفعاله، وإياه عنى من قال الرسم نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل لأن الخليقة وصفاتها جميعها بقدرة الله تعالى ورسوم العلوم ورقومها هي مشاعر الإنسان لأنها رسوم الأسماء الإلهية كالعليم

العالم العلامة الحبر البحر قوله إذا المعرفة الخ أي ولذلك يقال العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول فافهم اهـ مؤلفه.

والسميع والبصير ظهرت على ستور الهياكل البدنية المرخاة على باب دار القرار بين الحق والخلق، فمن عرف نفسه وصفاتها بأنها آثار الحق وصفاته، ورسوم أسمائه وصورها، فقد عرف الحق.

واعلم أن الممكنات بأسرها يعبر عنها بالظل، وهو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة فأحكامها التي هي معدومات ظهرت باسمه النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها الساتر لظلمة عدميتها فتسميتها بالظل لظهورها بالنور وعدميتها في نفسها قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] أي بسط الوجود الإضافي على الممكنات، فالظلمة بإزاء هذا النور هو العدم وكل ظلمة، فهي عبارة عن عدم النور عما من شأنه أن يتنور به قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، والظل الأول هو العقل الأول لأنه أول عين ظهرت بنوره تعالى، وقبلت صورة الكثرة فهي شؤون الوحدة الذاتية، وظل الإله هو الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية، والعالم الذي هو علامة على وجود موجده الظل الثاني، إذ ليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها، فلظهوره بتعيناتها سمي باسم السوى والغير، وذلك باعتبار إضافته إلى الممكنات، إذ لا وجود للممكنات إلا بمجرد هذه النسبة، وإلا فالوجود عين الحق فالممكنات ثابتة على عدميتها في علم الحق، فهي شؤونه تعالى الذاتية، فالعالم صورة الحق، والحق هوّية العالم وروحه، وهذه التعينات في الوجود الواحد أحكام اسمه الظاهر الذي هو مجلى لاسمه الباطن، هذا والعالم أنواع فمنه عالم الجبروت، وهو عالم الأسماء والصفات الإلهية، وعالم الأمر، وعالم الملكوت وعالم الغيب، وهو عالم الأرواح والروحانيات لأنها وجدت بأمر الحق بدون واسطة مادّة ومدّة، وعالم الخلق، وعالم الملك وعالم الشهادة، وهو عالم الأجساد، والجسمانيات، وهو يوجد بالأمر بواسطة مادة ومدّة.

(قوله: العلامة) صيغة مبالغة، فهو من تفنن في كل علم وبالغ في تحصيله وإتقانه، وقوله: الحبر هو بمعنى العالم، وقوله: البحر أي الشبيه به، والجامع مطلق السعة ولا تخفى الاستعارة في هذا المقام. **(قوله: سيدنا ومولانا)** أصل سيد سيود بتقديم الياء **(فإن قيل)** قاعدة اجتماع الواو والياء تصدق بسبق الواو فهلا قيل به **(قلت)** أجاب ابن هشام بأن فعيل لا نظير له، ووجد من فيعل صيرف، وإن كان مفتوح العين، وفي المقام اطلاق السيد على غيره تعالى، وهو جائز بل مطلوب في مثل هذا المقام خلافاً لمن منعه مستدلاً بقوله ﷺ لمن قال له يا سيد: «السيد هو الله»، فإنه يجاب عنه بأنه الحقيق بالسيادة،

قوله وعالم الأمر هذا لا يحتاج في وجوده إلى مادة ومدّة اهـ مؤلفه.

الفهامة سيدنا، ومولانا قاضي القضاة شيخ مشايخ الإسلام مفتي الأنام محيي

وإطلاقها على غيره فبطريق العارية، نعم ذكر بعضهم أن في إطلاق السيد على غير الله أقوالاً ثلاثة بالمنع والكراهة والجواز.

(قوله سيدنا) أي معاشر العلماء وغيرهم بالأولى، ويطلق السيد على معانٍ: على من ساد في قومه من السودد، وهو الشرف، وعلى من يفزع إليه غيره في الشدائد وعلى من كثر سواده أي جيشه، وعلى الحليم الذي لا يستفزه الغضب، وعلى المالك، ولا مانع من اجتماع هذه الأوصاف في الشيخ، وجمع سيد سادة أو سادات. **(قوله: ومولانا)** قيل الصواب تقديم المولى على السيد، كما في قول الخنساء: وإن صخراً لمولانا وسيدنا، ووجهه أن المولى أعم لإطلاقه على العتيق والمعتق، والسيد خاص بالمعتق، فلو أخر المولى لم يكن لذكره فائدة، وأيضاً يتعين في طريق البلاغة الترقي فيما إذا كان الأبلغ أخص كما هنا (وأجيب) بأن من جملة معاني السيد من يفزع إليه في الشدائد، ومن معاني المولى الناصر، والنصر إنما يكون بعد الفزع، فناسب الترتيب الخارجي.

(قوله: قاضي القضاة) لقب له، ويقال أنه تولى القضاء عشر سنين، وعمي عشر سنين ليكون عمى كل سنة كفارة لمثلها من مدة القضاء كذا قيل، وهو لا يناسب مقام الشيخ، فالحق أن عماه بسبب بكائه على ولده عند موته، وفيه نظر أيضاً، والحق أن عماه لزيادة درجاته كما هو اللائق به وتسميته بقاضي القضاة لأنه كان قاضياً بمصر، وجميع قضاتها تحت أمره، وقوله: شيخ مشايخ الإسلام تقدم معنى الشيخ لغةً واصطلاحاً، فلا حاجة لإعادته، قال بعضهم: شيخ الإسلام لقبه به القطب، وقيل الخضر، ولا يخفى أن قوله: شيخ مشايخ الإسلام على تقدير مضاف، أي مشايخ أهل الإسلام، ومشايخ بالياء، ولا يجوز همزه لأن ياء المفرد ليست مداً وحينئذٍ لا تقلب في الجمع همزه، فهو من قبيل محترز قوله في الخلاصة

والمد زيد ثالثاً في الواحد   همزاً يرى في مثل كالقلائد

(قوله: مشايخ الإسلام) الإسلام في اللغة الخضوع والانقياد الظاهري، والإيمان لغة التصديق الباطني، فهما متباينان لغةً، وأما شرعاً فقيل أنهما متباينان أيضاً لأن معنى الإسلام شرعاً امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وذلك كناية عن الانقياد الظاهري الناشىء عن الإذعان الباطني، ومعنى الإيمان التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ، وإن كانا متلازمين في الوجود، أي الشخص الذي يوجدان فيه، وقيل إنهما متحدان مفهوماً، أي بحسب الوجود الخارجي بمعنى أن كل من اتصف بإحدهما يكون متصفاً بالآخر شرعاً (أقول)، وهذا الخلاف لفظي لأن تفسير الاتحاد في المفهوم بالاتحاد في الشخص الذي

السنة في العالمين زين الملة والدين أبو يحيى زكريا الأنصاري.

قوله: مفتي اسم فاعل وهو من أفاد حكماً شرعياً لا على وجه الإلزام اهـ منه.

يوجدان فيه تفسير مراد، وبالجملة لا يعقل شرعاً مسلم غير مؤمن، وبالعكس، والحاصل أنهما متباينان لغة متلازمان مفهوماً متحدان ما صدقا شرعاً، كما يعلم ذلك من له علم دقيق.

(قوله: مفتي الأنام) أي الخلق، فهو مرجعهم في جميع الأحكام، ولا تخفى المبالغة. **(قوله: محيي السنة في العالمين)** الأحياء اعطاء الحياة، وهو ادخال الروح في البدن، والمراد هنا لازمه، وهو الإظهار ففي بمعنى اللام، ففي الكلام إما استعارة تصريحية بتشبيه الإظهار بالإحياء، واستعارته له، ثم اشتق منه محيي، أو بالكناية بتشبيه السنة بالميت بجامع عدم الانتفاع وإثبات ما يخصه، وهو محيي أي الإحياء الذي في ضمنه تخييل، والسنة هي أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته، فقوله محيي السنة على حذف مضاف أي: أهل السنة وهم من اتصف بمزاولتها والعمل بمقتضاها من أشاعرة وماتريدية، أو لا يحتاج إلى تقدير مضاف مبالغة وتجوز لا يخفى لما تقدم، والعالمين اسم لما سواه تعالى من جميع الكائنات. **(قوله: زين الملة الخ)** يحتمل أنه على حد قولك زيد عدل، فهو إما باقٍ على مصدرية وصف به مبالغة، أو بمعنى اسم الفاعل أي مزينهما، أو على تقدير مضاف أي ذو زين، أي تزيين وهذا بحسب الأصل، وإلا فهو الآن لقب للشيخ، فهو من أقسام العلم الجامد مدلوله الذات فقط والزينة ما يتزين به، والزين ضد الشين، والملة بالكسر الدين، والجمع ملل مثل سدرة وسدر يقال أمللت الكتاب على الكاتب إملالاً ألقيته عليه وأمليته عليه إملاء والأولى لغة الحجاز، وبني أسد، والثانية لغة بني تميم وقيس، وجاء بهما القرآن العظيم قال تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً، وقدم اللقب على الاسم لاشتهاره مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] أو جرياً على عادة المؤرخين.

(قوله: أبو يحيى) كنية للشيخ نفعنا الله به، وقوله: زكريا بالمد والقصر، وبهما قرىء في السبع اسمه. **(قوله: الأنصاري)** نسبة للأنصار، وهم الأوس والخزرج ينسب الشيخ إلى الخزرج منهم، وهو جمع ناصر كأصحاب جمع صاحب، أو جمع نصير كاشراف جمع شريف، وهو جمع قلة على وزن أفعال **(وفيه)** أن جمع القلة لا يكون لما فوق العشرة، وهم ألوف **(وأجيب)** بأن القلة والكثرة إنما يعتبران في نكرات الجموع، أما في المعارف فلا فرق بينهما **(وفيه)** أن حق النسبة للمفرد، وقد نسب لنفس الجمع **(قلت)** محله ما لم يجر الجمع مجرى المفرد كالأنصار، فإنه صار علماً عليهم بتسمية النبي ﷺ

الشافعي تغمده الله برحمته بمنه، وكرمه الحمد لله الذي يسر سبيل السالكين.

لهم بذلك، وبلد الشيخ سنيكة كجهينة قرية بالشرقية قرب بلبيس، وكان الشيخ يكره النسبة إليها. **(قوله: زكريا الخ)** قال المناوي ولد سنة ست وعشرين وثمانمائة بسنيكة، ونشأ بها، فحفظ القرآن والعمدة، ومختصر التبريزي، ثم تحول للقاهرة سنة إحدى وأربعين فقطن بالجامع الأزهروحفظ به المنهاج والألفية والشاطبية والرائية وبعض ألفية الحديث والتسهيل، ثم أخذ الفقه والأصول والمعاني والبيان عن القاياتي والشرف المناوي ولازم درسه وعن العلم البلقيني والونائي والحجازي وابن حجر والزين رضوان والكافيجي والشرواني والعز البغدادي وابن الهائم، وأخذ التصوف عن الشيخ محمد الغمري والأدكاوي والنبتيني والحنبلي، وتلقن عليهم وجد واجتهد على طريقة جميلة من التواضع وحسن العشرة والأدب والعفة والانجماع عن بني الدنيا مع التقلل وشرف النفس ومزيد العقل وسعة الباطن والتحمل والمداراة إلى أن أذن له غير واحد في الإفتاء والتدريس، فتصدى لذلك في حياة جمع من شيوخه، وانتفع به الفضلاء طبقة بعد طبقة، ثم تصدى للتصنيف فشرح البهجة والروض وغيرهما مما هو معروف مشهرو حتى بلغت مؤلفاته نحو الستين، وكان يميل إلى الصوفية، ويذب عنهم سيما ابن عربي وابن الفارض، وهو ممن كتب في نصرتهما وجزم بولايتهما، وكان له بر وإيثار لأهل العلم والفقراء ويخير مجالسهم على مجالس الأمراء، وكان له تهجد وصبر وترك للقيل والقال وأوراد واعتقاد وكتابته أميز من عبارته، وولي عدة مدارس، ولم يزل في ازدياد من الترقي حتى ولاه قايتباي الصالحية، ثم استقر به في القضاء الأكبر بعد صرف الأسيوطي، فباشره بعفة ونزاهة وعمي آخر عمره، ومع ذلك لم يترك الإفتاء والتدريس وعمر نحو مائة سنة، حتى انقرض جميع اقرانه، والحق الاصاغر بالأكابر، وصار من في زمنه في أتباعه، أو أتباع أتباعه، وقرىء عليه شرحه للبهجة سبعاً وخمسين مرة، حتى كان شيخنا الرملي يقول: هذا شرح أهل بلد لا شرح رجل واحد، وكان مجاب الدعوة، فجاءه رجل عمي سنين فقال: ادعو الله أن يرد بصري، فدعا فأبصر ثاني يوم، وله كلام في طريق القوم كثير نافع حكى بعضه الشيخ المناوي، فارجع إليه إن شئت اهـ. **(قوله: الشافعي)** أي المتعبد على مذهب الإمام الشافعي، المنسوب إلى جده شافع، فلما أريد نسبة الشيخ له حذفت منه ياء النسبة، وأتى في المنسوب بياء بدلها.

قال في الخلاصة: ومثله مما حواه احذف.

(قوله: تغمده الله برحمته) أي جعل الرحمة عامة لجميعه كالغمد للسيف، والمقصود المبالغة فلا يرد أن الغمد أي الجراب لا يعم السيف كله، وهي جملة دعائية خبرية لفظاً إنشائية معنى: أي اللهم تغمده برحمتك الخ. **(قوله: بمنه)** أي امتنانه وتفضله وكرمه أي إحسانه وحقيقة الكرم إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي على وجه ينبغي لا لغرض ولا

قوله: وعملاً بخبر الخ، لا يقال إنه يعارض حديث البسملة لإمكان رده بجعل البسملة صلة للحمدلة فتأمل اهـ. مؤلفه على العارفين وسهل منهج السالكين على المتقين وبصر بصائر المصدقين بسائر الحكم والأحكام في الدين ومنحهم أسرار الإيمان وأنوار الإحسان واليقين، والصلاة والسلام على أشرف.

لعلة. (**قوله: الحمد لله**) أي الثناء بالجميل مختص، أو مستحق، أو مملوك لله واللام الداخلة على الحمد للعهد أو للجنس، أو للاستغراق، وخير الأمور أوساطها وآثر الاسمية اقتداء بالكتاب العزيز، وعملاً بخبر «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله»[1] الحديث.

(**قوله: الذي يسر**) فيه تعليق الحكم بالمشتق، وهو يؤذن بالعلية فيكون الحمد في مقابله نعمة، فهو حينئذٍ شكر وشكر المنعم واجب يثاب عليه ثوابه، والمراد بالنعمة كل ملائم تحمد عاقبته وذلك على طريق علماء الظاهر، أما هي على طريقة الصوفية، فكل ما أراده الحق لعبده وإن لم يلائم النفس، واعلم أن الحمد الصادر من الكاملين مطلق، فلم جعل المقيد أفضل قلت هو مطلق عن التشوف إلى جزاء، وذلك لا ينافي وقوعه في مقابلة نعمة، واعلم أن الحق تعالى يستحق الحمد لذاته ولأسمائه ولصفاته كما يستحقه لآلائه. (**فإن قلت:**) لم قال: الذي يسر وأتى بالموصول، ولم يقل الميسر مع أنه الأخصر، (**قلت**) لأن الإطناب أولى في مقام الثناء مع أوضحية الإبهام في الموصول المستقل، ثم التخصيص الأنسب في التعظيم، وقوله: يسر معناه سهل، واعلم أن الشارح نفعنا الله به أوقع حمده بإزاء الذات والصفات وهو أولى منه بإزاء أثر الصفات لأنها تتلاشى وتضمحل، والذات والصفات باقيتان أبداً سرمداً وفيه أن صفة الفعل حادثة إلا أن يراعي مذهب الماتريدية، وأيضاً لأنه حمد بدون واسطة بخلافه بإزاء الآثار، وفيه أن الحمد في مقابلة الآثار كأنه حمدان، أو على شيئين ضرورة اعترافهم بملاحظة الفعل فيه بخلاف العكس، ويوجه أيضاً بأن مقام الصحو أفضل من مقام الفناء لأن الآثار إنما تذم باعتبار حجابية ذاتها.

(**قوله: على العارفين**) جمع عارف، وهو من أشهده الحق تعالى ذاته، واسماءه وصفاته فإيمانه عن عيان لا عن دليل وبرهان. (**قوله: وسهل منهج**) أي سبيل، وطريق السالكين، أي وهم من وقف مع أحكام الشريعة المطهرة المحمدية، ولم يخرج عنها في حركة أو سكون، ولا يخفى أن المنهج بمعنى السبيل، والطريق معنوي بجامع التوصل إلى المقصود به، كما يتوصل إليه بالطريق المحسوس.

(**قوله: وبصر بصائر**) أي أفاض النور على أعين قلوب المصدقين الموقنين تصديقاً، وإيقاناً وجزماً لا يجامع شكاً ولا وهماً ولا ظناً، وذلك لما انقدح عندهم من واضح

---

(١) أخرجه ابن ماجه (نكاح ١٩) وأبو داود (أدب ١٨).

قوله: والأحكام جمع حكم أصلياً كان أو فرعياً فتحصل أنهم علماء وعرفاء فليس لله تعالى وليّ جاهل اهـ منه.

قوله: وأنوار الإحسان الخ اعلم أن المقامات ثلاثة الإيمان والإسلام والإحسان الأول التصديق والإذعان بجميع ما جاء به الرسول ﷺ والثاني الأعمال المكلف بها العبد والثالث المراقبة في الأعمال لمن هي له على ما ذكره المصنف والثاني شرط للأول لا شطر على الصحيح المعتمد اهـ منه.

قوله: إن تعبد الله الخ لا يخفى أن الدرجة الأولى درجة المقربين والثانية درجة الأبرار والله أعلم اهـ المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين **(وبعد)** فإن

الدلالات بل لما أكرموا به من باهر المشاهدات والمكاشفات على أنهم قد يتمتعون بالمكافحات والفهوانيات، واعلم أن للقلوب عيناً تدرك بها المعقولات كما أن للأجسام اعيناً تدرك بها المحسوسات بل الادراك بأعين البصائر المنورة بنور الحق أتم لأنها تدرك الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، وادراك بصر الجسم قد يخطىء. **(قوله: بسائر الحكم)** أي بجميعها، والحكم جمع حكمه، وهي أحكام العلم واتقان العلم به على وفق الطريقة المحمدية، والسنة الأحمدية. **(قوله: ومنحهم)** أي اعطاهم أسرار الإيمان أي مما أضمر على غيرهم من دقائقه ورقائقه، وإشاراته التي هي ثمرات الأعمال المشار إليها بخبر: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»، وذلك بواسطة إفاضة الأنوار على قلوبهم الناشئة من قوة إيمانهم بالله ورسوله. **(قوله: وأنوار الإحسان واليقين)** أي الأنوار التي أثمرها وأنتجها مقام الإحسان المشار إليه بخبر: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ولا يخفى أن اليقين هو جزم القلب عن دليل وبرهان.

(قوله: والصلاة والسلام) جمع بينهما امتثالاً للأمر به، وللخروج من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر، ولو خطا على القول به وذكرهما بالجملة الاسمية للإشارة إلى الدوام والثبات، والصلاة اسم مصدر إذ مصدر صلى التصلية لكنه لم يسمع ومصدر سلم التسليم، وإنما لم يأت به نظراً للمناسبة بين لفظي الصلاة والسلام في كونهما من أسماء المصادر غير أن القول بأنه لم يسمع في مصدر صلى التصلية يعني بمعنى الدعاء بخير فلا ينافي تمامه في العذاب قال تعالى: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤] **(قوله: على أشرف الخ)** أي أرفعهم رتبة متعلق بالسلام على اختيار البصريين، ومتعلق الصلاة محذوف تقديره عليه، ولا يجوز أن يتعلق المذكور بالصلاة لأنه كان يجب ذكر المتعلق بالسلام على الأصح، وكل ذلك بناءً على أنه من باب التنازع، وهو مردود على ما لا يخفى، وقوله: المرسلين أي المبعوثين للخلق بالشرائع، والأحكام.

(قوله: سيدنا) أي معاشر الخلق، وأمة الإجابة هي الأولى بسيادته ﷺ لما نالها من

الشرف الذي لا يضاهى، وجملة الصلاة والسلام خبرية لفظاً إنشائية معنى، والغرض طلب صلاة وسلام لائقين بمقام الرؤوف الرحيم على ما هو الواجب علينا بإزاء بعثته إلينا. **(قوله: محمد)** اعلم أن الحقيقة المحمدية هي الذات المتعينة بالتعين الأوّل، كما يشير إليه خبر جابر حيث قال ﷺ: «أول ما خلق الله نور نبيك من نوره»[1] فهو ﷺ له الأسماء الحسنى بل هو الاسم الأعظم الأول الآخر.

واعلم أن على هنا مجردة عن المضرة، كما في قوله تعالى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] على أنه يمكن الفرق بين صلى عليه ودعا عليه. **(قوله: وعلى آله)** المراد بالآل بنو هاشم، وبنو المطلب كما تقتضيه إضافتهم إليه ﷺ، وإلا فاللائق بمقام الدعاء الحمل على عموم من اتبعه من المؤمنين. **(قوله: وصحبه)** قيل هو اسم جمع، وقيل جمع لصاحب، وهو من اجتمع به ﷺ اجتماعاً متعارفاً، وإن قل زمن الاجتماع وقوله أجمعين تأكيد لقوله وآله وصحبه. **(قوله: وبعد)** قيل الواو عاطفة، وأما محذوفة والفاء دالة عليها، ولا نيابة وقيل: الواو نائبة عن أما والفاء دالة عليها لأنها لازمة لها، فحذفت أما، وبقيت الفاء دالة عليها إقامة اللازم مقام الملزوم، وإبقاء لأثره في الجملة، وفيه لزوم الجمع بين العوض والمعوض، إذ المحذوف مع بقاء ما يدل عليه كالثابت والجواب أن الجمع يمتنع في اللفظ لا في التقدير على أن السكاكي في المفتاح، قد جمع بين الواو وأما، إلا أن يقال أنه جعل الواو عاطفة والتقدير وأقول أما بعد، وبعد ظرف زمان بالنظر للتكلم ومكان بالنظر للرسم، أي بعدما تقدم فحذف المضاف إليه، ونوى ثبوت معناه فبنيت على الضم. **(قوله: في علم التصوف)** في هذه الظرفية نظر، وذلك لأن الرسالة اسم للألفاظ المخصوصة باعتبار دلالتها على المعاني المخصوصة، واسماء العلوم من قبيل الملكات، أو الإدراكات، أو المسائل، ولا معنى لظرفية نحو المسائل للالفاظ، وأجيب بأن في بمعنى على، فهو من ظرفية المدلول للدال، والمعنى فإن هذه الرسالة مؤلفة للدلالة على مسائل علم التصوف، أو محصلة للإدراكات المخصوصة، أو الملكات المخصوصة، وسيأتي له التكلم على التصوف، وملخصه أنه الانخلاع، والتجرد عن سائر الحظوظ، والعادات النفسية مع التبري من الحول والقوة في جميع الحركات والسكنات. **(قوله: للإمام)** أي للقدوة المقدم على غيره من المحققين. **(قوله: العلم)** تقدم أن المراد به هنا العارف، وهو من أشهده الله جمال ذاته وهيمه في مجالي أسمائه، وبهره في آثار صفاته. **(قوله: الجامع بين الشريعة والحقيقة)** أي المتحقق بذلك علماً وحالاً وقالاً، ولا

(١) أخرجه العجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٣١٠).

عبد الكريم بن هوازن القشيري نور الله مضجعه وبرد مثواه ومنزعه لما اعتنى بها ذوو الجد والاجتهاد، وكانت محتاجة إلى بيان المراد. وضعت عليها شرحاً يحل ألفاظها، ويبين مرادها ويحقق مسائلها ويحرّر دلائلها مع فوائد مستجادات وضوابط

تتوهم بالعطف مغايرة وفرقاً، إذ الحقيقة هي أسرار الشريعة. **(قوله: أبي القاسم)** كنيته. **(قوله: عبد الكريم)** اسمه. **(قوله: ابن هوازن)** اسم أبيه. **(قوله: القشيري)** لقبه نفعنا الله ببركات علومه ومعارفه. **(قوله: نور الله مضجعه)** أي محل اضطجاعه الذي هو قبره، وهي جملة دعائية في مقابلة ما أهداه من هذا المؤلف اللائح عليه لوائح القبول. **(قوله: وبرد مثواه)** أي محل إقامته ومنزعه، أي محل انفصاله، وخروجه بمعنى جعلهما باردين بواسطة عموم الرحمة والرضا. **(قوله: لما اعتنى بها)** أي أقبل بكليته، وتوجه بجل قصده ذو والجد أي أصحاب الجد، وهو مقابل الهزل، والاجتهاد الذي هو بذل الوسع والطاقة، فعطف الاجتهاد على الجد للتفسير. **(قوله: وكانت)** الضمير عائد للرسالة المتقدم ذكرها محتاجة أي مفتقرة لقصور الافهام عن ادراك حقائق معانيها بواسطة قلة من يعانيها إلى بيان المراد أي إلى اظهار المعاني المقصودة منها.

(قوله: وضعت عليها شرحاً) جواب لما أي ألفت، وجمعت عليها شرحاً أي الفاظاً كاشفة عن معانيها المقصودة. **(قوله: يحل الفاظها)** أي يفك تراكيبها ببيان الفاعل والمفعول، ومرجع الضمائر، فاطلق الحل على الفك، ثم اشتق منه الفعل، فصارت الاستعارة في المصدر أصلية وفي الفعل تبعية، ويصح أن يكون استعارة مكنية أو مجازاً مرسلاً لأن التبيين لازم للحل، بقي أن في إضافة الفاظ إلى ضمير الرسالة إضافة الشيء إلى نفسه، ولا يقال هي بيانية لما ذكره الناصر من أنها لا تتأتى في الإضافة إلى الضمير نعم يقال أنها من إضافة كل من الأجزاء إلى كله.

(قوله: ويبين مرادها) هو من عطف الخاص على العام أو بينهما عموم وخصوص من وجه لأن حل الألفاظ، قد لا يبين بمجرده المراد، وبيان المراد قد يكون بدون حل التراكيب. **(قوله: ويحقق مسائلها)** التحقيق هو ذكر الشيء بدليل، أو ذكره على الوجه الحق، ويصح إرادتهما هنا، والمسائل جمع مسألة، وهي مطلوب خبري يبرهن عليه في العلم، فالمراد أنه يذكر مسائلها مع أدلتها المثبتة لها. **(قوله: ويحرر دلائلها)** التحرير تخليص الشيء على وجه محمود، ويرادفه التنقيح، وقيل إن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً لأن التنقيح على هذا القول مطلق التخليص سواء كان على وجه محمود أولا. **(قوله: مع فوائد)** هي لغة كل ما يستفيد من مال أو جاه، وفي الاصطلاح هي ما استفيد من علم نافع. **(قوله: مستجادات)** أي جيدة مقابلة الرديئة. **(قوله: وضوابط)** جمع ضابط وهو قانون كلي يتعرف به أحكام ما اشتمل عليه من الجزئيات، وقوله محررات أي

محررات على وجه لطيف، ومنهج منيف راجياً بذلك جزيل الأجر والثواب من فيض مولانا الأكرم الوهاب، والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ووسيلة للفوز بجنات النعيم (**وسميته**) أحكام الدلالة على تحرير الرسالة، وأرويها بالسند عن جماعات منهم الإمام الشريف أبو الفتح محمد بن الزين أبي بكر بن الحسين المراغي بمكة المشرفة عن أبي الخير أحمد ابن الحافظ أبي سعيد العلائي عن أبي العباس الصالحي عن أبي الفضل جعفر بن علي الهمداني عن الحافظ أبي طاهر السلفي عن أبي المحاسن عبد الواحد ابن إسماعيل الروياني عن مؤلفها، ومولده في شهر ربيع الأوّل سنة ست وسبعين وثلاثمائة، ووفاته صبيحة يوم الأحد سادس عشر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة بمدينة نيسابور قال رحمه الله تعالى.

مخلصات من التعقيد والصعوبة. (**قوله: على وجه**) أي طريق لطيف، أي مختصر مع إفادته للمعاني الكثيرة، وقوله: ومنهج أي طريق منيف، أي زائد في البيان والكشف والإيضاح. (**قوله: راجياً**) حال من فاعل وضعت، والرجاء هو تعلق القلب بمرغوب فيه يقع في المستقبل مع الأخذ في الأسباب بخلاف الطمع، فإنه تعلق القلب بمرغوب فيه مع عدم الأخذ في الأسباب، وهو محرم بخلاف الرجاء، فإنه مطلوب. (**قوله: جزيل الأجر**) أي الأجر الجزيل فإضافته من إضافة الصفة للموصوف، والأجر مقدار من الجزاء أعده الله تعالى في مقابلة الأعمال، والجزيل الكثير. (**قوله: والثواب**) عطفه على الأجر للتفسير. (**قوله: من فيض مولانا**)، أي من الفائض من إحسان الحق وإنعامه على خلقه، والمولى بمعنى السيد هنا وإن أطلق على غير ذلك كما هو معلوم. (**قوله: الأكرم**) أي الذي كرمه زائد على كرم غيره بل لا كرم إلا له تعالى لأنه المالك على الحقيقة، والمعطي في حقيقة الطريقة. (**قوله: الوهاب**) أي كثير الهبات تفضلاً، وإحساناً لا في مقابلة شيء كيف لا، وهو الغني المطلق والمنعم المحقق. (**قوله: والله أسأل**) أي أسأل الله ولا أسأل غيره، كما يفيده تقديم الاسم الشريف. (**قوله: أن يجعله خالصاً**) أي من أسباب عدم القبول كالرياء وحب المحمدة وغير ذلك من موانع القبول. (**قوله: لوجهه**) أي لذاته، وقوله: الكريم أي المتحقق له الكرم الذي هو إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي على وجه ينبغي لا لغرض، ولا لعلة. (**قوله: وسميته**) أي سميت ما وضعته من الشرح المذكور أحكام الدلالة على تحرير الرسالة. (**قوله: وارويها**) شروع في بيان سنده في تلقيها عن الثقات من المشايخ. (**قوله: منهم الإمام الخ**) إن أحببت تراجمهم، فإرجع إلى الطبقات المؤلفة في ذلك.

(**قوله: رحمه الله تعالى**) جملة دعائية من الشارح قصد بها طلب الرحمة منه تعالى للمصنف. (**قوله: أي ابتدىء**) أشار به إلى تقدير المتعلق. (**قوله: والاسم مشتق من السمو**) أي مأخوذ منه، وليس المراد به الاشتقاق الحقيقي لأن لفظ الاسم جامد، وقوله:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أيْ: ابتدىء والاسـم مشتق من السموّ، وهو العلوّ، وقيل: من الوسم، وهو العلامة، والله علم على الذات الواجب الوجود.

وهو العلو أي، فهو من الاسماء المحذوفة الأعجاز كيد، ودم بنيت أوائلها على السكون، وأدخل عليها همزة الوصل لمتعذر النطق بالساكن. **(قوله: وقيل من الوسم وهو العلامة)** أي أو من السيما، فوزنه على الأوّل أفع وعلى الثاني أعل، وعلى الثالث أفل كما حكاه الشبراملسي، ولا يخفى وجهه على من عرف التصريف. **(قوله: والله علم)** أي علم شخصي جزئي، وإن كان لا يقال ذلك إلا في مقام التعليم أدباً في حقه تعالى لا يقال أخذ الواجب الوجود في مفهوم المسـمى يصيره كلياً لأنا نقول هو ليس من جملة المسمى، وإنما هو لتعيينه، واعلم أن هذا الاسم الشريف هو نقطة دائرة جميع الأسماء والصفات فإنه إليه مرجعها، حيث هي كامنة فيه، وبالتزاوج بينه وبين اسم الرحمن كان ما كان.

(قوله: الواجب الوجود) أي الذي وجوده واجب ذاتي له كيف لا وجميع الأكوان والوجودات الجائزة إنما هي بمظهر الظهور الحق فيها بالعلم والإرادة والقدرة مع الاتقان، وذلك من حيث اظهارها ظهور دلالة لا حلول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فعرفت بذلك ذاته وأسماؤه وصفاته، وبهذا الوجه يفهم معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] من أن الكون مشكاة فيها زجاجة الأفعال الجامعة لزيت النسب المعتصرة من زيتونة الأوصاف الكمالية لا شرقية، ولا غربية جلالية يكاد زيتها يضيء، ولو لم تمسه نار التأثير الظاهر من مصباح الصفات نور على نور نور الأفعال على نور النسب على نور الأسماء على نور الصفات، وهي التي ظهر بها الكل يهدي الله لنوره من يشاء في أي مقام كان، فيشهد الحق على قدر ما حصل له من الهداية، والشهود مختلف فمن حصل على شيء من الهداية والشهود كان كمالاً له، ومن لم يحصل على شيء فهو في دائرة النقص وعمى البصيرة، ولهذا أشار صاحب الحكم العطائية، حيث قال: فمن رأى الكون، ولم يشهده فيه أو عنده، أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار، قلت: ومن شهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده، فهو الكامل الأسرار، وإن تفاوتت الرتب، قال بعضهم: ويمكن أن يفهم المعنى بوجه آخر، وهو أن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] مراد به النور الوجودي المشرق على أعيان الممكنات كمشكاة ككوة غير نافدة، وذلك عبارة عن القلب النوري الذي وسع الحق، الذي ضاق عن وسعه عوالم الأرض، والسماء فيها مصباح، أي في المشكاة مصباح، وهو نور الإيمان، الذي هو معدن الهدى، والفلاح المصباح المذكور في زجاجة، أي في جسم نوراني شفاف تلاشت فيه البشرية، حتى التحق بعالم النور بالمجاهدة الشاقة مع الحضور، حتى صارت

قوله: فالخاصة الخ أقول، وذلك قليل جداً لأنه من ذوق الأنبياء، والرسل اهـ منه.

المستحق لجميع المحامد، والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة من

هذه الزجاجة كأنها كوكب دريّ مشرق بالنور يوقد ذلك الكوكب، أي يضيء، ويشرق نوره على العالم المأثور من شجرة النور مباركة، أي كثيرة البركات، وهي عبارة عن الذات التي تفرعت عنها، وظهرت من بواطن غيبها سائر الأسماء والصفات بواسطة شجرة النور المحمدي التي تفرعت عنها، وانسلخت منها جميع الموجودات من عوالم الأرض، والسموات الروحانية والجسمانية. زيتونة: بدل، أو عطف بيان على الشجرة خصت بالزيتونة لكثرة إشراق نورها لا شرقية تلك الزيتونة، ولا غربية أي لا هي مشرقة ظاهرة من حيث كنه الذات، ولا هي غاربة باطنة من حيث تجليها بالأسماء، والصفات في مظاهر الممكنات، أو لا هي ظاهرة باعتبار أهل الحجب والغفلات، ولا هي باطنة باعتبار أرباب المشاهدات، ولا ميل لها لجهة من الجهات، ولا تنزل لها من حضرة غيبها من حيث الذات. يكاد زيتها، أي زيت زيتونة حضرة الذات يضيء أي يشرق في قلب المؤمن، ولو لم تمسسه نار المجاهدات بالأعمال الشاقة الممزقة للحجب المانعة عن شهود حضرة الذات، ولكن إذا مست قلب المؤمن نار المجاهدات، فذلك نور على نور: نور مصباح الإيمان، ونور المشاهدات لعرائس جمال الذات يهدي الله لنوره المشار إليه بقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المشرق من زيتونة مباركة من يشاء من أرباب العلوم والمعارف والكمالات، ويضرب الله الأمثال للناس تقريباً لأفهام أهل العقول الجزئيات، فكنى عن حضرة الذات الإلهية بالشجرة التي هي من التشاجر للإشارة إلى المشاجرة الواقعة بين الأسماء والصفات المتقابلات ومشاجرتها كناية عن مجاورتها بسبب محاورتها ومقابلتها كالمعطي يقتضي العطاء والمانع يقتضي المنع، فتتحاكم الأسماء، والصفات بين يدي حضرة الذات، فإن قضت حضرة الذات للاسم المعطي على الاسم المانع حصل الاعطاء، وظهر الاسم المعطي، وبطن الاسم المانع، وإذا قضت للاسم المانع على الاسم المعطي حصل المنع، وظهر الاسم المانع على الاسم المعطي، وبطن الاسم المعطي، وهكذا الحال على هذا المنوال، والمشاحة الواقعة بين الموجودات بسبب المشاجرة الواقعة بين الأسماء والصفات المتقابلات تمعناً أن كنت معنا، وإن لم تكن معنا فدعنا وتدبر تفهم، وإلا فسلم تسلم. **(قوله: المستحق لجميع المحامد)** أي المستحق لها لذاته ولصفاته، ولافعاله استحقاقاً ذاتياً حقيقياً إذ مرجع جميع المحامد إليه باعتبار المنشأ والمصدرية، واعلم أن جميع المحامد باعتبار الحامدين على قسمين حمد خاصةً وحمد عامةً، فالخاصة هم المثنون بالذات على الصفات، وهم الموفقون لحقيقة الحمد، والعامة

رحم كغضبان من غضب، وسقيم من سقم والرحمة رقة القلب، وهي كيفية نفسانية تستحيل في حقه تعالى، فتحمل على غايتها، وهي الإنعام، فتكون صفة فعلية، أو الإرادة، فتكون صفة ذات، وبنيت الصفة المشبهة من رحم مع أنه متعد بجعله لازماً ونقله إلى فعل بالضم، والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، كما في قطع وقطع (**الحمد لله**) بدأ بالبسملة، وبالحمدلة اقتداء بالكتاب

هم المادحون للذات بالصفات لاستدلالهم على الصفات بالأفعال، وعلى الذات بالأوصاف فهم محجوبون عن درك الحقائق، وإن كانوا عند من دونهم من العامة من خواص الخلائق مع أن ذلك عين الشركة يجعلهم للغير وجوداً، وكيف يستدل عليه وما غاب، وكيف يتوصل إليه بغيره ولا أين ولابين ولا حجاب، وكيف يستدل عليه بما هو في وجوده مفتقر إليه.

(**قوله: والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان**) أي، والاسم الأوّل منهما تجليه عام لعمومه المؤمن وغيره، والثاني تجليه خاص لأنه يخص المؤمن. (**قوله: من رحم**) أي من مصدره إذ هو الأصل في الاشتقاق، وذلك بعد تنزيله منزلة اللازم، أو جعله لازماً ونقله إلى فعل بالضم كما يأتي، وفيه أن اشتقاق رحمن من رحم على غير قياس لأن فعل بالضم لا تتأتى منه الصفة المشبهة إذ لا تأتي إلا على فعل بسكون العين، وفعيل بكثرة، وفعل بفتح العين.

قال ابن مالك في الخلاصة: وفعل أولى وفعيل بفعل الخ. (**قوله: والرحمة رقة القلب**) أي بحسب أصل معناها اللغوي وقوله: وهي كيفية نفسانية أي صفة، وحالة للنفس طبيعية لما تقتضي الحنو والشفقة، وقوله: تستحيل في حقه تعالى أي مراداً بها مبدأ معناها المذكور، وقوله: فتحمل على غايتها، أي: من الإنعام بالفعل، أو إرادته فتكون صفة فعلية على الأوّل أو ذاتية على الثاني، كما بينه الشارح إذ غاية مبدأ الرحمة ذلك. (**قوله: وبنيت الصفة الخ**) قد تقدم ما فيه فلا حاجة إلى إعادته. (**قوله: لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى**) أي غالباً ولا نقض بحذر إلا بلغ من حاذر، على أن بعضهم ذكر أن قولهم زيادة البناء تدل الخ مشروط بشروط ثلاثة الأوّل أن يكون ذلك في غير الصفات الجبلية، فخرج نحو شره ونهم إذ لا تفاوت، والثاني أن يتحد اللفظان في النوع، فخرج حذر وحاذر، والثالث أن يتحدا في الاشتقاق، فخرج زمن وزمان. (**قوله: الحمد لله**) أي الثناء بالجميل على الجميل لله اختصاصاً واستحقاقاً وملكاً على ما يأتي. (**قوله: بدأ بالبسملة وبالحمدلة**) أي بمسمى هذين اللفظين، أو يقال بدأ بما هما منحوتان منه، هذا، وعلم النحت سماعي يتوقف فيه على ما ورد عن العرب، ثم رأيت في الزرقاني على المواهب ما نصه، ونقل المارزي عن المطرزي في كتاب اليواقيت وغيره أن

العزيز وعملاً بخبر كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أقطع، وفي رواية بالحمد لله، وفي رواية بذكر الله رواه أبو داود، وغيره وحسنه ابن الصلاح

الأفعال التي أخذت من أسمائها سبعة: بسمل إذا قال بسم الله، وسبحل إذا قال سبحان الله، وحوقل إذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله، وحيعل إذا قال حي على الفلاح، وحمدل إذا قال الحمد لله، وهيلل إذا قال لا إله إلا الله، وجعفل إذا قال جعلت فداك، وزاد الثعلبي طبقل إذا قال: أطال الله بقاك، ودعمز إذا قال أدام الله عزك. **(قوله: اقتداء بالكتاب العزيز الخ)** قال بعضهم: عبر في جانب الكتاب بالاقتداء، وفي جانب الحديث بالعمل لأن الكتاب ليس فيه تصريح بطلب البسملة والحمدلة، وإنما ثبتا في أوله بخلاف الحديث، فإن فيه الطلب، وإن كان ضمنياً، وذلك لأنه لما ذم الأمر المبتدأ بدونهما استلزم ذلك النهي عن تركهما في الابتداء، والنهي عن الشيء يستلزم الأمر بضده فلزم من الحديث الأمر بالبدء بهما. **(قوله: وعملاً بخبر كل أمر)** الخبر بدون تنوين لإضافته إلى ما بعده إضافة بيانية، أو من إضافة الأعم للأخص، ويصح أن ينون على إبدال ما بعده منه، أو على أنه خبر عن مبتدأ محذوف تقديره هو كل أمر ذي بال. **(قوله: كل أمر ذي بال)** لفظ كل مفرد معناه بحسب ما يضاف إليه، فإن أضيف إلى مذكر رجع الضمير إليه مذكراً، كما هنا وإن اضيف إلى مؤنث رجع الضمير إليه مؤنثاً، ومن الأول قول بعضهم:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] والأمر بمعنى الحال كما قاله بعضهم، وفيه نظر كما لا يخفى، فالأولى أن يقال بمعنى الشيء وإضافة كل إلى أمر على معنى اللام، وليس المراد على صحة تقديرها، وإنما المراد أن المضاف إنما عمل لما فيه من معنى الحرف لأن الأسماء المحضة لا حظ لها في العمل.

(قوله: ذي بال) أي حال يهتم به شرعاً معنى اهتمام الشرع به طلبه إياه وجوباً أو ندباً، أو تخييره فيه، وهذا معنى قول بعضهم، وليس محرماً ولا مكروهاً. **(قوله: لا يبدأ فيه)** نائب فاعل يبدأ ضمير مستتر فيه يعود على الأمر نفسه ففي من قوله: فيه تعليلية أي لا يبدأ هو لأجل نفسه وبسببها، فحينئذٍ يدخل ما إذا اقترن الشروع في الأكل والسفر، وبسمل قاصداً الأكل فقط، فالسفر في هذه الصورة يقال أنه خال عن هذه التسمية لأنه، وإن بدىء بها لكن البداءة بها ليست لأجله بل لأجل الأكل، فالسفر قليل البركة، وقس على هذه الصورة غيرها، هذا، والبال يقال على القلب، وعلى الحال الذي يهتم به شرعاً لكنه في الأقوال والأفعال بالنسبة للبسملة، وأما بالنسبة للحمدلة، فهو خاص بالأفعال إذ لو كان عاماً فيها أيضاً لاقتضى طلب الحمدلة عند ابتداء الأكل مثلاً مع أن المطلوب الإتيان بها عند الاختتام. **(قوله: وفي رواية بالحمد لله)** هو بالرفع، أي بهذا

وغيره، وجمع بين الابتداءين عملاً بالروايتين وإشارة إلى أنّه لا تعارض بينهما إذ الابتداء حقيقي وإضافي، فبالبسملة حصل الحقيقي، وبالحمدلة حصل الإضافي،

اللفظ، إذ هو الذي يظهر عليه التعارض، وأما لو قرىء بالجر، فلا تعارض لأن المعنى حينئذٍ بالثناء على الله، على أن بعضهم ذكر أن التعارض لا يتم إلا بشروط خمسة: رفع الحمد، وتساوي الروايتين وكون رواية البسملة بباءين، وكون الباء صلة يبدأ، وأن يراد بالابتداء فيهما شيء واحد. (**قوله: فهو أقطع**) أي وفي رواية أجذم وفي أخرى أبتر والأقطع هو ما قطع منه جزء والاجذم قيل هومقطوع اليد، أو الذاهب الأنامل، والأبتر قيل هو مقطوع الذنب، وهذا التركيب، ونحوه يجوز أن يكون من التشبيه البليغ المحذوف فيه الإداءة، والأصل كالأقطع مثلاً في عدم المقصود من تمامه، ويجوز أن يكون من باب الاستعارة، ولا يضر فيها الجمع بين المشبه والمشبه به، لأن ذلك إنما يمتنع إذا كان على وجه ينبىء عن التشبيه لا مطلقاً على أن المشبه في هذا التركيب محذوف، والأصل هو ناقص كالأجذم فحذف المشبه، وهو ناقص، وعبر عنه باسم المشبه به فصار المراد من الأقطع الناقص وعليه، فلا جمع إذ لم يذكر حينئذٍ إلا اسم المشبه به فقط غير أن في قوله: لأن ذلك إنما يمتنع الخ نظراً لأن ما هنا من الجمع الذي ينبىء عن التشبيه لأن ضابطه أن يكون المشبه به خبراً عن المشبه أو صفة له أو حالاً منه، وما هنا من قبيل الأول فتأمل.

(**قوله: عملاً بالروايتين**) أي، واقتداءً بالكتاب العزيز. (**قوله: إذ الابتداء حقيقي وإضافي**) قال عبد الحكيم: على الخيالي الافتتاح الإضافي ما يكون بالنسبة إلى البعض، والحقيقي ما يكون بالنسبة إلى جميع ما عداه، فلا يقال أن كون الابتداء بالبسملة حقيقياً مخالف للواقع إذ الابتداء الحقيقي، إنما يكون بأول أجزاء البسملة، ووجهه عدم الورود لأن الشرط تقدم الشيء على جميع ما عداه، وإن تقدم بعض أجزائه على بعض، هذا، ويحصل الجمع بين الروايتين أيضاً بحمل الابتداء على العرفي الممتد، أو ملاحظة أحدهما مقدمة الشيء، والثاني أوّل اجزائه، أو أن الباء للاستعانة، والاستعانة بشيء لا تنافي الاستعانة بغيره نعم في هذا أنه لا ينفع فيما نحن فيه لأن الاستعانة بالشيء ابتداء، إنما تكون إذا تلفظ به ابتداء نعم لو أريد الاستعانة بربط القلب لصح لعدم التوقف حينئذٍ على النطق، وأما الجمع على ما ذهب إليه بعضهم بأن الابتداء باحدهما خطأ، والثاني نطقاً فغير مطرد، نعم قيل يتساقط قيد البسملة وقيد الحمدلة، ويرجع الأمر لرواية مطلق ذكر الله، ومحل حمل المطلق على المقيد إن اتحد القيد لعدم المعارض، وحينئذٍ فالجمع بينهما توكيد واحتياط. (**قوله: وبالحمدلة حصل الإضافي**) المراد أن الإضافي الذي ليس بحقيقي حصل بالحمدلة، فلا ينافي أن الابتداء بالبسملية حقيقي، وإضافي لأن الحقيقي هو الذي لم يتقدم عليه شيء، والإضافي هو الذي تقدم على غيره فسواء تقدم عليه غيره

وقدم البسملة عملاً بالكتاب، والإجماع ولاقتضاء المقام تقديم الحمد قدمه على لله، وإن كان الأهم ذكر الله، وجملة الحمد لله خبرية لفظاً انشائية معنى، ويجوز أن تكون موضوعة شرعاً للإنشاء، والحمد مختص بالله كما أفادته الجملة.

قوله: وهو وجيه فيه نظر إذ الأعمال بالنيات اهـ منه. سواء جعلت أل فيه للاستغراق كما عليه الجمهور، أم للجنس كما عليه الزمخشري، أم للعهد كما نقله

أو لا، فهو أعم من الحقيقي. (**قوله: وقدّم البسملة الخ**) أشار به لدفع ما يقال من أنه ما المانع من دفع التعارض بعكس ما ذكره فاجاب بأن الدليل عليه موافقة الكتاب العزيز.

(**قوله: ولاقتضاء المقام الخ**) دفع به ما يقال الأعم ذكر الله فلم قدم الحمد عليه، فأجاب بأن المقام اقتضى ذلك بواسطة شهود نعمة التوفيق لهذا التأليف. (**قوله: أيضاً ولاقتضاء المقام**) فيه أن ذكر الله حاصل بما ذكر مع زيادة الثناء بالصيغة المذكورة. (**قوله: وجملة الحمد لله خبرية لفظاً إنشائية معنى**) أي، فالمقصود بها إنشاء الحمد والثناء على الله تعالى بصفات ربوبيته، ومظاهر واحديته. (**قوله: خبرية لفظاً الخ**) أقول بل قال بعضهم بل لو جعلت خبرية لفظاً ومعنى لأفادت ثبوت الحمد من المخبر وهو وجيه. (**قوله: موضوعة شرعاً الخ**) أقول ومع ذلك، فلا بد من نية الإنشاء لما لا يخفى. (**قوله: والحمد مختص بالله**) أي مقصور عليه، وقوله: كما أفادته الجملة، أي للقاعدة المشهورة من أن المبتدأ إذا كان معرفاً بأل يكون مقصوراً على الخبر كما ذكره الأجهوري حيث قال:

مبتدأ بلام جنس عرفا ... منحصر في مخبر به وفا

وإن عري عنها وعرف الخبر ... باللام مطلقاً فبالعكس استقر

ثم المدار في ذلك على تعريف المبتدأ باللام مطلقاً جنسية أو استغراقية، ولذلك أشار الشارح بقوله سواء الخ، ففي تقييد اللام في كلام الأجهوري بالجنسية نظر إنما في قول الشارح، كما أفادته الجملة شيء إذ يلزم عليه اتحاد المشبه والمشبه به، لأن المعنى كالاختصاص الذي أفادته الجملة إلا أن يقال المراد بقوله: مختص بالله في الواقع، ونفس الأمر فيكون الاختصاص في نفس الأمر مشبهاً بالاختصاص الذي أفادته الجملة، أي بالاختصاص من حيث فهمه منها، وإن كان المفهوم منها هو ما في نفس الأمر، فالتغاير إنما هو بالاعتبار، وقد اشتهر احتمال أل العهدية، أي الحمد القديم، ومما ينبغي التنبه له أنه نفس الكلام القديم باعتبار دلالته على الكمالات لأن الصفة القديمة لا تتبعض، وإنما لم يذكر واحداً في أقسام الكلام الاعتبارية أعني أمر أنها خبراً استخباراً إلى آخره، فإن هذا غير حاصر كيف، والكلام يتعلق بجميع أقسام الحكم العقلي كلياتها وجزئياتها فتدبره، فإنه نفيس. (**قوله: سواء جعلت أل فيه للاستغراق**) أي، والمعنى حينئذٍ كل فرد من أفراد الحمد مختص بالله تعالى يعني بالنظر للحقيقة، وقوله: أم للجنس أي، والمعنى

ابن عبد السلام، وأجازه الواحدي، وقد بنت ذلك في شرح البهجة، والحمد لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التبجيل سواء تعلق بالفضائل أم بالفواضل، وعرفاً فعل ينبيء عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم على الحامد أو غيره.

قوله: للاستغراق، أي استغراق الأفراد، فمعنى أل الاستغراقية كل فرد الخ كما ذكره المحشي اهـ منه. قوله: يعني بالنظر للحقيقة، أي نفس الأمر إذ لا فاعل غيره تعالى اهـ منه. قوله: فمورده الحمد أي محل وروده، وهو آلة النطق من لسان أو غيره

عليه جنس الحمد مختص بالله تعالى، وهذا أولى الاحتمالات لأنه كدعوى الشيء بدليل إذ لو خرج فرد من أفراد الحمد لخرج الجنس في ضمنه، كما هو ظاهر، وقوله أم للعهد أي، والمعهود هو الحمد القديم أي الكلام القديم باعتبار دلالته على الكمالات كما تقدم. **(قوله: أم للعهد الخ)** لا يقال أنه يصير حينئذٍ قليل الجدوى لأن حمد العباد راجع إليه تعالى أيضاً إذ هو الفاعل لا فاعل غيره.

(قوله: والحمد لغة الثناء) أقول الثناء من أثنيت إذا أتيت بخير لا من ثنيت الحبل حتى يكون قاصراً على التكرار. **(قوله: باللسان)** المراد به آلة النطق، ولو كانت غير المعهودة، وبخلاف العادة وعلى كل حال فمورد الحمد لغة خاص، كما هو ظاهر. **(قوله: على الجميل)** أي، ولو كان جماله بحسب زعم الحامد والمعتقد. **(قوله: على جهة التجبيل)** أي مع جهة التجبيل فعلى بمعنى مع، والإضافة بيانية، والتبجيل التعظيم.

(قوله: سواء تعلق الخ) استفيد من هذا التعميم الذي هو زائد على التعريف أن الحمد اللغوي لا يلزم أن يكون واقعاً في مقابلة نعمة وأصله للحامد أو لغيره، إذ الفضائل هي النعم القاصرة كالصلاة والصوم، هذا، وقال بعضهم: الفضائل سبعة: الصدق والحياء والتواضع والسخاء والوفاء والعلم وأداء الأمانة، وفي قوله: سواء حذف همزة التسوية، والمعنى تعلقه بالفضائل أم بالفواضل مستوفي أن الثناء على كل منهما حمد، أو يقال: إن تعلق الثناء بالفضائل أم بالفواضل، فالأمران سواء.

(قوله: وعرفاً) قيل العرف، والاصطلاح متساويان، وقيل: الاصطلاح هو العرف الخاص، وهو ما يتعين ناقله، والعرف إذا أطلق يراد به العام، وهو ما لم يتعين ناقله، وعلى كل فالمراد اللفظ المستعمل في معنى غير لغوي، ولم يكن ذلك مستفاداً من كلام الشارع. **(قوله: فعل ينبيء)** أي سواء كان باللسان أو بغيره كالجوارح، والقلب والفعل القلبي هو اعتقاد العظمة، فالاعتقاد الأوّل ينبيء عن الثاني. **(قوله: من حيث أنه منعم على الحامد أو غيره)** أقول فيه دور لأن الحامد مشتق من الحمد، فيقتضي توقف كل منهما على الآخر، وأجيب بأنه توقف لفظي، أو بسلك سبيل التجريد بأن يراد بالحامد الذات المجردة عن وصفها، وقوله: على الحامد أو غيره، أي سواء كان للغير خصوصية

اهـ منه. والشكر لغة فعل ينبيء عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم على الشاكر، أو غيره سواء كان باللسان أم بالجنان أم بالأركان، وعرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع، وغيره إلى ما خلق لأجله، وقد بسطت الكلام على ذلك في الشرح المذكور (**الذي تفرّد**) من بين الموجودات (**بجلال ملكوته**) أي ملكه العظيم كما أفادته المبالغة المنبيء عنها زيادة اللفظ (**وتوحد**) من بينهم (**بجمال جبروته**) أي قهره لغيره.

قوله: بأن يتصف العبد، أي عملاً بخبر تخلقوا بأخلاق الله، الحديث اهـ منه.

بالحامد، كولده وصديقه، أو لا بل ولو كان كافراً. (**قوله: والشكر لغة فعل الخ**) أي، فهو بمعنى الجد عرفاً. (**قوله: صرف العبد الخ**) محصله أن حقيقة الشكر هي القيام بحق العبودية، وهو لا يكون إلا بالقيام بوظائف المطلوبات من أنواع الطاعات مع التخلي عن العادات، والمألوفات. (**قوله: الذي تفرّد الخ**) جملة الموصول وصلته نعت لله.

(**قوله: من بين الموجودات**) أي سائر الكائنات. (**قوله: بجلال ملكوته**) الإضافة من إضافة الصفة للموصوف أي، بملكوته الجليل، أي العظيم قال بعضهم: الجلال هو احتجاب الحق تعالى بعزته أن نعرفه بحقيقته وهويته، كما يعلم هو ذاته، فلا يعلم ذاته سبحانه وتعالى علم إحاطة بالسكنة إلا هو، والملكوت فعلوت، وهو ما غاب عنا معشر المحجوبين شهوداً بخلاف الملك، إذ هو عالم الشهادة، وبما ذكرناه يظهر لك ما في الشرح. (**قوله: كما أفادته المبالغة الخ**) هذا مبني على أن صيغة ملكوت مبالغة في الملك، كما درج عليه المقتضى أن أصل معناهما واحد من أنه عالم الشهادة، وليس كذلك كما قدمناه فلا تغفل. (**قوله: وتوحد**) أي تفرد بجمال جبروته، أي عظمته، وجماله هو تجليه بذاته لذاته فلجماله المطلق جلال، وهو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه لذاته، فلم يبق أحد حتى يراه وذلك علو الجمال، وله دنو منّا، وهو ظهوره في الكل كما قال بعضهم:

جمالك في كل الحقائق سافر ... وليس له إلا جلالك ساتر

واعلم أن لهذا الجمال جلالاً، وهو احتجابه بتعينات الأكوان، فتلخص أن لكل جمال جلالاً، وراء كل جلال جمال، ولما كان في الجلال، ونعوته معنى الاحتجاب والعزة لزمه العلو والقهر من الحضرة الإلهية والخضوع والذل والهيبة سناً، ولما كان في الجمال ونعوته معنى الدنو والسفر لزمه اللطف والرحمة والعطف من الحضرة الإلهية والأنس منا، ومن هذا الذوق منشأ الجمعية والتفرقة، فالأولى شهود الحق بلا خلق، والثانية شهود الخلق بالحق (**إن قلت**) أي مناسبة بين العبد والرب حتى يشهد العبد بها مظاهر جمال الحق الذاتي، (**قلت**): والله أعلم المناسبة من وجهين إما بأن لا يؤثر أحكام تعيناته وصفات كثرته في أحكام وجوب الحق ووحدته، بل يتأثر منها فتنطبع ظلمة كثرته بنور وحدة الحق تعالى، وإما بأن يتصف العبد بمثل صفات الرب، ويتحقق بأسمائه كلها، فإن اتفق الأمران، فذلك العبد الكامل

....

المقصود بعينه، وإن اتفق الأوّل دون الثاني، فهو المحبوب المقرب، وحصول الثاني بدون الأوّل محال، وفي كلا الأمرين مراتب كثيرة، أما في الأوّل، فبحسب غلبة شدة نورالوحدة على الكثرة وضعفها، وقوة استيلاء أحكام الوجوب على أحكام الإمكان وضعفه، وأما في الثاني، فبحسب استيعاب تحققه بالأسماء كلها وعدمه، هذا، وبشهود مظهر الجمال الذاتي هام المهيمون من الملائكة، ممن سماهم الله تعالى بالعالين، ومن ثم لم يكلفوا بالسجود لآدم لعدم شعورهم به، وبكل كائن لاصطلامهم، وغيبتهم في الحق تعالى وذلك أيضاً لغاية ولههم بالجمال، وعدم سعيهم لشيء مما سواه، وقوله: فيما تقدم أن لكل جمال جلالاً، أي كالهيمان الحاصل من الجمال، فإنه عبارة عن انقهار العقل وتحيره فيه، ووراء كل جلال جمال، وهو اللطف المستور في القهر الإلهي، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته، واشتدت نعمته لاعدائه في سعة رحمته، ومن كل ذلك يعلم سر قوله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات»[1].

واعلم أن بالجلال والجمال يتحقق الكمال الذي غابت أنوار البدور في ساطع لامع باهر ظاهر ضياه شمس الذات الأحدية، وقمر أسماء وصفات الواحدية، وبهما كذلك ظهر الوجود المقيد الذي سبى العقول برونقه الذي من جملته الجمال اليوسفي وما ضاهاه فأدهش عشاقه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] الآية، والكمال إما ذاتي، وهو ما لا يتوقف على شيء أصلاً، وإما أسمائي، وهو ما يتوقف على الظهور، والأول الفناء المطلق.

واعلم أن الجلال والجمال لا ينفك أحدهما عن الآخر وإنما الظهور أولا بالجلال لأنه سبحانه كان في عماء ما فوقه هواء ولا تحته هواء، بإشارة خبر: «كنت كنزاً مخفياً»، فكان الجلال ظاهراً إذ ذاك، وكانت الأكوان باسرها تحت قهر ذلك الجلال أعيانها وذواتها وصفاتها وآثارها ورسومها لم يكن لها وجود في الوجود، كان الله ولا شيء معه، أي كان كنزاً أي غيباً في غيب هويته المطلقة، وذلك هو المعبر عنه في الحديث بالعماء أي لا يدرك، ولا يعرف، ولا يشهد إذ لا علم ثمة ولا معرفة ولا عالم ولا عارف، ثم أن العماء عماآن الأوّل قديم، وهو عبارة عن بطون الذات للذات، وهو المشار إليه في الحديث القدسي بقوله: «كنت كنزاً مخفياً لا أعرف» أي، وذلك قبل خلق النور المحمدي فضلاً عن سائر المخلوقات، «فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً»، فهو عبارة عن النور المحمدي، وما تنصل منه من عالم الأرض

---

(١) أخرجه مسلم (جنة ١) وأبو داود (سنة ٢٢) والترمذي (جنة ٢١) والنسائي (أيمان ٣) والدارمي (رقاق ١١٧) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٦٠، ٣٣٣، ٣٥٤، ٣٨٠، ١٥٣، ٢٥٤، ٢٨٤).

على وفق إرادته، فالجبار من تنفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل شيء، ولا تنفذ

والسموات وغيرهما، وقوله: «وتعرفت لهم فبي عرفوني» يعني، فسمعوا مني بسمعي، وأبصروني ببصري، وتكلموا معي بكلامي، فقوله: «فخلقت خلقاً»، أي أوجدت مخلوقا لأجل ظهوراتي وتجلياتي بسائر أسمائي وصفاتي، فهذا هو العماء الثاني المعبر عنه بالنفس الرحماني، وقوله: في الحديث أولاً «كان في عماء ما فوقه هواء ولا تحته هواء»[1] يعني كان كنزاً مخيفاً لا يعلم ولا يعرف ولا يوصف، لأنه كان في الحضرة العمائية، وما فوق هذه الحضرة من الحضرات الإلهية، وما تحتها من الحضرات عدم لعدم وجود الأعيان الكونية، واندراج الأسماء والصفات في خزانة غيب الذات العلية لأن الحضرة العمائية في اصطلاح أرباب الحقائق الإلهية عبارة عن بطون الذات للذات العلية بمقتضى التعالي، وأوّل ما أفيض من التعينات الكونية النور المحمدي، والحقيقة الأحمدية بالتجلي الذاتي الأقدس الذي هو عبارة عن ظهور الذات للذات بمقتضى التنزل، والظهور بمرآة الحقيقة المحمدية، فهي القبضة الأصلية وأول التعينات، وكل الحقائق تنصلت منها وتكونت عنها، وامتدت بها، ولهذا قد حازت رتبة السبقية والختمية، فهو الأب الأكبر لآدم، فمن دونه من سائر الكائنات علوية وسفلية مجردة أو مركبة فكلها تمتد منه فيما تفتقر إليه من الأزل قبل ظهور أعيانها إلى الأبد بعد تحقق تعيناتها، هذا، ويحتمل أن يقال في معنى قوله: «كان في عماء ما فوقه هواء، ولا تحته هواء» أنه لا يتوصل إليه، ولا يهتدى لمعرفته إذ لا يعرف إلا بارادته، ومشيئته لمن سبق علمه أن يكون عالماً بمقتضى قوله: «كن عالماً» فهناك كانت الأوصاف غيباً في الذات، والذات متعززة بوحدتها، ثم ظهر بجماله لعلمه وتكلم به لذاته فسمعه بسمعه وشهده ببصره وعم الجمال بقية الأوصاف، فبزغت أنوار بدورها في أفق غيب الهوية العظمى، فاضاءت بسنائها، وانعكس من ساطع ضيائها نور أفيض على الأسماء، فهنالك إرادات يبرزها من خدورها العزيز، ويطلعها من مشارقها الحريزة حسبما أشار إليه بقوله: «فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فتعرفت لهم» فظهر الاسم الخالق والرازق والبارىء والمصور والوهاب والكريم ونحوها، وأما ظهوره في الآخرة، فأوله بالجلال بدليل نفخة الصعق التي هي من مظاهر القهر، ثم بعد ذلك يتجلى بالجمال والرحمة على من يشاء، قال بعضهم: الجلال للقهر والجمال للبر والجلال للتعالي، والجمال للتداني، الجلال للتفرد والجمال للتوحد. **(أقول)** وسر جمعهما الإشارة إلى ما به يتحقق الكمال لذاته تعالى، وفي هذا القدر كفاية، والله سبحانه ولي الهداية.

(قوله: على وفق إرادته) أي على ما يوافق إرادته المخصصة للممكنات ببعض ما يجوز عليها دون غيره على ما سبق في علمه. **(قوله: فالجبار الخ)** محصله أنه يطلق

---

(١) أخرجه الترمذي (تفسير سورة ١١، ١) وابن ماجه (مقدمة ١٣) وأحمد بن حنبل (٤، ١١، ١٢).

عليه مشيئة غيره، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقد يكون الجبار بمعنى جابر كل كسير، وأشار بهذا مع ما قبله إلى أنه تعالى متصف بالصفات السلبية، مثل أنه ليس بجسم، ولا عرض، ولا في مكان ولا زمان، وبالصفات الثبوتية كالحياة والعلم.

قوله: يطلق بمعنى القاهر، أي: الغالب لغيره على ما أراده، وعلمه بحسب استعداده الذي هو من سر بقائه وقدره الذي لا يعلمه غيره لا يسأل عما يفعل لأنه الخبير الأحكم اهـ منه.

قوله: إن الجسم أخص من الجوهر أي، وهو أعم من الجسد لأنه يعم الإنسان، وغيره بخلاف الجسد، فإنه خاص بالإنسان اهـ منه.

قوله: والمجردات أي التي قال بها الفلاسفة بخلاف أهل السنة اهـ منه.

بمعنى القاهر، وبمعنى الجابر للكسر، فهو يكون من صفات الجلال، ومن صفات الجمال. **(قوله: ما شاء الله كان)** هو في قوة التعليل لما قبله. **(قوله: ما شاء الله كان)** أي وجد، وتحقق لا محالة البتة، فلا رادّ ولا مانع له، وما لم يشأ لم يكن أي لا يوجد، ولا يتحقق البتة كذلك، فلا يمكن من الغير معارضته فيما ذكر. **(قوله: بالصفات السلبية)** أي التي مفهومها سلب، ونفي لما لا يليق به تعالى. **(قوله: مثل إنه ليس بجسم الخ)** تقدم إن الجسم أخص من الجوهر لأنه يختص بالمركب بخلاف الجوهر، فإنه يستعمل في المركب وغيره كالجوهر الفرد، والمجردات والجسم ما يقوم بنفسه، ويحوزه مكان والعرض ما لا يقوم بنفسه، فلا بد له من جسم يقوم به. **(قوله: ولا في مكان ولا زمان)** أي لأنهما مما يختص بالحوادث والأول الحيز، والثاني حركة الفلك.

(قوله: ولا في مكان ولا زمان الخ) من ذلك يعلم أنه لا وجه لما أطال به بعض المفسرين في معنى استوائه تعالى على العرش لتعين أن المراد بذلك أنه تعالى استتم خلقه بخلق العرش كما يدل عليه كثير من آيات الكتاب العزيز ولا سيما خبر: «وكان الله تعالى ولا شيء معه». **(قوله: وبالصفات الثبوتية)** أي التي مفهومها ثبوت كالحياة، وهي صفة أزلية تقتضي صحة العلم، فهي واجبة له تعالى لوجوب اتصافه بالعلم والقدرة والإرادة وغيرها إذ لا يتصور قيامها بغير حيّ. **(قوله: كالحياة)** هي صفة له تعالى قديمة تتحقق منها باقي الصفات، وتنتفي بانتفائها. **(قوله: والعلم)** أي وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ينكشف بها المعلومات عند تعلقها بها، فكل ما يتعلق العلم به معلوم له تعالى، إذ هو فاعل محكم متقن، وكل من كان كذلك، فهو عالم وهو أيضاً فاعل مختار، ولا بد له من قصد الفعل، وقصد ما لم يعلم محال، واعلم أن تعلق العلم عام لكل من الواجبات والجائزات والمستحيلات. **(قوله: والعلم)** هو عام التعلق أزلاً وأبداً لا يتخلق ولا يتجدد

قوله: لأنهما مما يختص بالحوادث، أي، فهما مخلوقان مثل باقي الحوادث اهـ منه.

قوله ينكشف بها الخ هذا من التقريب للعقول، وإلا فجميع متعلقات العلم منكشفة به أزلاً وأبداً فافهم اهـ منه.

والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والبقاء، لأن صفات الجلال صفات قهر والقهر يستفاد من السلب، وصفات الجمال صفات لطف، واللطف يستفاد من الإيجاد، وجمع بينهما ليكون العبد بين الخوف والرجاء **(وتعزز)** أي اتخذ لنفسه

بتجدد المعلومات فجميع المعلومات من متعلقاته ثابتة بعلمه تعالى أزلاً وأبداً منكشفة به. **(قوله: العلم)** اعلم أن العلم والمعرفة بمعنى، وإنما الفرق اصطلاحي.

(قوله: والعلم والقدرة والإرادة) اعلم أنها مترتبة التعلق تعقلاً لا في نفس الأمر، فالقدرة على وفق الإرادة والإرادة على وفق العلم. **(قوله: والقدرة)** أي، وهي عرفاً صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن واعدامه على وفق الإرادة، وثبوتها له تعالى لأنه صانع قديم له مصنوع حادث، وصدور الحادث عن القديم إنما يتصور بطريق القدرة، والاختيار دون الإجبار. **(قوله: والإرادة)** أي، وهي صفة قديمة زائدة على الذات قائمة بها شأنها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه. **(قوله: والسمع)** أي، وهو صفة أزلية قائمة به تعالى تتعلق بالمسموعات أو بالموجودات يدرك بها إدراكاً تاماً زائداً على الإدراك بالعلم. **(قوله: والسمع)** صفة انكشاف زائد عن انكشاف العلم وقد يطلق على الله تعالى بمعنى العلم وبمعنى القبول. **(قوله: والبصر)** أي، وهو صفة أزلية تتعلق بالمبصرات أو بالموجودات يدرك به إدراكاً تاماً منزهاً عن التخيل، والتوهم وتأثير الحاسة، ووصول الشعاع، وعدم الحائل. **(قوله: والبصر)** هو صفة انكشاف زائد عن العلم. **(قوله: الكلام)** أي، وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت هو بها آمر ناه مخبر إلى غير ذلك من أنواع الكلام منزه عن الحروف، والأصوات. **(قوله: والبقاء)** أي، وهو صفة أزلية تنافي العدم اللاحق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وعد صفة البقاء من الصفات النبوتية مبني على أن معناه استمرار الوجود، أو الوجود المستمر. **(قوله: يستفاد الخ)** أي، فهو تعالى غالب لا يغلب. **(قوله: يستفاد من السلب)** أي من سلب مقهوريته تعالى من الغير.

(قوله: يستفاد من الإيجاد) أي، وذلك لأنه من النعمة العامة. **(قوله: ليكون العبد الخ)** أي، ففي صحته يغلب الخوف، وفي مرضه يغلب الرجاء. **(قوله: بين الخوف والرجاء)** أي، والأول ينشأ من مظهر العظمة والجبروت، والثاني من مظهر الجمال والإحسان. **(قوله: وتعزز)** أي اتصف بالعزة والقوة والمنعة، وقوله: بعلو احديته اعلم

العزة (**بعلو أحديته**) فالمتعزز من عزته بذاته لا بغيره فهو تعالى العزيز قبل الخلق ومعهم وبعدهم وقس بذلك نظائره السابقة واللاحقة (**وتقدس**) أي تطهر بمعنى تبرأ (**بسموّ**) أي علوّ (**صمديته**) وهي كونه مقصوداً في الحوائج على الدوام.

قوله: وعدم الحائل أي اشتراط عدم الحائل اهـ منه. والباء في بجلال، وما بعده للمصاحبة لا للسببية، ولا للاستعانة (**وتكبر**) أي تعاظم (**في ذاته عن مضارعة**) أي مشابهة (**كل نظير**) وشبيه، فإن قلت هذا يوهم أن له نظراء تكبر عن مشابهتهم قلت المشابهة بين الشيئين، إنما تتحقق بالمشابهة التامة، فإذا انتفت المشابهة انتفت النظراء على أن ذلك وارد على طريقة قوله:

ولا تـرى الـضـب بـهـا يـنـحـجـر

فإنه نفى الضب وانحجاره، وبالجملة فهو تعالى منزه عن الأشباه والأضداد والأشكال والمشابهة الموافقة في الكيفية، والمضادة المنافاة الذاتية بين موجودين، والمشاكلة المشاركة في الشكل والهيئة (**وتنزه**) أي تباعد (**في صفاته**) كعلمه وإرادته وقدرته (**عن كل تناه وقصور**) بل تعم صفاته، أي تعلقها جميع متعلقاتها الواجبة

أن الأحدية اسم للذات باعتبار انتفاء تعدد الأسماء والصفات والنسب والتعينات فيها، فهي اعتبار الذات مع إسقاط الجميع وأحدية الجمع اعتبار الذات من حيث هي بلا إسقاط ولا إثبات، بحيث يندرج فيها نسب الحضرة الواحدية، وقيل: الأحدية بمعنى الواحدية لأن أصل أحد وحد كما لا يخفى.

(**قوله أي تطهر**) هو تفسير باللازم وإلا فمعنى التقديس التنزيه ويؤخذ منه أن صفة التقديس من صفات السلوب، وهو كذلك. (**قوله: وهي كونه مقصوداً**) أي، فمعنى الصمد المقصود في سائر الحاجات لما سواه ويطلق أيضاً على من لا جوف له، وعلى غير ذلك. (**قوله: والباء الخ**) دفع به ما قد يتوهم من الاحتياج إلى شيء من فعله تعالى. (**قوله: لا للسببية ولا للاستعانة**) أي لاستحالتهما عليه تعالى. (**قوله: عن مضارعة الخ**) يقال إنها مشتقة من الضرع بفتح الضاد. (**قوله: فإن قلت الخ**) محصله أن الذي علم من قوله، وتكبر الخ أن انتفاء المشابهة لمجرد التكبر، وذلك لا ينافي وجود النظير، وقوله: قلت الخ محصل الجواب إن المشابهة عند الإطلاق إنما هي التامة من كل الوجوه، والغرض نفي أصل المشابهة، وبنفيها ينتفي النظير وذلك واضح. (**قوله: وبالجملة**) أي أقول قولاً ملتبساً بالجملة أي بالإجمال بعد التفصيل. (**قوله: عن الاشباه**) الشبيه ككريم، وهو من شابه شيء في صفة من الصفات جامعة بينهما، والأضداد جمع ضد وهو المخالف، والأشكال جمع شكل وهو المثل، وقيل: هو من يشاكل غيره في طبعه. (**قوله: وقصور**) عطفه على ما قبله من عطف اللازم على الملزوم. (**قوله: فيعلم نفسه**)

والجائزة والمستحيلة فعلمه يتعلق بكل معلوم، فيعلم نفسه وغيره وما يستحيل وجوده، وإرادته تتعلق بكل ممكن، وقدرته تتعلق بكل معلوم خصصته إرادته بالوقوع، فلا مخصص بغير إرادته، ولا واقع بغير قدرته (**له**) تعالى (**الصفات المختصة بحقه**) وهي صفات الربوبية التي بها تميز على خلقه (**و**) له (**الآيات الناطقة**) أي الدالة (**بأنه غير مشبه بخلقه**) كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] (**فسبحانه من عزيز لا حد يناله**) فلا يدرك كنهه (**ولا عد**) بكسر العين أي كثرة (**يحتاله**) بالمهملة أي يحتوشه ويقدر عليه بالاحتيال (**ولا أمد**) أي غاية (**يحصره**) فلا أول له ولا آخر (**ولا أحد ينصره**) فلا معين له في إيجاد الأشياء. وقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٧] أي دينه ورسوله بكسبكم وقيامكم بالحق (**ولا ولد يشفعه**) فلا شريك له (**ولا عدد يجمعه**) فهو واحد (**ولا مكان يمسكه ولا زمان يدركه**) فهو

بكمالاته أي التي لا تتناهى علماً تفصيلياً، وعدم تصور العلم التفصيلي في حالة عدم التناهي، إنما هو بالنسبة للحادث لا للقديم.

(**قوله: وإرادته تتعلق الخ**) أي تتعلق تعلق تخصيص بما يجوز في حق الممكن على وفق تعلق العلم الأزلي بمقتضى الحكمة الباهرة. (**قوله: وقدرته تتعلق بكل معلوم**) أي تتعلق به تعلق إيجاد أو إعدام على ما سبق في العلم الأزلي، والإرادة العلية. (**قوله: له الصفات الخ**) أقول يشعر ذلك بعدم جواز مثل تلك الصفات لغيره تعالى، فقوله المختصة أتى به للتوكيد لثبوت هذا المعنى بتقديم الجار والمجرور، واعلم أن للصفات الثابتة له تعالى معاني ومعنوية جنة معنوية للقلب، كما أن للروح جنة الذات بسبب مشاهدة الجمال الأحدي. (**قوله: وله الآيات الخ**) أي له الدلالات العقلية، أو النقلية أو هما، وذلك باعتبار حال العوام أما الخواص فطريقهم الكشف أو الشهود بل المكافحات والفهوانيات. (**قوله: غير مشبه بخلقه**) أي وذلك لوجوب مخالفته للحوادث واستحالة المماثلة لهم في شيء ما من الأشياء. (**قوله: فسبحانه الخ**) هو اسم مصدر لسبح من التسبيح الذي هو التنزيه، والبعد عما لا يليق به تعالى، فهو من صفات السلوب. (**قوله: لا حد يناله**) أي لأن الحد حصر، وهو عليه تعالى محال.

(**قوله: ولا عد الخ**) أي لثبوت وأحديته تعالى واحديته تعالى، واستحالة غير ذلك، فهو واحد أحد في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله. (**قوله: يحتاله**) أي لأن قدر ما سواه أثر قدرته تعالى. (**قوله: ولا امد الخ**) أي، وانتفاء الأمد لأنه مخلوق له تعالى، ومقهور فعاليته، فكيف يتصوّر أن يحصره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (**قوله: أي دينه**) بدوام التنزه والتمسك به. (**قوله: ولا ولد الخ**) أي، وانتفاء الولد لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِلِدْ﴾. (**قوله: ولد الخ**) أي لأنه للتكميل، وهو الغني عن كل ما سواه. (**قوله: ولا مكان**

مستغن عن عرشه ومتنزه عن المكان والزمان **(ولا فهم يقدره ولا وهم يصوره)** فهو متنزه عن الجوهر والعرض **(تعالى: عن أن يقال كيف هو أو أين)** هو متنزه عن الجسمية والمكان **(أو)** كيف **(اكتسب بصنعه الزين)** أي الكمال والحسن **(أو دفع بفعله)** عن نفسه **(النقص والشين)** فهو غني عن خلقه في جلب نفع أو دفع نقص **(إذ ليس كمثله شيء)** بزيادة الكاف لأنه تعالى لا مثل له، أو بدون زيادتها والمثل بمعنى الصفة، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧].

يمسكه) أي لوجوب أزلية الحق تعالى، وحدوث المكان والزمان كيف وهو الغني المطلق، واعلم أن مراد المصنف بالزمان، إنما هو الحاضر الذي هو عبارة عن حركة الفلك، أما هو بمعنى الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، فهو الذي يندرج فيه الأزل في الأبد، وكلاهما في الوقت الحاضر، وذلك لظهور ما في الأزل على أحايين الأبد، فكل حين منها هو مجمع الأزل والأبد، فيتحد به الأزل والأبد والوقت الحاضر، وذلك يقال له باطن الزمان وأصله لأن الآنات الزمانية نقوش عليه، وتغيرات تظهر بها أحكامه وصوره، وهو ثابت على حاله دائماً سرمداً، وقد يضاف إلى الحضرة العندية، كقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس عند ربك صباح ولا مساء» **(ثم أقول)** مستطرداً للفائدة يقال: في ألفاظهم الإنانية بكسر الهمزة وهي الحقيقة التي يضاف إليها كل شيء من العبد كقوله: نفسي وروحي وقلبي وبدني وانانية الحق تعالى وجودية، وهي تحقق الوجود العيني من حيث الرتبة الذاتية، وأنانية العبد عدمية محضة من حيث المبدأ والغاية.

(قوله: ولا فهم يقدره) أي لقصور العقول الكاملة فضلاً عن غيرها من الإحاطة به تعالى ومثل ذلك يقال في قوله: «ولا وهم يصوّره»، وإيضاحه أن التصوير، إنما يمكن في حق من له صورة وكيفية، والله تعالى منزه عن ذلك. **(قوله: تعالى من أن يقال كيف هو)** أي ولمثل هذا أشار بعضهم حين قيل له أين الله حيث قال: كان قبل أن يخلق الخلق، ثم قيل: له فأين كان، فقال حيث هو الآن يعني أنه تعالى لا يعرف بالأين، إذ لا شيء معه في أزله، كما يبقى ولا شيء معه في أبده. **(قوله: تعالى عن أن يقال الخ)** أي عن كل ما يسأل عنه مما يعرض للحوادث لأنه يجب مخالفته تعالى لها. **(قوله: أو كيف اكتسب بصنعه الخ)** أي، فلا يقال: ذلك لأن حسنه، وكماله تعالى ذاتي له كيف لا وله الغنى المطلق والكمال المحقق. **(قوله: بزيادة الكاف الخ)** محصله أنه جواب عما يقال أن الكاف بمعنى مثل، فيؤول إلى قولك ليس مثل مثله شيء، ونفي مثل لا يلزم منه نفي المثل، ومحصل الجواب أن الكاف زائدة، أو يجعل مثل بمعنى الصفة أو الذات، وحينئذٍ فلا حاجة إلى القول بزيادة الكاف.

أو المثل كالمثل في قولهم: مثلك لا يبخل أي أنت لا تبخل، فلا يراد به غير ما أضيف إليه، وهذا نوع من الكناية التي هي أبلغ من الصريح لتضمنها ذات الشيء بدليله، كما هو مقرر في محله فيكون المعنى ليس هو كشيء (**وهو السميع**) لما يقال (**البصير**) بما يفعل (**ولا يغلبه حي**) فلا يغلبه أحد.

قوله: إلى أن المراد إنشاء الخ، أي وذلك مما يوافق حال الحامد من العباد اهـ منه.

(**وهو الخبير**) بأحوال خلقه (**القدير**) على إيجاد وإعدام ما يريد، وفيما ذكره من الصفات براعة استهلال، وهي كون الابتداء مناسباً للمقصود، وهو هنا معرفة إن الله تعالى متصف بالصفات الجمالية والجلالية (**أحمده على ما يولي**) عبيده (**ويصنع**)

(**قوله: أو المثل كالمثل الخ**) المراد أن الكاف إذا كانت غير زائدة يجعل المثل كناية عن الذات، كما في قول العرب: مثلك لا يبخل، ومثلك يجود، فإن البلغاء ينبتون للشيء مثلاً أي لمثله وصفاً أو ينفونه، ويريدون إثبات ذلك الوصف لنفس الشيء أو نفيه عنه على أبلغ وجه، وآكده لأنه بمنزلة إثبات الشيء أو نفيه بالدليل لأن مثل الشيء أنقص حالاً منه، كما هو القاعدة في باب التوحيد، فالمشبة إذا كان أنقص حالاً من المشبه به إذا اتصف بصفة كمال، أو تباعد عن صفة نقصان، فيكون المشبه به متصفاً بالأولى متباعداً عن الأخرى، وهذا لا يتوقف على أنه يتحقق لذلك الشيء مثل في الخارج، حتى يقال نفي مثل مثله يستلزم إثبات المثل، وهو محال. اهـ ملخصاً من زاده.

(**قوله: وهذا نوع من الكناية الخ**) الكناية هي أن يتكلم بشيء يستدل به عن المكنى عنه، فليس الملفوظ به مقصود بالحكم بل المقصود به ما كني عنه به، فهي أبلغ لما لا يخفى. (**قوله: ولا يغلبه حي**) إنما اقتصر عليه لأنه المتوهم فغيره أولى. (**قوله: ولا يغلبه حي**) أي لأنه العزيز لا عزيز غيره (**قوله: ولا يغلبه حي**) أي لأنه تعالى العزيز من عز من باب ضرب، أي لا يقدر عليه، فهو الغالب لكل ما سواه. (**قوله: وهو الخبير بأحوال خلقه**) أي، فالظاهر منها والخفي بالنسبة إلى علمه تعالى سواء في الانكشاف قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. (**قوله: وهو الخبير**) من خبر من باب قتل أي العليم لا عليم سواه. (**قوله: القدير**) اسم فاعل من قدر من باب ضرب قوي على الشيء وتمكن منه. (**قوله: براعة استهلال**) هي أن يذكر في المبدأ ما يشعر بالمقصود. (**قوله: الجمالية والجلالية**) أي المنسوبة إلى الجمال، وإلى الجلال، والأوّل من مظاهر الرحمة والإحسان، والثاني من مظاهر القهارية والجبروت، والمظهر الأوّل هو السابق، واللاحق دنيا وأخرى، والمظهر الثاني هو الأول في الأخرى بشاهد نفخة الصعق. (**قوله: أحمده الخ**) أتى بالجملة الفعلية في الحمد ثانياً بعد أن أتى بها اسمية في

لهم ذكر الحمد مرتين إشارة إلى أن الجمع بين نوعي الحمد الواقع في مقابلة صفات الله العظام، والواقع في مقابلة نعمه الجسام التي من جملتها التوفيق لتأليف هذه الرسالة، ولما كانت الصفات قديمة مستمرة، والنعم متجددة متعاقبة ذكر الأول بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، والثاني بالفعلية الدالة على التجدد والتعاقب **(وأشكره على ما يزوي)** أي يقبض من النعم **(ويدفع)** أي يبسط منها **(وأتوكل عليه)** أي أفوّض أموري إليه **(وأقنع وأرضى بما يعطي ويمنع وأشهد)** أي أعلم **(أن لا إله)** أي لا معبود بحق **(إلا الله)**.

الأول للإشارة إلى أن المراد إنشاء الحمد الثابت، والمتجدد كما أوحى الشارح. **(قوله: على ما يولى عبيده الخ)** قال بعضهم: وذلك مما يقال له الرقيقة، والوسيلة التي يتقرب بها العبد إلى جناب الرب تعالى من العلوم والأعمال والأخلاق السنية والمقامات الرفيعة، ويقال لها أيضاً رقيقة العروج، وقد تطلق الرقائق على علوم الطريقة، وما يطلق به سر العبد وتزول به كثافة نفسه، هذا، والأولى عندي أن يحمل قوله: ما يولى أي من خيري الدنيا والآخرة، فيكون اشمل، وفيه اعتراف من المؤلف، وإقرار بأنه لم يصل إلى ما وصل إليه بجهده واستحقاق فعله وإنما ذلك ابتداء فضل ولطف منه تعالى. **(قوله: ويصنع لهم)** من صنع، والفاعل الصانع، والجمع صناع والصنعة العمل والاسم الصناعة، والمراد إيقاع الحمد في مقابلة ما يتفضل الله به على عباده رحمة وكرماً.

(قوله: نوعي الحمد) أي باعتبار ما وقع بإزائه من الصفات القديمة أولاً والنعم المتجددة ثانياً. **(قوله: على ما يروى الخ)** إن قلت الحمد على ما بسطه الحق تعالى من النعم ظاهر، فكيف هو على ما يقبض ويمنع منها، قلت: لعله باعتبار ما في علمه تعالى من أن الحكمة والمصلحة في المنع بدليل خبر «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع». **(قوله: واتوكل عليه الخ)** لا يخفى ما اشتمل عليه كلامه من جمع الحمدين والشكرين والتوكل والقناعة والرضا فلله دره من عارف، وشارب من خمر المحبة وللحقائق مشارف. **(قوله: واقنع وارضى الخ)** هو لازم لما قبله لأن من توكل على الله تعالى قنع ورضي بكل شيء. **(قوله: واشهد الخ)** استئناف، أو عطف على الجملة بناء على الاتفاق أو جواز عدمه في الخبرية والإنشائية والشهادة إخبار عن الاعتراف القلبي أو اللساني الحاصل بنفس الصيغة على ما هو المأخوذ من كلام القرافي، وهو الظاهر وقيل هي إنشاء تضمن أخباراً. **(قوله: إن لا إله)** خبر لا من الإمكان العام اهتماماً بنفي إمكان الشريك، ووجود المستثنى معلوم، فلا يقدرموجود وأغرب الزمخشري، فادعى أن لا حذف والأصل الله إله فلم يكن إلا مجرد تقديم خبر المبتدأ، ودخول لا وإلا للحصر. **(قوله: إلا الله)** استثناء متصل إذ مفهوم الإلٰه، وهو المعبود بحق يتناول المستثنى بالضرورة، وإن استحال وجود غيره، والعمدة في اتصال الاستثناء على تناول اللفظ

قوله: وأغرب الزمخشري الخ إنما كان من الإغراب لبعده مع خلوة عما يكون في الحذف، والتقدير مما لا يخفى على خبير اهـ منه.

(وحده) أي منفرداً **(لا شريك له)** في ذاته، ولا ملكه ولا فعله **(شهادة موقن بتوحيده مستجير بحسن تأييده)** أي تقويته **(وأشهد أن سيدنا محمداً)** سمي به لكثرة خصاله الحميدة **(عبده المصطفى وأمينه المجتبى)** بمعنى المصطفى أي المختار من الناس ليدعوهم. قوله الدعاء له الخ أي الدعاء له بالرحمة والإحسان اللائق بجنابه اهـ منه.

بمجرد مفهومه، وبعبارة أخرى فقوله: اشهد أي أقر وأعترف، واذعن أن لا إله أي لا معبود بحق موجود إلا الله، ولفظ الجلالة مرفوع على البدلية من الضمير المستتر في الخبر المقدر العائد على الله، وقيل من لا إله لأن محلهما رفع بالابتداء، ويجوز نصبه على الاستثناء.

(قوله: وحده لا شريك له) متأكدان أو متغايران، فإن قلناهما تاكيدان لنفي التعدد، وإثبات التوحيد فهما متأكدان، وإن قلنا إن وحده تأكيد وحدانية الذات، ولا شريك له تأكيد لنفي الشريك في الأفعال والصفات، فهما متغايران، وقوله لا شريك أي في ملكه، وهو حال كوحده. **(قوله: ولا فعله)** لعله قصد بالإضافة للضمير الاحتراز عن نفي مطلق البناء لأنه ينبني عليه فهم معنى التكليف الثابت عقلاً ونقلاً وحساً.

(قوله: وأشهد) أي أقر وأذعن أن سيدنا أي معاشر الخلق آدم، فمن دونه محمداً قال بعضهم: هو الماسك والممسوك به ولأجله، فهو العمد المعنوية، والمقصود من نسخة الممكنات، والمختص بسابق العنايات، والمقدس من حظوظ البشريات من قيل فيه: لولاك ما خلقت الأفلاك، فهو الخليفة الأوّل فخلافته هي الكبرى الأصلية، وخلافة غيره الصغرى الفرعية، والخليفة لا بد وأن يتصف بمثل أوصاف من استخلفه، ومن جملة الأوصاف الصفة العلمية، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، ولا يخفى عليه شيء بل يعرفه بالكيفية والماهية، ويتصرف في جميع الخلق نيابة عن الحق، فيعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويضر وينفع ويعز ويذل ويميت ويحيي ويضحك ويبكي ويحلم ويقهر، وهكذا الحال على هذا المنوال لأنه مظهر الجلال، ومجلى الجمال، ومعدن الكمال بل كمال الكمال، فظاهره ناسوتي، وباطنه لاهوتي. **(قوله: وأمينه المجتبى)** أي المختار لامانة أسرار الحق تعالى كيف لا، وهو باعتبار الحقيقة الروحية واللطيفة النورية التي يعبر عنها بالروح المحمدي السر الساري مددها في الأكوان العلوية والسفلية التي آدم صوانها، وحقيقته المحيطة بالأسماء ترجمانها، فهو المقصود من هذا النوع الإنساني الذي هو نسخة الكون العلوي، والسفلي الروحاني والجسماني الغيبي، والشهودي قال بعضهم:

وآدم الأب الأعلى اكتسى شرفاً ... من نسج بردك لم تنسج سواه يد

إلى دين الإسلام **(ورسوله المبعوث)** أي المرسل **(إلى كافة الورى)** أي جميع الخلق، وقيل: إلا الملائكة، والرسول إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي إنسان أوحي إليه بشرع، وإن لم يؤمر بتبليغه فهو أعم مطلقاً من الرسول، والرسالة أفضلُ من النبوة على كلام فيه ذكرته مع جوابه في شرح البهجة **(صلى الله عليه وعلى آله)** وهم مؤمنو بني هاشم، وبني المطلب **(مصابيح)** جمع مصباح، وهو السراج أي

فهو ابن معناك إذ كانت أبوته ... لصورة الجسم، فهو الوالد الولد

ثم أقول: فهو صاحب المحاسن الظاهرة في جميع العوالم الكونية، وزاد بما انطوى عليه في الحقيقة المحمدية من محاسن عرائس الذات العلية، ومن هذا كان إذا دخل مكاناً مظلماً أشرق فيه النور، وإذا تبسم أخجل البدور، فلولا نوره ﷺ الساري في جميع الأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام، وفي أولياء الله الكرام ما لاح لأحد منهم لمحبة بارق، ولا خيال طارق، ولا ظهر على أيديهم خوارق، ولله در البوصيري حيث قال:

وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

(قوله: إلى دين الإسلام) قيل: إنما سمي بذلك لأننا ندين إليه وننقاد كما سمي ملة لأنه يملي علينا ولنا، وشرعاً لأنه وضح الحلال والحرام. **(قوله: ورسوله)** أصله مصدر بمعنى الرسالة قال بعضهم:

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ... بقول ولا ارسلتهم برسول

أي ورسوله إلى كافة الخلق إنساً وجناً وملائكة، وإن كانت رسالته إلى الإنس والجن تكليفية، وإلى الملائكة تشريفية، فهو ﷺ واسطة الفيض والمدد والرابطة بين الحق والخلق بمناسبة بينهما للطرفين. **(قوله: ورسوله)** أي ونبيه ووليه والنبوّة والرسالة في وقت واحد، وقيل النبوّة أسبق، والمعتمد الأوّل.

(قوله: وقيل إلا الملائكة) قد أشار لضعفه، فحكاه بقيل ونهاية الأمر أن رسالته إليهم للتشريف، كما قدمناه لأنهم جبلوا على الطاعة، كما يصرح به قوله: جل جلاله ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦] الآية. **(قوله: والرسالة أفضل)** أي، وقيل: بل النبوة أفضل لأنها الانصراف من الخلق إلى الحق بخلاف الرسالة فإنها الانصراف من الحق إلى الخلق، والأوّل أشرف، وردّ بأن الرسالة فيها الانصرافان. **(قوله: صلى الله الخ)** لما كان لله تعالى علينا نعم لا تحصى، وكذلك لنبينا بهدايته لنا منن لا تستقصى قرن الصلاة والسلام عليه بحمد الله تعالى قضاء لبعض حقه، والقصد بذلك الدعاء له ﷺ لأن الكامل يقبل الكمال، كما هو غير خفي. **(قوله: صلى الله عليه الخ)** هذه الجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، فالغرض منها طلب صلاة وسلام لائقين برفيع مقداره من فيض

الفتيلة الموقودة **(الدجى)** أي الظلمة وصف الآل بالمصابيح مبالغة، فهو تشبيه بليغ أو شبههم بها، فهو استعارة تحقيقية، وذكر الدجى ترشيح **(وعلى أصحابه)** جمع صحب قال سيبويه، وهو اسم جمع لصاحب وقال الأخفش جمع له، وبه جزم الجوهري والنووي **(مفاتيح الهدى)** في مفاتيح ما مر في مصابيح وذكر الهدى تجريد للاستعارة **(وسلم)** عليهم تسليماً **(كثيراً)** قرن الثناء على الله تعالى بالصلاة والسلام على من ذكر أما على محمد ﷺ، فلقوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] أي لا أُذكر إلا وتُذكر معي كما في صحيح ابن حبان وأما على آله وأصحابه فتبعاً له.

قوله: لأنهم باشروا إلخ أي وبذلك فضلوا على من بعدهم. اهـ منه.

ولخبر الصحيحين قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ويصدق على

فيوضات الرحمة الإلهية ﷺ، وأغرب الشيخ يسن حيث جوز خبرية المعنى زاعماً أن القصد مجرد الاعتناء والتعظيم والثواب في نحو ذلك لا يتوقف على نية الإنشاء الملاحظة حيث اشتهر كما أفاده بعض المحققين. **(قوله: وهم مؤمنو بني هاشم الخ)** الأولى، وهم كل مؤمن، ولو كان عاصياً لأنه الأنسب بمقام الدعاء، فإن قلت بعين تفسير الشارح قول المصنف مصابيح الخ قلت يكفي فيه نور الإيمان الذي لا يضاهي. **(قوله: فهو تشبيه بليغ)** أي، وهو ما كانت أداة التشبيه فيه محذوفة، وقوله: فهو استعارة تحقيقية أي، وهي فيما إذا كان المستعار له محققاً حساً أو عقلاً.

(قوله: وعلى أصحابه) اعلم أن الصحابي كل من اجتمع به ﷺ اجتماعاً متعارفاً وإن قل زمن الاجتماع. **(قوله: مفاتيح الهدى)** أي السبب في الهداية كما أن المفتاح سبب في الفتح، فالكلام من باب التشبيه البليغ أو الاستعارة، هذا، والمفتاح الأوّل هو اندراج الأشياء كلها على ما هي عليه في غيب الغيوب الذي هو أحدية الذات اندراجاً، كاندراج الشجرة في النواة، وتسمى بالحروف الأصلية، واعلم أن الهداية لا يشترط فيها إيصال خلافاً للمعتزلة على أن الاستعمالين واردان، فالخلاف إنما هو بحسب الإطلاق. **(قوله: وسلم الخ)** أتى به فراراً من كراهة الإفراد، فإن قلت قد جاءت الصلاة عليه غير مقرونة بالتسليم في آخر التشهد في الصلاة قلت: قد تقدم السلام في قول المصلي السلام عليك أيها النبي.

(قوله: ولخبر الصحيحين قولوا الخ). الأمر فيه للندب على ما ذهب إليه المحققون، وقيل هو للوجوب، كلما ذكر، وقيل غير ذلك راجع كتب الفروع. **(قوله: فعلى الصحابة أولى)** أي لأنهم باشروا من الأنوار المحمدية ما لم يباشره غيرهم. **(قوله: هي من الله رحمة)** أقول هذا المعنى للصلاة لغوي وشرعي، كما ذكره في دقائق المنهاج، وقوله: ومن الملائكة استغفار أي بلفظه أو بمرادفه فليس المراد الاستغفار بصيغة

الأصحاب في قول ولأنها إذا طلبت على الآل غير الصحابة، فعلى الصحابة أولى. والصلاة لغة: الدعاء بخير، وقال الأزهري وغيره: هي من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن الآدمي تضرع ودعاء **(هذه)** الرسالة الموجودة خارجاً أن الفت قبل الخطبة، وذهنا أن الفت بعدها **(رسالة)** لطيفة **(كتبها الفقير)** أي المفتقر **(إلى الله)** تعالى **(عبد الكريم بن هوازن القشيري)** رحمه الله ونفعنا ببركاته **(إلى جماعة الصوفية)** الآتي بيانهم في باب التصوف **(ببلدان الإسلام في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة أما بعد)** هذه كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، والأصل مهما يكن من شيء بعد البسملة والحمدلة، والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه **(رضي الله عنكم)** أيها الصوفية **(فقد جعل الله)** تعالى **(هذه الطائفة)** أي الصوفية **(صفوة أوليائه)** بتثليث الصاد

مخصوصة لحديث: «إذا صلى أحدكم لم تزل الملائكة تصلي عليه تقول اللهم صلّ عليه اللهم ارحمه». **(قوله: ومن الآدمي تضرع، ودعاء)** الأولى أن يقول: ومن غيرهما ليشمل الجمادات، وبقية الحيوانات، وقوله: ودعاء أي بلفظ الصلاة، ولا يجوز لهم الدعاء له ﷺ بلفظ الرحمة في غير الوارد، بل يحرم كما قاله الزركشي، أقول وهو ضعيف، والمعتمد الكراهة كما مشى عليه المحققون، وإن كان وجه التحريم ظاهراً لما في الدعاء بلفظ الرحمة من الاشعار باستحقاق العذاب. **(قوله: هذه الرسالة الخ)** محصله أن الإشارة لما في الخارج، أو لما في الذهن على التقديرين المذكورين. **(قوله: أي المفتقر)** أراد به دائم الفقر إلى الله تعالى. **(قوله: عبد الكريم)** اسم المصنف وقوله: ابن هوازن اسم والده، وقوله: القشيري لقبه، وقوله: رحمه الله جملة دعائية. **(قوله: إلى جماعة الصوفية)** الجار والمجرور متعلق بكتبها يريد أنه كتبها لبيان ما كانوا عليه من الأخلاق، ومعاملة الرب الخلاق طلباً للاقتداء بهم، والحذر من مخالفة أخلاقهم فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء، ونفعنا بأنفاسهم.

(قوله: إلى جماعة الصوفية) جمع صوفي وهو الكائن البائن أي الموجود مع غيره مع ستر حاله عند البائن عنه بما انطوى من أسراره. **(قوله: ببلدان الإسلام)** أي بأي بلد كانوا إلا من كان في بلد مخصوصة. **(قوله: أما بعد هذه كلمة يؤتى بها الخ)** أي فلا يسوغ الاتيان بها في أوّل الكلام، ولا في آخره بل بين كلامين متغايرين، وقيل: هي فصل الخطاب الذي أوتيه داود على نبينا، وعليه الصلاة والسلام وقد تقدم الكلام على، وبعد فلا حاجة لاعادته على أنه من اللقلقة لذكره في كل مؤلف غالباً. **(قوله: من أسلوب إلى آخر)** أي من نوع من الكلام إلى نوع آخر. **(قوله: رضي الله عنكم الخ)** جملة دعائية. **(قوله: صفوة أوليائه)** أي خيارهم واعلم أن الأولياء ينقسمون إلى تائبين ومنيبين ومخبتين وزاهدين وورعين واتقياء وغيرهم فهم رضي الله تعالى عنهم، وإن اجتمعوا في

أي خلصهم **(وفضلهم على الكافة)** أي الجميع **(من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله)** وسلامه **(عليهم وجعل الله)** تعالى **(قلوبهم معادن أسراره)** جمع سر وهو ما يكتم.

قوله: مما انطبع فيها الخ أي من جبلة العناصر المركب منها الناسوت، ولذلك الإشارة بقول بعضهم: لون الماء لون إنائه فافهم اهـ منه.

أي خصهم بالإلهام الصحيح، كما جرى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في

دائرة الإيمان، فقد افترقوا في منازل العرفان، وتشعبوا في أودية الإحسان قد علم كل أناس مشربهم. **(قوله: بتثليث الصياد)** أي والفتح أشهر. **(قوله: وجعل الله قلوبهم)** المراد بها اللطيفة المودعة في القلوب، وقوله: معادن اسراره أي مستقرها، والأسرار جمع سر، وهو ما يخص كل شيء من الحق عند التوجه الإيجادي المشار إليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ولهذا قيل لا يعرف الحق إلا الحق، ولا يحب الحق إلا الحق، ولا يطلب الحق إلا الحق لأن ذلك السر هو الطالب للحق والمحب له، والعارف به كما قال ﷺ: «عرفت ربي بربي» ومن السر سر العلم وهوحقيقة سر العالم به لأن العلم عين الحق في الحقيقة غيره بالاعتبار، ومنه سر الحال، وهو ما يعرف به مراد الله تعالى، ومنه سر الحقيقة، وهو ما لا يفشى من حقيقة الحق في كل شيء، ومنه سر التجليات، وهو شهود كل شيء في كل شيء وذلك بانكشاف التجلي الأوّل للقلب، فيشهد الأحدية الجمعية بين الأسماء كلها لاتصاف كل اسم بجميع الأسماء لاتحادها بالذات الأحدية، وامتيازها بالتعينات التي تظهر في الأكوان التي هي صورها، فيشهد كل شيء في كل شيء، ومنه سر القدر، وهو ما علمه الله تعالى من كل عين في الأزل مما انطبع فيها من أحوالها التي تظهر على هياكلها عند وجودها فلا يحكم تعالى على شيء إلا بما علمه من عينه في حالة ثبوته، ومنه سر الربوبية، وهو توقفها على المربوب لكونها نسبة لا بد لها من المنتسبين واحدهما المربوب، وليس هو إلا الأعيان الثابتة في العدم، والموقوف على المعدوم معدوم، ولهذا قال سهل التستري: للربوبية سر لو ظهر لبطلت الربوبية، وذلك لبطلان ما تتوقف عليه ومنه سر الربوبية، وهو ظهور الرب بصور الأعيان، وحينئذٍ فما حصلت الربوبية إلا بالحق فافهم.

(قوله: أي خصهم بالإلهام) أي وهو وارد رحماني يرد على بعض القلوب المقدسة بواسطة نفث ملك أو بدونه ومثل هذه القلوب ما عنى ﷺ بقوله: «استفت قلبك، وإن أفتاك المفتون»[1] إذ ليس كل قلب يصلح لذلك. **(قوله: كما جرى لعمر)** أي من هذه

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ١٩٤).

قوله وهو على المنبر بالمدينة لسارية أمير الجيش، وهو بنهاوند يا سارية الجبل الجبل، وللسر عند الصوفية معنى سيأتي بيانه مع فوائد أخر قبل باب التوبة **(واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره)** أي بأنواره الطالعة من المكاشفات، وكمال الاستبصار في أحوالهم، وأحوال غيرهم **(فهم الغياث للخلق)** أي مرجعهم، ومحل استغاثتهم في مهماتهم، حيث ينتفعون بدعائهم وغيره.

قوله: فلا يحكم تعالى الخ أقول أن لي رسالة سميتها الآيات البينات في الجمع بين المتشابهات دعا إليها القول بالكسب في فعل العبد تشير إلى ما ذكر، فارجع إليها إن شئت. اهـ منه.

وهم القوم لا يشقى جليسهم **(والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق)** لا مع

الكرامة حيث الهمه الله القول المذكور بعد أن كشف له ما يلزم له ذلك وأسمع من بالجبل قوله مع بعد المسافة اهـ. **(قوله: بطوالع أنواره)** قال بعضهم الطوالع هي أوّل ما يبدو، ومن تجليات الأسماء الإلهية على باطن العبد، فيحسن أخلاقه وصفاته بتنوير باطنه، ويحفظ ظاهره من المخالفات، وكذا باطنه من الوساوس والهواجس، والتعلق بالاغيار، فإذا كان ممن سبقت له عناية الحق تعالى يكون طاهر السر والعلانية، ويكون ممن يقوم بتوفية حقوق الله تعالى، وحقوق الخلق جميعاً لسعته برعاية الجانبين، فحينئذٍ يلهم الطب الروحاني الذي هو العلم بكمالات القلوب وآفاتها وأمراضها وأدوائها، وبكيفية حفظ صحتها واعتدالها ورد أمراضها عنها، فيندرج في عداد أهل الطريقة، وهي السيرة المختصة بالصالحين السالكين ممن قطع المنازل وترقى لعلى المقامات.

(قوله: أي بأنواره الطالعة) أشار به إلى أن الإضافة من إضافة الصفة للموصوف. **(قوله: من المكاشفات)** أي لرفع الحجب عن قلوبهم، والأغيات الساترة لها اهـ. **(قوله: فهم الغياث للخلق)** أي المستغاث بهم عند جميع المخلوقين إذ هم الوسيلة إلى الله المعنيون بخبر رسول الله، حيث أشار طبيب القلوب والأبدان، ورمز للإنسان بقوله: «اتخذوا عند الله الوسيلة». **(قوله: وهم القوم الخ)** وحينئذٍ يستحق أن يقال كما أشار إليه بعضهم:

وما الناس بالناس الذين عرفتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

(قوله: وهم القوم) أي هم المقصودون وغيرهم همج لا يبالي الله بهم، وقوله: لا يشقى جليسهم أي مجالسهم، وذلك لأن مجالسهم محل تنزل الرحمات، ومهبط فيض الامدادات، وإذا كان عدم الشقاء يترتب على مجرد مجالستهم، فما ظنك بمن أحبهم، وأخذ عنهم وتلقى منهم واهتدى بهديهم، وفضل الله يؤتيه من يشاء. **(قوله: والدائرون الخ)** أي وذلك لتخلقهم بمظاهر الشريعة، وتحققهم بلطائف الحقيقة، فظاهرهم عنوان

أغراضهم وشهواتهم (**بالحق**) تعالى، وهو متعلق بالدائرون (**صفاهم من كدرات البشرية**) أي حظوظ أنفسهم (**ورقاهم إلى محال**) وفي نسخة محل (**المشاهدات بما تجلى**) أي انكشف (**لهم من حقائق الأحدية**) وملأ قلوبهم من انفراده تعالى بالأفعال،

باطنهم وخلواتهم كجلواتهم لا يخافون في الله لومة لائم ثم قال الشاعر منهم:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة ... طرباً لذكرك فليلمني اللوم

رضي الله عنهم ورضوا عنه. (**قوله: صفاهم**) أي خلصهم، وطهرهم من كدرات البشرية أي مما يكدر عيشها الأبدي، ونعيمها السرمدي، حيث وفقهم للمجاهدات مع دوام الرياضات، حتى فنيت منهم عادات البشريات، فله الفضل ظاهراً وباطناً بشاهد «قل لا تمنوا على إسلامكم».

(**قوله: إلى محال المشاهدات**) أي إلى منازلها، والمراد بها وظائف المكلف في التكليف فترقى إلى مقام الإحسان الشريف.

(**قوله: بما تجلى لهم من حقائق الأحدية**) قال بعضهم: التجلي هو ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب، ومنه التجلي الأوّل الذاتي، وهو تجلي الذات وحدها للذات في حضرة الأحدية التي لا نعت فيها ولا رسم إذ الحق الذي هو الوجود المحض وحدته عينه لأن سوى الوجود من حيث هو وجود ليس إلا العدم المطلق، وهو اللاشيء المحض، فهو تعالى لا يحتاج في أحديته إلى وحدة وتعين يمتاز به عن شيء إذ لا شيء غيره فوحدته عين ذاته، وهذه الوحدة منشأ الأحدية والواحدية لأنها عين الذات من حيث هي اعنى لا بشرط شيء، أي المطلق الذي يشمل كونه بشرط أن لا شيء معه، وهو مظهر الأحدية، وكونه بشرط أن يكون معه شيء، وهو مظهر الواحدية فالحقائق في الحضرة الأحدية كالشجرة في النواة، وهي غيب الغيوب، والتجلي الثاني هو الذي يظهر به الأعيان الممكنة الثابتة التي هي شؤون الذات لذاته تعالى، وهو التعين الأوّل بصفة العالمية، والقابلية لأن الأعيان معلوماته الأولى القابلة للتجلي الشهودي وللحق في هذا التجلي تنزل عن الحضرة الأحدية إلى الحضرة الواحدية بالنسب الأسمائية، ومن ذلك التجلي الشهودي، وهو ظهور الوجود المسمى بالنور، وهو ظهور الحق بصور أسمائه في الأكوان، وذلك الظهور هو نفس الرحمن الذي يوجد به الكل، فالمحقق العارف من يشهد الحق تعالى في صور أسمائه التي هي الأكوان، فلا يحجب بالحق عن الخلق، ولا بالخلق عن الحق فيعطي كل ذي حق حقه، ومن ذلك التجلي الفعلي، ويعبر عنه بالتأنيس، وهو التجلي في المظاهر الحسية تأنيساً للمبتدىء المريد بالتذكية والتصفية، وسمي فعلياً لظهوره في سور الأشياء المحسوسة تأمل تفهم، والله بالحال أعلم. (**قوله**:

فانقطعوا بقلوبهم إليه وأقبلوا بكليتهم عليه، ودامت مشاهدتهم له ولما يرد عليهم من أحكامه (ووفقهم) أي أقدرهم (للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجاري أحكام

من حقائق الأحدية) المراد بها الأحدية الجامعة لجميع الحقائق المسماة بحضرة الجمع والوجود. (قوله: وملأ قلوبهم من انفراده) أي أوجد قلوبهم بما أشرقه فيها من أنوار التوحيد ثابتة على الجزم بإنفراده بسائر الأفعال، فلم يلتفتوا إلى ما سواه في شيء جل أو قل بل اخلصوا المقاصد، والنيات في سائر عباداتهم، وعاملاتهم صابرين راضين حامدين شاكرين مفوضين الأمر لمن له الأمر رضي الله تعالى عنهم، ورضوا عنه. (قوله: فانقطعوا الخ) يؤيده قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]، فالقلب حينئذٍ لا يسع غير ما امتلأ به بل، ولا يخطر بفكره قال العارف ابن الفارض:

وإن خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهواً قضيت بردتي

أي بخروجي عن محبة الحق جلّ جلاله، فهكذا هكذا وإلا فلا لا اهـ. (قوله: فانقطعوا) هذه نتائج امتلاء القلوب المذكورة.

(قوله: ووفقهم الخ) التوفيق هو خلق قدرة الطاعة في العبد، ولا يحتاج إلى زيادة الداعية إن قلنا أنها عرض مقارن، وإن قلنا أنها عرض سابق، كما قيل به فراراً من تكليف العاجز زيد لإخراج من لم يطع. (قوله: ووفقهم أي اقدرهم الخ) صريح فيما درجنا عليه في الهامش أمامه. (قوله: للقيام بآداب العبودية) أي، وهو الوفاء بالعهد حين ما قيل ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فهو لعامة عباده رغبة في الوعد، ورهبة من الوعيد، وللخاصة للوقوف عند ما حد، والوفاء بما أخذ لا رغبة ولا رهبة بل محبة وشوقاً، ولخاصة الخاصة للتبري من الحول والقوة فهو للمحب لصون قلبه عن الاتساع لغير المحبوب، ثم ومن الوفاء أن ترى كل نقص يبدو منك راجعاً إليك، ولا ترى كمالاً لغير ربك، ثم لا تذهل عن عبوديتك وعجزك في وقت أن يمنحك التعرفات، وخرق العادات، والحاصل أن الكامل ينظر فيما حضره في الحال فإن كان من تصريف الحق فعليه الرضا حتى يكون الوقت، وإن كان مما يتعلق بكسبه فليلزم ما أهمه منه مع قطع نظره عن الماضي والمستقبل، إذ تدارك الماضي تضييع للحاضر والمستقبل عسى أن لا يبلغه، ولذا قيل الصوفي ابن وقته.

(قوله: واشهدهم مجاري أحكام الربوبية) اعلم أن الرب اسم للحق باعتبار نسبة الذات إلى الموجودات العينية أرواحاً كانت أو أجساداً، فإن نسبة الذات إلى الأعيان الثابتة هي منشأ الأسماء الإلهية كالقادر والمريد ونسبتها إلى الأكوان الخارجية هي منشأ الأسماء الربوبية كالرازق والحفيظ، فالرب اسم خاص يقتضي وجود المربوب وتحققه والإله يقتضي ثبوت المألوه وتعينه، فكل الذي يظهر من الأكوان صورة اسم رباني يربيه

الربوبية) أي منشأ تصرفاته تعالى فيهم، وفي غيرهم من العطاء والمنع والإسعاد والإضلال والتوفيق والخذلان.

قوله: وإن قلنا إنها عرض سابق الخ انظره مع القول بالكسب على مذهب الأشعري ومن تبعه، فالحق الذي لا ينبغي العدول عنه حمل القول المذكور على أنه باعتبار ذات العبد، وقطع النظر عما خلقه الله تعالى له من مشاعر الصفات التي هي أسباب لتمكنه من الأفعال المكلف بها شرعاً هذا هو المتعين في المذهب المذكور، وإلا فلا يصح مع ثبوت التكليف اهـ منه.

(فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف وتحققوا) أي اتصفوا **(بما)** حصل **(منه سبحانه لهم من التقليب والتصريف)** في الأفعال **(ثم رجعوا إلى الله بصدق**

الحق به، ومنه يأخذ وبه يفعل ما يفعل، وإليه يرجع فيما يحتاج إليه، فهو المعطي إياه ما يطلبه منه ورب الأرباب هو الحق باعتبار الاسم الأعظم، ولتعين الأوّل الذي هو منشأ جميع الأسماء وغاية الغايات، وإليه تتوجه الرغبات كلها، وهو الحاوي لجميع المطالب، وله الإشارة بقوله: جل جلاله ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨]. **(قوله: فقاموا بأداء ما عليهم)** أي اتصفوا بتمام الامتثال في جميع ما أمروا به، ونهوا عنه من الأحكام التكليفية والإرشادية التي جاءت على لسان سيد البشر ﷺ، وهذا الوصف الذي ثبت لهم رضي الله عنهم يعبر عنه بمبادي النهايات التي هي فروض العبادات، كالصلاة والصوم والزكاة والحج، وذلك لأن نهاية الصلاة، كمال القرب والمواصلة الحقيقية، ونهاية الصوم الإمساك عن الرسوم الخلقية، وما يقرب إليها بالفناء في الله تعالى، ولذا قال في الكمالات القدسية: الصوم لي وأنا أجزي به، ونهاية الزكاة بذل ما سوى الله تعالى لخلوص محبة الحق، ونهاية الحج الوصول إلى المعرفة، والتحقق بالبقاء بعد الفناء لأن المناسك كلها وضعت بإزاء منازل السالك إلى النهاية، ومقام أحدية الجمع والفرق، والحاصل أن مبنى التصوف على خصال ثلاث، وهي التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار. **(قوله: وتحققوا أي اتصفوا الخ)** أي وذلك لطمأنينة قلوبهم رضا بما أبرزته القدرة العلية على وفق العلم القديم، والحكمة الأزلية سواء لايم نفوسهم أم لا، حيث الصدور من العزيز الحكيم. **(قوله: ثم رجعوا الخ)** أي عملوا بأحكام الله تعالى متبرئين من الحول والقوة مع دوام المراقبة لله تعالى في كامل حركاتهم وسكناتهم، وملاحظة أنفسهم بالذل والإنكسار مع الافتقار الدائم له تعالى.

(قوله: ثم رجعوا إلى الله الخ) أي شهدوا أن الأمر منه وإليه، وأن ذواتهم محل تصريفه، ومجاري أفعاله وأخلصوا هذا الشهود واستمروا على مراقبة الإله المعبود. **(قوله: ولم يتكلوا الخ)** أي لم يعتمدوا، ولم يعولوا على أفعالهم المرضية ظاهراً، وأحوالهم الخالصة

الافتقار، ونعت الانكسار، ولم يتكلوا على ما حصل منهم من الأعمال، أو صفا لهم من الأحوال) بل تبرأوا من أعمالهم **(علما منهم بأنه يفعل ما يريد ويختار)** أي يصطفي **(من يشاء من العبيد لا يحكم عليه خلق، ولا يتوجه عليه لمخلوق حق)** إذ هو المالك، فيتصرف كيف يشاء **(ثوابه ابتداء فضل)** منه لا تأثير للعمل فيه.

(وعذابه حكم بعدل) منه إذ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون **(وأمره قضاء فصل)** لا تردد فيه وهؤلاء الموصوفون بما ذكره هم المقربون المتصفون بالإحسان في الخبر الصحيح: ما الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو

باطناً حيث هم متبرؤون من حولهم وقدرهم بشهود الفعل لله وحده لا شريك له فيه. **(قوله: علماً منهم الخ)** أي وله الإشارة بقول صاحب الحكم العطائية رضي الله عنه: سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، ومراده الهمة العالية، وهي قوى النفس الفعالة في الوجود بلا توقف باعتبار ما يظهر في الشهود، ويدل له أيضاً خبر: «كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس»، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] واعلم أن المراد بالسبق السبق باعتبار جلالة الهمة لا باعتبار تقدمها الزماني، ففي كلام صاحب الحكم مبالغة لا تخفى على من له ذوق. **(قوله: لا يحكم عليه خلق)** أي لكونه الغالب على أمره القاهر فوق عباده، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

(قوله: ولا يتوجه عليه لمخلوق حق) لأنه لا يجب عليه لخلقه فعل شيء خلافاً للمعتزلة قبحهم الله تعالى الذين ذهبوا إلى وجوب الصلاح، والأصلح عليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً. **(قوله: ثوابه ابتداء فضل)** أي فضل مبتدأ واعلم أن الثواب مقدار من الجزاء أعده الله تعالى في مقابلة عمل العبد مما جاء به ﷺ منشؤه الإحسان، والعدل منه تعالى فالثواب، وإن ترتب ظاهراً على العمل، فهو في الباطن محض المنة، والعدل قال الشاذلي رضي الله عنه: فليس كرمك مخصوصاً بمن أطاعك وأقبل عليك، انظر حزبه الكبير. **(قوله: وعذابه حكم بعدل)** أي حكم بعدله لأنه المالك المطلق، والمنعم المحقق لا يسأل عما يفعل. **(قوله: وعذابه حكم بعدل)** أي لأنه ما حكم إلا بما علم من الاستعداد بسر القدر الذي لا يشهده أحد من العباد نعم الأعمال علامات، وبسر القدر مبشرات أو مخوفات فالاعتبار في المطالب إنما يكون بما يكون في الخواتم والعواقب.

(قوله: وأمره قضاء فصل) أي حكم أزلي سرمدي لا يقبل التغيير والتبديل، حيث مصدره من عليم حكيم. **(قوله: وهؤلاء الموصوفون الخ)** الإشارة إلى جماعة الصوفية رضي الله عنهم، وقوله: هم المقربون أي المقربون قرباً معنوياً بتوفيقهم، ودوام مراقباتهم وشهودهم بنور بصائرهم أن الأمر منه وإليه في جميع حركاتهم وسكناتهم. **(قوله: أن تعبد الله كأنك تراه الخ)** اعلم أن الحالة الأولى في الخبر أعلى من الحالة الثانية فمن لم

يراك، والأمة درجاتهم متفاوتة وينتمون إلى أصحاب اليمين، وإلى المقربين كما دل عليه الكتاب العزيز فمن صح إيمانه، وعمل بما أمر به شرعاً، فهو من أصحاب اليمين، ومن قلت غفلاته، وتوالت منه نوافله وطاعاته، وتوالى على قلبه ذكره ودعواته فهو المقرب والمحسن، ويعبر عنه بالصوفي الذي صفا عن الأخلاق المذمومة وتخلق بالأخلاق المحمودة، حتى أحبه الله وحفظه في جميع حركاته وسكناته، كما جاء في الخبر الصحيح «ما تقرب المتقربون إليَّ بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» الحديث، أي بي يسمع وبي يبصر إلى آخره، أي

يقو حاله على الدرجة الأولى عبد الله على الثانية والدين يسر، ومبناه على الرفق بالعباد. **(قوله: كأنك تراه)** أشار بكاف التشبيه إلى أنّ كل ما تصوره العبد في رؤية الحق مرجعه إليه لا إلى ربه لأن مشاعره تقصر عن درك الحق تعالى علواً كبيراً. **(قوله: والأمة درجاتهم الخ)** المراد أمة الإجابة كما لا يخفى واعلم أن تفاوت الدرجات أي الفضائل سببه القسمة، والتقدير الأزليان. **(قوله: إلى أصحاب اليمين وإلى المقربين)** أي فأصحاب اليمين هم الموفقون لأداء العبادة غير أنهم لم يصلوا إلى حال دوام المراقبة فلهم السابقية لدخول جنة الأعمال، وأما المقربون ممن ترقى إلى دوام المراقبات فلهم جنة المحبين المحبوبين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. **(قوله: ومن قلت غفلاته)** أي وتتحقق الغفلة بالرجوع إلى السوى في شيء من الأشياء اعتماداً أو استناداً، وذلك من النقص والحجاب. **(قوله: وتوالت منه نوافله الخ)** أي بدوامه على الجدّ فيما أمر به فرضاً ونفلاً بحسب الطاقة والوسع. **(قوله: وتوالى على قلبه ذكره)** أي بأن كان دائم المراقبة له تعالى في جميع حركاته وسكناته.

(قوله: وتوالى الخ) أشار بذلك إلى المراقبة بالقلب والذكر باللسان معها على الطريق الأكمل. **(قوله: الذي صفا الخ)** يشير بذلك إلى وجه التسمية بالصوفي، فهو من الصفاء الذي هو التخلص من كدورات البشريات. **(قوله: ما تقرب الخ)** المراد أن القرب من احسان الرب له أسباب أفضلها أداء الفرائض التي فرضها على المكلف، ثم ما ندبه الشارع إليه بأداء نوافل العبادات، فمن داوم على القيام بها أحبه الله تعالى على ما يليق به، كما أشار إليه الشارح اهـ.

(قوله: يتقرب إليّ بالنوافل) أي بعد أداء الفرائض، فلا يقال: هذا يصدق بترك الفرائض، أو بفضيلة النوافل عليها على أن النافلة قد تفضل الفريضة، كما في ابتداء السلام ورده. **(قوله: حين أحبه)** المراد بمحبة الحق لعبده احسانه إليه بالفعل أو إرادة ذلك، فهي صفة فعل أو ذات. **(قوله: أي احفظه)** يشير بذلك إلى أن المعنى على حفظ

أحفظه في سائر تصرفاته، فلا يخطىء في شيء منها، وفي آخره فإن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته (**ثم اعلموا**) أيها الصوفية (**رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة**) أي طائفة الصوفية.

(**انقرض، أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم**) من التشبه بهم في لبس المرقعات، والتلبس بالهيآت في الظواهر مع خلو القلوب عن السرائر، وهذا (**كما قيل**:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها)

وذلك لاختلال العلم وغلبة الجهل وحب الدنيا، ونيل المقاصد العاجلة منها،

الجوارح والقوى الظاهرة والباطنة وإلا فتعالى الله علواً كبيراً عما يظهر من معناه. (**قوله: ثم اعلموا**) أتى بلفظ اعلموا لغرض توجه السامع بكليته لما يلقى عليه بعد الكلمة، وقوله: أن المحققين أي ممن اتصف بالتجرد والإخلاص ظاهراً أو باطناً، وقوله انقرض أكثرهم يعني بالموت. (**أقول**) وإذا كان هذا في زمان المصنف، فكيف الحال بزماننا الكثير الظلمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (**قوله: من التشبه بهم**) أي فهم مصداق خبر: «المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور». (**قوله: من التشبه بهم الخ**) أي ولاسيما إذا كانوا مع التشبه المذكور علماء الألسنة جهلة القلوب قال ﷺ في مثل هؤلاء: «أخوف ما أخاف على أمتي المنافق عليم اللسان»(1) أعاذنا الله تعالى من شرورهم إنه كريم جواد. (**قوله: وهذا كما قيل الخ**) أي في أن المشابهة، فيما يظهر للأعيان مع المباينة لحقيقة الإنسان، ومثل هذا محروم الثواب بل استعداده ليس إلا للعقاب.

(**قوله: أما الخيام الخ**) الخيام هي بيوت من شعر، أو قطن أو كتان أو صوف أو غير ذلك تتخذ لتقي حر الشمس، ونكاية البرد، وقوله: فإنها كخيامهم أي كبيوت الأحبة في الظاهر والصورة، غير أن ساكنيها لم يكن بينهم وبين من أحبهم الله تعالى مشابهة من وجه من الوجوه. (**قوله: أما الخيام الخ**) أي فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم أما الساكنون، ففي رحمة رب العالمين فعوضنا الله تعالى عنهم خيراً وجزاهم أحسن الجزاء. (**قوله: وذلك**) أي بعد المشابهة للأحبة إنما هو من اختلال العلم أي العلم النافع في طريق السير إلى الله تعالى، وقوله: وغلبة الجهل أي الناشيء عنه هذه المخالفات، والبعد عما به المشابهات، بل قد يكون العلم مع عدم العمل به أضر على العبد من الجهل لعدم عذر الإنسان معه. (**قوله: وحب الدنيا الخ**) أقول هو رأس المفاسد، كما أن رأس الخبائث الخمرة مع أنه لا يمكن أن

---

(1) أخرجه الترمذي (حدود ٢٤) (فتن ٥٩) (زهد ٢١) وابن ماجه (حدود ١٢)(زهد ٢١) وأحمد بن حنبل (١، ٢٢، ٤٤، ٣، ٧، ٣٠، ٣٨٢، ٤، ١٢٦، ٥، ٤٢٨، ٤٢٩).

وهذا في زمانه، كما قال فكيف بزماننا المعروف حاله فإنا لله وإنا إليه راجعون، وبالجملة فقد **(حصلت الفترة في هذه الطريقة)** أي طريقة الصوفية **(لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة)** أي فيها إذ قد **(مضى الشيوخ الذين كان بهم)** وفي نسخة لهم **(اهتداء)** يهتدي بهم غيرهم **(وقل الشباب الذين لهم بسيرتهم وسنتهم)** أي بطريقة الشيوخ **(اقتداء وزال الورع وطوى بساطه)** وهو التفتيش عن الحلال والتثبت عند القيل والقال **(واشتد الطمع وقوي رباطه)** لحب الرفعة والمال **(وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة)** بالذال المعجمة أي وسيلة لمقاصدهم الخسيسة **(ورفضوا)** وفي نسخة ونقضوا **(التمييز بين الحلال والحرام ودانوا)** أي تدينوا

يكون إلا ما قدر كونه، فلا حول ولا قوة إلا بالله. **(قوله: وحب الدنيا)** أي ميل القلب إلى تحصيل عرضها الفاني أو الرياسة، والتقدم على الغير مع الجهل بسوء عاقبة ذلك.

(قوله: وهذا في زمانه) أي ما أشار إليه المؤلف، فهو باعتبار زمانه أقول هو وما أشار إليه الشارح نفعنا الله به، إنما هو بالنسبة لظاهر الحال من فشوّ القبيح، وخفاء الحسن بسبب قوّة الحجاب، وإلا فالخير ثابت إلى يوم القيامة كما أشار إليه خبر الصادق ﷺ، حيث قال: «الخير فيَّ، وفي أمتي إلى يوم القيامة». **(قوله: وبالجملة)** أي أقول قولاً ملتبساً بالإجمال. **(قوله: حصلت الفترة)** أي التراخي والتفريط، وقوله في هذه الطريقة أي السبيل المعنوي الموصل إلى جناب الحق تعالى. **(قوله: لا بل اندرست)** أي زالت ومحيت بالكلية، وذلك الإضراب جيء به للمبالغة في قلة الظاهرين بالخيرات مع محاسن الطويات، فالغالب الآن في الأحوال قلة المبالاة بالمخالفات للشريعة، وذلك داء عضال. **(قوله: لا بل اندرست الخ)** إضراب لإبطال ما قدمه من التراخي مع إمكان الأخذ، كما يفيده قوله إذ قد مضى الشيوخ الخ. **(قوله: إذ قد مضى الشيوخ)** هو تعليل لما قبله، وهو قوله: حصلت الفترة، وقد في كلامه للتحقيق كما هو ظاهر باعتبار الظاهر. **(قوله: كان بهم الخ)** أقول كل من النسختين يصح والمراد المشايخ لأن المريدين مذكورون بقوله: بعد وقل الشباب. **(قوله: وزال الورع الخ)** فيه مبالغة، والورع الاقتصار على ما تحقق حله، وقوله واشتد الطمع أي قوي وكثر بسبب كثرة أسبابه من الانهماك على الدنيا، والتهافت على تحصيلها والطمع حقيقته تعلق القلب بمرغوب فيه مع عدم الأخذ بأسبابه. **(قوله: وزال الورع)** أي وهو الأمر في السير والسلوك إلى رب الملوك. **(قوله: وارتحل)** أي زال، وانتقل عن القلوب أي القلوب الحيوانية، وقوله: حرمة الشريعة أي احترامها بسبب كثرة الغفلة، وهي البصيرة. **(قوله: فعد واقلة المبالاة)** أي الاعتناء، والاهتمام بالدين أي بأحكامه. **(قوله: أوثق ذريعة)** أي أقوى وسيلة، فالذريعة الوسيلة، والجمع ذرائع. **(قوله: ورفضوا الخ)** الرفض الترك من باب ضرب، وقيل: من باب قتل،

(بترك الاحترام) للكبير والشيخ والعلامة ونحوهم (وطرح الاحتشام) أي الاستحياء منهم، فعدوا ذلك من جملة الصدق، وهو جهل منهم إذ كيف يكون صادقاً من لم يعظم من عظمه الله تعالى، ولم يحترم من أمره الله باحترامه (واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا في ميدان الغفلات) لزعمهم بجهلهم إن العبادات إنما هي وسيلة لحضور القلب مع الله تعالى، فإذا حضر المتوسل إليه اغتنى عن الوسيلة، وقد سئل الجنيد رحمه الله عن هذه الطائفة فقال: الذي يسرق ويزني

والرافضة فرقة من شيعة الكوفة سموا بذلك لتركهم زيد بن علي حين نهاهم عن اللعن في الصحابة، ثم استعمل هذا لقباً لكل من غلا في هذا المذهب، وقوله: ورفضوا أي تركوا التمييز بين الحلال والحرام وذلك لعدم طلبهم الفرق بينهما ليأخذوا الحلال، ويجتنبوا الحرام، بل تعاطوا الأخذ بالجمع من غير حساب، وقوله: ودانوا الخ هو معلوم مما قبله إذ من لم يبال بالدين لا يبالي بالمشايخ، فلا يحترمهم، وسبب كل ذلك فرط الجهالات، وكثرة الغفلات، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(قوله: واستخفوا بأداء العبادات) أي تهاونوا بها بسبب تضييعها، وعدم فعلها في أوقاتها الشرعية. (قوله: استهانوا بالصوم) عطفه على ما قبله من عطف اللازم على الملزوم. (قوله: وركضوا) أي اسرعوا في ميدان الغفلات، أي في الغفلات الكثيرة الشبيهة بالميدان في السعة(قوله: لزعمهم بجهلهم الخ) أقول، ومثلهم مدع مبتدع يخاف عليه الكفر والعياذ بالله تعالى، فإن أكمل الكمل ﷺ لم يزل قائماً بوظائف العبادة فرضاً ونفلاً، حتى لقي ربه عز وجل، وكان في مرض موته يعضد، فينطلق، ورجلاه تخطان في الأرض من شدة الضعف محافظة على الصلاة في الجماعة فكان كذلك أكابر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، إذ لم ينقل أن أحداً منهم أخل بأدب من آداب الشريعة، ولقد سلك هذا المسلك أكابر العارفين من العلماء والأولياء ولكن الأمر من الله وإلى الله، ولقد قال العارف الغزالي قدس سره في بعض كتبه الأصولية: لو زعم زاعم أن بينه وبين الله حالة اسقطت عنه الصلاة، وأحلت له شرب الخمر وأكل مال السلطان، كما زعمه بعض جهلة الصوفية، فلا شك في وجوب قتله بل قتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لأن ضرره أكثر اهـ. لكنني أقول بعض المجاذيب التاركين لنحو الصلاة ممن ظهرت إمارات صدقهم لا يتعرض لهم، ولا يجوز الاقتداء بهم لاحتمال أنهم وصلوا إلى حالة تسقط عنهم التكليف لم نطلع عليها والله أعلم.

(قوله: إنما هي وسيلة الخ) أي، وذلك لجهلهم بمعنى عبوديتهم الذاتية التي لا تفارقهم مدة حياتهم، ولكن من يضلل الله فلا هادي له. (قوله: بخلاف من اعتقد الخ) أي شأنه، والغالب عليه ذلك، وإلا فلو فرض أنه تاب، ورجع لقبل منه. (قوله: ولكنه

أحسن حالاً ممن يزعم هذا، وما قاله حق لأن من يسرق ويزني، يعتقد نقص نفسه وعصيانه لربه وترجى له التوبة بخلاف من اعتقد أن من جملة ما يقربه إلى ربه ترك هذه العبادات، فلا يرجع عن ذلك أبداً، ونقل عن بعضهم أنه قيل له عمن يقول ذلك، ويزعم أنه وصل فقال: صدق وصل، ولكنه وصل إلى سقر.

(وركنوا إلى اتباع الشهوات و) إلى **(قلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان و)** الظلمة من **(أصحاب السلطان)** والسوقة بضم السين خلاف الملك يستوي فيه المفرد والمذكر وضدهما، ذكره الجوهري **(ثم)** إنهم **(لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا)** إلى وصولهم **(إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا)** أي انفكوا **(عن رق الأغلال وتحققوا)** أي اتصفوا **(بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق يجري عليهم أحكامه)** تعالى **(وهم محو)** أي ذاهب أثرهم يعني لا تكليف عليهم **(وليس لله عليهم، فيما يؤثرونه)** أي يختارونه ويفعلونه **(أو يذرونه)** أي يتركونه **(عتاب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار**

وصل إلى سقر) أي لتلبسه بأسباب ذلك، فكأنه حينئذٍ وصل حقيقة. **(قوله: وركنوا إلى اتباع الشهوات)** أي وطنوا نفوسهم على ذلك، وقوله: المحظورات من الحظر، وهو المنع، وقوله: والارتفاق أي الانتفاع أي فلم يكونوا غير قطاع طريق خائنين أنفسهم والرفيق، والشهوات جمع شهوة، وهي انبعاث النفس لطلب الملائم طبعاً من حيث هو ملائم لا من حيث وجه الحق منه. **(قوله: ثم أنهم لم يرضوا)** أي لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى أشاروا إلى وصولهم إلى أعلى الحقائق، واعلم أن الوصول عند الصوفية كناية عن فناء العبد عن أوصافه، وعاداته في أوصاف الحق تعالى، وذلك بالتحقق بأسمائه المعبر عنه بإحصاء الأسماء المشار إليه بخبر: «من أحصاها دخل الجنة» فافهم. **(قوله: وادعوا أنهم تحرروا الخ)** أي تخلصوا عن محبة ما سواه تعالى المشبهة برق الأغلال بجامع عدم القدرة في كل على الانفكاك، فمن تعلق بشيء فهو في رقه بإشارة خبر: «تعس عبد الدينار»، الحديث. **(قوله: بحقائق الوصال)** أي القرب المعنوي منه تعالى، وقوله: وهم محو هو من جملة مدعاهم، أي فلم يبق فيهم بقية يتعلق بها التكليف لتمام فنائهم عن شهواتهم وحظوظهم النفسية، حتى صاروا إلى حالة عدم العتب واللوم في كل ما يصدر عنهم، مع أنه ليس كما زعموا قبحهم الله تعالى.

(قوله: وأنهم كوشفوا الخ) أي أنهم طلبوا الكشف عن أسرار الأحدية فانكشفت لهم فشاهدوا منها إنفراد الحق ذاتاً وصفة وفعلاً، وأسرار الأحدية هي ما غاب من نعوت الذات، ويعبر عنها بحضرة العماء المشار إليها في المنبهجة بقوله:

بعماء كنت به أزلا

الأحدية) فكشف لهم عنها **(واختطفوا عنهم)** أي عن أنفسهم **(بالكلية وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم)** أي عن أنفسهم متصفين **(بأنوار الصمدية و)** أنهم **(القائل عنهم غيرهم إذا نطقوا والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا)** فيه **(بل)** فيما **(صرفوا)** عنه وذلك كله كذب، إذ الدرجات العلية لا تنال بما اتصفوا به، ثم اعتذر عن ثلب المتشبهين بالمتحققين من الصوفية، فقال **(ولما طال الابتلاء)** لنا **(فيما نحن فيه من الزمان بما لوحت ببعضه من هذه القصة)** وهي ارتكابهم ما ذكر **(وكنت لا أبسط إلى هذه الغاية)** من الثلب **(لسان الإنكار غيرة على هذه الطريقة)** مخافة **(أن يذكر أهلها بسوء أو)** أن **(يجد مخالف)** لها **(لثلبهم)** أي لنقصهم **(مساغاً)** أي مدخلاً **(إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة، والمنكرين عليها شديد وكنت ولما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة)** أي أصلها المقتضي لها **(أن تنحسم)** أي تنقطع،

وبخبر: «كنت كنزاً مخفياً» كما تقدم غير مرة والمعنى أنهم تحققوا بالوجود المطلق بعد فنائهم عن السوى الفناء المحقق، وليس الأمر كما زعموا بل هم قد ضلوا وعموا عن الطريق، ولم يهتدوا إلى شيء من التحقيق. **(قوله: واختطفوا عنهم)** أي جذبت قلوبهم وأرواحهم للحق جذباً بسرعة، حتى لم يبق فيهم سعة لغيره تعالى من أنفسهم ولا غيرها بالأولى، كما هو حال العارفين، ممن تحقق بهذا المقام وأدخل حظائر الأنعام والإكرام. **(قوله: بقوا بعد فنائهم الخ)** أي تحققوا بمقام البقاء بعد الفناء مهيمين بأنوار الصمدية المباينة لسائر العلق ومحصله أنهم خرجوا عن أحكام البشر لعدم السعة القابلة لها فيهم. **(قوله: وأنهم القائل عنهم غيرهم)** محصله أنهم ادعوا الوصول إلى مقام جمع الجمع الذي لا يشهد فيه فعل إلاّ له تعالى، ولا حركة ولا سكون إلا كذلك، فليس إلا الله وحده لا شريك له.

(قوله: بما لوحت ببعضه) أي من هذه المعايب القبيحة، وحيث كانت المذكورات بعض المعايب، فكيف التي لم تذكر مع أن من المذكور ما هو من المكفرات، أو هو من التجرد من العقليات، فلا حول ولا قوة إلا بالله. **(قوله: وكنت لا أبسط الخ)** أي لا اتوسع في الأفكار والثلب لأجل غيرتي مخافة ذكر هذه الطائفة بسوء. **(قوله: من الثلب الخ)** أي العيب واللوم ثلبه إذا عابه ولامه وبابه ضرب. **(قوله: غيرة الخ)** هو مفعول لأجله راجع لقوله، وكنت لا أبسط الخ. **(قوله: أن يذكر أهلها بسوء)** أي بسبب اختلاط المحق بالمبطل إذ الصورة واحدة والحقيقة متباينة. **(قوله: إذ البلوى)** علة لقوله وكنت الخ أو ليذكر الخ، والبلوى الابتلاء. **(قوله: ولما كنت الخ)** جوابه مع ما عطف عليه قوله بعد أشفقت. **(قوله: من مادة هذه الفترة الخ)** أي أصلها والفترة، والفتور التهاون والتكاسل عما به صلاح الإنسان بترك ارتكاب التسويف والتعلل بلعل ولو والأمل هو

ولم تنحسم **(ولعل الله سبحانه يجود بلطفه)** أي بأقداره **(في التنبيه)** أي التوفيق **(لمن حاد)** أي عدل **(عن السنة المثلى)** مؤنث لمثل بمعنى أشرف **(في تضييع آداب هذه الطريقة)** أي، ولعل الله أن يلطف بمن حاد عن السنة الشريفة فيما ذكر بأن ينبهه على الرجوع إليها **(ولما أبى)** أي امتنع **(الوقت إلا استصعاباً و)** أبى **(أكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تماديا فيما اعتادوه)** مما لا ينبغي **(واغتراراً بما ارتادوه)** أي اختاروه وتلبسوا به، ولما في الموضعين معطوفة على لما الأولى، ويحتمل كسر لام الثانية، وتخفيف ميمها وعطفها على غيره، وجواب لما مع ما عطف عليها **(أشفقت على القلوب)** ونصحت أربابها مخافة **(أن تحسب أن هذا الأمر)** وهو الوصول إلى أعلى الحقائق والأحوال **(على هذه الجملة)** وهي ما تشبهوا به وادعوه **(بني قواعده وعلى هذا النحو)** أي الطريق **(سار سلفه)** فعلى الأولى صلة بنى والثانية صلة سار **(فعلقت هذه الرسالة إليكم)** أيها الصوفية **(أكرمكم الله وذكرت فيها بعض سير)** أي طرق **(شيوخ هذه الطائفة في آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم وما أشاروا إليه من مواجيدهم)** أي مواجيد قلوبهم، وفضائل ربهم عليهم **(و)** في **(كيفية)** أي صفة

تعلق القلب بمرغوب فيه عساه أن يكون في المستقبل. **(قوله: ولما أتى الوقت الخ)** أقول: إذا كان مثل هذا في وقت المصنف من الذي ذكره، فما ظنك فيما حدث في وقتنا من أهل زماننا خاصة وعامة، نعم ذلك من علامات يوم القيامة، ومبادي أشراط الساعة فنسأل الله تعالى حفظ إيماننا حتى نلقاه سالمين من أهوال زماننا. **(قوله: استصعاباً)** أي صعوبة **(قوله: أشفقت)** أي حنوت وعطفت، وشفقت أشفق من باب ضرب لغة والاسم الشفقة، وقوله: على القلوب أي على أربابها.

(قوله: قواعد) جمع قاعدة، وهي ما يبنى عليها غيرها، أو هي قضية كلية يتعرف منها أحكام جزئيات موضوعها. **(قوله: فعلقت)** جمعت وألفت هذه الرسالة أي ألفاظها، وقوله: اكرمكم الله جملة دعائية، وقوله: وذكرت فيها بعض سير الخ، أي ما يدل على ذلك. **(قوله: في آدابهم)** أي ما أدبوا به نفوسهم من متابعة أحكام الشريعة، والأعمال الموصلة إلى إشراق أنوار الطريقة ليكون سبباً في الاقتداء بهداهم، والتحذير عن اعتقاد من عداهم والله أعلم. **(قوله: وأخلاقهم)** جمع خلق، وهو السجية والطبيعة غير أن المراد ما تخلقوا به من نعت الكمالات، ووظائف العبادات التي بدوامهم عليها صاروا كأنهم طبعوا عليها فقوله بعد ومعاملاتهم تفسير لما قبله.

(قوله: وعقائدهم) جمع عقيدة، وهي تصميم القلب وجزمه تصميماً وجزماً لا يجامعه شك ولا وهم ولا ظن، غير أن المراد بالعقائد المعتقدات. **(قوله: وما أشاروا إليه من مواجيدهم)** أي مما تجده قلوبهم بإلهام الأنوار الواردة من الرحيم الرحمن المدركة بعين

(**ترقيهم من بدايتهم إلى نهايتهم لتكون**) أي الرسالة مني (**لمريدي هذه الطريقة قوة ومنكم لي بتصحيحها**) أي هذه الطريقة، وفي نسخ بتصحيحه أي ما ذكر (**شهادة و**) مني (**لي في نشر هذه الشكوى سلوة ومن الله الكريم**) لي (**فضلاً ومثوبة**) أي ثوابا، واللام في المواضع الثلاثة متعلقة بالمنصوب بعدها بتكون (**وأستعين**) أي وأطلب العون (**بالله سبحانه فيما أذكره وأستكفيه وأستعصمه**) أي وأطلب منه الكفاية، والعصمة بمعنى الحفظ (**من الخطأ**) وهو نقيض الصواب (**فيه**) أي فيما أذكره (**وأستغفره وأستعفيه**) أي وأطلب منه الغفران والعفو عما يصدر مني من الخطأ (**وهو**) تعالى (**بالفضل جدير**) أي حقيق (**وعلى ما يشاء قدير**) ومنه الإعانة والحفظ والمغفرة والعفو. .

فصل

في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول

بصيرة الاستبصار والله أعلم. (**قوله: من مواجيدهم**) أي مما يجدونه في حالة سيرهم مما تهم به قلوبهم بواسطة زيادة الأنوار الفائضة على أسرارهم نفعنا الله بركاتهم. (**قوله: ترقيهم**) أي انتقالهم من كمال إلى ما هو أعلى منه مما يزيد به القرب إلى حضرة الرب سبحانه وتعالى.

(**قوله: لتكون الخ**) حاصله أن القصد بها بيان ما ينبغي أن يتخذه الإنسان طريقاً لوصوله إلى ربه، وعلى هذا يكون المؤلف ناصحاً حيث وضح في هذا المؤلف ما كان عليه السلف الصالح من المتقدمين، فجزاه الله تعالى عنا أحسن الجزاء بمنه وكرمه. (**قوله: شهادة**) أي إقراراً بأنه قد صحح طريق السلف بإيضاح ما كانوا عليه. (**قوله: سلوة**) أي بغضاً لمن تقدم وصفهم بالصفات الذميمة. (**قوله: ومن الله الكريم لي فضلاً**) أي سبب فضل، حيث وفقني إلى ما قصدته، وساعدني حتى أتممت ما أردته والله أعلم. (**قوله: واطلب العون الخ**) أشار به إلى أن السين والتاء للطلب في الأفعال المذكورة. (**قوله: عما يصدر مني من الخطا**) وهو عدم موافقة الصواب الجائز في حق الإنسان. (**قوله: وهو تعالى الخ**) تعريض بإجابة دعائه رضي الله تعالى عنه.

فصل

قال شهاب الدين السهروردي نفعنا الله به: الصوفية من بين الطوائف قد ظفروا بحسن المتابعة له ﷺ فقاموا بما أمرهم به، ووقفوا عما نهاهم عنه، ثم اتبعوا بالجد والاجتهاد في العبادة فرزقوا ببركة المتابعة التخلق بما يقرب من أخلاقه من الحياء والحلم والصفح والعفو والرأفة والشفقة والمداراة والنصيحة والتواضع، ورزقوا قسطاً من أحواله كالخشية والسكينة والرضا والهيبة والتعظيم والصدق والتوكل، فاستوفوا أنواع المتابعة رضي الله عنهم. (**قوله: في بيان اعتقاد الخ**) أي في كشف وإيضاح معتقداتهم، والاعتقاد

في التوحيد **(اعلموا)** أيها الصوفية **(رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة)** منكم **(بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع)** كالتشبيه الذي قال: به المجسمة ونفيه تعالى الذي قال به الفلاسفة القائلون بقدم

تصميم القلب، وإذعانه تصميماً وإذعاناً عن دليل وبرهان لا يقبل شكاً ولا تردداً.

(قوله: هذه الطائفة) الإشارة راجعة إلى جماعة الصوفية. **(قوله: في مسائل الأصول)** المسائل جمع مسألة، وهي مطلوب خبري يبرهن عنه في العلم، والمراد بالأصول أصول التوحيد، وهي فنونه التي يبحث فيها عن الأدلة، والبراهين المتعلقة بذاته تعالى وصفاته باعتبار ما يجب له تعالى، ويجوز في حقه ويستحيل في حقه. **(قوله: اعلموا الخ)** أتى بقوله اعلموا طلباً لاقبال المخاطب اقبالاً تاماً لما يمليه عليه بعدها اهتماماً به. **(قوله: بنوا قواعد أمرهم الخ)** اعلم وفقني الله تعالى وإياك، أن الدين بستان والشريعة سياجه، والطريقة رياضه، والحقيقة ثمراته فمن لا شريعة له لا دين له، ومن لا طريقة له لا شريعة له، ومن لا حقيقة له لا طريقة له، واعلم أيضاً أن طريقة الصوفية تشتمل على عشرة أشياء أحدها حقيقة التصوّف، وهي ترجع إلى صدق التوجه إلى الله تعالى، والثاني أن مدار ذلك على إفراد القلب، والقالب لله وحده، والثالث أنه من الدين بمنزلة الروح من الجسد، والرابع أن نظر الصوفي في وجه الكمال والنقص، والخامس أن نظر الفقيه فيما يسقط الحرج، والأصولي فيما يصح به الإيمان ويثبت، فنظر الصوفي أخص من نظرها، ولذلك صح إنكارهما عليه، ولا يصح إنكاره على أحدهما، فصوفي الفقهاء خير من فقيه الصوفية، والسادس إظهار شرف التصوف، ودليله برهاناً ونصاً، والسابع أن الفقه شرط في صحته، فلذلك قدم عليه، والثامن ذكر الاصطلاح واختصاصه بكل فن على حسبه، والتاسع مفاتيح الفتح فيه أربعة أحكام المبادي، وصدق الرغبة في الوصول، والتشوق للحقائق، وعدم التقيد بالمنقول مع التحقيق، والعاشر أنه طريق عجيب غريب، وبناه على اتباع الأحسن دائماً ففي العقائد على اتباع السلف، وفي الأحكام على الفقه من الفضائل على مذهب المحدثين، وفي الآداب على ما به صلاح القلوب.

(قوله: بنوا قواعد أمرهم) أي أسسوها، والقواعد جمع قاعدة، وهي ما بني عليها غيرها من فروعها. **(قوله: على أصول صحيحة)** أقول كيف لا وعلم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية، وصحة العبودية وما كان غير ذلك فهو المغاليط والزندقة. **(قوله: صانوا بها)** أي خففوا بها عقائدهم أي معتقداتهم. **(قوله: من البدع)** جمع بدعة، وهي ما لا يجري على أصول الشريعة من نص الكتاب أو الحديث أو الإجماع أو القياس، ومع ذلك فمنها الحسنة والقبيحة، كما لا يخفى على من له إلمام بالفروع. **(قوله: الذي قال المجسمة)** أي وهم فرقة من المعتزلة افترقوا على فرقتين، فمنهم من قال أنه تعالى جسم لا كالأجسام، ومنهم من قال أنه جسم كالأجسام فالأولى فسقة،

العالم والتعطيل (ودانوا) أي تدينوا (**بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل، ولا تعطيل وعرفوا ما هو حق القدم**) والقدم يقال للقدم الذاتي، وهو ما لا يحتاج وجوده إلى غيره، وللقدم الزماني، وهو ما لا يكون وجوده مسبوقاً بالعدم وللقدم الإضافي، وهو ما يكون وجوده أكثر من وجود آخر فيما مضى كوجود الأب مع وجود ابنه (**وتحققوا**) أي اتصفوا (**بما هو نعت**) أي وصف (**الموجود عن القدم**) وهو الحادث الذي وجد بعد أن لم يكن (**ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد رحمه الله التوحيد أفراد القدم من الحدث**) بمعنى الحدوث والحدوث يقال للحدوث الذاتي، وهو كون الشيء مسبوقاً بغيره والزماني، وهو كونه مسبوقاً بالقدم والإضافي، وهو ما يكون وجوده أقل من وجود آخر فيما مضى، وهو تعالى منزه عنه بالمعاني الثلاثة، وهي من الاعتبارات العقلية التي لا وجود لها في الخارج (**واحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد**) أي بالدلائل الواضحة، والشواهد

والثانية كفرة كما لا يخفى. (**قوله: ودانوا الخ**) أي، ولذا قال ابن خفيف: ليس شيء أضر بالمريد من مسامحة النفس بالركون إلى الرخص والتأويلات. (**قوله: ودانوا الخ**) أي اتخذوا ما وجدوا عليه السلف من الاعتقادات، والأعمال ديناً لهم انقادوا إليه. (**قوله: من توحيد الخ**) أي اعتقادهم وحدته تعالى في الذات والصفات والأفعال، وأنه لا يستحق العبادة غيره تعالى، وقوله: ليس فيه تمثيل أي يشبه بحادث من الحوادث. (**قوله: ولا تعطيل**) أي بنفي الصفات فراراً من تعدد القدماء كما ذهب إليه جماعة يقال لهم المعطلة.
(**قوله: وعرفوا ما هو حق القدم**) أي اعتقدوا، واذعنوا بما يجب في حقه تعالى، وما يجوز وما يستحيل، فالمراد بالقدم القديم، وهو الله سبحانه وتعالى. (**قوله: يقال للقدم الذاتي**) أي يطلق عليه، وهو لا يكون إلاّ له تعالى، وقوله: وللقدم الزماني الخ أقول: هو الإضافي محالان بالنسبة له تعالى، فلا يثبت له إلا القدم الذاتي فقط، والقدم الزماني المستحيل في حقه تعالى يصور بقدم العالم على القول به وإن كان غير صواب. (**قوله: وتحققوا بما هو الخ**) أي اتصفوا، وداموا على الخضوع والذل والافتقار إليه سبحانه وتعالى، فلم ينازعوا في شيء من أحكام الربوبية كما هو شأن العبيد.

(**قوله: إفراد القدم الخ**) أي، وهو إنما يتم بعد معرفة ما يجب له تعالى، وما يجوز وما يستحيل، ولذلك قالوا بمعرفة ذلك أوّل واجب على المكلف. (**قوله: وهي**) أي أنواع الحدوث الثلاثة من الاعتبارات، أي من الأمور التي يعتبرها الإنسان ذهناً مما لا تحقق له في الخارج. (**قوله: والشواهد اللائحة**) قال بعضهم اللائحة ما يلوح من نور التجلي، ثم يذهب ويقال لها بارقة أيضاً غير أن المراد هنا باللائحة ما يلوح ويظهر في نظر العقل من الأدلة.

اللائحة (**كمال قال**) الشيخ (**أبو محمد**) أحمد بن محمد بن الحسين (**الجريري**) بضم الجيم رحمه الله (**من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة**) هي ما بين الجبلين، ونحوهما (**من التلف يريد بذلك أن من ركن إلى التقليد**) في توحيده (**ولم يتأمل دلائل التوحيد**) من افتقاره كل حين إلى فعل ربه من صحته وسقمه وجوعه وشبعه وطاعته وعصيانه، ونحوها (**سقط عن سنن**) أي طريق (**النجاة ووقع في أسر الهلاك**) فالتقليد في الاعتقاديات ممتنع بل يجب على كل أحد النظر لا على طريق المتكلمين من تحرير الأدلة وتدقيقها، ودفع الشبه عنها لأنه إذ ذاك فرض كفاية على المتأهلين له بل على طريق العامة، ما أجاب الأعرابي الأصمعي عن سؤاله بم عرفت ربك فقال: البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير، ومع ذلك

(**قوله: من لم يقف على علم التوحيد بشاهد**) أي بدليل من الأدلة المعتبرة فيه سواء كانت عقلية أو نقلية بل، ولو كانت جملة على القول بإيمان المقلد، كما درج عليه المحققون، وإن اثم ذلك المقلد إذا كان فيه قوة النظر في الأدلة، وقصر عن النظر فيها، وحاصل المراد أن من لم يثبت اعتقاده، وإذعان قلبه بالتوحيد بدليل وبرهان من أدلته وبراهينه الكافية فيه، زلت به قدم الغرور الخ، ولذلك أشار النصر أباذي، حيث قال: التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية اعذار الخلق، والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات. (**قوله: من صحته**) أي من جعله صحيحاً وسقيماً الخ أي، فيشهد أن جميع ما يعرض له من هذه الأحوال أثر القدرة الفاعل المختار جل شأنه، فيلزم نفسه بالقيام في كل حال بما طلب منه، ففي الصحة يلزم نفسه بالشكر بصرف قوته في طاعة مولاه، وفي حالة السقم يلزم نفسه بالصبر، وعدم القلق والشكوى والرضا بما يجرى به القضاء، وهكذا الحال في باقي الأحوال. (**قوله: سقط الخ**)، أي ولذا قال أبو الغيث نفعنا الله به: أنا مقيد بشعرة من الشريعة، وإني لارى سيف القدرة معلقاً فوق رأسي إن ملت كذا أو كذا قطع رأسي. (**قوله: فالتقليد في الاعتقاديات**) أي الأمور التي يلزم اعتقادها ممتنع أي لأنه لا تحصل به النجاة، ولا الخروج من عهدة الأمر بالمعرفة وحد هذا المقلد هو من إذا قيل له من أين لك هذا يقول سمعت الناس يقولونه فقلته. (**قوله: من تحرير الأدلة**) أي كنصب دليل من الشكل الأول مثلاً على طريقة أهل الميزان لأنّ ذلك فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقين.

(**قوله: بل على طريق العامة**) أي يكفي بالنسبة إليهم الدليل الإجمالي. (**قوله: ومع ذلك الخ**) يظهر منه القول بصحة إيمان المقلد وإن قدر على النظر في الأدلة، وهو كذلك على الأصح، وإن اثم بترك النظر وقيل لا يكفي التقليد، ولا يخرج من ربقة الكفر وإليه

تصح عقائد المقلد، وإن أثم بترك النظر **(ومن تأمل ألفاظهم، وتصفح كلامهم وجد في مجموع أقاويلهم، ومتفرقاتها ما يثق بتأمله)** أي بسببه **(بأن القوم لم يقصروا في التحقيق عن شأو)** أي غاية **(ولم يعرجوا في الطلب)** له **(على تقصير ونحن نذكر في هذا الفصل جملاً من متفرقات كلامهم، فيما يتعلق بمسائل الأصول ثم نحرر على الترتيب بعدها)** أي بعد بيانها **(ما يشتمل على ما يحتاج إليه في)** صحة **(الاعتقاد على وجه الإيجاز والاختصار)** هما بمعنى، وهو إقلال اللفظ مع توسع المعنى، أو الإقلال بلا أخلال، أو أقلال المباني، وإبقاء المعاني أو ردّ الكثير إلى القليل، وفي القليل معنى الكثير، وقيل غير ذلك، والكل متقارب، وقيل: الاختصار يكون في حذف الجمل فقط، والإيجاز أعم من ذلك، وقيل: الاختصار إقلال من عرض الكلام، والإيجاز من طوله **(إن شاء الله)** أتى به للتبرك، ورعاية للأدب بذكر الله تعالى في أموره، ولقوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣] ثم رد على القائل بالجسمية، وحدوث كلام الله تعالى بقوله **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي)** بضم السين **(رحمه الله تحويه يقول سمعت عبد الله بن موسى السلامي)** بضم السين **(يقول: سمعت أبا بكر الشبلي يقول)** في توحيد الله جل وعز **(الواحد)** هو **(المعروف قبل الحدود)** أي الجهات **(وقبل الحروف)** والأصوات **(وهذا صريح من الشبلي)** في **(أن القديم سبحانه لا حد لذاته قوله: جل الواحد نسخ المتن**

ذهب السنوسي، وهو ضعيف كما قدمناه. **(قوله: وتصفح كلامهم)** أي تتبعه، وقوله، وجد في مجموع اقاويلهم هو من إضافة الصفة للموصوف أي وجد في أقاويلهم المجموعة، والمفرقة. **(قوله: لم يقصروا في التحقيق)** أي التحقيق للعقائد. **(قوله: على تقصير)** أي بل بذلوا جهدهم في تحقيق اصوله. **(قوله: فيما يتعلق بمسائل الأصول)** أي في مباحث تتعلق بجزئيات، مما يلزم مراعاتها بطريق أصول الدين. **(قوله: ثم نحرر)** أي ننقح الذي يحتاج إليه المكلف في صحة اعتقاده على وجه الترتيب بذكر الأهم، فالأهم. **(قوله: مع توسع المعنى)** أي بحيث أن الألفاظ القليلة تفيد ما كانت تفيده الكثيرة وزيادة. **(قوله: أو إقلال المباني)** أي الألفاظ التي ينبني، ويتركب منها الكلام. **(قوله: وإبقاء المعاني)** أي حفظها، وعدم الإخلال بشيء منها. **(قوله: والكل متقارب)** أي وذلك بالنسبة إلى حاصل المعنى، فالاختلاف إنما هو في الفاظ التأدية.

(قوله: وقيل الاختصار يكون الخ) أي فما تقدّم مبني على اتحاد الاختصار والإيجاز وما بعد هذا القيل على تغايرهما من كل وجه، أو من بعض الوجوه. **(قوله: أتى به للتبرك)** أي لا للتعليق لعدم صحة إرادته هنا. **(قوله: ورعاية للأدب)** أي وللاشعار بالتبري من الحول والقوة. **(قوله: أجل الواحد)** أي عظم ذاتاً وصفة وفعلاً، وقوله: هو المعروف

المعتمدة الواحد المعروف الخ من غير ذكر جل، وحينئذ يظهر نكتة تقدير الشارح هو، ولا حروف لكلامه) فهو قديم منزه عن الحدوث في ذاته، وصفاته التي منها كلامه ثم بين أن أوّل الواجبات معرفة الله بقوله **(سمعت أبا حاتم الصوفي يقول: سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سئل)** القاضي أبو محمد **(رويم)** بضم الراء، وفتح الواو ابن أحمد البغدادي **(عن أوّل فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو فقال)** هو **(المعرفة)** بالله تعالى **(لقوله عز و** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ **[الذاريات: ٥٦] قال ابن عباس)** رضي الله عنهما **(إلا ليعرفون)** فهو تعالى إنما خلق العالم ليستدل به عليه، كما قال ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] ولهذا قيل أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، فمن عرف نفسه بالحدوث عرف أن فاعله قديم لوجوب افتقار الحادث إلى محدث قديم، إذ لو كان حادثاً لزم التسلسل وهو محال، وما استدل به لا يدل على أن أوّل الفروض المعرفة مع أن جماعة على أن أوّلها الإقرار بالشهادتين

أي بالآيات البينات والدلالات الواضحات وقوله: قبل الحدود الخ، أي فهو منزه عنها كيف، وهو المبدع لها بقي أنه لم يظهر نكتة تقدير لفظ هو قبل المعروف مع صحة عدم تقديرها. **(قوله: لا حد لذاته)** أي لا جهة تحويه. **(قوله: ولا حروف لكلامه)** أي لا حادثة، ولا قديمة وإن مشى بعضهم على ثبوت أحرف قديمة لكلامه مثل العضد، وبه طريقة مخالفة لما عليه الجمهور من المحققين. **(قوله: المعرفة بالله)** أقول ومناطها المعتبر اللطيفة الإنسانية التي هي النفس الناطقة المسماة عندهم بالقلب، والمعرفة الواجبة على المكلف هي ما في وسعه، وإلا فالحق سبحانه وتعالى هو المعبر عنه بالكنز الذي هو الأحدية، والهوية المكنونة في الغيب، فهو أبطن كل باطن، واعلم أن المعرفة المذكورة هي كوكب الفتح المتحقق بمظهريته النفس الكلية قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦] فافهم.

(قوله: قال ابن عباس الخ) أقول الكل يطلبون ولكن اختلفت المطالب، فالعوام يطلبون الحظوظ بآداب الشريعة، والخواص يزهدون فيها بعلم الحقيقة، وربك هو أعلم بمن هو أهدى سبيلاً. **(قوله: إنما خلق العالم الخ)** أي وذلك بسبب اللب والعقل الذي هو مهبط النور الإلهي القدسي، فيدرك به العلوم المتعالية عن إدراك القلب المتعلق بالكون المحجوب بالعلم الرسمي، وذلك النور من حسن السابقة المقتضي لخير اللاحقة. **(قوله: ليستدل به عليه)** أي ليصير كذلك حيث أفعاله تعالى لا تعلل. **(قوله: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)** أي فمن زادت معرفته بعجز نفسه وذلها وقدرة الله تعالى وعزه، وهكذا في باقي الصفات ثبتت له الأعلمية والله أعلم. **(قوله: لزم التسلسل)** أي أو الدور.

(قوله: وما استدل به) أي من الآية الشريفة لا يدل الخ فيه نظر لأن العبادة بمعنى المعرفة على ما قاله ابن عباس حيث جعلت هي المقصود من الخلق، دل ذلك على أنها

لقوله ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن «إنك تقدم على أهل كتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»[1] قالوا: والإقرار بهما يتضمن المعرفة، وقيل: أولها النظر، وقيل: القصد إلى النظر، ولعله لا خلاف لأن المعرفة أولاً مقصود، وما عداها أولاً وسيلة **(وقال الجنيد: أن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة)** أي اعتقادها، والحكمة تقال لإصابة الصواب قولاً وعقداً وفعلاً، وللعلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه وبما فيها من المصالح وغيرها، ولعلم الشرائع **(معرفة المصنوع صانعه و)** معرفة **(المحدث)** بفتح الدال **(كيف كان إحداثه، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث)** لئلا يقع في الاتحاد والحلول **(ويذل)** أي يخضع **(لدعوته)** تعالى **(ويعترف بوجوب طاعته فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه)** وإطلاق اسم الصانع عليه تعالى مأخوذ

هي أوّل الواجبات على المكلف. **(قوله: قالوا والإقرار بهما الخ)** شروع في ارجاع الخلاف لفظياً وانظر وجه التبري. **(قوله: تقال)** أي تطلق أي وتقال أيضاً على تحقيق العلم، واتقان العمل، وعلى وضع الشيء في موضعه. **(قوله: لإصابة الصواب)** أي للاهتداء والوصول إليه، وقوله: قولاً وعقداً وفعلاً، إنما عم ليوافق ظاهر العبد باطنة، كما هو شأن الكمال بل الأكمل زيادة حسن الباطن عن الظاهر. **(قوله: معرفة المصنوع صانعه)** أي معرفته بما يتميز به عن سائر الممكنات من صفاته القديمة واجبة كانت أو جائزة أو مستحيلة. **(قوله: بفتح الدال)** احترز به عن مكسورها الذي هو محدث العالم، والموجد له جل شأنه. **(قوله: كيف كان إحداثه الخ)** أي من كونه كان بعد عدم بإيجاد إله قديم قادر حي منعوت بكامل نعوت الكمال منزه عن صفات النقص والحدوث، ومن كونه في قبضة قدرته تعالى ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن، والحاصل أنه يعرف مولاه بصفات الربوبية، ويعرف نفسه بحقيقة العبودية. **(قوله: لئلا يقع)** أي لو لم يعرف ذلك. **(قوله: ويذل الخ)** أي، ولا يتم ذلك إلا بتمام الانقياد الظاهري بالجوارح الدال على الباطني والتابع له فقوله ويذل عطفه على ما قبله من عطف اللازم على الملزوم، إذ من عرف مظاهر الربوبية تحقق بنعوت العبودية من الذلة وغيرها. **(قوله: فإن لم يعرف مالكه)** تعليل لقوله أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة، وذلك لأنّ من لم يعرف مالكه بصفات الألوهية التي من جملتها الملكية المطلقة المقتضية لسائر التصرفات الملائمة وغيرها لم يعترف بالملك لمن استوجبه أي لم يعتقد صحة التصرف في ذاته، وروحه وغيرهما لمن وجب له التصرف. **(قوله: واطلاق اسم الصانع الخ)** جواب عن الذي قد يقال اسماء الله تعالى توقيفية، وحاصل الجواب أنه يكفي ورود أصل المادة.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه ١/ ١١٤) والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ٢) وابن حجر في (فتح الباري ١٣/ ٣٤٧).

من قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] **(أخبرني محمد بن الحسين قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت أبا الطيب المراعي يقول: للعقل)** وهو غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات **(دلالة)** يستدل بها على وحدانيته تعالى **(وللحكمة إشارة)** إليها **(وللمعرفة شهادة)** أي تحقيق لها **(فالعقل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد أن صفاء العبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد)** فقد اتفق العلماء والحكماء، والعارفون على أن صفاء الأعمال لا ينال إلا بذلك، ومعناه أن سلامتها من الرياء والعجب إنما يكون إذا امتلأ القلب باستحضار

(قوله: للعقل الخ) أي العقل المنور بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام والشكوك، وقوله: غريزة أي قوة خلقها الله تعالى للنفس غريزية وطبيعية لها. **(قوله: دلالة)** أي أمور تتضح له يدرك صاحبها بسبب ذلك إدراكاً تاماً أن صفاء العبادات الخ، ثم إذا حصلت المعرفة أذعن القلب، وجزم تبعاً للعقل، والمراد الإشارة إلى أن الشريعة إذا كانت بالحقيقة، فالحقيقة حينئذٍ بالشريعة، ومن لم يكن هنا، فليس منا بحال، والحاصل أن الكامل إذا كان واقفاً مع الحقيقة، فقد يشير بهنا إلى الشريعة وعالم الشهادة القريبتين، وبهناك إلى الحقيقة وعالم الغيب البعيدتين، وقد تكون الحقيقة هي القريبة فافهم. **(قوله: وللحكمة إشارة)** اعلم أن الحكمة هي العالم بحقائق الأشياء، وأوصافها وخواصها وأحكامها على ما هي عليه، وبارتباط الأسباب بالمسببات، وأسرار انضباط نظام الموجودات، والعمل بمقتضى ذلك كله، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، والحكمة نوعان منطوق بها، وهي علوم الشريعة، والطريقة ومسكوت عنها، وهي أسرار الحقيقة التي لا يفهمها علماء الرسوم بل ربما تهلكهم، فافهم والله أعلم.

(قوله: وللمعرفة شهادة) أي مشاهدة باعتبار ما يتحقق للنفس بسببها من أن صفاء العبادة لا يتم إلا بصفاء التوحيد، وإطلاق الشهادة بمعنى المشاهدة للمعرفة طريقه المبالغة والتجوز، وإلا فالمعرفة تحقق المعروف، كما أشار إليه الشارح نفعنا الله ببركات علومه حيث قال أي تحقيق لها هذا، ويحتمل أن المراد بالشهادة معنى الإخبار بحق للغير على الغير، فكأن المعرفة شهدت بحقه تعالى على النفس الناطقة للروح، والغرض التحقيق كما تقدّم في الاحتمال الأوّل. **(قوله: إن صفاء العبادات)** أي خلوصها لوجه الله تعالى من أسباب العوائق كالرياء وشهود الأعمال مع الركون إليها، وقوله: لا ينال أي لا يصل العبد إليه إلا بصفاء التوحيد أي لأنه به تشرق أنوار الباطن على صفحات وجه ظاهر الجوارح، فتصدر الأعمال مقدسة من كدورات العوائق. **(قوله: فقد اتفق العلماء الخ)** فيه اللف والنشر المرتب لأن قوله: فقد اتفق العلماء راجع لقوله: للعقل دلالة، وقوله: والحكماء راجع لقوله وللحكمة إشارة، وقوله: والعارفون راجع لقوله: وللمعرفة شهادة.

الواحد تعالى وعظمته (**وسئل الجنيد عن التوحيد فقال**) هو (**أفراد الموحد**) بفتح الحاء (**بتحقيق وحدانيته بكمال**) أي مع كمال (**أحديته**) وهو (**إنه الواحد الذي لم يلد، ولم يولد ينفي**) أي مع نفي سائر (**الأضداد والأنداد**) وهم النظراء (**والأشباه**) وهم الأمثال أي (**بلا تشبيه ولا تكييف، ولا تصوير ولا تمثيل**) فالتوحيد أفراده تعالى ذاتاً وصفة وفعلاً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فهو منزه عن الزمان والمكان والانتقال والحلول (**أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى الصوفي قال أخبرنا عبد الله بن علي التميمي الصوفي يحكي**) أي حاكياً (**عن الحسين بن علي الدامغاني قال: سئل أبو بكر الزاهر أبادي**) وفي نسخة الزاهر (**عن المعرفة فقال: المعرفة**) أي لفظها (**اسم ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه، وقال أبو الحسن**) علي بن أحمد بن سهل (**البوشنجي رحمه الله**) بضم الموحدة وبالمعجمة (**التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفي الصفات**)

(**قوله: باستحضار الواحد تعالى**) أي لأنه يحقق مقام المراقبات المشار إليه بالإحسان في خبر: «أن تعبد الله كأنك تراه» الحديث. (**قوله: عن التوحيد**) قال بعضهم للتوحيد أرائك وهي الأسماء الذاتية لكونها مظاهر الذات، أولاً في الحضرة الواحدية فافهم. (**قوله: إفراد الموحد**) أي اعتقاد وحدته تعالى المستند إلى التحقيق بالنظر الصحيح المنتج له. (**قوله: بتحقيق وحدانيته**) أي بسبب التحقيق، أو بملابسته فإفراد الموحد أي اعتقاد وحدته لا يكفي مجرداً عن ذلك التحقيق، فخرج بذلك اعتقاد المقلد على ما مر فيه فلا تغفل. (**قوله: أي مع كمال أحديته**) أقول الذي يظهر من كلامه مغايرة الأحدية للواحدية، وذلك هو ما عليه طريقة الصوفية، إذ الواحد عنهم مظهر أول التعينات المشار إليه بخبر: «فخلقت خلقاً» والاحد هو مقام العماء المشار إليه فيه «بكنت كنزاً مخفياً» أما الذي عليه علماء الظاهر فهو أنه لا فرق إذ أحد هو وحد، وهو الذي لا ثاني له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ومحصل ذلك أن التوحيد هو اعتقاد الوحدة له تعالى الناشىء عن النظر الملابس لنفي الضد والمخالف والند والنظير والشبيه، والمثل بلا كيف ولا صورة.

(**قوله: ليس كمثله شيء الخ**) تقدم أن الكاف فيه زائدة، أو المثل بمعنى الصفة أو الذات، فلا يقال: حينئذٍ نفي مثل المثل لا يلزم منه نفي المثل. (**قوله: فهو منزه الخ**) أي، ولذا قيل إذا أتت التوبة من قبل الحقيقة فالنداء من قريب، وإذا أتت من قبل الشريعة فالنداء من بعيد فافهم. (**قوله: ومعناه وجود الخ**) أقول ذلك من لازم معنى المعرفة وإلا فحقيقتها الجزم والإذعان القلبيان الناشئان عن دليل. (**قوله: يمنعك عن التعطيل**) أي يكون سبباً في عدم ذهابك إلى القول بتعطيل الذات العلية عن صفاتها، كما قال به أهل البدع والضلال فارين بذلك من تعدد القدماء. (**قوله: التوحيد أن تعلم**)

القديمة خلافاً لمن نفاها عنه أو أثبتها له حادثة (**أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: سمعت محمد بن محمد بن غالب، قال سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الإسفنجاني**) بفتح الفاء وبالنون (**يقول: قال الحسين بن منصور**) الحلاج مخاطباً الخطاب العام (**الزم الكل الحدث**) أي احكم بلزوم حدوث جميع الخلق (**لأن القدم**) ثابت (**له**) تعالى خاصة لما مر (**فالذي بالجسم ظهوره**) أي إدراكه (**فالعرض يلزمه**) لاستحالة خلوّ الجسم، والجوهر عن العرض (**والذي بالأداة**) أي الأسباب (**اجتماعه فقواها يمسكه**) حتى لو فقدت تفرق، والباء في الموضعين صلة لما بعدها (**والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت**) أي والذي يتألف وقتاً يجوز أن يفترق وقتاً (**والذي يقيمه غيره فالضرورة**) أي افتقاره إلى غيره (**تمسه والذي الوهم**) أي الذهن (**يظفر به**) أي يتخيله (**فالتصوير يرتقي إليه، ومن آواه محل أدركه أين**) لأن أين يسأل به عن

الخ) أي اعتقاد الوحدة ينشأ عن عملك أنه غير مشبه للذوات.

(**قوله: أي احكم الخ**) أشار به، وبقوله: قبل مخاطباً الخطاب العام إلى أن الزم يقرأ على صيغة الأمر مع أنه يصح أيضاً أن يقرأ على صيغة الفعل الماضي، والفاعل الله تعالى وعليه فيكون المعنى أن الله تعالى قهر عباده على ذلك بخلق واضحات الأدلة والبراهين نعم ما جرى عليه أظهر. (**قوله: لأن القدم ثابت له**) علة لقوله الزم الخ. (**قوله: فالذي بالجسم الخ**) أي فالمدرك الذي أو الحادث الذي أو الممكن الذي فالموصول صفة لموصوف محذوف وهذا شروع في لوازم الحوادث التي بوضوحها يتحقق القدم لمحدثها جل شأنه.

(**قوله: لاستحالة خلو الجسم والجوهر الخ**) الجسم هو ما تركب من اجزاء، والجوهر أعم، مركب وغير مركب. (**قوله: أي الأسباب**) أي كالحياة المفاضة عليه من المولى العظيم، وقوله: اجتماعه أي اجتماع حواسه الظاهرة والباطنة وتحققها بتعلقاتها، وقوله: فقواها يمسكه أي قوى هذه الأسباب يمسكه عن التفرق إذ السبب ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم لذاته. (**قوله: والباء في الموضعين**) أي وهما قوله فالذي بالجسم، وقوله: والذي بالاداة، وقوله: صلة لما بعدها أي، وهو قوله في الأوّل ظهوره، وقوله: في الثاني اجتماعه. (**قوله: والذي يؤلفه وقت الخ**) أي الذي تجتمع اجزاؤه في وقت سبق علمه تعالى باجتماعها فيه تتفرق اجزاؤه في وقت آخر، كذلك وهو مشاهد، وقوله: والذي يقيمه غيره أي الذي يكون وجوده، ودوام وجوده بغيره فالضرورة، أي شدة الافتقار إلى ذلك الغير لازم له لزوماً ذاتياً. (**قوله: يظفر به**) أي يتعلق به تعلق تخيل لكونه محدوداً محصوراً فالتصوير يرتقي إليه أي يصل إليه إذ من أمكن أن يتخيل يجوز أن يتصوّر. (**قوله: ومن آواه محل**) أي ثبت له الحيز أدركه أين،

المكان **(ومن كان له جنس طالبه)** أي فطالبه **(مكيف)** له لأن الجنس تحته أنواع تتميز عنه بفصول وهذه كلها من صفات المخلوق، والخالق منزه عنها وأما نحو قوله ﷺ: للجارية «أين الله، وقولها له في السماء» مع تقريره لها عليه فمؤوّل **(إنه)** استئناف بياني مقيد للتعليل وفي نسخة وإنه **(سبحانه لا يظله فوق)** أي ليس فوقه شيء **(ولا يقله)** وفي نسخة يقطعه **(تحت)** يكون مقرا له **(ولا يقابله حد)** ينتهي به **(ولا يزاحمه عند)** أي محل **(ولا يأخذه)** يعني يحده **(خلف ولا يحده أمام)** ولا غيرهما **(ولم يظهره قبل)** بل هو ظاهر قبل وجود الخلق وبعده **(ولم يفنه بعد)** بل هو باقٍ بعد وجود العالم وقبله **(ولم يجمعه كل)** لأنه واحد لا يتجزأ **(ولم يوجده كان)** بإثباتها له في الزمن الماضي لأنه موجود دائماً لا أوّل، ولا آخر لوجوده **(ولم يفقده ليس)**

أي جاز أن يسأل عنه بها لأنه يسأل بها عن المكان. **(قوله: ومن كان له جنس)** أي مما يقال على كثيرين مختلفين بالحقيقة طالبه بكيف أي أسأله بما يميز ما تحته من الأنواع كالفصول مثلاً. **(قوله: والخالق منزه عنها)** أي لوجوب مخالفته لسائر الحوادث وصفاتها، وجميع ما يعرض لها ويجوز في حقها. **(قوله: فؤوّل)** أقول، ولعل تأويله أنه من باب التنزل رحمة بها لأجل التقريب، واللطف بأصحاب العقول القاصرة والله أعلم. **(قوله: أنه الخ)** لما وضح عوارض الحوادث ولوازمها، وكان ذلك مما يستحيل في حق القديم تعالى استأنف الصفات اللائقة بألوهية الحق تبارك وتعالى، فقال أنه سبحانه الخ.

(قوله: استئناف بياني) أي وهو ما يقع في جواب سؤال مقدر بخلاف الاستئناف النحوي، فإنه ليس كذلك. **(قوله: لا يظله فوق)** أي علو، وذلك لأن الفوق والتحت من عوارض الحوادث، كيف، وهو القاهر فوق عباده بالعظمة، وعلو السلطان ونفوذ الأحكام لا يماثلهم في شيء. **(قوله: ولا يقله تحت)** أي لا يحمله سفل لأن ذلك تحيز، وهو من عوارض الأجسام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. **(قوله: ولا يقابله حد)** أي جهة لتعاليه عنها، وهو الخالق لها ولغيرها. **(قوله: يعني يحده)** أي يحصره. **(قوله: ولا غيرهما)** أي من باقي الجهات **(قوله: ولم يظهره قبل الخ)** أي لأن قبل وبعد، من الإضافات اللازمة للحوادث.

(قوله: بل هو ظاهر قبل وجود الخلق) أي ظاهر بذاته لذاته. **(قوله: بل هو باقٍ الخ)** أي لخبر: «كان الله ولا شيء معه، ويبقى الله ولا شيء معه». **(قوله: ولم يجمعه كل لأنه واحد الخ)** أي وذلك لاستحالة التركيب المتصل، والمنفصل في حقه سبحانه وتعالى لأنه من لوازم الحوادث تعالى الله عنها علواً كبيراً. **(قوله: ولم يوجده كان)** أي لا يقال في حقه تعالى، وجد في وقت كذا الحدوث الزمان، إذ هو من حكم ما لا يزال، والحق تعالى أزلي قديم. **(قوله: ولم يفقده ليس)** أي ولا غيرها من أدوات النفي، وذلك

بنفيها له وجميع ذلك تنزيه له، عما ذكر إذ **(وصفه)** تعالى **(لا صفة)** أي كيفية **(له وفعله لا علة له)** أي لا غرض له، ولا حامل عليه لأن أفعاله لا تعلل بذلك **(وكونه)** أي وجوده **(لا أمد)** أي غاية **(له)** فلا أوّل ولا آخر له **(تنزه عن أحوال خلقه)** أي صفاتهم.

قوله طالبه مبتدأ خبره بكيف وله صلته هكذا في جميع النسخ الصحيحة وهو ظاهر بين لمن تأمل إذ **(ليس له من خلقه مزاج)** خلافاً لمن قال: بالحلول ومزاج البدن ما ركب عليه من الطبائع قاله الجوهري **(ولا)** له **(في فعله علاج)** أي مباشرة بآلة أو نحوها كمعين وظهير، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] بل فعله يوجد بقوله له كن كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. **(باينهم)** أي خلقه **(بقدمه)** بل بجميع صفاته ليس كمثله شيء **(كما باينوه بحدوثهم)** بل بجميع صفاتهم، وفي ذلك إبطال لمذهب الاتحاد والحلول **(إن قلت متى)** وجد **(فقد سبق الوقت كونه)** أي وجوده، فلا يقال متى وجد لأنه سؤال عن

لأن وجوده تعالى لا يقبل الانتفاء لثبوت قدمه تعالى وبقائه. **(قوله: إذ وصفه لا صفة له)** أي لا باعث، ولا غرض له وإن كان فعله لا يخلو من حكمة ومصلحة يعلمها هو وإن كنا قد لا نعلمها. **(قوله: لا امد الخ)** أي، وذلك لوجوب القدم والبقاء السرمديين له تعالى. **(قوله: تنزه الخ)** أي تنزه لاستحالة قيام الحادث بالقديم. **(قوله: إذ ليس له من خلقه مزاج)** المزاج هو ما اقتضته الطبيعة بل ما تركبت منه، والمعنى أن إيجاده تعالى ليس بالطبع كما ذهب إليه من أضله الله تعالى، وأعمى بصيرته.

(قوله: ولا له في فعله علاج) أي معالجة بوسايط وأسباب للإيجاد، بل إيجاده تعالى لجميع الكائنات بمجرد تأثير قدرته الباهرة التابع لتخصيص إرادته العلية على وفق سابق علمه الأزلي بالحكمة السنية. **(قوله: بقوله له كن)** أقول وذلك أيضاً كناية عن سرعة الوجود عند توجه الإرادة العلية، وإنما ذلك تقريب للعقول القاصرة بحسب مألوفاتهم، فلا حاجة له لزائد عن تعلق الإرادة، والقدرة في سرعة الوجود لمن أراد إيجاده.

(قوله: باينهم) أي خالفهم مخالفة تامة في كل وجه في قدمه، وفي بقائه، وفي باقي صفاته، وذلك لما وجب له من مخالفته للحوادث في ذاته، وفي صفته وفي فعله. **(قوله: وفي ذلك إبطال)** أي في وجوب مباينته لخلقه، ومباينتهم له تعالى في الذات والصفات والأفعال إبطال لمذهب الاتحاد والحلول، إذ لا يعقل اتحاد المتباينين، ولا حلول أحدهما في الآخر ولكنها لا تعمي الأبصار، ولكن تعمي القلوب التي في الصدور. **(قوله: إن قلت متى وجد)** أي في أي وقت وجد، فلا يصح، لأن كونه

وقت وجوده، وهو من الحوادث ووجوده تعالى سابق عليها **(وإن قلت)** الله تعالى **(هو فالهاء والواو خلقه)** فلا يقال ذلك لأن الحروف حادثة خلافاً لمن زعم قدمها، وليس المراد أنه لا يقال: له هو فإنه فاسد لوقوعه في القرآن وغيره كثيراً قال تعالى: هو الأوّل، وقال وهو الذي خلق السموات والأرض وقال: وهو الغفور الودود **(وإن قلت أين)** وجد **(فقد تقدّم المكان وجوده)** فلا يقال أين وجد لأنه سؤال عن مكان وجوده وهو من الحوادث، ووجوده تعالى متقدم عليها **(فالحروف آياته)** أي دلائله المنزلة على لسان نبيه محمد ﷺ التي عجز الخلق عن الإتيان بسورة من مثلها **(ووجوده إثباته)** أي إقامة الأدلة على ثبوته، والعلم بوجوده **(ومعرفته توحيده)** لأن من لم يوحده لم يعرفه **(وتوحيده تمييزه من خلقه)** لأن من لم يميزه عنهم لم يوحده **(ما تصور في الأوهام)** أي الأذهان **(فهو)** تعالى **(بخلافه)** لأنه تعالى لو تصور فيها لدخله التصوير، وقد مر أنه منزه عنه **(كيف يحل به ما منه بدا)** من الحوادث **(أو يعود إليه**

ووجوده تعالى قد سبق الوقت بإشارة خبر: «كان الله ولا شيء معه»، وإنه الخالق والمبدع لكل شيء، وذلك من المصنف زيادة إيضاح وإلا فتفاصيل ذلك تعلم مما قدّمه.

(قوله: وإن قلت هو الخ) محصله أنه لا تصح إرادة كون لفظ الهاء والواو الحادثين خبراً عنه تعالى أزلاً وأبداً لعدم صحة ذلك، كما لا يخفى، وأما كون هو من جملة الأسماء التي تسمى بها، فهو واجب لا يصح نفيه، إذ هو من جملة أسمائه تعالى، أو المعنى أن هو لا يصح أن يخبر به عن كنهه تعالى لفساده وبطلانه بدلالة العقل والنقل.

(قوله: فالحروف آياته) أي لأنها من جملة خلقه، أو المراد أنها مادة آياته المنزلة على رسوله ﷺ. **(قوله: ووجوده إثباته)** المراد أن اعتقاد وجوده لا يكفي مجرداً عن تحقيق أدلته، بل لا بد من إقامة الأدلة على ثبوته، ولا بد من العلم بوجوده حتى يتخلص المكلف من ربقة الجهالات، ويبعد عن طرق الهلكات هذا ما ظهر، والله أعلم. **(قوله: أي إقامة الأدلة الخ)** يشير إلى كسر همزة إثبات. **(قوله: ومعرفته توحيده)** أي معرفته بالقدرة، وباقي صفات الكمال ينشأ عن توحيده، أي اعتقاد وحدته تعالى فالمعرفة المعتبرة المخلصة من أسر التقليد غير الكافي التي تكون بعد تحقيق توحيده واعطاء كل ذي حق حقه.

(قوله: وتوحيده تمييزه) أي اعتقاد الوحدة له تعالى ذاتاً وصفة وفعلاً إنما يعتبر بتمييزه تعالى عما يباينه من مخلوقاته، وذلك بشهود نعوت الكمال التي لا تمكن إلاّ له تعالى. **(قوله: ما تصور الخ)** أي وذلك لأن الوهم حصر إذ لا يتخيل، ويتصوّر إلا المحصور، فكل ما يخطر بالخيال والوهم من أحواله تعالى فهو تعالى بخلافه إذ لا قدرة على توهم، وتصور ما له تعالى من الأحوال. **(قوله: كيف يحل به الخ)** غرضه بيان

ما) أي شيء (**هو أنشأه**) منها، وهو تعالى ليس محلا للحوادث (**لا تماقله العيون**) أي لا تراه بالمقلة في جهة لأنه منزه عن الجهات أما رؤيته لا في جهة فجائزة بل واقعة في الدنيا لنبينا ﷺ في ليلة الإسراء، وفي الآخرة لجميع المؤمنين فيرونه فيها بإدراك يخلقه الله لهم يدركون به ما ليس في جهة كما خلق في قلوب العارفين في الدنيا العلم بما ليس في جهة ومن كان في هذه أعمى، فهو في الآخرة أعمى، وقد تعرض المصنف له في الفصل الآتي، وفي باب كرامات الأولياء، والمقلة شحمة العين التي تجمع السواد والبياض (**ولا تقابله الظنون**) والشكوك، والأوهام المفهومات بالأولى أي لا تدركه (**قربه**) من عبده (**كرامته**) له (**وبعده**) عنه (**أهانته**) له لأنه تعالى منزه عن القرب، والبعد في المكان (**علوه**) عليه علو جلالة وعظمة له (**من غير توقل**) أي علو مكان لأنه منزه عنه يقال توقلت الجبل، أي علوته قاله الجوهري (**ومجيئه**) إليه مجيء أمره وفضله، كما في خبر «يتنزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا» أي يتنزل أمره وفضله

استحالة قيام الحوادث بذاته تعالى. (**قوله: ويعود إليه الخ**) أي مع أنه الغني المطلق المفتقر إليه سائر الكائنات. (**قوله: لا تماقله العيون**) احترز به عن شهوده تعالى بالبصائر لمثل أرباب القلوب المقدسة التي أشرق فيها نور اليقين، وفاضت على أرواحها أسرار المقربين الدائمين على امتهان الجوارح في العبادات، حتى زالت عنهم أنواع الكدورات فصفا لهم الحال، وشاهدوا الحق في الخلق رضي الله عنهم ورضوا عنه. (**قوله: أما رؤيته لا في جهة**) أي، وبلا كيف ولا صورة.

(**قوله: بل واقعة**) أي على المعتمد خلافاً لمن أنكر ذلك مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] المجاب عنه بأن المنفي إدراكه على وجه الاحاطة بالكنه فتدبر. (**قوله: ومن كان في هذه أعمى**) أي ومن لم يؤمن في الدنيا بسبب عمى بصيرته، فهو في الآخرة أعمى، أي غير مهتد إلى ما فيه الخير والنعيم، فالمراد عمى البصيرة التي هي عين في القلب يدرك الإنسان بها، كما يدرك المحسوسات بعين رأسه، فمن لم يره في الدنيا بعين بصيرة لا يراه في الآخرة بعين بصره. (**قوله: ولا تقابله الظنون الخ**) أي لا يمكن أن تتعلق به تعلق إدراك لقصور الحادث عن إدراك القديم جل شأنه. (**قوله: قربه كرامته له الخ**) أي إكرامه والإحسان إليه، أو إرادة ذلك ومثله يقال في قوله وبعده عنه الخ فالمراد القرب والبعد المعنويان لاستحالة إرادة حقيقتهما.

(**قوله: علوه عليه**) أي على عبده علو جلالة وعظمة، وعطف العظمة على الجلالة للتفسير، وقوله: من غير توقل لاستحالة لوازم الحادث عليه تعالى. (**قوله: مجيء أمره**) أي أو ملكه، وقوله: كما في خبر: «يتنزل ربنا»، أي فهو من باب مجاز الحذف، وقوله: من غير تنقل أي انتقال إذ الحركة، والسكون من لوازم الحادث. (**قوله: بلا بداية**) أي

(**من غير تنقل**) لذلك (**هو الأوّل**) قبل كل شيء بلا بداية (**والآخر**) بعد كل شيء بلا نهاية (**والظاهر**) بالأدلة عليه (**والباطن**) عن إدراك الحواس (**القريب**) بكرمه (**البعيد**) بإهانته (**الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير**) وتقدّم بيان هذا (**سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر الطوسي السراج**) بفتح السين وتشديد الراء (**يحكي عن يوسف بن الحسين قال: قام رجل بين يدي ذي النون المصري فقال: أخبرني عن التوحيد ما هو فقال: هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، ومنعه للأشياء بلا علاج**) كما مر التصوير (**وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه**) لأنه منزه عن الأغراض كما مر (**وليس في السموات العلا، ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله**) لانفراده بذلك (**وكل ما تصور في وهمك فالله**) تعالى (**بخلاف ذلك**) لما علم مما مر.

(**وقال الجنيد التوحيد علمك**) أي تصديقك (**وإقرارك**) أي نطقك (**بأن الله فرد**

وجوب القدم له تعالى، وقوله: بلا نهاية أي لوجوب البقاء له تعالى كذلك. (**قوله: والظاهر بالأدلة الخ**) أي وهي تعيناته وآثار قدرته المشار إليها بخبر: «كنت كنزاً» الحديث. (**قوله: بلا مزاج**) فيه رد على أهل الضلال، ممن يقول بالتعليل أو بالطبع تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إذ هو الفاعل المختار. (**قوله: بلا علاج**) أي معالجة فلا يفتقر تعالى في إيجاد شيء إلى أسباب، ووسايط كالآلة، بل وجود الأشياء متوقف على مجرد تعلق إرادته وقدرته.

(**قوله: وعلة كل شيء صنعه**) أي وجود الكائنات بأسرها ناشيء عن إيجاده بقدرته العلية فلا فاعل غيره لشيء من الأشياء، ولا تعليل ولا طبع. (**قوله: وليس في السموات الخ**) أي فالمكونات بأسرها وجدت بتدبيره المحكم المتقن على وفق سابق علمه الأزلي، كما أشار إليه العارف الغزالي، حيث قال، ليس في الإمكان ابدع مما كان فافهم. (**قوله: فالله تعالى بخلاف ذلك الخ**) أي لما علم من استحالة تصوره سبحانه، إذ لا يقبل العقل إلا تصور الحادث. (**قوله: لما علم مما مر**) أي من قوله لأنه تعالى لو تصور فيها لدخل التصوير، وقد مر أنه منزه عنه غير أن الأولى أن يقول: لأنه تعالى لو تصور فيها لكان محدوداً محصوراً، وهو محال لأن ما ذكره لا يخلو عن مصادرة. (**قوله: علمك الخ**) قال بعضهم: وهذا من جواهر العلوم التي هي حقائق لا تتبدل، ولا تتغير باختلاف الشرائع، والأمم والأزمنة كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. (**قوله: أي تصديقك**) مراده الجزم والإذعان المطابقان للواقع عن دليل، وقوله: وإقرارك الخ كأنه درج على أن الإقرار شطر من

في أزليته لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله) وهذا لا ينافي ما نقله بعد عن بعضهم من أن التوحيد اليقين، ولا ما قاله قبل من أنه إفراد الموحد إلى آخره، وإن اختلفت العبارات **(وقال أبو عبد الله)** محمد **(بن خفيف: الإيمان تصديق القلوب بما أعلمه الحق)** أي بما جاء به النبي ﷺ عن الحق تعالى **(من الغيوب)** التي أطلعه عليها، وهذا بيان لما قبله **(وقال أبو العباس)** القاسم **(السياري عطاؤه)** تعالى لك **(على نوعين: كرامة واستدراج، فما أبقاه عليك)** لكونك خائفاً من الله تعالى شديد الرغبة في طاعته **(فهو كرامة)** لك **(وما أزاله عنك)** لكونك أعجبت بنفسك ورائيت بفعلك **(فهو استدراج)** لك فالأفعال كلها خيرها وشرها من الله خلافاً للمعتزلة، وإذا أخبرت

الإيمان كما قيل به، والأصح أنه شرط لإجراء الأحكام في الدنيا، ولا تتوقف عليه النجاة في الأخرى.

(قوله: فرد في أزليته) أي متفرد فيها لأنه كان ولا شيء معه، والأزلية ما لا افتتاح له بخلاف ما يزال، فإنه الزمن المتجدد، وقوله: لا ثاني معه الخ أي لا ثاني معه في ألوهيته، فهو إيضاح لقوله فرد في أزليته. **(قوله: ولا شيء يفعل فعله)** أقول كان الأولى في التعبير أن يقول، ولا شيء يفعل غيره لإيهام ما ذكره جواز وقوع فعل من الغير لا يضارع فعله، وهو محال قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. **(قوله: وإن اختلفت العبارات)** أي لأن المدار على صدق المعاني وقربها. **(قوله: بما أعلمه الحق الخ)** محصله أن الإيمان جزم القلوب وإذعانها بما جاء به النبي ﷺ مما سبيله الوحي، وكان قبل البعثة من الغيوب بالنسبة للأمة.

(قوله: تصديق القلوب بما أعلمه الحق الخ) أي جزم القلوب وتصميمها بحقية الذي أعلمه الحق لنبيه من الأحكام والشرائع التي كانت قبل البعثة من الغيوب، أي مما غاب عن الخلق، ولم تعلم إلا بواسطته عليه الصلاة والسلام. **(قوله: وهذا بيان لما قبله)** أي قوله من الغيوب بيان لقوله قبل بما أعلمه الحق. **(قوله: عطاؤه)** أي ما تفضل به عليك من التوفيق، والقيام بأنواع الطاعات منقسم على نوعين باعتبار شهودك فما ابقاه عليك بحفظه إياك من الاعتماد عليها، ورؤيته بالاستناد إليه بدوام خوفك ورجائك، فهو كرامة لك، وما أزاله عنك باغترارك ووقوفك معه، فهو استدراج لك وإهانة. **(قوله: عطاؤه تعالى لك الخ)** محصله الإرشاد إلى عدم رؤية العمل والاغترار به، وذلك لجهل العاقبة، وإن من الإمارات على صحة العمل وقبوله، دوام الخوف مع اللجا إلى الله تعالى، فإن تم هذا للعبد كان العطاء كرامة، وبالضد يعلم حكم ضده فتأمل. **(قوله: فالأفعال كلها)** أي الأفعال الصادرة من جميع الجوارح الظاهرة، والباطنة سواء الحركات والسكنات خيرها وشرها باعتبار نظر الشرع جميعها من الله تعالى أي بشاهد قوله جل

عن نفسك بالإيمان **(فقل أنا مؤمن إن شاء الله)** تعالى كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه نظراً إلى العاقبة المجهولة لا إلى الحالة الراهنة أو إلى كمال الإيمان لا إلى أصله، أو رعاية للأدب بذكر الله تعالى في أموره، أو هضما لنفسك وترك تزكيتها لا شكا في إيمانك فإنه كفر.

(وأبو العباس السياري) هذا كان شيخ وقته، وستأتي ترجمته ومنها قول المصنف هنا **(سمعت الأستاذ أبا علي)** الحسن بن علي **(الدقاق رحمه الله)** تعالى **(يقول عن رجل أبي العباس السياري فقال تغمز رجلاً ما نقلتها قط في معصية الله عز وجل وقال أبو بكر)** محمد بن موسى **(الواسطي من قال أنا مؤمن بالله حقاً قيل له الحقيقة تشير إلى إشراف واطلاع)** على المغيبات **(وإحاطة)** بها **(فمن فقده)** أي ما ذكر من الإشراف وما بعده **(بطل دعواه فيها)** أي في حقيقة الإيمان **(يريد بذلك)** أي بما ذكره من أن الحقيقة تشير إلى آخره **(ما قاله أهل السنة أن المؤمن الحقيقي من كان محكوماً له بالجنة)** أخذا

شأنه: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وقوله عز سلطانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وقوله جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] إلى غير ذلك من الأدلة، وقوله: خلافاً للمعتزلة أي القائلين بأن الأفعال الاختيارية بقدرة العبد، وذلك ضلال. **(قوله: نظراً إلى العاقبة المجهولة الخ)** محصله أن التعليق بالمشيئة لا يضر إذا قصد النظر للعاقبة لجهلها بالنسبة إليه، أو قصد الكمال للإيمان، أو التبري من الحول والقوّة، أو ذكرها أدباً معه تعالى لا إن قصد الحالة الراهنة معتبراً أصل الإيمان لأنه يكون حينئذٍ شاكاً، وذلك كفر. **(قوله: شيخ وقته)** أي المستحق أن يطلق عليه اسم المشيخة، والإرشاد لتفرده بذلك حين ذاك. **(قوله: فقال تغمز رجلاً الخ)** الغرض إما التحدث بالنعمة، أو حمل المريد على دوام الانقياد بزيادة الاعتقاد.

(قوله: الحقيقة تشير الخ) المراد أن الإيمان المجرد عن النظر الصحيح المؤدي إلى التصديق بكل ما جاء به النبي ﷺ، وبما جاء به الأنبياء والمرسلون وبالملائكة واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره منه تعالى لا ينفع لأن صاحبه إما شاك أو منافق وكل من الهالكين. **(قوله: الحقيقة تشير إلى إشراف)** أي تستلزم الاطلاع على ما كان غائباً عن العقل قبل النظر الصحيح، فقوله: بعد واطلاع واحاطة عطف على إشراف للتفسير.

(قوله: فمن فقده الخ) أي فمن لم يحصل له اعتقاد صحيح مستنداً إلى نظر قوي بطلت دعواه بأنه مؤمن بالله حقاً بل هو في هذه الحالة إما شاكٍ أو منافق، وكل منهما من الهالكين. **(قوله: من كان محكوماً له بالجنة)** أي محكوماً له بها بحكم الشرع على لسان سيد الكاملين، وذلك هو التحقق بالاعتقاد المستند إلى البرهان الذي لا يعتوره تردد بتشكيك مشكك، ولا وهم ولا ظن، والحاصل أن مدار صحة هذا القول على قوة اليقين

مما تضمنه قوله ﷺ في الخبر الصحيح «لما سأله جبريل عن الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» **(فمن لم يعلم)** في نفسه **(ذلك من سر حكمة الله تعالى)** بأن نطق بالإيمان بلسانه مع خلو قلبه عن معانيه **(فدعواه بأنه مؤمن حقاً غير صحيح)** وفي نسخة غير صحيحة، بل هو شاك أو منافق، وعليه يحمل قول ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من قال أنا مؤمن حقاً فهو كافر حقاً، أما من علم ذلك فدعواه صحيحة نعم إن قصد رتبة الكمال، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] فهو تزكية للنفس، وعليه يحمل قول سفيان الثوري: قول المؤمن أنا مؤمن حقاً بدعة أما من قال أنا مؤمن في علم الله أو عند الله فظاهر كما نبه عليه السبكي أنه إن قصد الحال أو الماضي لم يتمنع لأن علمه تعالى يتعلق بالواقع كما هو واقع، وإلا امتنع لأنه يجهل خاتمة أمره في علم الله، أو عنده، لكن محله في عند الله إذا أراد به في علم الله فإن أراد به في حكم الله لم يمتنع لأن حكمه تعالى جار عليه كذلك، فإن تغير الحال جرى العبد الحكم المغاير. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا الحسن العنبري يقول سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول: ينظر إليه)** تعالى

بحيث يصير المغيب المخبر بوقوعه كنصب العين، ولذلك أشار بعضهم بقوله: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. **(قوله: من كان محكوماً له بالجنة)** أي بلسان الشريعة المطهرة، والمحكوم له بها من آمن بما يأتي بعده في الخبر.

(قوله: فمن لم يعلم ذلك) أي المذكور في جواب جبريل من الإيمان بالله وملائكته وكتبه بما اشتملت عليه من الأحكام وغيرها، ورسله واليوم الآخر علماً جازماً لا تردد معه مستنداً إلى دليل، فدعواه غير صحيحة إذ النطق باللسان مع خلو القلب عن معاني الإيمان وثبوتها فيه لا يكفي في الخروج من أسر الجهالات والضلالات. **(قوله: وعليه يحمل قول ابن عمر الخ)** أي يحمل على من لا اعتقاد له لخلو ذهنه عن النظر. **(قوله: نعم إن قصد رتبة الكمال الخ)** استدراك على قوله: أما من علم ذلك، فالمراد حينئذٍ أن العالم الجازم إذا قال: أنا مؤمن حقاً وقصد رتبة الكمال كان مزكياً لنفسه مبتدعاً بذلك والله أعلم. **(قوله: بدعة)** أي لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] الآية. **(قوله: فظاهر)** أي إن كان صادقاً فيما أخبر به. **(قوله: وإلا امتنع)** أي وإلا قصد الحال، أو الماضي بأن قصد الاستقبال امتنع لما ذكره الشارح. **(قوله: ينظر إليه تعالى المؤمنون الخ)** قال بعضهم: الإيمان ظاهر عيني يتنزل من أفق يختص برحمته من يشاء، فيسقط على شجرة قلب العبد يترنم له بلحون يبشرهم ربهم، فيطير في قفص صدر صاحبه إلى مقعد صدق الشريعة المحمدية التي هي ثمرة شجرة الوجود، وشمس أضاءت بنورها

(المؤمنون) في الآخرة **(بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية)** وعليه حمل قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي إدراك إحاطة ونهاية لأن ذلك إنما يكون في محدود محصور وهذه صفة الأجسام، وهو تعالى منزه عن ذلك **(وقال أبو الحسن)** في نسخة أبو الحسين **(النوري شاهد الحق)** تعالى **(القلوب فلم ير قلباً أشوق إليه من قلب محمد ﷺ)** بخلقه تعالى ذلك له **(فأكرمه بالمعراج تعجيلاً للرؤية والمكالمة)** له

ظلمة الكون، فاتباعها يعطي سعادة الدارين، فاحذر أن تخرج من دائرته، وإياك أن تفارق إجماع أهل ملته ففي قلب صاحب الشرع بدائع الحكم في أسرار صاحب الناموس الأكبر، وخزائن جواهر الغيب، فقبول أمره يصير القلب مهبط الأملاك، وكلمات أحكامه من ماء غمام أقواله يشرب عطاش الأرواح، وفي عيون حبات ألفاظه يغتسل حصير العقول، فتأمل تفهم والله سبحانه وتعالى أعلم. **(قوله: وعليه حمل قوله تعالى الخ)** أي فالمنفي في الآية إدراك الأبصار مع الإحاطة، والنهاية، فرؤيته تعالى بالإبصار في الدنيا والآخرة على هذا الوجه جائزة وثابتة، فلا وجه لمن نفاها عنه ﷺ ليلة الإسراء مستدلاً بهذه الآية لما علم من تأويلها.

(قوله: شاهد الحق الخ) أي علم وراقب القلوب أي اللطيفة الإنسانية المودعة في الجسم الصنوبري الشكل، وقوله: فلم ير قلباً الخ أي لم يعلم قلباً أشوق إلى محابه ومرضاته من قلب محمد، وذلك لكونه خلقه مقدساً من سائر الحظوظ. **(قوله: شاهد الحق الخ)** أقول ذلك من تجلياته سبحانه وتعالى، ومظهر من مظاهره، وإلا فالمعنى أنه خلق قلب سيدنا محمد ﷺ كذلك كما أشار إليه الشارح حيث قال: بخلقه تعالى ذلك له. **(قوله: فلم ير قلباً الخ)** يشير إلى أنه لما نادى منادي الطلب للأرواح الكامنة في القوالب آثار ساكن غرامها إلى العلا، فطارت بأجنحة الشوق في فضاء المحبة فوقفت بعد التعب على اغصان الهيمان، فتناغت على الأشجار بلابلها بمطربات ألحان الحنين إلى الجمال المقدس، فأقلقهم هبوب نسيم الغرام إلى إعادة لذات ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فخرجت بعض الطيور من أقفاص الصدور تتلمح أثراً من أمطارها القديم، فتنتشق نسمة من مهب التكليم، فسمعت داعي الله تعالى بلسان إنسان عين الوجود فانتقش دعاؤه ﷺ في صفحات الواح الأرواح، فصارت دعوته تهز أغصان أشجار الأشجان القلبية، فاضطربت فرسان العقول في مبادىء الصور غراً بما سمعت، فصار عشقها له سراً من أسرار القدم، وأصبح ولهها به لطفاً من لطائف القدر فافهم. **(قوله: فأكرمه بالمعراج)** أي الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم بالعروج إلى السموات إلى العرش، وما بعده مما علمه الحق سبحانه وتعالى، راجع قصة الإسراء والمعراج. **(قوله: والمكالمة)** أي المكالمة المنزهة عن الحروف والأصوات بدون واسطة من أملاك السموات.

إظهاراً لفضيلته. (**سمعت الإمام أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله يقول: سمعت محمد بن المحبوب خادم أبي عثمان المغربي يقول: قال لي أبو عثمان المغربي يوماً**) على وجه الامتحان لينقطع عني توهم الالتفات إلى الجهات (**يا محمد لو قال لك أحد أين معبودك أيش**) أي أي شيء (**تقول قال: قلت**) له (**أقول حيث لم يزل، قال: فإن قال**) لك (**أين كان في الأزل أيش تقول قال: قلت أقول حيث هو الآن يعني إنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان**) أي فلا حيث أي مكان له، كما لا زمان له لأنه الخالق لكل مكان وزمان (**قال: فارتضى مني ذلك ونزع قميصه وأعطانيه**) شكراً وزيادة في تثبتي. (**وسمعت الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة**) وإنه تعالى على العرش (**فلما قدمت بغداد**) وسمعت كلام المحققين في تنزيهه تعالى (**زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى مكة**) أي إلى أصحابنا بها، وفي نسخة فكتبت إلى أصحابنا بمكة ممن كان يعتقد مذهبي ويعمل به (**إني أسلمت الآن إسلاماً جديداً**) حيث عرفت الحق واتبعته. (**سمعت محمد بن الحسين السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان**

(**قوله: حيث لم يزل**) أي على الحالة والصفة اللائقين به فيما لا يزال من الزمن المتجدد، وقوله: أين كان في الأزل أي على أي صفة كونه في القدم الذي لا افتتاح له.
(**قوله: وزيادة في تثبتي**) أي فإيثاره بذلك شكراً له تعالى، ومحبة منه في زيادة تثبته.
(**قوله: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة**) أي كنت أميل إلى القول بالجهة له تعالى تبعاً للجهوية قبحهم الله تعالى، وقوله: وسمعت كلام المحققين أي ما أوردوه من الأدلة والبراهين الدالة على تنزيهه تعالى عن الجهة، وقوله: حيث عرفت الحق أي حيث رجعت للحق، واتبعته بعد غفلتي عنه.

(**قوله: كنت أعتقد شيئاً الخ**) اعلم يا أخي أن علائق زهرة الدنيا حجاب يمنع من الوصول إلى ملكوت العلى، فلو بلغ طفل عقلك الأسد في حجر التأديب ما التفت لكن هو بعد في مهد شغلتنا أموالنا، وأهلونا فافتح يا غلام عين عقلك لتلقي أسرار عرائس الأزل، وانتشق بمشام روحك هبوب نسيم لطائف القدر، واعلم أن الله تعالى وضع تماثيل الوجود على ساحل بحر الدنيا لامتحان عيون أهل البصيرة، فسلم من الالتفات إلى زخرفها أطفال أرواح اقيمت في مهود النبات، وربيت في حجر العظمة، وارخيت عليها اكناف آيات الأمر، وكوشفت بمنجئات لطائف القدر وجليت عليها عرائس الغيب، فسبحان اللطيف الخبير، ثم أقول: ذلك غير بعيد لأنه إذا أشرقت على النفوس أنوار الغيب حفظت الأسرار، وإذا ارتفعت الحجب عن عيون بصائرها لاحظت جمال صاحب الكون، فشاهدته بصفاء مرايا الأسرار، فكعبة كل عارف موضع نظرات الحق منه، وأقرب

المغربي يقول وقد سئل عن الخلق فقال) هم (قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة) القديمة وهي صفة تؤثر في الشيء عند تعلقها به فهم وأفعالهم كلها مخلوقة لله تعالى خلافاً للقدرية ولا حاجة لقوله فقال (وقال الواسطي: لما كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله وظهرتا به) الأنسب بما يأتي قامت وظهرت أي وجدت بقدرته تعالى (لا بذواتها كذلك قامت) أي: وجدت (الخطرات والحركات بالله) تعالى (لا بذواتها إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح) لأن الحركات تابعة للأجساد والخواطر للأرواح (صرح بهذا الكلام) ليفيد (أن أكساب العباد) كلها (مخلوقة لله) تعالى خلافاً لمن زعم أن الخطرات والأرواح قديمة (وكما أنه لا خالق للجواهر) الشاملة للأجسام (إلا الله فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله) فجميع الجواهر

الطرق إلى الله تعالى لزوم قانون العبودية والاستمساك بعروة الشريعة المحمدية، والاستقامة على جادة الطريقة الأحمدية، والله أعلم. (قوله: فقال هم قوالب وأشباح الخ) أي أجسام وصور ورسوم تجري عليهم أحكام القدرة لكونهم في قبضتها، فالكيسُ من لم ينظر إليهم بعين الاعتماد في شيء من الأشياء، حيث هم مثله في العجز، والافتقار فعليه أن لا يعتمد إلاّ على من بيده النفع والضر. (قوله: تجري عليهم أحكام القدرة) المراد أنهم باعتبار حقيقتهم محل لتصاريف أحكام قدرته تعالى لا يملكون نفعاً ولا ضراً لأنفسهم ولا لغيرهم.

(قوله: وهي صفة تؤثر الخ) أي بالقوّة أو بالفعل حيث لها تعلقان صلاحي قديم وتنجيزي حادث كما هو معلوم. (قوله: خلافاً للقدرية) أي ممن يقول بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية. (قوله: لما كانت الأرواح الخ) اعلم أن الأرواح من عالم الأمر والمجردات، والأجساد من عالم الخلق والمركبات، والكل من آثار القدرة العلية، وكذا لوازمهما من الحركات والخطرات إذ ما ثبت للملزوم يثبت للازم ضرورة، فحيث ثبت الحدوث للارواح والأجساد، فكذا هو ثابت للحركات والخطرات قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. (قوله: قامت الخطرات والحركات) الخطرات ما يخطر للنفس، والقوى الباطنة لا عن الجوارح الظاهرة إذ الذي يخطر بالنسبة لها الحركات والسكنات لا غير. (قوله: فروع الأجساد والأرواح) أي تتفرع عنها، وتتحقق بواسطتها أي، وما ثبت للأصل من كونه أثر القدرة الإلهية يثبت للفرع بالضرورة. (قوله: إن اكساب العباد كلها) أي أفعالهم البدنية والقلبية جميعها مخلوقة لله تعالى بضرورة حدوث ملزومها.

(قوله: خلافاً لمن زعم الخ) أقول هو مذهب باطل وضلال بين، كما يتضح ذلك لمن علم عموم تعلق القدرة الباهرة لجميع ما سواه تعالى. (قوله: الشاملة للأجسام) أي فالجوهر أعم من الجسم لشموله المركب وغيره بخلاف الجسم، فإنه خاص بالمركب. (قوله: لأنها أقسام العالم) أي الذي هو اسم لكل ما سواه تعالى من الحوادث. (قوله: إذ هو

والأعراض حادثة لأنها أقسام العالم إذ هو إما قائم بنفسه أو بغيره، والثاني العرض والأول ويسمى بالعين وهو محل الثاني المقوم له إما مركب وهو الجسم أو غير مركب وهو الجوهر الفرد. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: من ظن أنه يبذل الجهد**) بفتح الجيم وضمها أي: في الأوامر والنواهي (**يصل إلى مطلوبه فتعن**) أي: يتعب نفسه ولا يصل إليه بذلك (**ومن ظن أنه بغير**) بذل (**الجهد يصل**) إليه (**فتمن**) وصوله بغير اجتهاد ومغتر بعفو الله فعلى العبد أن يجتهد ويتكل على فضله قال ﷺ «احرص على ما ينفعك واستعن بالله»[1] (**وقال الواسطي: المقامات**) المطلوبة (**أقسام قسمت ونعوت أجريت كيف تستجلب**

الخ) علة للعلة التي هي قوله: لأنها أقسام العالم، وقوله: إما قائم بنفسه أي كالأجسام والجواهر، أو بغيره أي كالعرض اللازم لها فتبين انحصارها في العالم الثابت حدوثه. (**قوله: من ظنّ أنه يبذل الجهد الخ**) محصله أن الوصول بمعنى القرب من رحمته سبحانه وتعالى لا يلزم ترتبه على العمل بل الاعتبار بما سبق به القضاء الأزلي، مما لا اطلاع لنا عليه، وحينئذٍ فلا يصح الاعتماد على خير العمل، ولا القنوط من شره لجهل المقدر فعلى العبد الامتثال مع التفويض إليه تعالى، وغاية الأمر أن الاستقامة على الأعمال الخيرية علامة على حسن العاقبة، فنسأل الله سبحانه وتعالى حسنها من فضله وكرمه.

(**قوله: متعب نفسه**) أي محصل لها التعب بلا فائدة بتعب تضييع ثمرات أعماله بواسطة ركوبه إليها، واعتماده عليها إذ الوصول بها فرع قبولها منه، وأنى يكون له علم ذلك. (**قوله: فتمن**) أي فنعته التمني المجرد عن العمل بما طلب منه، أو نهي عنه، وذلك منشؤه غرور النفس بوساوس الشيطان، والله وحده ولي الفضل والإحسان. (**قوله: المقامات المطلوبة**) والمقامات جمع مقام، وهو طريق ثبت صاحبه عليه من الطرق الموصلة إليه تعالى كالزهد والورع، وقوله: المطلوبة أي المقصود حصولها بهمة السائر إلى الله. (**قوله: أقسام قسمت الخ**) هو كالتوضيح لما قبله أي ويدل لذلك خبر: «كل ميسر لما خلق له فللهِ الأمر من قبل ومن بعد» فافهم. (**قوله: أقسام قسمت**) أي قدرت بتقدير الفاعل الحق، وقوله: ونعوت أي صفات خيرية وضدها اجريت أي أجراها الله تعالى في خلقه حيث هم في قبضة قدرته، وتصريف أحكامه، وإذا تبين هذا فكيف يستجلب الخ فالاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي فلا تستجلب بذلك.

(**قوله: كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعايات**) أي لا يمكن جلب الحركات والسعايات الموصلة إلى الدرجات العلية، حيث أمر ذلك مرجعه للقسمة الأزلية، وهي

---

(١) أخرجه ابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٣٦٩).

بحركات أو تنال بسعايات) على ما زعمه القدرية فالحركات والسعايات في الطاعة جعلها الله شروط الفلاح، فالفلاح مشروط في الأزل بجريانها وحاصل بقدر الله لا بفعل العبد، وفي ذلك إثبات الكسب والتبري من الحول والقوة فالعبد لا يترك العمل ولا يتكل عليه فلا يكن ممن كذب بالقضاء وصدق بالأمر والنهي فيكون من جنس المجوس، ولا ممن آمن بهما لكن قصر في الأمر والنهي فيكون من جنس المشركين الذين قالوا: لو شاء الله ما أشركنا، فكلا الفريقين ضال والثاني أضل من الأوّل. **(وسئل الواسطي عن الكفر)** هل هو **(بالله أو لله)** أو من الله أو إلى الله **(فقال: الكفر والإيمان والدنيا والآخرة)** الجامعتان لسائر المخلوقات **(من الله وإلى الله وبالله ولله)** لأنها **(من الله ابتداء وإنشاء)** أي إيجاداً **(وإلى الله مرجعا وانتهاء)** للسؤال يوم القيامة **(وبالله بقاء وفناء)** فلا تأثير للعبد في شيء منها **(ولله ملكاً وخلقاً)** فهو الخالق لأفعال العبد كلها للنصوص الواردة فيه كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:

مما ليس للعبد إليه سبيل، وحاصل الغرض أن اللازم في حق العبيد القيام بمقتضى الأمر، والنهي مع تفويض القبول وعدمه إليه تعالى حتى يدوم لهم الخوف والرجاء اللذان بهما تتحقق لهم العبودية والله أعلم. **(قوله: على ما زعمه القدرية)** أي ممن قال أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية. **(قوله: شروط الفلاح)** أي، فإن وجدت وجد الفلاح، وإلا فلا يلزم وجود ولا عدم. **(قوله: شروط الفلاح)** أي أسبابه الشرعية من الذي ثبت عن خير البرية، وهو لا يمكن تخلفه شرعاً. **(قوله: وحاصل بقدر الله)** أي بتقديره، وقوله: لا بفعل العبد أي بالنظر للحقيقة ونفس الأمر. **(قوله: وفي ذلك إثبات الكسب)** أي خلافاً لأهل الضلال من الجبرية قبحهم الله تعالى، ومحصل ذلك أن الفلاح ودليله من الحركات والسعايات الثابتة للخلق ظاهراً مقدر أزلاً، فالله تعالى هو الخالق للدليل وللمدلول، وحيث كان كذلك فادراك تحقق الكسب من العبد عسر جداً، فسبحان من لا يسأل عما يفعل. **(قوله: فلا يكن ممن كذب بالقضاء)** أي والقدر هو مرتب على قوله: ولا يتكل عليه، وقوله: ولا ممن آمن بهما الخ مرتب على قوله: لا يترك العمل. **(قوله: عن الكفر)** أي والفسوق والعصيان، فالاقتصار على الكفر لكونه أغلظ إثماً. **(قوله: هل هو بالله الخ)** ظاهر حال السائل يقتضي أن استفهامه تقريري مراده به حمل المخاطب على ما أجابه به لما ثبت عنده من عموم تعلق قدرته تعالى بسائر الكائنات خيرها وشرها لغرض الرد على المخالف صريحاً من مثل المسؤول. **(قوله: فقال الكفر والإيمان إلى آخره)** غرضه رضي الله عنه الرد على المعتزلة القائلين أن الشرور والقبائح غير مخلوقة لله تعالى، فأفاد أن جميع الكائنات خيرها وشرها بالله الخ، وإن الثواب والعقاب بالفضل والعدل لا يسأل عما يفعل، وقوله: أي ممكن أي لأن القدرة لا تتعلق إلا به.

٩٦] وقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] أي ممكن بدلالة العقل فبطل قول المعتزلة أن بعض أفعال العبد كالكفر والشر خارج عن قدرته تعالى. **(وقال الجنيد سئل بعض العلماء عن التوحيد فقال: هو اليقين فقال)** له **(السائل بين لي ما هو)** اليقين أو ما هو التوحيد لأني ما عرفت تفسيره باليقين **(فقال: هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل وحده لا شريك له فإذا فعلت)** أي: عرفت **(ذلك فقد وحدته)** وحقيقته أن توقن بأن الله واحد لا شريك له ذاتا ولا صفة ولا فعلاً.

(سمعت محمد بن الحسين) السلمي **(رحمه الله يقول: سمعت عبد الواحد بن علي يقول: سمعت القاسم بن القاسم يقول: سمعت محمد بن موسى الواسطي يقول: سمعت محمد بن الحسين الجوهري يقول: سمعت ذا النون المصري و)** قد **(جاء رجل فقال)** له **(ادع الله لي فقال: إن كنت قد أيدت في علم الغيب)** أي: علم الله **(بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى)** كان الشيخ غلب عليه في هذا الوقت النظر في السوابق فكلم السائل بما غلب بحلفهم عليه مع معرفته أن الدعاء مطلوب لا سيما ممن يظن به الخير وترجى بركة دعائه ويحتمل أن يكون السائل ممن يميل إلى القدر ويبني على الأسباب، فأجابه الشيخ بأنك إن كنت من المخصوصين في علم الله تعالى بدرجة الموحدين فكم من دعوة مجابة لك من الأنبياء والأولياء الذين يدعون لكل مؤمن ومؤمنة فأراد أن يحضه

(قوله: فقال هو اليقين) أي جزم القلب وإذعانه بما يجب له سبحانه وتعالى، وما يجوز وما يستحيل عن دليل وبرهان. **(قوله: ما هو اليقين أو ما هو التوحيد)** الترديد لعدم تعيين المستفهم عنه في مراد السائل. **(قوله: فقال هو معرفتك إن حركات الخلق الخ)** أي اعتقادك أن جميع ما يصدر منهم من خير أو شر فعل الله وحده في الحقيقة، وإن نسب إليهم بحكم الشريعة. **(قوله: إن كنت قد أيدت الخ)** محصله كما أشار إليه الشارح نفعنا الله ببركاته أن عدم إجابة السائل بالدعاء له لاستغراق المسؤول ذلك الحين في مشهد السوابق واصطلامه فيها، فلم يسع غير ذلك أو لحمل السائل على الترقي إلى مقامات المقربين من خاصة عباد الله المتقين، وإلا فالدعاء قد تعبدنا به فنثاب عليه ونجاب فيما سألناه، وإن كانت الإجابة على حسب القسمة الأزلية والحكمة العلية فافهم.

(قوله: فإن النداء لا ينقذ الغرقى) أي، وإن لم تكن مؤيداً في علم الغيب فمجرد الدعاء لا ينتج حصول المطلوب بعينه كمجرد نداء الغريق بدون الأسباب لإخراجه من الغرق. **(قوله: النظر في السوابق)** أي من حيث أنها المعتبرة والمعوّل عليها في الحقيقة، وذلك منه لا ينافي أن الدعاء مطلوب وينفع، ولا سيما ممن ترجى بركته كما ذكره الشارح. **(قوله: ممن يميل إلى القدر)** أي إلى حكمه، وقوله: ويبني على الأسباب أي

على معرفته تعالى وتحصيل درجة الموحدين **(وقال الواسطي)** في مقام الذم لمذهب القدرية **(ادعى فرعون الربوبية على الكشف)** أي: الصريح حيث قال أنا ربكم الأعلى.

(وادعت المعتزلة) القدرية ذلك **(على الستر)** لأنها **(تقول ما شئت فعلت)** فادعت الربوبية بأفعالها، وذلك ممتنع فإنه لا يفعل ما يشاء إلا الله، ولهذا قيل القدرية مجوس هذه الأمة لأنهم لا يرجعون إلى دين، لكن لا يحكم بكفرهم عند المحققين لأنهم لم يثبتوا شريكاً في الألوهية بمعنى وجوب الوجود كالمجوس، ولا بمعنى استحقاق العبادة كعبدة الأوثان بل لا يجعلون خالقية العبد كخالقية الله تعالى لافتقاره إلى الأسباب، والآلات التي هي بخلق الله تعالى إلا أن بعضهم بالغ في تضليلهم في ذلك حتى قال: إن المجوس أسعد حالاً منهم حيث لم يثبتوا إلا شريكاً واحداً، وهم أثبتوا شركاء لا تحصى **(وقال أبو الحسن النوري: التوحيد كل خاطر يشير)** أي إشارة كل خاطر أي توجهه **(إلى الله تعالى)** بقول أو عمل **(بعد أن لا تزاحمه خواطر التشبيه)** فالتوحيد كما يقال: على علم الموحد، وعلى إقراره بالوحدانية كما مر يقال على إفراده الحق بكل ما هو فيه، وهذا توحيد الصوفية وربما تبرأوا من إضافته إلى كسبهم وبهذا الاعتبار قال: كل خاطر إلى آخره، وقريب من هذا ما ذكره في قوله **(وأخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت هلال بن أحمد يقول سئل أبو علي الروذباري عن**

يعتمدها بظاهر الحال. **(قوله: ادعى فرعون الخ)** يريد أن مآل ما ذهبت إليه المعتزلة حيث قالوا: بخلقهم أفعالهم الاختيارية إلى مذهب فرعون غير أن ذلك لازم لمذهبهم، وعين مذهب فرعون، ومن أجل ذلك كان كفره متفقاً عليه بخلافهم والله أعلم. **(قوله: وادعت المعتزلة القدرية ذلك)** أي ادعت الربوبية على الستر أي متسترين، حيث اثبتوا في الفعل شريكاً معه تعالى على ما لزم مذهبهم قبحهم الله تعالى. **(قوله: وذلك ممتنع)** أي وجود فعل لغيره تعالى غير جائز عقلاً.

(قوله: مجوس هذه الأمة الخ) القصد من ذلك الزجر عن مثل ما ذهبوا إليه، وإلا فهم مؤمنون ناجون على الأصح. **(قوله: حتى قال الخ)** أقول فيه مبالغة وإلا فشتان بين كافر وفاسق. **(قوله: كل خاطر يشير إلى الله الخ)** أقول مثله حال من يشهد الحق في الخلق، فيفني عن الكائنات حتى عن نفسه، فيتبرأ من أكسابه وحوله وقوته، وهو مقام رفيع نسأل الله التوفيق. **(قوله: كما يقال الخ)** محصله أن التوحيد يطلق على معانٍ ثلاثة علم الموحد واقراره بالوحدانية، وإفراده الحق بكل ما هو فيه والأخير هو نعت الصوفية وحالهم. **(قوله: بكل ما هو فيه)** أي فهو يرى حركاته وسكناته المتعلقة بجوارحه الظاهرة

التوحيد فقال: التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه والتوحيد) بالرفع، وفي نسخة فالتوحيد **(في كلمة واحدة)** وهي **(كل ما صوره الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه لقوله)** تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) كما مر.

(وقال أبو القاسم النصر أباذي: الجنة باقية بإبقائه) تعالى **(وذكره لك ورحمته ومحبته لك)** أي كل منها **(باق ببقائه)** تعالى **(فشتان بين ما هو باق ببقائه وبين ما هو باق بإبقائه)** فإن الأوّل غير مخلوق بخلاف الثاني كما بينه بقوله **(وهذا الذي قاله الشيخ أبو القاسم النصر أباذي هو غاية التحقيق فإن أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه باقيات)** وفي نسخة باقية **(ببقائه تعالى فنبه)** الشيخ النصر أباذي **(على هذه المسألة وبين أن الباقي باق ببقائه)** تعالى فهو قديم **(بخلاف ما قاله مخالفو أهل الحق)** من أنه لا يبقى شيء ببقائه لئلا يلزم تعدد القدماء قال أهل الحق لا استحالة في تعدد صفات قديمة إنما المستحيل تعدد ذوات قديمة، والغرض مما قاله الشيخ أنه ينبغي للعبد أن يكون مشتغلاً بنيل ذكر الله له ومحبته له، وشرف منزلته عنده دون ما يخلقه له من كرامة ونيل درجات دنيوية أو أخروية كالجنة فشتان بين من علق قلبه بصفاته تعالى، ومن علق قلبه بأفعاله فأراد الشيخ نقله من الوقوف على الأفعال إلى كمال الذات والصفات. **(أخبرنا محمد بن الحسين قال: سمعت النصر أباذي يقول)**

والباطنة به تعالى بل يراها منه فناء في أفعاله تعالى. **(قوله: استقامة القلب الخ)** أي وهي لا تكون إلا ممن شهد حضرة واحديته تعالى التي هي منشأ الوجود العيني البديع المثال فافهم. **(قوله: والتوحيد في كلمة واحدة)** مراده أن ما تضمنته هذه الجملة يفيد التوحيد الإجمالي، فالكلمة يريد بها الجملة مبالغة في القلة مع عظيم الفائدة.

(قوله: الجنة باقية بإبقائه تعالى الخ) محصله الفرق بين نفيسين، والحمل على الأنفس منهما ببيان أن الجنة، وما أعده الله فيها للمؤمنين مما يبقى بإبقاء الله تعالى إياه ومحبة الله وذكره لعبده من الذي يبقى ببقاء الذات، فالثاني أفضل وأشرف من الأوّل فعلى ذي الهمة العالية أن يجتهد في تحصيل الأشرف له، ولذلك الإشارة بقول بعضهم:

عبدوك خوفاً من لظى عبدوا لظى لا ربنا

فافهم. **(قوله: من أنه لا يبقى شيء ببقائه)** أي وبنوا على ذلك قولهم: بتعطيل الذات عن الصفات فراراً من تعدد القدماء، وذلك بسبب جهلهم أن الذي يضر في العقيدة تعدد القدماء من الذوات أما اعتقاد ذات قديمة مع صفات لها قديمة، فلا يضر بل هو الواجب في الاعتقاد كما أشار الشارح. **(قوله: فشتان بين من علق قلبه بصفاته تعالى)** أي بون بعيد بين من علق قلبه بصفاته تعالى، وبين من علقه بآثارها فمراد الشارح بقوله: ومن علق قلبه بأفعاله أي بآثارها.

مخاطباً الخطاب العام (**أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات و**) مع ذلك (**كلاهما صفته تعالى على الحقيقة فإذا هيمك**) أي: فرق قلبك (**في مقام التفرقة قرنك بصفات فعله وإذا بلغك إلى مقام الجمع قرنك بصفات ذاته**) فإذا ذكرت الله تعالى بصفات ذاته فقد قرنك بها أي: جمع قلبك عليها وإذا ذكرته بصفات فعله فقد قرنك بها، وهي متسعة فيعد قلبك بالفكرة فيها عن الفكرة في الذات وصفاتها وكل من القسمين فضل من الله عليك لكن فرق بين مجموع القلب مع الحق، ومفرق البال في تفاصيل الخلق وتحرير ذلك أن صفات الذات كالعلم والقدرة قديمة عند أهل الحق وصفات الفعل كالتخليق والترزيق إضافات واعتبارات عقلية عند المحققين مثل كونه تعالى قبل كل شيء ومعه وبعده ومعبوداً لنا ومميتاً ومحيياً لكن مبدؤها من القدرة والإرادة قديم، فهي قديمة بهذا الاعتبار ومن قال: إنها حادثة مطلقاً يلزمه قيام الحوادث بذات الله تعالى وهو ممتنع. (**وأبو القاسم النصر أباذي كان شيخ وقته**)

(**قوله: أنت متردد الخ**) مراده رضي الله عنه أن العبد يدور أمره على كونه، إما أن يشاهد مظاهر الأفعال الإلهية تارة، وإما أن يشاهد مجالي الصفات السنية الذاتية فيهيم في هذا أو ذاك، فصاحب سابقة العناية يثبت له المشهد الثاني، ويترقى منه إلى مقام الجمع بالفناء عما سوى مشهوده، وصاحب المقام الأوّل يكون في حال التفرقة، وربما اتسع عليه بكثرة الكائنات فيتفرق باله وشتان بين من جمع وقرن بالصفات، ومن تفرق وتشتت بتغيرات الكائنات فتدبر. (**قوله: متردد بين الخ**) أي وذلك التردد بتصريفه تعالى، فمن أكرمه من خلقه أقامه في مشهد الصفات الذاتية له تعالى، ويرقيه منها إلى الفناء والجمع، فيرى الحق قبل كل شيء ومعه وبعده، ومن كان اكرامه دون الأوّل يقيمه في مشهد أفعاله ويهيمه بها، ويرقيه إلى أن يشهد الخلق بالحق فلكل وجهة هو موليها وسريرة أنار الحق صافيها والله أعلم.

(**قوله: بين صفات الفعل وصفات الذات**) أقول والفرق بينهما أن صفات الذات القديمة عند الأشاعرة ما قام بالذات، أو اشتق من معنى قائم بها كالعلم وعالم وصفات الأفعال الحادثة عندهم، ما اشتق من معنى خارج عن الذات كخالق ورازق. (**قوله: فإذا ذكرت الله الخ**) المراد توضيح قوله قبل كنت متردداً الخ أي، فمن تجلى الحق له بصفاته الذاتية، فقد ثبت له مقام الجمع عليها، ومن تجلى له بصفات فعله فقد تفرق في ميادين سعتها، وهام في محاسن صورها ورسومها، ولا يخفى الشهود مع كثرة الوسايط، ومع قلتها فافهم. (**قوله: لكن فرق الخ**) أي ويوضح الفرق قلة الوسايط وكثرتها. (**قوله: إضافات واعتبارات عقلية**) أي ولا مانع من قيام الإضافات والاعتبارات بالذات العلية، إذ لا وجود لها في خارج الأعيان. (**قوله: مطلقاً**) أي سواء اعتبر مبدؤها أو لم يعتبر، فهي

وستأتي ترجمته ومنها قول المصنف هنا (**سمعت الإمام أبا إسحاق الإسفرايني رحمه الله يقول: لما قدمت**) إلى نيسابور (**من بغداد**) بدالين مهملتين وبمهملة ثم معجمة على الأشهر (**كنت أدرس في جامع نيسابور مسألة الروح**) وهي النفس (**وأشرح القول في أنها مخلوقة وكان أبو القاسم النصر أباذي قاعداً متباعداً عنا يصغي إلى كلامي فاجتاز بنا بعد ذلك يوماً**) متراخياً عن ذلك (**بأيام التوراة قلاثل فقال لمحمد الفراء اشهد**) عليّ (**أني أسلمت**) إسلاماً (**جديداً على يدي هذا الرجل وأشار إليّ**) لأنه كان يعتقد قدم الروح فلما سمع منه أدلة حدوثها صرح بذلك والروح لم يتكلم عليها النبي ﷺ لما سئل عنها لعدم نزول الوحي ببيانها، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] فتمسك عنها ولا تعبر عنها بأكثر من موجود مخلوق كما قاله جماعة.

والخائضون فيها اختلفوا فقال جمهور المتكلمين: إنها جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك ماء العود الأخضر به، وقال كثير منهم: إنها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حياً، واحتج للأوّل بوصفها في الأخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ، وقال الفلاسفة وكثير من الصوفية إنها ليست بجسم ولا عرض، وإنما هي جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه (**سمعت محمد بن الحسين السلمي يقول سمعت أبا الحسين الفارسي**

حادثة عنده. (**قوله: مسألة الروح الخ**) أي كان يبين حدوثها ويكشفه بإيضاح البراهين الدالة على ذلك، واعلم أنها من المجردات، ومن عالم الأمر وهل هي النفس أو غيرها، والحق أن الاختلاف بالاعتبارات والأحوال فافهم. (**قوله: والروح لم يتكلم عليها الخ**) أقول لعل عدم الكلام عليها لكونه من أدلة نبوته، كما ثبت ذلك في التوراة، وإلا فهو ﷺ لم يخرج من الدنيا إلا بعد أن أعلمه الله تعالى ما كان وما يكون على حسب قابليته، فتدبره تجده أليق مما ذكره الشارح نفعنا الله بعلومه. (**قوله: جسم لطيف**) أي جسم من المجردات، ومن عالم الأمر غير محتاج في وجوده إلى مادة ولا إلى مدة(**قوله: وقال كثير منهم أنها عرض**) أقول وعليه، فكيف الحال بعد مفارقتها البدن والعرض لا يقوم بنفسه.

(**قوله: بالهبوط الخ**) أي مما هو من عوارض الأجسام. (**قوله: غير داخل فيه الخ**) أقول كون الشيء غير داخل، وغير خارج غير بعيد بالنسبة لمقدور الله سبحانه وتعالى، وإن كان بعيداً بالنسبة للمألوف في الخارج. (**قوله: يقول متى يتصل الخ**) مراده رضي الله عنه أن معنى الوصول إليه سبحانه وتعالى غير ما عهد لنا بل هو كناية عن قوّة الإيمان ورسوخ اليقين بمشاهدة ومراقبة رب العالمين فتدبر. (**قوله: هيهات أي بعد**) يعني استحال، وإنما قال: بعد لأنه معنى هيهات.

يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير) حتى يقال: فلان وصل إلى الله ويراد به الوصول بالحمى والقرب المعهودين (هيهات) أي: بعد ذلك (هذا ظن عجيب إلا) أي: لكن الاتصال به إنما هو (بما لطف اللطيف) أي: بلطفه (من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان) أي: بل بالإشارة إلى ذلك يعني بكمال اليقين ومعرفة الله تعالى ودوام الذكر له وقلة الغفلة. (وأخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول حدثني أحمد بن محمد بن علي البرذعي قال: حدثنا طاهر بن إسماعيل الرازي قال: قيل ليحيى بن معاذ أخبرني عن الله عز وجل فقال) هو (إله واحد فقيل له كيف هو فقال) هو (ملك قادر فقيل) له (أين هو فقال) هو (بالمرصاد) يرصد أعمال عباده لا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها (فقال) له (السائل لم أسألك عن هذا فقال) له كل (ما كان غير هذا) الذي أخبرتك به مما هو ظاهر سؤالك من الماهية والكيفية والمكان المنزه عنه تعالى (كان صفة المخلوق فأما صفته) تعالى (فما أخبرتك عنه) ومثل ذلك ما صدر من فرعون لموسى لما سأله عن الماهية بقوله وما رب العالمين فأجابه بأفعاله الدالة عليه، وإلى ذلك يرجع ما ذكره بقوله. (وأخبرنا محمد بن الحسين قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول:

(قوله: بما لطف اللطيف) محصله أن الوصول الممكن للعبد هو شموله بالعناية الإلهية، والالطاف الخفية، حتى يتخلى عن المشغلات، ويتحلى بالطاعات، فيصل بذلك إلى درجة الهبات والإحسانات. (قوله: بما لطف اللطيف الخ) أفاد بذلك أن سبب الوصول إليه سبحانه لطفه، بما وفق عبده للقيام به من التخلي عن المشغلات مع دوام المراقبات في جميع الحركات والسكنات. (قوله: اخبرني عن الله) أي عن حقيقته بالكنه، وقوله: كيف هو يعني بيان كيفيته وحالته، وقوله: أين هو يقصد بيان مكانه تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً، وقوله: في الجواب إله واحد أي هو الموجد للعالم المنفرد في ذاته، وفي صفاته، وفي افعاله لا شريك له في الملك، وقوله: ملك قادر، أي هو المتصرف في جميع الكائنات القادر على إيجادها وعلى إعدامها بقدرته الباهرة، وقوله: بالمرصاد أي هو المراقب لأعمال العباد المحصي لها لا يفوته شيء منها.

(قوله: فقال هو إله واحد الخ) فيه إشارة إلى أنه لا يسلك السائل في سؤاله عنه تعالى إلا طريق الأدب، فلا يسأل عن الحقيقة والكنه بل إنما يسأل عن الصفة والفعل، كما أفاده خبر «لا تفكروا في ذات الله» الحديث، ولذلك أجابه بما له من الصفات. (قوله: بأفعاله الدالة عليه الخ) أي حيث قال في الجواب ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية. (قوله: فقال له مع في ذلك) أي في هذا المقام يتعين حملها على معنيين لاستحالة ما

سمعت أبا علي الروذباري يقول كل ما توهمه متوهم) أي: تخيله (بالجهل أنه) تعالى (كذلك فالعقل يدل على أنه بخلافه) إذ المتوهم الجاهل إنما يتوهم الأجسام (وسأل) أبو إسحاق إبراهيم (بن شاهين الجنيد عن معنى مع) فيما فيه المعية من الله بالنسبة إلى خلقه نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [النحل: ١٢٨] (فقال) له (مع) في ذلك (على معنيين) أحدهما النصرة والآخر العلم لأنه تعالى (مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة) بكسر الكاف وبالمد أي: الحفظ (قال الله تعالى) لموسى وهارون (﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ومع العامة بالعلم والإحاطة) قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ﴾ [المجادلة: ٧] أي: جماعة يتناجون (ثلاثة إلا هو رابعهم) ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم (فقال) له (أين شاهين مثلك يصلح أن يكون دالاً للأمة على الله) تعالى فالمعية فيما ذكر لا تكون بمعنى المجاورة ولا المقارنة ولا المداناة.

(وسئل ذو النون المصري عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال أثبت ذاته) بدلالة قوله الرحمن (ونفى مكانه) بدلالة العقل لأنه ثابت قبل العرش وغيره من سائر الخلق (فهو موجود بذاته) غير مفتقر إلى غيره (والأشياء) المخلوقة (موجودة بحكمه كما شاء سبحانه) فهي مفتقرة إليه وللفظ استوى محامل جلس واعتدل واستولى وعلا مكاناً أو رتبة وقصد كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٣] أي: قصد إلى فعل أمر فيها فالأولان والرابع بمعنى علو المكان محالات في حقه تعالى بخلاف ما عداها والعرش لغة سرير الملك والسقف (وسئل الشبلي عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال الرحمن لم يزل) أي قديم (والعرش محدث والعرش بالرحمن) أي بقدرته (استوى) فهو تعالى مستغن عنه وعن غيره وإنما خلقه إظهاراً لعظمته لا مكاناً لذاته لتعاليه عن ذلك، وفي تفسير

يتخيل من معنى المصاحبة. (قوله: فقال اثبت ذاته الخ) محصل ذلك أن المعهود من معنى الاستواء المألوف، فهو محال في حقه تعالى لأنه تعالى الخالق، والموجد لجميع الكائنات من عرش وغيره فقد كان تعالى، ولا شيء معه فحينئذٍ استوى في حقه تعالى معناه قصد أو استولى أو علا علو مكانة لا مكان تعالى ربنا علواً كبيراً. (قوله: وللفظ استوى محامل) أي معانٍ يحمل عليها منها ما يليق به تعالى، ومنها ما لا يليق بادلة العقل فيجب حمله على المعنى اللائق به سبحانه وتعالى.

(قوله: فقال الرحمن لم يزل الخ) أقول هو قريب في المعنى مما قبله، وقال بعضهم: مستوى العرش، والبيت المقدس، والبيت المحرم، إنما هو قلب الإنسان الكامل لأنه موطن التجلي، ومهبط واردات الرحمن تعالى، فهو محرم على غيره أن يرده

استواء الله باستواء العرش بعد (**وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ **فقال استوى علمه بكل شيء**) من عرش وغيره (**فليس شيء أقرب إليه من شيء**) بخلاف علم الخلق، وسئلت أم سلمة رضي الله عنها عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فقالت: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به تعالى واجب والجحود له كفر، وسئل عنه الإمام مالك رضي الله عنه فقال: الاستواء منه غير مجهول والكيف به غير معقول والإيمان به سنة والسؤال عنه بدعة. (**وقال جعفر الصادق عليه السلام من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك**) به غيره (**إذ لو كان على شيء لكان محمولاً**) على غيره (**ولو كان في شيء لكان محصوراً**) محدوداً (**ولو كان من شيء لكان محدثاً**) واللوازم باطلة لأنها تدل على الجسمية والقول بها في حقه تعالى كفر، (**وقال جعفر الصادق**) أيضاً (**عليه السلام في قوله**) تعالى (**ثم دنا فتدلى من توهم إنه**) ﷺ (**بنفسه**) أي بجسمه (**دنا**) من

أو يخطر فيه، ولهذا ورد خبر «ما وسعني أرضي، ولا سمائي»[1] الحديث، وقال سلطان العشاق ابن الفارض قدس سره:

ولو خطرت لي في سواك إرادة   على خاطري سهواً قضيت بردتي

(**قوله: بعد**) أي لأن النسبة في التركيب المذكور إليه تعالى. (**قوله: فقال استوى علمه الخ**) أقول هو أقرب مما للشبلي قبله. (**قوله: بخلاف علم الخلق**) أي بسبب اختلافه وتفاوته في حالة القرب وحالة البعد. (**قوله: غير معقول**) أي لأنه من متعلقات الكنه ولا سبيل للخلق إليه. (**قوله: غير مجهول**) أي باعتبار معناه فالذي يصح من معناه يحمل عليه وما لا فلا.

(**قوله: والإيمان به واجب**) أي لثبوته في القرآن العظيم، وقوله: والجحود له كفر أي إنكاره يحقق الكفر إذ إنكار القرآن أو بعضه مكفر. (**قوله: والسؤال عنه بدعة**) أي بدعة محرمة لأننا نهينا عن التفكر في ذاته بصريح الخبر الصحيح. (**قوله: من زعم الخ**) أي لأن من ثبت قدمه ومخالفته للحوادث يستحيل في حقه ذلك. (**قوله: من زعم الخ**) أقول كيف، وهو المعبر عنه بغيب الغيوب والهوية المطلقة، وحقيقة الحقائق والياقوتة، وهي النفس الكلية المبدع لسائر الممكنات على وفق حكمته، وعلمه الأزلي وإرادته الأزلية، فيتعالى عن كل ما يخطر للافهام فنزه عنه على الدوام. (**قوله: في قوله تعالى ثم دنا الخ**) الغرض له رضي الله عنه بيان معنى الدنو المذكور في الآية الشريفة وأنه غير ما

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٢٣٤) وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٠، ٣١٠، ٣٧٦).

ربه **(جعل ثم مسافة)** بينهما وهو تعالى منزه عنها **(إنما التداني)** أي دنوه من ربه **(أنه كلما قرب منه)** بقلبه برؤيته ومناجاته له وامتلاء قلبه بذكره بحيث غاب عن جميع الخلق **(بعده عن أنواع المعارف)** وغيرها فإن من كمل شغله بجلال الله وكماله بعد قلبه عن ذكر غيره بل عن ذكر نفسه وإحساسه بكونه ذاكراً **(إذ لا دنو ولا بعد)** في المسألة وقال جماعة: المعنى دنا جبريل من النبي ﷺ وقيل: دنا النبي من الخلق ولان لهم وصار كواحد منهم وقيل: دنا من مكان شريف لم ينله غيره من الخلق فيكون الدنو والبعد في المسافة **(ورأيت بخط الأستاذ أبي علي)** الروذباري **(أنه قيل لصوفي أين الله فقال)** للسائل **(أسحقك الله)** أي غيبك عن نفسك بكمال شغلك به **(تطلب مع العين أين)** فيه دلالة على أنه أن الصوفي كان في حال الحضرة مع الله بحيث لا يرى في كل متحرك ولا ساكن إلا الله فصار كالعيان عنده فلغلبة ذلك على

عهد، فمعناه اللائق هو شهود الوحدة الحقيقية الواصلة بين الظهور والبطون، وقد يعبر به عن شهود قيومية الحق للاشياء، فإنها توصل بعضها ببعض في الكثرة حتى تتحد، ولذا قيل من عرف الفصل من الوصل، والحركة من السكون، فقد بلغ القرار في التوحيد، فالمراد بالحركة السلوك، وبالسكون القرار في أحدية الذات، وقد يعبر بالوصل عن الفناء في أوصاف الحق، وهو التحقق باسمائه تعالى المعبر عنه بإحصائها في خبر: «من أحصاها دخل الجنة»، أو يقال: معنى الدنو في الآية أنه كناية عن إفاضة النور المتسبب عن تحقق حقيقة اليقين مع الإسفار عن جمال الذات له ﷺ، فبه اشتغل وعليه أقبل وبعد عمن سواه فافهم.

(قوله: برؤيته الخ) الباء بمعنى مع حيث ثبت أنه ﷺ رأى ربه بعين بصره، كما رآه بعين بصيرته. **(قوله: بعده عن أنواع المعارف)** أي المعارف المتعلقة بالحوادث لاشتغاله به سبحانه، وعدم سعته لغيره. **(قوله: وقيل دنا النبي من الخلق)** أي بسبب ما أفيض عليه من الكمالات، وما ألقي في قلبه من الرحمة. **(قوله: أي غيبك الخ)** أي فيكون ذلك من الدعاء له بمقام جمع الجمع الذي هو الفناء عما سواه تعالى، حيث لم يبق في الفاني بقية، فإن بقيت فيه بقية فهو مقام الجمع فقط. **(قوله: تطلب مع العين أين)** أقول قال بعض الفقراء جريت من عالم الأين إلى حضرة العين، فوجدت المطلوب قريباً، والمحب حبيباً، ثم قلت أيها الأمر العالي، والشأن الغالي استأذنك في السؤال عن المفرق بين حالك وحالي، فقال: سل لتجاب، واعلم أنه لا فرق بيننا إلا في الألقاب، فقلت: لم أنت ذو القدرة والعز وأنا ذو الذل والعجز، فقال: لأنك مظهري في عالم الأين، وأنا مظهرك في حضرة العين، فقلت: لم كان مظهري هو العالي اللطيف ومظهرك هو الدون الكثيف، فقال: لأني حقيقتك، وأنت حقيقتي وحقيقتك هي الثابتة الوجودية، وحقيقتي

قلبه دعا للسائل بذلك. ومن اصطلاحاتهم السحق والمحق فمن شغله الله بذكره عن

هي الفانية الحكمية، وعن قليل أزول وتبقى فيزهق الباطل عند أن يجيء حقاً، أما علمت أنك مرآتي وأنا مرآتك، والمؤمن مرآة المؤمن، فالموجود فيْ صفاتك، والموجود فيك صفاتي وصفاتك هي الموجودة الكاملة، وصفاتي هي المفقودة الزائلة، فلهذا إذا رأيتني وجدتني بحر الكمال، ومعدن الجمال والجلال، وإذا رأيت نفسك وجدتها محل التغير والحدثان، ومعدن النقص والزوال باللسان، ولو وقفت لإسقاطي رأساً لما كان عليك جناح، ولا بأساً إلى آخر ما قال ولله در من أشار لهذا حيث قال:

دع الوقوف مع الآلات والعلل واحذر من القيد بالأعلام والطلل
واترك لسوحك ما في الحي من أحد سواك واعمد إلى ما شئت من عمل

تدبر تفهم، والله بالحال أعلم.

(قوله: تطلب مع العين أين) اعلم أن الطلب تحته جهتان جهة الوجوب وجهة الإمكان، وهما طلب أسماء الربوبية ظهورها بالأعيان الثابتة، وطلب الأعيان ظهورها بالأسماء وظهور الرب في شؤونه أجابته للسؤالين، وحضرتهما حضرة التعين الأوّل، فافهم والله أعلم. **(قوله: كان في حال الحضرة)** أي كان متحققاً بالحضور وتمام المراقبة مستهلكاً فيهما غائباً عن حال تخالفهما. **(قوله: دعا الخ)** أي طلب للسائل الوصول إلى هذا المقام الشريف. **(قوله: ومن اصطلاحاتهم السحق والمحق)** أي والمحو وهو أنواع محو أرباب الظواهر، وهو رفع أسباب العادة والخصال الذميمة، ويقابله الإثبات الذي هو إقامة أحكام العبادة، واكتساب الأخلاق الحميدة، ومحو أرباب السرائر، وهو إزالة العلل والآفات، ويقابله إثبات المواصلات، وذلك برفع أوصاف العبد ورسوم اخلاقه، وأفعاله بتجليات صفات الحق وأخلاقه وأفعاله، وله الإشارة بخبر: «كنت سمعه» الحديث. ومحو الجمع وهو فناء الكثرة في الوحدة، ومحو العبودية، وعين العبد وهو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان، إذ هي شؤون ذاتية ظهرت في الحضرة الواحدية بحكم العالمية، فهي معلومات معدومة العين أبداً إلا أن الوجود الحق ظهر فيها فهي مع كونها ممكنات معودمة لها آثار في الوجود الظاهر بصورها المعلومة، والوجود ليس إلا عين الحق، والإضافة نسبة ليس لها وجود في الخارج فلا فاعل إلا الحق وحده، فهو العابد باعتبار تعينه، والمعبود باعتبار إطلاقه، وعين العبد باقية على عدمها فتأمل وافهم والله سبحانه أعلم.

(قوله: فالحق أتم من السحق) أي لأنه فناء وجود العبد في ذات الحق كما أن المحق فناء أفعاله في فعل الحق والطمس فناء صفاته في صفات الحق. فالأوّل الذي هو صاحب السحق لا يرى في الوجود فعلاً إلا للحق، والثاني الذي هو صاحب المحق لا

نفسه، وبقيت فيه بقية يتنعم بها يسمونه سحقاً، ومن غاب عن نفسه بالكلية يسمونه محقاً، فالمحق أتم من السحق ويحتمل أن السائل له شوش عليه حاله بسؤاله عن ذلك فدعا عليه بقوله له آسحقك الله أي: أبعدك والمعنى الأوّل أنسب. **(أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادي يقول سمعت أبا القاسم بن موسى يقول سمعت محمد بن أحمد)** العثماني **(يقول سمعت)** أحمد بن عمر بن محمد **(الأنصاري)** المرسي **(يقول: سمعت الخراز يقول: حقيقة القرب)** بالقلب من الله تعالى **(فقد حس الأشياء)** المخلوقة **(من القلب وهدوّ الضمير)**

يرى لشيء حقيقة إلا للحق، والثالث الذي هو صاحب مقام الطمس لا يرى وجوداً إلا للحق. **(قوله: والمعنى الأوّل انسب)** أي لأن فيه تحسين الظن، ولاسيما في مثل هذا الشيخ. **(قوله: حقيقة القرب)** أي القرب المعنوي، كما أشار إليه الشارح بقوله بالقلب. **(قوله: حقيقة القرب الخ)** اعلم أن القلب المراد به النفس الناطقة الذي يحيا بموت النفس عن هواها وشهواتها، ويموت عن الحياة الحقيقية العلمية بالجهل، والشهوة الذي به حياة النفس، فإذا ماتت النفس عن هواها انصرف القلب بالطبع والمحبة الأصلية إلى عالمه عالم القدس، والحياة الذاتية التي لا تقبل الموت أصلاً ولذا أشار أفلاطون، حيث قال: مت بالإرادة تحي بالطبيعة، وقال الإمام جعفر الصادق الموت للنفس هو التوبة قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤] فمن تاب فقد قتل نفسه فافهم.

(قوله: فقد حس الأشياء) أي بملاحظة العبد عينه متصلة بالوجود الأحدي بقطع النظر عن تقييد وجوده بتعينه وإسقاط إضافته إليه فيرى اتصال مدد الوجود، ونفس الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع، حتى يبقى موجوداً معدوماً بنفسه، وذلك معنى الاتصال أيضاً، ومعنى المحاضرة كذلك، إذ هي الحضور مع وجهه بمراقبة تذهله عما سوى الحق حتى لا يرى غيره لغيبته عن الكل فافهم. **(قوله: وهدوّ الضمير الخ)** هو معنى قوله، فقد حس الأشياء إذ المراد منه عدم التأثر بما ينوب منها فيستوي عند صاحب هذا المقام نيل الملائم وغير الملائم، فلا التفات له لغيره بل ميله دائماً إلى كل ما يصدر عنه تعالى باعتبار أنه مراده، فربما يتلذذ بالآلام، وذلك من هذه الحيثية فافهم.

فائدة

قال بعضهم: حقيقة القرب هو عبارة عن الوفاء بالعهد السابق بين العبد وربه المذكور في قوله جل شأنه: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أقول، ومن القرب قاب قوسين، إذ هو مقام القرب الأسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي المسمى بدائرة الوجود، كالابداء والإعادة والنزول والعروج والفاعلة والقابلة، وهو الاتحاد بالحق مع

أي: القلب (**إلى الله تعالى**) لأنه إذا امتلأ قلب العبد بذكر الله تعالى وبالشغل بمناجاته فقد حس غيره من قلبه كما مر. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن علي الحافظ يقول سمعت أبا معاذ القزوين يقول سمعت أبا علي الدلال يقول: سمعت أبا عبد الله بن قهرمان يقول: سمعت أبا الخواص يقول: انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان**) وكان هذا الشيطان مؤمناً بقرينة سماعه الآذان الآتي وقد آمن بعض الجن لما سمع قراءة النبي ﷺ كما نص عليه القرآن (**فجعلت أؤذن في أذنه فناداني الشيطان من جوفه**) بقوله (**دعني أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق**) فيه كلام الجن لبني آدم وهو من خوارق العادات وفيه أن القول بخلق القرآن كفر وأن قائله يستحق القتل (**وقال**) أحمد (**بن عطاء**) الروذباري (**أن الله تعالى لما خلق الأحرف**) في الهواء (**جعلها سراً له**) أي: لم يطلع عليها أحداً غير جبريل حين نزل بها لإفهام معانيها القائمة بذاته تعالى (**فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر**) أي: جعل فيه تلك الحروف وأظهرها له (**ولم يبث ذلك السر في أحد من الملائكة**) ولا غيرهم غير جبريل كما عرف (**فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات**) قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] (**فجعلها الله**) تعالى

بقاء التمييز والاثنينية المعبر عنه بالاتصال، ولا أعلى من هذا المقام إلا مقام، أو أدنى، وهو أحدية عين الجمع الذاتية المعبر عنه بقوله: أو ادنى لارتفاع التمييز والاثنينية الاعتبارية هناك بالفناء المحصن والطمس الكلي للرسوم كلها تدبر تفهم والله أعلم.
(**قوله: لأنه إذا امتلأ قلب العبد بذكر الله**) أي ما غاية الحضور وتمام المراقبة، وهو علة لقوله فقد حس الأشياء. (**قوله: وقد صرعه الشيطان**) أي يتلبسه به. (**قوله: كما نص عليه القرآن**) أي بقوله: أنه استمع نفر من الجن. (**قوله: فناداني الشيطان من جوفه**) أي دعاني بقوله: دعني الخ. (**قوله: فيه كلام الجن الخ**) أي فيه دلالة على جوازه ووقوعه. (**قوله: جعلها سراً له**) أي غيبها عن ملا الملائكة غير جبريل. (**قوله: لافهام معانيها القائمة بذاته**) أي القائم مثلها بذاته تعالى إذ القرآن يدل على مثل ما دلت عليه الصفة القديمة.

(**قوله: لما خلق الأحرف الخ**) قال بعضهم: هي عبارة عن الشؤون الذاتية الكامنة في غيب الغيوب كالشجرة في النواة، ولذلك الإشارة بقول بعضهم:

كنا حروفاً عاليات لم تعل ... متعلقات في ذرى أعلى القلل
أنا أنت فيه، ونحن أنت وأنت هو ... والكل في هو فسل عمن وصل

فافهم. (**قوله: فلما خلق آدم الخ**) أي أوجده سبحانه وتعالى بالفعل بث فيه ذلك

(صورا لها) أي: للفنون المذكورة والمراد المعاني أي: جعلها قوالب لمعانيها بات يفهم معانيها منها فقد **(صرح ابن عطاء)** بهذا **(القول)** أي فيه **(بأن الحروف مخلوقة)** ولا حاجة للفظ القول مع أنه ساقط من نسخة وفي نسخة تقديم القول على ابن عطاء **(وقال سهل بن عبد الله)** التستري **(أن الحروف لسان فعل لا لسان ذات)** أي دالة على الفعل لا على الذات **(لأنها فعل)** وجد **(في مفعول)** لا صفة حقيقية قائمة بذات الفاعل **(قال)** القشيري **(وهذا أيضاً)** من سهل **(تصريح بأن الحروف مخلوقة)** ففي ذلك رد على من زعم أن الله يتكلم بالحروف والأصوات إذ يستحيل أن يقوم الحادث بالقديم **(وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب)** كما إنه قول للسان **(قال)** القشيري **(هذا قول أهل الأصول إن الكلام)** حقيقة **(هو المعنى الذي قام بالقلب من معنى الأمر والنهي والخبر والاستخبار)** وهذا هو الكلام النفسي المعبر عنه بما صدقات اللسان وأما الكلام في اللساني فمجاز هذا هو المختار وقيل حقيقة في اللساني وقيل مشترك بينهما وبكل حال، فالكلام يطلق عليهما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة: ٨] أي بألسنتنا مما يخالف الحق فجعل القول في النفس واللسان جميعاً **(وقال الجنيد)** أيضاً **(في)** جوابات **(مسائل الشاميين أيضاً تفرد الحق بعلم الغيوب)** لتعلق علمه بالواجب والجائز والمستحيل **(فعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان)** حالة كونه

السر أي علمه إياه فجرت على لسانه بأنواع الجريان، وفنون اللغات بإشارة، وعلم آدم الأسماء كلها، فمن حينئذٍ صارت هذه الحروف قوالب للمعاني على حسب اختلاف اللغات. **(قوله: لسان فعل)** أي دالة عليه دلالة الآثر فافهم. **(قوله: لا على الذات)** أي بدون الفعل. **(قوله: لأنها فعل)** أي من جملة الخلق، وقوله: وجد في مفعول أي وهو فنون اللغات. **(قوله: عمل القلب)** أي فعله لأنه التفويض إلى من له الأمر كله، وإنما اللسان ترجمان، وقوله: والتوحيد قول القلب، أي لأنه قوله أذعنت، وصدقت بأنه إله واحد في ذاته وصفته وفعله، واعلم أن المتوكل من يرى الحق في صور الأسباب فاعلاً مختاراً لجميع الأشياء التي ينسبها المحجوبون إليها فهو يكل الأمر إلى من له الأمر، ويرضى به وكيلاً. **(قوله: كما أنه قول اللسان)** أي قراره بتحقق الألوهية، والوحدانية له تعالى. **(قوله: هذا قول أهل الأصول)** يشير إلى الخلاف، وهو أن الكلام حقيقة في النفسي مجاز في اللفظي أو بالعكس، أو هو مشترك. **(قوله: من معنى الأمر الخ)** الإضافة بيانية فيه وفيما بعده. **(قوله: المعبر عنه بماصدقات اللسان)** الماصدقات أفراد الكلام اللساني فتلك الأفراد يعبر بها عما في النفس من الكلام. **(قوله: وقيل حقيقة في اللسان)** أي مجاز في النفسي. **(قوله: فعلم ما كان)** أي وجد بالفعل، وما يكون أي ما يوجد في

(كيف كان يكون) أي مما يصح أن يكون فرق رحمه الله تعالى بهذا مع ما قبله بين العلم وكلام النفس، فإن من أنكر كلام النفس يرده تارة إلى العلم وتارة إلى الإرادة. **(وقال الحسين بن منصور من عرف الحقيقة في التوحيد)** بأن عرف إفراد الله تعالى ذاتا وصفة وفعلاً وأنه لا يتغير معلوم ولا يتبدل مقسوم **(سقط عنه)** الاعتراض على ما يشاهده والسؤال بنحو **(لم وكيف)** إذ لا يسأل عما يفعل. **(أخبرنا محمد بن الحسين قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: قال الجنيد: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد)** فتفكر العبد في عظمة الله وجلاله ووحدانيته في قدمه وبقائه واستغنائه عن خلقه ونحو ذلك أشرف من تفكره في الجنة وما فيها من الخيرات، أو في النار وما فيها من أنواع العذاب.

المستقبل، وما لا يكون أي ما لا يجود في المستقبل أن لو كان أي لو فرض كونه، ووجوده، فيعلمه كيف كان يكون ويوجد فتدبر. **(قوله: أي مما يصح أن يكون)** أي من جميع الجائز والممكن. **(قوله: فرق رحمه الله تعالى بهذا الخ)** قلت الحاجة إلى الفرق هنا ظاهرة بخلافه بين العلم والكلام اللفظي، فإن الفرق بديهي، غير محتاج إليه. **(قوله: من عرف الحقيقة في التوحيد الخ)** قال بعضهم: ومثل هذا يقال له عبد الله الذي تجلى الله له بجميع أسمائه، وهو لا يكون أرفع مقاماً منه لتحققه بالاسم الأعظم، واتصافه بجميع صفاته، ولذا عبر عنه ﷺ به في آية ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] فافهم.

(قوله: سقط عنه الاعتراض) أي لم يقع منه اعتراض على ما يشاهده بلم كان كذا، أو كيف كان كذا، وذلك لتحققه بعلم مظاهر أحدية الحق تعالى، ومن جملة ذلك أنه لا يسأل عما يفعل. **(قوله: أشرف المجالس الخ)** منه تعلم أن زينة الباطن بالتفكر في ميادين التوحيد، والتنزه في رياض حدائقه، والتفكه بجني ثمار هذه الحدائق هو الذي عليه المعول عند أهل العناية والتسديد، ولذلك قيل أنه لما رؤي الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في ثوب خلق لا قيمة له عاتبه بعض الجهال، فقال له رضي الله تعالى عنه **(شعراً)**:

لئن كان ثوبي فوق قيمته الفلس ... فلي فيه نفس دون قيمتها الإنس
فثوبك شمس تحت أنواره الدجى ... وثوبي ليل تحت ظلمته الشمس

فافهم. **(قوله: الجلوس مع الفكرة الخ)** أي التفكر في مجال الأسماء، والصفات ذاتية وهي ما لا يتوقف على وجود الغير، وإن توقفت على اعتباره أو كانت غير ذاتية والغرض له نفعنا الله به الحث على التفكر فيما له سبحانه من الأسماء والصفات، والآثار المصنوعات، ولا يخفى أن الأشرف التفكر في المصادر كما ذكره الشارح والله أعلم.

(قوله: في الجنة الخ) أقول هي جنات أحدها جنات الأفعال، وهي صورية، إذ هي

(**وقال الواسطي ما أحدث الله شيئاً أكرم**) وفي نسخة أشرف (**من الروح صرح**) في هذا (**بأن الروح مخلوقة**) فيه ردّ على من زعم قدم الأرواح سواء في ذلك روح اليقظة وروح الحياة. (**قال الأستاذ الإمام زين**) وفي نسخة جمال (**الإسلام**) القشيري (**رحمه الله دلت هذه الحكايات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق في مسائل الأصول**) كما تقرر (**وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما آثرناه**) أي: اخترناه (**من الإيجاز والاختصار**).

فصل

(**قال الأستاذ**) الإمام (**زين الإسلام**) القشيري (**أدام الله عزه وهذه**) إشارة إلى موجود ذهناً (**فصول**) أي: مسائل (**تشمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب**) أتي ذكره (**قال شيوخ هذه الطريقة على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها**) الأولى ومجموعاته (**ومصنفاتهم في التوحيد أن الحق**

من جنس الملاذ والمشتهيات جعلت بإزاء الخيرات، وهي المرادة هنا، وثانيها جنة الوراثة، وهي جنة الأخلاق الحاصلة بمتابعة سيد الكمل ﷺ، وثالثها جنة الصفات، وهي الجنة المعنوية تحصل من تجلي الصفات، والأسماء الإلهية، وهي جنة القلب، ورابعها جنة الذات، وهي من مشاهدة الجمال الأحدي، وهي جنة الروح والله أعلم. (**قوله أكرم الخ**) أي لأنها من عالم الأمر، وهو أشرف من عالم الخلق. (**قوله: بأن الروح مخلوقة**) قال بعضهم: ويعبر عنها بالياقوتة الحمراء، وهي النفس الكلية، وذلك لامتزاج نورانيتها بظلمة الجسم بخلاف العقل المفارق المعبر عنه بالدرة البيضاء فافهم. (**قوله: روح اليقظة**) أي التي تتوفى في حالة النوم، وقوله: وروح الحياة أي وهي التي لا تتوفى في حالة النوم، ولا تفارق إلا بالموت. (**قوله: أهل الحق**) أي من أهل السنة والجماعة. (**قوله: إلى موجود ذهناً**) أي لتأخر الفصول في الوجود الخارجي.

(**قوله: أي مسائل**) فسر الفصول بالمسائل لاشتمالها عليها. (**قوله: الأولى ومجموعاته**) أي لأن مرجع الضمير الكلام. (**قوله: أن الحق سبحانه وتعالى موجود الخ**) قال بعضهم: الوجود بالنسبة إليه تعالى عبارة عن وجدان الحقيقة ذاته بذاته، وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود، واعلم أن الوجود قيل: أنه مشترك اشتراكاً لفظياً كعين، وعليه فليس هناك وجود مطلق ووجود خارجيّ هو فرد له بل ليس إلا حقائق متخالفة، فوجود الشيء عينه، وقالت الحكماء: أنه مشكك موضوع للمفهوم الكلي المختلف الإفراد بالقوّة والضعف، فوجود الحق تعالى أقوى كل الوجودات، وقالت المعتزلة: أنه متواطىء أي موضوع للمفهوم الذي تواطأت وتوافقت أفراده فيه ثم اختلف في معنى

سبحانه وتعالى موجود) لأنه الموجد لغيره والمعدوم لا يوجد شيئاً **(قديم)** أي: لا أوّل لوجوده **(واحد)** أي لا مثل له **(حكيم)** أي: ذو حكمة وتقدم بيانها وعن المعتزلة تفسير الحكيم بالمحكم أي المتقن لأفعاله فهو عندهم صفة فعل وعندنا صفة ذات **(قادر)** أي: لا يعجزه شيء **(عليم)** أي: لا يغرب عن علمه شيء **(قاهر)** أي: غالب **(رحيم)** بعباده **(مريد)** لما يكون **(سميع مجيد)** أي: كريم **(رفيع)** أي: عظيم **(متكلم**

الوجود، فقال الأشعري: أنه عين الذات. وقال الرازي: هو أمر اعتباري، وقال إمام الحرمين والقاضي أبو بكر الباقلاني: أنه حال له ثبوت في نفسه غير أنه لم يصل إلى مرتبة الوجود الخارجي، وقال الكرّامية: إنه صفة معنى لا صفة متحققة في الخارج يمكن رؤيتها وقيل: إنه صفة سلبية، ويفسر بسلب العدم على الإطلاق، وبالجملة هو غير ظاهر المعنى، ولذا كثر الاختلاف في معناه. **(قوله: لأنه الموجد لغيره الخ)** أي فوجود الغير دليل على وجوده إذ لا بد لكل حادث من محدث بالضرورة. **(قوله: أي لا أوّل لوجوده)** أي وإن شئت قلت لا افتتاح لوجوده فالمعنى الأوّل يرجع إلى عدم أوّلية الوجود، والثاني إلى عدم افتتاحه، وهما سلبيان فالقدم حينئذٍ سلبي أي معناه نفي وسلب، وهو وإن كان كذلك فهو ثابت له تعالى فتأمل.

(قوله: واحد) قال بعضهم: هو اسم للحضرة الواحدية التي هي جماع أسمائه تعالى وصفاته، وقوله: لا مثل له يشير به إلى أنه من السلوب باعتبار معناه، وإن شئت قلت لا ثاني له يعني في الألوهية. **(قوله: ذو حكمة)** أي وهي وضع الشيء في موضعه أو هي أحكامه واتقانه، أو هي إصابة الصواب قولاً وعقداً وفعلاً، أو هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه وبما فيها من المصالح. **(قوله: فهو عندهم صفة فعل)** أي لأن الاتقان المأخوذ في معنى الحكيم من الأفعال، وقوله: وعندنا صفة ذات أي حيث قلنا في معناه أنه ذو حكمة أي صاحب حكمة. **(قوله: قادر)** أي على إيجاد وإعدام كل ممكن. **(قوله: عليم)** أي ذو علم كشفي عام بلا تعمل وفكر، فمن تجلى له الله تعالى من العبيد بهذا العلم رزق مثل هذا العلم بالصفاء الفطري، وتأييد النور القدسي، واعلم أن الناس اختلفوا في العلم هل يحدّ أو لا، فقيل لا يحد لأنه كاشف لغيره، فهو غني عن أن يظهره غيره، وقيل لا يحد لعسره لأنه لا يحد بحد إلا نوزع فيه، وقال ابن الحاجب: أصح الحدود فيه أنه صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، وهو منقول أيضاً عن ابن ذكرى، وهو يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات جميعها إذ لو تعلق بالبعض دون البعض لكان حادثاً لافتقار الصفة، حينئذٍ إلى الفاعل، وحدوثها يستلزم حدوث موصوفها لاستحالة تعريها عنه وعن اضدادها فتأمل. **(قوله: قاهر)** أي لمن ناوأه، ويهزم كل من بارزه وعاداه، فهو يؤثر في الأكوان ولا يتأثر منها. **(قوله: رحيم)** قال بعضهم: هو الذي تختص رحمته بمن اتقى وأصلح كما الرحمن هو الذي تعم رحمته العالمين، فلا يخرج

بصير متكبر) أي: متعظم على غيره **(قدير)** المناسب لجمعه قادراً مع قدير أن يجمع عالماً مع عليم ورحمن مع رحيم ونحو ذلك **(حي)** لا يموت **(أحد)** بمعنى واحد وقيل واحد في ذاته وأحد في صفاته وقيل بالعكس وقيل واحد لا مثل له وأحد لا جزء له وقيل بالعكس **(باق)** على الدوام **(صمد)** أي مقصود في الحوائج على الدوام لأن بديهة العقل جازمة بأنه تعالى محدث للعالم على هذا النمط البديع مع ما يشتمل عليه من الأفعال المتقنة لا يكون بدون هذه الصفات على أن أضدادها نقائص يجب تنزيه الله عنها **(وأنه)** تعالى **(عالم بعلم)** هو صفة أزلية تنكشف المعلومات عند تعلقها بها **(قادر بقدرة)** هي صفة أزلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها **(مريد بإرادة)** هي صفة توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الأوقات بالوقوع مع استواء نسبة القدرة إلى الكل

أحد عن رحمته بحسب قابليته. **(قوله: مريد الخ)** قيل إن الإرادة ترادف المشيئة، والأصح أنها أعم. **(قوله: سميع)** أي لجميع ما يقال، وقوله: أي كريم، ومعناه على ذلك الذي يعطي ما ينبغي لمن ينبغي على الوجه الذي ينبغي. **(قوله: أي عظيم)** أشار به إلى أن المراد رفيع المكانة لا المكان تعالى الله علواً كبيراً. **(قوله: متكلم)** أي بكلام نفسي كما تقدّم. **(قوله: بصير)** أي لجميع العالم، واعلم أن السمع والبصر صفتان ينكشف بهما سائر الأشياء انكشافاً تاماً زائداً على الإنكشاف الحاصل بالعلم مغايراً له. **(قوله: أي متعظم الخ)** أفاد به أن المراد بالمتكبر المتعالي على غيره. **(قوله: قدير)** أي على كل ممكن، وهو بمعنى قادر. **(قوله: حيّ)** الحياة صفة تصحح لمن قامت به العلم والإرادة والقدرة وغيرها من الصفات.

(قوله: أحد بمعنى واحد الخ) أي، وقيل أنه اسم للذات باعتبار انتفاء تعدد الأسماء والصفات والنسب والتعينات عنها، فمفهومه غيب في هويته، ومظهره الذاتي متلاش فيه سائر الكائنات. **(قوله: باق على الدوام)** أي فلا يلحقه العدم، والذي لا يلحقه عدم ثابت لأن سلب العدم ثبوت، وحينئذٍ فقول بعضهم: أنه من صفات السلوب باعتبار ظاهر اللفظ وصدر تعريفه فتأمله. **(قوله: أي مقصود الخ)** أي وقيل أنه من لا جوف له. **(قوله: تنكشف المعلومات)** أي سواء كانت واجبة أو جائزة أو مستحيلة. **(قوله: قادر بقدرة)** والقدرة صفة له تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن، وإعدامه على وفق إرادته التي هي صفة أزلية يتأتى بها تخصيص كل ممكن بالجائز المخصوص بدلاً عن مقابله، ولا يخفى أن لها تعلقين كما أن للإرادة ثلاثة، وهي للتأثير كما أن الإرادة للتخصيص، واعلم أن من عرّف صفات الحق بتعريفات، فهي من قبيل الرسوم لا الحدود، إذ ذاته وصفاته تعالى قد حجبنا عن كنهها، فلا يمكن تعريفها فتدبر.

(قوله: مع استواء نسبة القدرة إلى الكل) أي ما خصصته الإرادة وغيره، وذلك بالنظر للقدرة في حد ذاتها، وقطع النظر عن تعلق الإرادة المذكور، وقوله: وكون تعلق

وكون تعلق العلم تابعاً للوقوع والإرادة مرادفة للمشيئة، وقيل: إنها تتعلق بالإيجاد والإعدام والمشيئة لا تتعلق إلا بالإيجاد وإفادة الشيئية التي هي الوجود، فالإرادة أعم منها (**سميع بسمع**) هو صفة أزلية تتعلق بالمسموعات (**بصير ببصر**) هو صفة أزلية تتعلق بالمبصرات فتدرك إدراكاً تاماً لا على طريق التخيل والتوهم ولا على طريق تأثر حاسة ووصول هواء (**متكلم بكلام**) هو صفة أزلية قائمة به وتقدم بيانه قبيل هذا الفصل (**حي بحياة**) هي صفة أزلية توجب صحة العلم (**باقٍ ببقاء**) هو صفة أبدية قائمة به لا آخر لوجودها كما أن القدم صفة أزلية لا أوّل لوجودها (**وله يدان**) قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] لا بمعنى الجارحة لاستحالتها في حقه بل بمعنى نعمتي الدنيا والآخرة أو بمعنى القدرة والنعمة يقال لها يد وسطوة أي قوّة وله عليَّ يد أي: نعمة وإلى ذلك أشار بقوله (**هما صفتان**) له

العلم بجر كون عطفاً على استواء أي ومع كون تعلق العلم الخ، وقوله تابعاً للوقوع، أي منوطاً به لأن تعلق الإرادة تابع لتعلق العلم، وقوله والإرادة مرادفة الخ أي فالجري على أنها للتخصيص مبني على أنها مرادفة للمشيئة في أن كلاً منهما للتخصيص بالإيجاد والإعدام، وقوله: وقيل: الخ محصله الفرق بين الإرادة والمشيئة بأن الإرادة أعم من المشيئة والمعتمد ترادفهما. (**قوله: وقيل أنها تتعلق بالإيجاد والإعدام**) أي بتخصيص الممكن بالوجود أو العدم، فلا يقال: الإيجاد والإعدام من تعلقات القدرة. (**قوله: سميع الخ**) قال بعضهم: الانكشاف به انكشاف تام لسائر الممكنات ومثله البصر، فيتعلقان بجميع الموجودات قديمة كانت أو حادثة، فليس هو كالسمع المخلوق الذي يختص عادة تعلقه بالأصوات. (**قوله: تتعلق بالمبصرات**) أي وليس هو كالبصر المخلوق الذي إنما يتعلق عادة بالأجسام والألوان والأكوان بواسطة الضوء وعدم الحائل. (**قوله: متكلم بكلام**) أي بكلام منزه عن الحروف والأصوات والتقديم والتأخير، إذ لو اتصف بشيء مما ذكر لزم أن يكون حادثاً وحدوث الصفة يوجب حدوث الموصوف.

(**قوله: حي بحياة الخ**) والحياة شرط لغيرها من الصفات لاستحالة وجود الصفات بدونها، كما هو معلوم لمن له إلمام بفن الكلام. (**قوله: هو صفة أبدية الخ**) يعني أنه يجب له تبارك وتعالى أن يكون غير قابل للعدم في الأزل، وذلك معنى القدم، ولا فيما لا يزال وهو معنى البقاء إذ لو كان قابلاً للعدم لما كان واجب الوجود بل كان جائز، فيفتقر حينئذٍ إلى الفاعل، فيكون حادثاً، وذلك مستحيل للادلة التي لا تخفى على من له اطلاع على فن التوحيد. (**قوله: وله يدان الخ**) أقول ذلك من المتشابه به وفيه مذهبان للسلف والخلف درج الشارح على الثاني منهما كما لا يخفى.

(**قوله: بمعنى الخ**) أقول الذي يناسب ما ذكره المصنف حمل اليدين على القدرة

(يخلق بهما ما يشاء سبحانه على التخصيص) كما خلق آدم بقدرته ونعمته وخصصه بما خلقه عليه بإرادته **(وله الوجه)** قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] لا بمعنى الجارحة بل بمعنى الذات أي: إلا ذاته ويقال فعلته لوجهك أي لك ولأمرك وحرمتك وجلالك **(وصفات ذاته)** كالعلم والقدرة **(مختصة بذاته)** لا تجاوزه إلى غيره لأنها قديمة كما سيأتي **(لا يقال هي هو ولا هي أغيار له)** أي: ليست عينه ولا غيره لأن من قال هي هو فقد نفى الصفات ومن قال: هي غيره فقد جوّز مفارقتها له فلا تكون قديمة كما قال **(بل هي صفات له أزلية)** أي: قديمة نسبة إلى الأزل وهو القدم، ويقال نسبة إلى قولهم للقديم لم يزل فاختصروا فقالوا يزلية ثم أبدلت الياء ألفاً لأنها أخف فقالوا أزلية كما قالوا في نسبة الرمح إلى ذي يزن أزنى **(ونعوت)** له **(سرمدية)** أي: دائمة ولا استحالة في تعدد قدماء من ذات وصفات إنما المستحيل تعددها من ذوات كما نبه عليه بقوله **(وأنه إحدى الذات ليس يشبه شيئاً من المصنوعات ولا يشبهه شيء من المخلوقات)** أي: لا يماثل أحدهما الآخر وتعبيره أولاً بالمصنوعات وثانيا بالمخلوقات تفين ونبه بقوله أزلية على الرد على ما زعمه الكرامية من أن صفاته تعالى حادثة وخرج بصفات الذات صفات الأفعال كالخلق والرزق، فليست أزلية خلافاً للحنفية بل هي حادثة أي: متجددة لأنها إضافات تعرض للقدرة وهي تعلقاتها بوجود المقدورات لأوقات وجوداتها ولا محذور في

والإرادة، وإن صح غيرهما فلا يخلو من تكلف. **(قوله: أي إلا ذاته)** أي، وإلا ما استثناه الشارع ﷺ، كما هو واضح. **(قوله: لأنها قديمة)** أي والقديم لا يقوم بحادث كعكسه. **(قوله: لا يقال هي هو)** أي لا يقال ذلك لفساده، كما هو طاهر وللزومه نفي الصفات كما قاله الشارح: فإن قلت الشيء إما عين، أو غير قلت نعم إذا كان الغير مقابل العين، وليس مراداً بل المراد هنا بالغير المنفك، وهي لازمة للذات لا تنفك عنها. **(قوله: ولا هي أغيار له)** أي أغيار تنفك عن موصوفها، وإلا فالصفة غير الموصوف بالضرورة. **(قوله: فقد نفى الصفات)** أي نفى كونها زائدة عن الذات حيث يقول هو تعالى عالم بذاته قادر بذاته الخ. **(قوله: ومن قال هي غيره)** أي غير ينفك عنه كما لا يخفى. **(قوله: فاختصروا)** أي اختصروا بحذف لم من لم يزل. **(قوله: ولا استحالة في تعدد الخ)** غرضه الرد على من قال بالتعطيل فراراً من تعدد القدماء. **(قوله: تفنن)** أي ارتكاب فنين. **(قوله: بل هي حادثة أي متجددة)** مراده أنها متجددة كتجدد الإضافات والأمور الاعتبارية دفع به ما يقال الحادث معناه الموجود بعد عدم، وهو لا يجوز اتصاف الحق تعالى به، فكأنه قال: هذا المعنى غير مراد بل المراد المتجدد كتجدد الإضافات فتدبر. **(قوله: ولا محذور الخ)** أي لأن الإضافات لا وجود لها في الخارج، بل في التعقل فقط، ولا تتصف بالحدوث لأنه الوجود بعد عدم.

اتصافه تعالى بالإضافات ككونه قبل العالم ومعه وبعده وتقدم تحرير ذلك (**ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا صفاته أعراض**) لما في ذلك من الحدوث المنزه عنه ذاته تعالى وصفاته إذ الجسم متركب ومتحيز والجوهر اسم للجزء الذي لا يتجزأ وهو متحيز وجزء من الجسم والعرض لا يقوم بذاته بل يفتقر إلى محل يقوّمه فيكون ممكنا، وكل ذلك إمارة الحدوث (**ولا يتصوّر في الأوهام ولا يتقدّر في العقول**) لأن ذلك من خواص الأجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات وإحاطة الحدود والنهايات (**ولا له جهة ولا مكان ولا يجري عليه وقت وزمان**) لذلك ولأنه لو كان له مكان فأما في الأزل فيلزم قدم الحيز أولاً فيكون محلاً للحوادث والزمان عند المتكلمين عبارة عن متجدد يقدّر به متجدد آخر وعند الفلاسفة عبارة عن مقدار حركة الفلك الأعظم والله تعالى منزه عن ذلك كله (**ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان**) لأن صفاته لا تتبدل ولا تتغير (**ولا يخصه هيئة وقد ولا يقطعه نهاية وحد ولا يحله حادث، ولا يحمله على الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون**) لما في ذلك من الحدوث وما ذكره هنا وفيما مر وفيما يأتي من التنزيهات بعضه يغني عن بعض إلا أنه حاول التوضيح في ذلك قضاء لحق الواجب في باب التنزيه ورداً على المشبهة والمجسمة وسائر فرق الضلال والطغيان بأبلغ وجه وأوكده فلم يبال بذلك (**ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمه**) أي: عن تكوينه وإيجاده (**مفطور**) أي: مخلوق (**ولا يعزب**) أي يغيب (**عن علمه معلوم**) وذلك لأن العجز عن البعض أو الجهل به نقص وافتقار مع أن النصوص القطعية ناطقة بعموم قدرته وعلمه فهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم خلافاً لمن زعم خلاف ذلك

(**قوله: ولا جوهر**) هو من عطف العام على الخاص. (**قوله: ولا يتصوّر في الأوهام**) أي لأن التصوّر حصر، وهو لا يكون إلا للحادث. (**قوله: لذلك**) أي لأن المذكور من خواص الأجسام. (**قوله: ولأنه لو كان له مكان الخ**) جواب لو محذوف يعلم مما بعده، وتقدير الكلام، فلا يصح ولا يعقل لأنه إما أن يكون في الأزل الخ. (**قوله: عن متجدد الخ**) أي كما قولك غداً أكرمك. (**قوله: ولا يخصه هيئة وقدّ**) أي كيفية ومقدار وقوله ولا يقطعه أي بعدمه نهاية وحدّ عطف الحد على النهاية للتفسير. (**قوله: ولا يحمله على الفعل باعث**) أي لأنه منزه عن الغرض، والعلة مع أن أفعاله تعالى لا تخلو عن حكمة. (**قوله: ولا يجوز عليه لون الخ**) أي لأن ذلك من عوارض ولوازم الحادث، وقد ثبت القدم له تعالى والمخالفة للحوادث. (**قوله: ولا يخرج عن قدرته مقدور**) أي من الممكنات لما يلزم على ذلك من قصور تعلق القدرة، وهو محال. (**قوله: خلافاً لمن زعم الخ**) أي كالمعتزلة ممن يقول بأن العبد يخلق أفعاله الاختيارية، وكأهل

(ولا هو على فعله وتزييفه كيف يصنع وما يصنع) أي: من حيث وصفه ومن حيث إيجاده **(ملوم)** لا يسأل عما يفعل **(لا يقال له أين)** هو **(ولا حيث)** هو **(ولا كيف)** هو لأنه منزه عن المكان والكيفية من اللون والطعم والرائحة، والحرارة والرطوبة وغيرها من صفات الأجسام وتوابع المزاج **(ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان، ولا ينتهي له بقاء فيقال استوفى الأجل والزمان)** لما مرّ أنه قديم لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء له **(ولا يقال)** له **(لم فعل ما فعل)** أي: الذي فعله **(إذ لا علة لأفعاله)** لا يسأل عما يفعل **(ولا يقال)** له **(ما هو إذ لا جنس له فيتميز)** عن أنواعه **(بإمارة عن أشكاله)** أي: أمثاله المشاركين له في الجنس فلا تعرف ماهيته فلا يسأل عنها ولذلك لما قال فرعون لموسى وما رب العالمين أجابه بالصفة فقال رب السموات والأرض تعجب فرعون وقومه من عدوله إلى ما لا يطابق السؤال فقال لمن حوله: ألا تستمعون ولم يعلم لغباوته أنه المخطىء في سؤاله عن ماهيته وأن الذي أتى به موسى في الجواب هو أقصى ما يمكن فلما أصرّ موسى على جوابه بالصفة ثانياً نسبه فرعون إلى الجنون وإنما الخطأ والجنون في مقالته هو **(يرى لا عن مقابلة)** وثبوت مسافة بينه وبين الرائي له وقياس الغائب على الشاهد فاسد وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي: لا تحيط به كما تحيط بغيره وتقدم مع زيادة **(ويرى)** هو **(غيره لا على)** وفي نسخة عن **(مماقلة)** خلافاً للمعتزلة لأنه تعالى منزه عن المقلة كما مر **(ويصنع)** الشيء **(لا بمباشرة ومزاولة)** أي: معالجة كما مرّ **(له الأسماء الحسنى والصفات العلا)** كما يشهد به العقل والنقل **(يفعل ما يريد)** بنص القرآن **(ويذل لحكمه العبيد)** أي: عبيده **(لا يجري في سلطانه)** أي: مملكته **(إلا ما يشاء ولا يحصل في ملكه)** من إيمان وكفر وغيرهما **(غير ما سبق به القضاء)** وهو إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال لا يقال لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب الرضا به

الضلال والكفر ممن يقصر العلم القديم على الكليات، ويمنع تعلقه بالجزئيات فتدبر.

(قوله: كيف يصنع وما يصنع) محصله كما أشار له الشارح أنه تعالى لا يلام على ما أوجده على أي صفة من الصفات، ولا يلام على نفس الإيجاد له. **(قوله: إذ لا جنس له)** أي والجنس كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة، والنوع كلي مقول على كثيرين متفقين فيها. **(قوله: إجابة بالصفة)** أي للإشارة إلى تجهيله وتزييفه إذ حق السؤال أن يكون عن الصفة لا عن الذات. **(قوله: تعجب فرعون وقومه)** جواب لما كما هو ظاهر. **(قوله: وقياس الغائب على الشاهد فاسد)** أي في مثل هذا فلا ينافي أنه قد يرتكب في غيره فتأمّله. **(قوله: يرى لا عن مقابلة)** أنت خبير بأنّ المؤلف رضي الله تعالى عنه، قد ارتكب التكرار كثيراً، وذلك منه لغرض زيادة التوضيح، فجزاه الله عنا وعن المسلمين أحسن الجزاء.

لأنه يجب الرضا بالقضاء واللازم باطل لأن الرضا بالكفر كفر لأنا نقول الكفر مقضى لا قضاء والرضا إنما يجب بالمقضي أيضاً إن كان خيراً وكذا إن كان شراً لكن لا من حيث أنه شرّ بل من حيث أنه مقضي لأنه حينئذ يرجع إلى القضاء فالعبد يرضى به من حيث أنه فعل الله ومراده ويكرهه وينكره من حيث أنه كسبه وقد فعله باختياره لأن الله لم يكلفه إلا بما يطيقه بعد أن نصب له الدلائل والإمارات وأزاح عنه العلل والآفات (**ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون**) فيكون وإن جاز أن لا يكون (**وما علم أنه لا يكون مما جاز أن يكون أراد أن لا يكون**) فلا يكون وإن جاز أن يكون فالإرادة تابعة للعلم (**خالق اكساب العباد**) وفي نسخة العبيد (**خيرها وشرها ومبدع**) أي مخترع (**ما في العالم**) مع العالم لا على مثال سابق (**من الأعيان والآثار قلها وكثرها**) بضم أوّلهما وبكسره أي قليلها وكثيرها لا يقال فيكون الكافر مجبوراً على كفره والفاسق على فسقه فلا يصح تكليفهما بالإيمان والطاعة لأنا نقول الله تعالى أراد منهما الكفر والفسق باختيارهما فلا جبر كما أنه علم منهما الكفر والفسق باختيارهما فصح تكليفهما بما ذكر (**ومرسل الرسل إلى الأمم**) ليبينوا لهم ما يحتاجون

(**قوله: لأنا نقول الخ**) محصله الفرق بين القضاء والمقضي فالأوّل حكم الله الأزلي والثاني المحكوم به، والذي يجب الرضا به هو الأوّل لا الثاني مطلقاً بل باعتبار المصدر، نعم إن كان خيراً فيجب الرضا به كذلك فتأمّل. (**قوله: ما علم أنه يكون**) أي ما سبق في علمه كونه أراده، فيوجد طبق العلم والإرادة، وإن جاز عدم كونه بالنظر لذاته، وما علم أنه لا يكون أي لا يوجد لا يكون يعني لا يوجد طبقهما كذلك وإن جاز كونه بالنظر لذاته أي وجوده لأن تعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة التابع لتعلق العلم، ومعنى التبعية في التعلقات المذكورة التبعية في التعقل، إذ لا تقدم ولا تأخر. (**قوله: وإن جاز أن لا يكون**) أي وإن جاز ذلك بالنظر لذات الممكن مع قطع النظر عن تعلق العلم بكونه، وإلا فلا بدّ من كونه تدبر.

(**قوله: خالق أكساب العباد الخ**) انظر مع هذا وجه التكليف، فليس إلا تشريف أو تعنيف، فسبحان من لا يسأل عما يفعل اللهمّ ارزقنا السلامة والتسليم بجاه سيدنا محمد صاحب سر الحكيم العليم، فقول الشارح: لا يقال فيكون الكافر الخ توضيح لما أشرنا له، وقوله: لانا نقول الخ الذي محصله إن العبد له اختيار أراد الحق تعالى وقوع الكفر والفسق به لا يخفى خفاؤه، ولذا يذكر في المبالغة في الخفاء أنه أدق من كسب الأشعري، ومع ذلك فلله الأمر من قبل، ومن بعد، فقد آمنا واتبعنا وسلمنا إذ لا مجال للعبودية في سؤال حضرة الربوبية. (**قوله: ومرسل الرسل الخ**) أي باعثهم إلى جماعة المكلفين من الثقلين، وقوله: من غير وجوب عليه أي خلافاً لأهل الضلال والاعتزال،

إليه من أمور الدين والدنيا (**من غير وجوب عليه**) إذا لا يجب عليه شيء خلافاً للمعتزلة (**ومتعبد الأنام**) أي: طالب منهم (**على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل**) أي: طريق (**لأحد**) إليه (**باللوم والاعتراض عليه**) وفي نسخة إليه وهي بمعنى عليه ومتعلقة بسبيل والضمير راجع إلى ما (**ومؤيد**) أي: مقوي (**نبينا محمد ﷺ بالمعجزات الظاهرة**) جمع معجزة وهي أمر خارق للعادة على يدي مدعي النبوّة عند تحدي المنكرين على وجه يعجزهم عن الإتيان بمثله (**والآيات**) أي: العلامات (**الزاهرة**) وفي نسخة الباهرة وقوله (**بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والنكر**) بضم النون متعلق بمؤيد وفي نسخة بدل النكر الذكر (**وحافظ بيضة الإسلام**) أي: عزه وجماعته (**بعد وفاته ﷺ بخلفائه**) الراشدين رضي الله عنهم (**ثم**) هو تعالى بعد الخلفاء (**حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه عصم الأمّة الحنيفية**) أي: الملة المستقيمة (**عن الاجتماع على الضلالة**) لقوله ﷺ «لا تجتمع أمّتي على ضلالة»[1] رواه الترمذي وغيره (**وحسم**) أي: قطع (**مادّة الباطل بما نصب من الدلالة وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله**) ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] (**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهذه**) المذكورات فيما مضى (**فصول**) بناء على أن أقل الجمع اثنان إذ لم يتقدم إلا فصلان أو أراد بفصول مسائل (**تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز وبالله**) لا بغيره (**التوفيق**) وهو خلق قدرة الطاعة وعكسه الخذلان فهو خلق قدرة المعصية والتوفيق المختص بالمتعلم شدة العناية ومعلم ذو نصح وذكاء القريحة وخلوّ الطبيعة من الميل لغير ما يلقى إليها.

ممن يقول بوجوب الصلاح، والأصلح عليه تعالى. (**قوله: ومتعبد الأنام**) أي الخلق حيث قال: في كتابه العزيز ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. (**قوله: بما لا سبيل الخ**) أي لأنه لا مدخل للعقول في شيء من أحكامه تعالى باللوم والاعتراض. (**قوله: بالمعجزات الخ**) أي، وكل خارق كان معجزة لنبيّ يجوز أن يكون كرامة لولي، والفرق التحدي وعدمه. (**قوله: الباهرة**) أي الغالبة من بهر الشيء غلب. (**قوله: بما أزاح الخ**) بدل من قوله بالمعجزات الخ، والمراد أن من اطلع على ذلك، وتأخر عن الإيمان به ﷺ لم يقبل له اعتذار، بل يكون من الخالدين في النار لكفره. (**قوله: بما يوضحه الخ**) أي بما يظهر تعالى من كرامات ودلالات ترد على السنة أوليائه، ممن اختارهم لإرشاد خلقه. (**قوله: لا تجتمع أمتي على ضلالة**) أي أصله ومنشؤه.

(**قوله: إلى أصول المشايخ**) أي الأصول التي بنوا قواعدهم عليها. (**قوله: لا بغيره الخ**) أشار بذلك إلى الحصر المأخوذ من تقديم الجار والمجرور.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (فتن ٨).

باب
في ذكر مشايخ هذه الطريقة وما يدل من سيرهم

بكسر السين وفتح الياء أي: طرقهم **(وأقوالهم على تعظيم الشريعة)** وهي ما شرعه الله لعباده من الدين **(اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله ﷺلم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم)** من الأعلام **(سوى صحبة الرسول ﷺ إذ لا فضيلة)** بعد فضائل الله ورسوله **(فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة)** أي: علامة **(ثم قيل لمن بعدهم اتباع التابعين ثم اختلف الناس)** بعدهم **(وتباينت المراتب)** فيهم **(فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاد، فانفرد خواص**

(قوله: باب الخ) هو لغة فرجة في ساتر يتوصل منها من داخل إلى خارج وبالعكس، واصطلاحاً اسم لجملة من العلم مشتملة على فصول وفروع ومسائل غالباً. **(قوله: في ذكر الخ)** أي في ذكرهم بأسمائهم وصفاتهم ومنشئهم، وبعض ما نقل عنهم من الحكم والفوائد، وأسباب الوصول، وطرقه، كما يتضح مما يأتي عنهم.

(قوله: مشايخ الخ) هم العارفون المحققون الذين أشهدهم الحق حقائق الأشياء بالبراهين القطعية أو بالمشاهدات الكشفية، أو بالمعاينات القلبية رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا ببركاتهم. **(قوله: هذه الطريقة)** أي الطريقة المعنوية المعبر بها عن القيام بوظائف العبادات، والمتوصل بها إلى أعلى المقامات كالزهد والورع وغيرهما. **(قوله: وما يدل الخ)** أي وفي ذكر الذي يدل على تعظيم الشريعة، مما نقل من الحكاية عنهم أقوالاً وافعالاً.

(قوله: وهي ما شرعه الله الخ) أي وتسمى ملة وديناً كما هو ظاهر. **(قوله: سوى صحبة الخ)** أي وكفى بها شرفاً حيث فاز صاحبها بفضيلة مشاهدة الأنوار المحمدية، وتلقى الأسرار الأحمدية، والصحابي كما هو معلوم من اجتمع به ﷺ اجتماعاً متعارفاً، وإن لم يطل زمن اجتماعه. **(قوله: التابعين)** أي وسموا بذلك لأنهم تبعوا الصحابة في أقوالهم وأفعالهم، بل وفي جميع ما كانوا عليه من الأخلاق رضي الله عن الجميع. **(قوله: وتباينت المراتب)** أي تخالفت. **(قوله: لخواص الناس)** أي وقيل في حقهم خواص لأن الحق تعالى اختصهم بالتوفيق والهداية والرحمة. **(قوله: الزهاد)** جمع زاهد، وهو من اقتصر على قدر الحاجة، مما تحقق حله واشتغل عما زاد بطلب الآخرة، وقوله والعباد أي كثيرين العبادة المواظبين عليها. **(قوله: البدع)** جمع بدعة، وهي خصلة لم

أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف) وهو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية وسيأتي له في بابه تعريفات وموضوعه التزكية والتصفية المذكوران، وغايته نيل السعادة الأبدية، ومسائله ما يذكر في كتبه من المقاصد وهذا العلم هو علم الوراثة الذي هو نتيجة العمل المشار إلى ذلك بخبر: «من عمل بما

يتضح لها شاهد من كتاب ولا سنة ولا قياس ولا إجماع. **(قوله: وحصل التداعي)** أي التنازع من غير دليل على ذلك.

(قوله: فانفرد) أي تفرد خواص أهل السنة أي الطريقة المحمدية، وقوله: المراعون أنفاسهم مع الله تعالى أي الدائمون على الاشتغال بالعبادة مع المراقبة، فلا يخرج لهم نفس ويعود إلا حاسبوا أنفسهم عليه، وهذا كما ترى من أعلى المقامات وسنيّ الأحوال نفعنا الله بهم. **(قوله: عن طوارق الغفلة)** أي عن الغفلة التي قد تعرض للقلوب وقتاً من الأوقات. **(قوله: وهو علم الخ)** أي، فالمراد به علم نشأ عن ذوق لذة العبادة يختص الله به من يشاء من عباده تعرف به أحوال تزكية النفس أي تطهيرها، وتصفية الأخلاق، أي تخليصها من كدورات الشهوات والعادات، وتعمير الظاهر والباطن، أي بأعمال الجوارح في العبادات، والقلب في دوام المراقبات، وقوله: لنيل السعادة أي الوصول إليها، وهذه ثمرة ذلك العلم، وقوله: الأبدية أي التي لا انتهاء لها، ولا انقضاء.

(قوله: وهذا العلم هو علم الوراثة) أقول وهذه الإشارة قال بعضهم: برقيق العبارة استوى العالم كله في الوجود وافترقوا في معرفة وجودهم، واستوت طائفة منهم في ذلك وافترقوا في معرفة موجدهم، واستوت طائفة منهم في ذلك، وافترقوا في معرفة الإيمان برسله، واستوت طائفة منهم في الإيمان بالله وبرسله، وافترقت في العمل بمقتضى ما جاءت به الرسل، واستوت طائفة منهم في ذلك وافترقت في معرفة ما خوطبوا به من حقيقة التوحيد، واستوت طائفة منهم في تلك المعرفة، وافترقوا في تمييزها، واستوت طائفة في التمييز، وافترقوا في قبولها ذوقاً، واستوت طائفة منهم في القبول، وافترقوا في شهودها عيناً، واستوت طائفة منهم في الشهود، وافترقوا في وجودها حالاً، واستوت طائفة منهم في الوجود، وافترقوا في اللذة الحاصلة بحكم وجود ذلك الحال، واستوت طائفة منهم في اللذة وافترقوا في القوة بظهور الآثار على هياكلهم، واستوت طائفة منهم في ظهور الآثار، وافترقوا في الاتساع، وفوق كل ذي علم عليم فافهم.

(قوله: وهذا العلم هو علم الوراثة) أي المشار إليه بخبر العلماء ورثة الأنبياء، فمن لم يتخلق بمثل هذا الخلق لم يرثه ﷺ في شيء بل يكون علمه حجة عليه لا له، والله تعالى هو الموفق.

علم ورّثه الله علم ما لم يعلم» وعلم الوراثة هو الفقه في الدين وهو الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً قيل للحسن البصري كذا قال الفقهاء فقال، وهل رأيت فقيهاً قط.

إنما الفقيه الزاهد في الدنيا القائم ليله الصائم نهاره الذي لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد الله، وإن ردّت عليه حمد الله **(واشتهر هذا الاسم)** أي: اسم التصوّف **(لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة ونحن نذكر في هذا الباب أسامي جماعة من شيوخ هذه الطائفة من الطبقة الأولى)** منهم **(إلى وقت المتأخرين منهم ونذكر جملاً من سيرهم وأقاويلهم بما يكون فيه تنبيه على أصولهم وآدابهم إن شاء الله تعالى فمنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور من كورة بلخ رضي الله عنه كان من أبناء الملوك فخرج يوماً متصيداً)** أي: مريد الصيد **(وأثار ثعلباً أو أرنباً)** أي: وثب عليه **(وهو في طلبه فهتف)** أي: صاح **(به هاتف)** من ملك أو ولي أو

(قوله: المشار إلى ذلك بخبر الخ) أقول منه يظهر أن العلم قسمان: كسبي، وهو بالتعلم، وذوقي وهبي، وهو نتيجة العمل بطريق إشراق الأنوار الإلهية، فتترتب عليها العلوم الرحمانية، فإذا أوّل درجات المريد الصادق الأخذ عن شيخه، فإذا قوى يقينه، وثبت قدمه أخذ عنه ﷺ بتبدّل صورة الشيخ بالحقيقة المحمدية، فإذا تم تقديسه، وعلا معراجه أخذ عن الحق سبحانه وتعالى، وذلك غير بعيد إلا بالنسبة لجاهل، إذ من جهل شيئاً عاداه فافهم. . **(قوله: وعلم الوراثة هو الفقه في الدين)** أنت خبير بأن من لم يعمل بمعلوماته فلا فقه له، بل هو محروم مع إشرافه على كنز الذخائر، فلا حول ولا قوّة إلا بالله، ويؤيد ذلك ما يأتي بعده من الحسن البصري فتأمل. **(قوله: وعلم الوراثة هو الفقه في الدين)** أي اللازم منه غالباً العمل بمقتضاه المترتب عليه علم الذوق الذي هو ثمرة العمل بالعلم، إذا علمت ذلك تعلم ما في الشارح، حيث أطلقه أوّلاً بمعنى وأعاد بآخر بعيد من الأوّل، ولكن قد سهل ذلك كون الفقه شرطاً أكيداً في التصوّف. **(قوله: إنما الفقيه الخ)** أقول منه يعلم أن الفقه لا يتم إلا إذا أثمر الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة. **(قوله: فإن قبلت منه حمد الله الخ)** أي لشهوده أن الأمر من الله، وإلى الله. . **(قوله: بما يكون فيه تنبيه)** أي إيقاظ للسامع على ما بنوا عليه أصول معتقداتهم وعلى ما كانوا يتأدّبون به من الأخلاق ومحاسن العادات. **(قوله: فمنهم أبو إسحاق الخ)** أقول كان رضي الله عنه متمثلاً بهذا البيت:

لَلُقمة بجريش الملح آكلها ... ألذ من تمرة تحشى بزيتون

ومراده والله أعلم ما فيه الشبهة، أو ما داخله علة. **(قوله: كان من أبناء الملوك)** أي ممن كان يلي أمر غيره من الرعية. **(قوله: ثم هتف الخ)** أقول، وفي رواية أنه بينما هو

خاطر وقع في قلبه ألهمه (ألهذا خلقت أم بهذا أمرت، ثم هتف به أيضاً من قربوس سرجه) ألهمه (والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن دابته وصادف راعياً لأبيه فأخذ جبة للراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه، ثم إنه دخل البادية، ثم دخل مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل) بعد ذلك (الشام)

يركض فرسه سمع صوتاً فوقه يقرأ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] اتق الله، وعليك بالزاد ليوم الفاقة، فرفض الدنيا، وعمل للآخرة، وهام بالبادية، وفي رواية أنه لما سمع النداء نزل عن فرسه، ودفع ثيابه لصياد، وأخذ ثيابه ومرّ هائماً، فرأى على الأثر إنساناً وقع عن قنطرة، فقال له وهو في الهواء: قف فوقف في الهواء لا يسقط، ولا يصعد حتى وصل إليه، فأخذه بيده وألقاه على القنطرة سالماً، وما ذاك إلا لكمال صدق توبته، وعظيم حسن نيته، فأعظم بها من كرامة ما أسناها، ومرتبة ما أعلاها، ولقي الخضر بالبادية، وعلمه الاسم الأعظم، وقال له لا تدع به على أحد فتهلكه في الدنيا والآخرة، واعبد ربك على تحقيق المشاهدة والمراقبة، واعلم أنه أقرب إليك من حبل الوريد، وقال الغزالي: كان ابن أدهم والثوري يطويان ثلاثاً ثلاثاً، ويأكلان في الرابع، وسئل عن لبس المرقعة، فقال: إن قلت اختياراً تكون دعوى، أو اضطراراً تكون شكوى، ولكن لبسها عارية أقول، وليس ذلك بعجيب منه، حيث أخرج نفسه من الدنيا قبل أن يخرج منها، وإذا أردت زيادة في مناقبه، فارجع إلى المناوي. **(قوله: ثم هتف به أيضاً الخ)** أقول تكريره تأكيد للداعي، ولهذا كان على سبيل الاستفهام الإنكاري، أوّلاً والجزم المؤكد بالقسم ثانياً. **(قوله: فنزل عن دابته الخ)** أي امتثالاً للداعي حالاً بإفادة فاء التعقيب، وذلك على حسب سابق العناية. **(قوله: وصحب بها سفيان الثوري الخ)** هو سفيان بن سعيد الثوري كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة سبع وتسعين، وخرج من الكوفة إلى البصرة سنة خمس وخمسين ومائة، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وكان أعلم هذه الأمّة وعابدها وزاهدها، وكان لا يعلم أحداً العلم حتى يتعلم الأدب عشرين سنة، وكان يقول إذا فسد العلماء، فمن بقي في الدنيا يصلحهم، ثم ينشد:

يا معشر العلماء يا ملح البلد ... ما يصلح الملح إذ الملح فسد

وكان سفيان المذكور، كما حكي عنه في الطبقات الصغرى، إذا جلس للعلم وأعجبه منطقه يقطع الكلام، ويقوم ويقول أخذنا ونحن لا نشعر، وكان يملي الحديث، ويقول والله لو رآني عمر بن الخطاب لضربني بالدرة وأقامني، وقال مثلك لا يصلح للحديث، وكان يقول للناس إذا طلبوا منه الحديث: والله ما أرى نفسي أهلاً لإملاء الحديث، ولا أنتم أهلاً أن تسمعوه وما مثلي ومثلكم إلا كما قال القائل: افتضحوا فاصطلحوا، وكان قد امتنع من الجلوس للعلم، فقيل له في ذلك فقال: والله لو علمت أنهم يريدون بالعلم وجه الله لأتيتهم في بيوتهم وعلمتهم، ولكن إنما يريدون به المباهاة،

لطلب الحلال **(ومات بها)** رحمه الله بالجزيرة في الغزو وحمل إلى صور بضم المهملة وإسكان الواو وهي مدينة بساحل الشام أو ببلاد الروم على ساحل البحر فدفن بها سنة إحدى وستين ومائة **(وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك وإنه رأى في البادية رجلاً)** اسمه داود البلخي **(علمه اسم الله الأعظم فدعا به بعده فرأى)** أحمد **(الخضر عليه السلام وقال له)** الخضر **(إنما علمك أخي داود اسم الله الأعظم)** وفي نسخة إنما علمك اسم الله الأعظم أخي داود والمراد منهما تعيين المعلم والحصر فيه والثانية أولى لتفيد ذلك بالوضع **(أخبرنا بذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال حدثنا محمد بن الحسن بن الخشاب قال: حدثنا أبو الحسن عليّ بن محمد المصري قال: حدثنا أبو سعيد الخراز قال: حدثنا إبراهيم بن بشار قال: صحبت إبراهيم بن أدهم فقلت: خبرني)** وفي نسخة أخبرني **(عن بدء أمرك فذكر هذا)** قيل اسم الله الأعظم ما دعوته به حالة تعظيمك له وانقطاع قلبك إليه فما دعوته في هذه الحالة استجيب لك لظاهر قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] والمشهور أنه اسم معين يعلمه الله من يشاء من خواصه قال البندنيجي: وأكثر أهل العلم على أنه الله تعالى واختار النووي تبعاً لجماعة أنه الحي القيوم قال: ولذلك لم يرد إلا قليلاً في القرآن في ثلاثة مواطن البقرة وآل عمران وطه **(وكان إبراهيم بن أدهم كبير الشأن في باب الورع يحكى عنه**

وقولهم: حدثنا سفيان إلى آخر ما ذكره عنه صاحب الطبقات، فارجع إليه إن شئت.

(قوله: لطلب الحلال) أي والحرام ليفعل الحلال ويجتنب الحرام ففيه اكتفاء، وإنما اقتصر على الحلال لكونه هو المقصود فعلاً فتدبر. **(قوله: وكان يأكل من عمل يده)** أي وذلك سنة داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام بل قال بعضهم: كان إذا لم يجد طعاماً حلالاً يأكل التراب، حتى أنه كان يمكث شهراً يأكل الطين **(قوله: فدعا به بعده)** أي بعد التعلم. **(قوله: لتقيد ذلك بالوضع)** أي وذلك بواسطة تقديم المعمول الذي هو اسم الله الأعظم المفيد للحصر. **(قوله: عن بدء أمرك)** أي عما حصل لك في ابتدائه. **(قوله: قبل اسم الله الأعظم الخ)** محصله أن اسم الله الأعظم غير معين في اسم بل هو كل اسم من أسمائه تعالى يحصل للعبد عند ذكره روحانية، ونفحات بها يحضر قلبه مع الله سبحانه وتعالى، فيشاهد عظمته، ويشغل به عن غيره، وحينئذٍ إذا دعا به العبد ربه في هذه الحالة يستجيب له. **(قوله: لظاهر قوله تعالى الخ)** وجه الدلالة من هذه الآية أن الصفة المذكورة لا تتم إلا لمن لجأ إلى الله غاية اللجا، وذلك يحقق معنى اضطراره فتدبر. **(قوله: على أنه الله)** أقول ويؤيد ذلك أنه الاسم الجامع لسائر الأسماء، والمنعوت بكافة الصفات،

أنه قال: **أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار)** نفلاً لأن طيب المطعم كصلاح القلب إذا صلح صلح الجسد كله **(وقيل كان عامة دعائه اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك)** وفي نسخة من ذل المعصية إلى عز الطاعة **(وقيل لإبراهيم بن أدهم أن اللحم قد غلا فقال أرخصوه)** أي: بالزهد فيه **(أي: لا تشتروه)** لأنكم إذا زهدتم فيه ولم تشتروه قلت الرغبة فيه فيرخص. **(أخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: سمعت أحمد بن خضرويه يقول: قال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف**

فهو ينعت ولا ينعت به والكل داخل تحت حيطته، واعلم أنّ بعضهم أخذ الأعظمية من قلة الورود، فذهب إلى أنه الحيّ القيوم، وبعضهم من كثرة الورود، فقال: هو لفظ الجلالة، وقلبي يميل إلى ما قدّمه في قوله قيل اسم الله الأعظم ما دعوته به الخ، والله اعلم. **(قوله: أطب مطعمك الخ)** أي بالاقتصار على قدر الحاجة من الحلال المحقق حله، وقوله ولا حرج عليك الخ أي لأنه بواسطة طهارة المطعم من قذورات الحرام، وما فيه شبهة يضيء القلب بإشراق أنوار اليقين، ويظهر أثره على صفحات الجوارح، فلا يصدر عنه حينئذٍ إلا الطيب، ويشير إلى ذلك خبر: «ما فضلكم أبو بكر بصلاة» الحديث فافهم. **(قوله: ولا عليك أن لا تقوم الليل الخ)** منه يؤخذ أن ثواب ترك ما حرم من الطعام امتثالاً يفضل ثواب التهجد وصيام النفل، وهو غير بعيد وفضل الله واسع. **(قوله: وقيل كان عامة دعائه الخ)** أي أكثر دعائه أن يقول اللهم أي يا الله انقلني، أي اصرفني عن ذل معصيتك أي عن معصيتك التي يترتب عليها ذلي في الدنيا لو اطلع على أحد فيها، وفي الآخرة بالعذاب الأليم إن لم تسبق لي عناية بالعفو، وقوله: إلى عز طاعتك أي بأن توفقني إلى القيام بطاعتك لأكسب شرفها، وعزها في الدنيا والآخرة، كما هو واضح.

فائدة

حكي عن العارف المذكور أنه كان يقول: مررت على حجر في سياحتي مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فوجدت مكتوباً عليه أنت بما تعلم لا تعمل، فكيف تطلب علم ما لا تعلم فتدبر. **(قوله: اللهم انقلني الخ)** أقول لعله قال هذا قبل وصوله إلى مقام التحقيق الذي لا بدّ فيه من العبور من منزل الخوف والرجاء، لأنهما مبدآن يمنعان عن التحقيق بالحقائق الإلهية التي هي محققة له، إذ من يطرأ عليه الخوف والرجاء وقتاً مّا أو لفعل مّا أو لشهود أمر مّا فليس هو من الفقر بشيء، وكذلك إذا كان يرجو أمراً ما يتعلق بالفتح عليه من الله تعالى في الحقيقة، أو من أمر الدنيا والآخرة، أو بما يختص به مما وعد به بواسطة أو بدونها، فهو مشرك مبعد ما له في الحقيقة قدم، فالعارف عندهم من لا يتغير بوجه من الوجوه، حتى لو قدّر عليه بذبح ألف ولي لله تعالى لما حزن، أو لو أعطي

اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات أولاها تغلق بضم التاء **(باب النعمة وتفتح باب الشدة والثانية تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالثة تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد)**. بفتح الجيم وضمها **(والرابع تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر والسادسة تغلق باب الأمل)** أي الرجاء **(وتفتح باب الاستعداد للموت)** لأن درجة الصالحين لا تنال إلا بارتكاب

العطية لما فرح، أو لو وعد بكل خير لما رجا إذ كان متغير ليس من الفقر على أصل فانهم. **(قوله: اعلم أنك لا تنال الخ)** أقول لما كانت حظوظ النفس في التنعم والعز والراحة وكثرة النوم والغنى والأمل نهى عن الاتصاف بها اللازم منه التجرّد عنها الذي هو سبيل الوصول إلى الدرجات العلية والمقامات السنية فقال اعلم الخ. **(قوله: تغلق باب النعمة)** أي التنعم والترفه أي لأن عباد الله ليسوا متنعمين بل حالهم دائماً خشونة العيش. **(قوله: تغلق باب العز)** أي لأنه منشأ مفاسد كثيرة كالكبر والعجب، والتغلب بالظلم والغفلة التي ينشأ عنها طول الأمل، والتهافت على الدنيا والإعراض عن الأخرى، وغير ذلك من الداآت المهلكة، وقوله: وتفتح باب الذل أي الخضوع والتواضع مع الحق والخلق، لوجهه سبحانه وتعالى.

(قوله: تغلق باب الراحة) أي ولذا قيل شعراً:

يغوص البحر من طلب اللآلي ومن رام العلا سهر الليالي

(قوله: وتفتح باب الجهد) أي الاجتهاد في فعل العبادة واجبة ومندوبة. **(قوله: تغلق باب النوم)** أي كثرته التي لا تنشأ غالباً إلا عن كثرة الأكل الذي يوجب الفتور، والكسل وقسوة القلب وظلمته، وأقل أنواع ضرره تفويت الوقت الذي هو كحدّ السيف، إن لم تقطعه قطعك، فلا تغفل. **(قوله: تغلق باب الغنى)** أي الاستكثار منه مع امساكه أو صرفه بدون إذن شرعي، أما كثرته من غير تعلق القلب به مع صرفه، فيما أذن فيه فلا بأس بها بل ربما حمل على ذلك إنما الدنيا مزرعة للآخرة فحرّر وتدبر.

(قوله: وتفتح باب الفقر) أقول أوقات الفقير في الفقر الحقيقي أعز وأغلى من الكدر والصفاء إذ الشأن الإلهي خارج عن أحكام الأطوار البشرية، فمن غيرته الحوادث بالصفاء والكدر، فليس من الفقر بشيء لا أعني بهذا التغير تغير الجسمان، والذبول والطراوة ولا التلوّن بتغاير الأكوان، بل أريد بذلك التغير القلبي المنزل للروح من أفقها العليّ الأعلى إلى الحضيض الدنيّ الأدنى، والله الموفق لا عالم به غيره. **(قوله: وتفتح باب الفقر)** أي الافتقار إلى الله تعالى، ولومع ملابسة المال على الوجه الذي قدّمناه فتأمّل. **(قوله: تغلق باب الأمل)** أي لأنه يؤدّي إلى الغفلة، والتهاون بالطاعات، والتسويف بها. **(قوله: وتفتح باب الاستعداد للموت)** أي بالتزوّد إلى سفره الطويل

المشقات والإعراض عن الراحات ومعنى الإغلاق هنا الإعراض عما ذكر، ومعنى الفتح التعرّض للمذكورات وعدم نفور الشخص منها إذا ابتلي بها فإنها سبب الخيرات إذا صحت النيات. (**وكان إبراهيم بن أدهم يحفظ كرماً فمرّ به جنديّ فقال: أعطنا من هذا العنب فقال: ما أمرني به صاحبه، فأخذ يضربه بسوطه فطأطأ رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله تعالى**) بعصياني بمثل ذلك ونحوه حال ولايتي وإمارتي (**فاعجز الرجل ومضى**) إليه حال سبيله وإنما صبر على أذاه لعجزه عن التخلص منه ولو بالهرب وإلا لم يصبر له لأنه ظالم له. (**وقال سهل بن إبراهيم صحبت إبراهيم بن أدهم فمرضت فأنفق عليّ نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره وأنفق عليّ ثمنه فلما تماثلت**) أي: قاربت البرء من مرضي (**قلت: يا إبراهيم أين الحمار فقال بعناه فقلت فعلى ماذا أركب فقال: يا أخي**) وفي نسخة يا أخيّ (**على عنقي فحملني ثلاث منازل**) هذا نوع مما مرت وصيته به في الستة المتقدمة.

(**ومنهم أبو الفيض ذو النون المصري**) الأخميمي (**واسمه ثوبان بن إبراهيم،**

المنقطع عن الرفقة فيه، وتستعين على ذلك بكثرة ذكر الموت على لسانك، وقلبك امتثالاً لخبر «أكثروا من ذكر هاذم اللذات» الحديث.

(**قوله: ومعنى الإغلاق الخ**) يريد رضي الله تعالى عنه أنّ الضرر، إنما هو من فعل ما تقدم على وجه العادة وحظ النفس لا أن فعل مراعياً فيه وجه الحق تعالى فافهم. (**قوله: اضرب رأساً الخ**) أقول حمله على هذا الإشارة إلى خبر: «ما أصاب المؤمن مصيبة إلا بذنب ارتكبه»، أو ذلك منه نفعناً الله به هضماً للنفس مع أن النفس، وإن كملت لا تخلو عن تقصير أو قصور، ويحتمل أنه قال ذلك ليتنبه الضارب، فيرجع عن قسوة قلبه، وذلك للشفقة منه على إخوانه المؤمنين، والله أعلم. (**قوله: فمرضت فأنفق عليّ الخ**) أقول المقصود من هذا حمل المريدين على إيثار إخوانهم على أنفسهم بالمال بل، وبالنفس ليتخلقوا بالأخلاق المحمدية، والشيم الأحمدية، كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى في حقه ﷺ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

(**قوله: فقال يا أخي، وفي نسخة يا أخيّ**) أقول لعله بسكون الياء في الأوّل وتشديدها في الثاني، وإن احتمل العكس. (**قوله: ومنهم أبو الفيض ذو النون الخ**) أي، وهو العارف الناطق بالحقائق الفائق في الطرائق، ذو العبارات الوثيقة، والإشارات الدقيقة، والصفات الكاملة، والنفس العالمة، والهمم الجليلة، والمحاسن الجزيلة زهت به مصر وديارها، وأشرق به ليلها ونهارها قال ابن يونس: امتحن وأوذي لكونه أتى بعلم لم يعهد، فمن ذلك قال جهلة المتفقهة: هو زنديق، وقال الجوزقاني: كان زاهداً عالماً ضعيف الحديث روى عن مالك، والليث وابن لهيعة، وفضيل بن عياض، وابن عيينة،

وقيل الفيض بن إبراهيم) (**وأبوه كان نوبيا توفي**) هو يوم الاثنين (**سنة خمس وأربعين ومائتين**) ودفن بالقرافة الصغرى (**فائق هذا الشأن**) من فاق الرجل أصحابه إذا علاهم بالشرف والإضافة بمعنى في (**وأوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً سعوا**) أي: وشوا (**به إلى المتوكل فاستحضره من مصر**) فحضر (**فلما دخل**) إليه (**وعظه فبكى المتوكل**) لما علم من وعظه له وقت الخوف أنه قائم بالحق والنصح (**ورده إلى مصر مكرماً**،

وروى عنه ناس كثير فمنهم الحسن بن مصعب، وأحمد بن صبيح والطائي وغيرهم، وأصله من النوبة، كما ذكره الشارح، ثم نزل باخميم فاقام بها فسمع يوماً صوت لهو ودفاف، فقال: ما هذا، قيل له: عرس، وسمع بجانبه بكاء وصياحاً فقال: ما هذا قيل فلان مات، فقال: أعطي هؤلاء فما شكروا، وابتلي هؤلاء فما صبروا، وخرج من البلد، ومن مقاماته العلية أن روحه الشريفة كانت تدبر أجساماً متعددة، ويشهد له ما نقله ابن العربي، فارجع إليه إن شئت. قال أحمد بن مقاتل: لما دخل ذو النون بغداد اجتمع إليه الصوفية، ومعهم قوّال فاستأذنوه أن يقول بين يديه شيئاً، فأذن، فابتدأ يقول:

صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي ... هوى قد كان مشتركا
أما ترثي لمكتئب ... إذا ضحك الخليّ بكا

قام ذو النون، وسقط على وجهه، والدم يقطر منه، ولا يسقط على الأرض، ومن كلامه: من راقب العواقب سلم، ومنه: إياك أن تكون للمعرفة مدعياً، أو بالزهد محترفاً أو بالعبادة متعلقاً، ففرّ من كل شيء إلى ربك، ومنه: من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه، ومنه: الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين، ومنه: من وثق بالمقادير لم يغتم، ومنه: الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالناس سم قاطع، ومنه: إذا خرج المريد عن حوزة الأدب يرجع إلى حيث شاء، ومنه: مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى، وقال: الصبر السكوت عند تجرّع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة، وقال: ما أخلص عبد إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف، وقال: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله، وقال: من تزين بعمله فحسناته سيآت، وقال: صدور الأحرار قبور الأسرار، وقال: العبودية أن تكون عبده في كل حال، كما هو ربك في كل حال، وله كلام كثير نافع والله أعلم.

(**قوله: وأبوه كان نوبياً**) أي وكان أحمر اللون. (**قوله: سعوا به الخ**) تأمل يا أخي في ابتلاء مثل هذا الكامل أوحد المشايخ الأفاضل تتسلى عن هذه الدار، وتعلم أن الغرور من شأن الكفار أو الفجار، وأن تخليص الظاهر والباطن يكسب عاقبة المحاسن، فعسى أن تسير بسير المحبين، وتحظى برتبة الموفقين إذ تنقيص هذا الكامل ما زاده إلا تعظيماً،

وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: **إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذي النون)** أي: فأسرع بذكره فإنه أفضلهم **(وكان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية سمعت أحمد بن محمد يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: مدار الكلام)** أي: ما يدور فيه كلام أهل التحقيق **(على أربع: حب الجليل، وبغض القليل واتباع التنزيل، وخوف التحويل)** أي: لا يخلو كلامهم منها لأنهم إما أن يتكلموا في معرفة الله تعالى وكماله وجلاله أو في تصغير الدنيا والإعراض عنها أو فيما جاءت به الشرائع أو فيما يخاف منه التغيير والتحويل بعد الاستقامة فإذا عرف العبد ربه ودنياه وتمت استقامته، وخاف على نفسه من الخاتمة فقد استقامت أحواله وهذا ساقط من أكثر النسخ وموجود بلا إسناد في بعضها هنا وفي بعضها مؤخر عن المقالة الآتية بلفظ وقال ذو النون: مدار الكلام إلى آخره. ومن كلامه من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم. **(سمعت محمد بن**

ولا حباه إلا تكريماً وتفخيماً. **(قوله: أهل الورع)** أي وهو الاقتصار على قدر الحاجة مما تحقق حله، واتقاء ما فيه شبهة مأكلاً وملبساً وغيرهما. **(قوله: وكان رجلاً نحيفاً)** أي كما هي عادة أهل الجد غالباً. **(قوله: مدار الكلام)** أي مدار الكلام النافع في طريق الوصول إليه تعالى وقت إرادة الإرشاد. **(قوله: حب الجليل)** أي، ومحبته باتباع ما جاء به رسوله ﷺ. **(قوله: وبغض القليل)** أي الإعراض عن حب الدنيا والتهافت على تحصيلها. **(قوله: واتباع التنزيل)** أي العمل بكل ما جاء به سيدنا محمد ﷺ من أمر ونهي وغيرهما من الأحكام.

(قوله: وخوف التحويل) أي التبديل على حسب ما سبق به القضاء في العلم القديم حيث أن الله تعالى واحد في الملك فاعل بالاختيار لا يسأل عما يفعل.

تنبيه

يستفاد من قول المصنف وخوف التحويل أن العبد ينبغي له العمل على حسب الأمر مع عدم الركون إلى شيء، حيث لا يأمن سوء السابقة، ولا يترك العمل وثوقاً بها، إذ هي بالنسبة للبشر من الغيب المحض، وينبغي له أيضاً عدم القنوط، وإن افرط أو فرط لذلك كذلك، والله أعلم. **(قوله: وخاف على نفسه الخ)** اعلم أن النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوّة الحياة، والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم الروح الحيوانية، وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة، وبين البدن المشار إليها في القرآن بالشجرة الزيتونة الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية، وذلك لازدياد رتبة الإنسان وبركته بها، ولكونها ليست من شرق عالم الأرواح المجرد، ولا من غرب عالم الأجساد الكثيفة فافهم. **(قوله: من لم يعرف قدر النعم الخ)** أي ومعرفة قدرها، إنما

الحسين رحمه الله يقول: سمعت سعيد بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت محمد بن أحمد بن محمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله) من حلم وعفو وكرم وغيرها (وأوامره وسننه) قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] (وسئل ذو النون عن السفلة) بكسر الفاء (فقال) هم (من لا يعرف الطريق إلى الله) عز وجل (ولا يتعرفه) لأن أهل التوفيق رجلان عالم ومتعلم، ومن عداهما هالك عامل بهواه مشغوف بحب دنياه. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: حضرت مجلس ذي النون يوماً، وجاءه سالم المغربي فقال له: يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك قال: عجب لا تطيقه قال) أقسمت عليك (بمعبودك ألا أخبرتني) عن سببها (فقال ذو النون أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحارى ففتحت عيني، فإذا أنا

تكون بشكر المنعم، وشكره لا يكون إلا بالقيام بمقتضى الأمر والنهي، وعدم معرفتها بذلك الذي جزاؤه سلبها على معنى صرفها في غير مصارفها الشرعية، فتكون حينئذٍ نقمة لا نعمة. (قوله: من علامات المحب) أي الصادق في محبته، وقوله: متابعة حبيب الله أقول، وهذا في مقام التشريع والتعليم فلا ينافي قول الصادق ﷺ: «المرء مع من أحب»[1] الذي يظهر منه بحسب سبب الورود أنه كذلك، وإن لم يعمل بعمل فتأمل. (قوله: فقال هم من لا يعرف الخ) أي وهم ممن لا يعبأ الله بهم بل جعلهم همجاً ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] أعاذنا الله، وأحبتنا من ذلك. (قوله: ما كان سبب توبتك الخ) أقول المراد الاستفهام عن أول مفاتيح السعادة، وبروق أنوار الهداية مما يبدو، وللعبد من اللامع النوري الداعي له إلى الدخول في حضرات التقريب، والسير فيها حتى يصل إلى البرزخ الجامع، وهو الحضرة الواحدية فافهم، واعلم أنه يقال للتوبة باب الأبواب لأنها مبادىء عروج العبد إلى افق السعادة ووصوله إلى كيمياء السيادة.

(قوله: قال عجب الخ) أي لكونه من وراء العقول، فتقصر عن إدراكه، وذلك باعتبار العقول التي أظلمتها كثرة كدورات الشهوات، والوقوف مع العادات، أما غيرها مما صفي وقته وراق مشربه، واشرق نوره وعلا معراجه، فذلك عنده غير بعيد بل هو

---

(١) أخرجه البخاري (أدب ٩٦) ومسلم (بر ١٦٥) والترمذي (زهد ٥٠) (دعوات ٩٨) والدارمي (رقاق ٧١) وأحمد بن حنبل (١، ٣٩٢، ٣، ١٠٤، ١١٠، ١٥٦، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٨، ٣٣٦، ٣٩٤، ٤، ١٠٧، ١٦٠، ٢٣٩-١٤٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٥).

بقنبرة) بضم القاف ضرب من الطير، ويقال قبره بحذف النون وتشديد الباء وقنبراً (عمياء سقطت من وكرها) بفتح الواو أي: عشها بضم العين (على الأرض فانشقت الأرض، فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة، وفي إحداهما سمسم) بكسر السينين (وفي الأخرى ماء فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا فقلت: حسبي) أي: كفاني هذا في قوّة يقيني (قد تبت ولزمت الباب) أي باب الكريم تعالى بالعمل المرجو ثوابه (إلى أن قبلني الله عز وجل. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت علي بن عمر الحافظ يقول سمعت ابن رشيق يقول: سمعت أبا دجانة يقول: سمعت ذا النون يقول لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاماً) قال ﷺ «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، حسب المسلم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[1] رواه الترمذي وحسنه، وفي حكمة لقمان يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة. (وسئل ذو النون عن التوبة فقال: توبة العوام تكون من الذنوب) قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ

أقرب من القريب فتدبر. (قوله: فإذا أنا بقنبرة الخ) أي فكانت له لائحة وردت من الجانب الأقدس تسبب عما عاينه فيها أن نفسه الكريمة أخذت في السير لقطع منازل السائرين، ومراحل السالكين الذي هو كناية عن قطع مشتهيات النفس وردّها عن مألوفاتها على حسب عاداتها، فمن خطى عن نفسه، ولو خطوة فقد فاز بالحظوة فافهم. (قوله: فقلت حسبي الخ) أي كافيَّ ذلك موعظة ورجوعاً إلى ربي، وذلك بحسب ما رأى من باهر آياته، ورفيع قدرته من مظاهر كرمه ورحمته.

(قوله: لا تسكن الحكمة معدة الخ) اعلم أن المراد بها العلم النافع مع العمل المتقن، وقوله: معدة ملئت طعاماً ما الخ أي لأن كثرة الأكل توجب قسوة القلب وظلمته، وينشأ عن ذلك فتور الجوارح عن العبادة وزيادة الغفلة، واعلم أيضاً أن الحكمة حكمتان منطوق بها، وهي علوم الشريعة، والطريقة، ومسكوت عنها، وهي أسرار الحقيقة التي لا يفهمها علماء الرسوم والعامة، بل قد تهلكهم، والحكمة المجهولة هي ما غاب عنا وجهها من أحكام سر القدر الذي استأثر الله بعلمه، وكل ذلك إنما يتوصل إليه بالجوع الموجب للنشاط في العبادة، والمؤثر في تنوير القلوب، حتى تدرك جواهر العلوم التي لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً فافهم. (قوله: قال ﷺ) أي وقيل أيضاً: «من أكل كثيراً نام كثيراً وفاته خير كثير». (قوله: نامت الفكرة) أي لغلبة الأبخرة، وقوله وخسرت الحكمة الخ أي لقسوة القلب، وقوله: وقعدت الأعضاء عن العبادة أي للفتور والاسترخاء.

(قوله: وسئل ذو النون عن التوبة الخ) اعلم أنهم رضي الله تعالى عنهم يعبرون عن

---

(١) أخرجه الترمذي (زهد ٤٧) وأحمد بن حنبل (٤، ١٣٢).

إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] (وتوبة الخواص) أي خواص المؤمنين (تكون من الغفلة) عن الطاعة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] أي خالصة له وزاد جماعة توبة الأخص وعبر عنه بعضهم بخواص الخواص، وهي التوبة من رؤية الحسنات والإلتفات إليها وحقيقة التوبة كما سيأتي في بابها إقلاع التائب عما يتوب عنه وندمه عليه وعزمه على أن لا يعود إليه ورده ظلامة الآدمي إن تعلقت به.

التوبة بالموت، ولهذا صنفوا الموت أصنافاً فخصوا مخالفة النفس بالموت الأحمر، وله الإشارة بخبر: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، وبخبر: «المجاهد من جاهد نفسه»، وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] يعني من الجهل بالعلم وجعلوا الموت الأبيض هو الجوع إذ به يتنور الباطن، ويبيض وجه القلب، قال بعض الحكماء: البطنة تميت الفطنة، وجعلوا الموت الأخضر بلبس المرقعة، وذلك لاخضرار عيشه بالقناعة ونضارة وجهه بنضرة الجمال الذاتي واستغنائه عن التجمل العارض كما قيل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

والموت الأسود هو عبارة عن تحمل أذى الخلق والله أعلم.

(قوله: عن التوبة) أي ويقال لها باب الأبواب لأنها أوّل ما يدخل به العبد إلى حضرة الرب، فيتحقق بمقام القرب. (قوله: فقال توبة العوام الخ) اعلم أنهم يريدون من العوام القائمين بما عليهم من أحكام الأوامر والنواهي، وإنما قد يخطىء الجواد لسابق التقدير، أما غير من ذكر فهم همج لا يعبأ الله بهم. (قوله: من الذنوب الخ) أي ولذا قالوا حرّية العامة بالتخلص من رق الشهوات والخاصة بالتخلص من رق العادات، وخاصة الخاصة بالتخلص من الوقوف مع الأحوال والمقامات، حيث تكون لهم أنفة لا ترضى إلا بمشاهدة الذات. (قوله: من الغفلة) أي فهم رضي الله عنهم يراعون أنفاسهم بدوام حضور قلوبهم في مراقبات أحوالهم، فإذا حصلت غفلة لقلوبهم وقتاً من الأوقات عدوا ذلك ذنباً، وتابوا منه نفعنا الله ببركاتهم، أي ولذا قال بعضهم لا يؤجر العبد على ما غفل عنه من العبادة، فأوجب الخشوع في الصلاة، وجمهور علماء الظاهر على أن الخشوع سنة. (قوله: يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله الخ) أي جددوا التوبة، أو دوموا عليها على حسب حال المخاطبين. (قوله: نصوحاً) قيل ومن علامات التوبة النصوح عدم مقارفة الذنب الذي تاب منه. (قوله: من رؤية الحسنات) أي رؤية اعتماد واستناد حيث العبرة بما سبق به القضاء الأزلي.

(قوله: وحقيقة التوبة الخ) أي والذنب المتوب منه مختلف تدبر. (قوله: أبو علي)

(ومنهم أبو علي الفضيل بن عياض خراساني من ناحية مرو) ولد بخراسان بكورة أبيورد وقدم الكوفة وهو كبير **(وقيل إنه ولد بسمرقند)** بفتح السين والميم والقاف وإسكان الراء نسبة إلى سمرقند مدينة بما وراء النهر **(ونشأب بأبيورد)** بفتح الهمزة وكسر الموحدة وسكون المثناة من تحت وفتح الواو وسكون الراء وبدال مهملة بليدة بخراسان **(مات بمكة في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة. سمعت محمد بن الحسين يقول: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر قال: حدثنا الحسن بن عبد الله العسكري قال؛ حدثنا ابن أخي أبي زرعة قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن راهويه قال: حدثنا أبو عمار عن الفضيل بن موسى قال: كان الفضيل شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي**

أي وهو الفضيل بن مسعود بن بشر التميمي، ثم اليربوعي كان إماماً ربانياً صمدانياً قانتاً عابداً زاهداً عظيم الشأن شديد الخوف دائم الفكر، ومن كلامه رضي الله عنه: قلوب العارفين الهموم عمرانها والأحزان أوطانها، ومنه: أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة به، ومنه: أوحى الله إلى بعض أنبيائه إذا عصاني من عرفني سلطت عليه من لا يعرفني، ومنه: طوبى لمن استوحش بالخلق وأنس بالحق، ومنه: من أعطي فهم القرآن أعطي علم الأولين والآخرين، ومنه: جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد فيها، ومنه: قرّاء القرآن أهل ذبول وخشوع، وقراء الأمراء أهل كير وعجب وإزدراء للناس، ومنه: لو خيرت أن أعيش كلباً وأموت كلباً، ولا أرى يوم القيامة لاخترت ذلك ولا أراه، ومنه: من أحب أن يذكر لم يذكر، ومن كره أن يذكر ذكر، ومنه: من خاف الله لم يضره شيء، ومن خاف غيره لم ينفعه شيء، ومنه: وعزته وجلاله لو أدخلني النار وصرت فيها ما أيست منه، ومنه: النظر إلى صاحب بدعة يورث العمى، ومنه: ما تزين العباد بشيء أفضل من الصدق إن الله يسأل الصادقين عن صدقهم، فكيف بالكاذبين، ومنه: يهابك الخلق على قدر هيبتك لله، ومنه: إياك ومجالسة القرّاء، فإنّ الغيبة فاكهتهم، ومنه: عالم الآخرة علمه مستور فاحذر مجالسة عالم الدنيا فإنه يفتن بغروره وزخرفته ودعواه العلم بلا عمل، ومنه: حقيقة المحبة إيثار المحبوب على الكونين، ومنه: من ادعى العبودية وله مراد باقٍ فقد كذب، ومنه: علمت أن الدنيا تفارقني اضطراراً ففارقتها اختياراً، ومنه: غير ذلك، كان من أعاظم أئمة المحدثين خرج له الجماعة إلا ابن ماجه وعنه أخذ الشافعي وابن المبارك وأسد السنة وغيرهم قال الذهبي وغيره: كان سيداً عابداً ورعاً زاهداً إماماً ربانياً عالماً فقيهاً وناهيك بقول ابن المبارك ما بقي على ظهر الأرض أفضل منه.

(قوله: من ناحية مرو) أي من قرية تعرف بقندين. **(قوله: أبيورد)** أي بفتح الهمزة

الجدران إليها سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فقال: يا رب قد آن فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رفقة فقال بعضهم: نرتحل، وقال قوم: حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا فتاب الفضيل وأمنهم وجاور الحرم) أي: فيه (حتى مات. وقال الفضيل بن عياض: إذا أحب الله عبداً أكثر غمه) بتذكر أمر آخرته وبتقصيره في أمر دينه وعدم نهضته في طاعته لربه عند نفسه (وإذا أبغض عبداً وسع عليه دنياه) وشغله عنه بحبه لها، ومن كلامه: ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدر

وكسر الباء، وسكون المثناة من تحت وفتح الواو وسكون الراء وبالدال المهملة، كما سيذكره الشارح. (قوله: مات بمكة) أي ودفن بجنب سفيان بن عيينة، وقوله: سنة سبع وثمانين أي وقيل سنة تسع وثمانين. (قوله: أنه عشق جارية الخ) تأمل يا أخي، حيث جعل الله تعالى الذهاب إلى المعصية رجوعاً إلى الطاعة، ففوض الأمر للعليم الحكيم جل شأنه. (قوله: فقال يا رب قد آن) أقول مثل هذا من نوع الجذبة الإلهية التي تقرب العبد بمقتضى العناية العلية المهيئة إليه ما يحتاجه في طيّ المنازل، والله أعلم. (قوله: رفقة) أي جماعة من الناس.

(قوله: فتاب الفضيل) أي اظهرها أو جددها لأنه قد أنشأها بمقتضى قوله: فقال: يا رب قد آن فرجع إن كان المراد به أنه رجع تائباً، وإلا فالمعنى هنا فأنشأ التوبة فتدبر. (قوله: وجاور الحرم) أي مكث فيه حتى مات.

(قوله: إذا أحب الله عبداً الخ) اعلم أن المحبة الأصلية هي محبة الذات عينها لذاتها لا باعتبار أمر زائد لأنها أصل جميع أنواع المحبات، فكل ما بين اثنين من المحبة، فهي إما لمناسبة في ذاتهما أو لاتحاد وصف أو مرتبة أو حال أو فعل، فكل ما بين اثنين من المحبة، فهي أما لمناسبة في ذاتهما أو لا تحاد وصف أو مرتبة أو حال أو فعل، فمحبة الله عبده لمناسبة تعينات الذات في صور المكنونات، فهي في الحقيقة محبة لذاته أيضاً لكن باعتبار، وإضافة فهو تعالى المحب، والمحبوب فافهم. (قوله: أكثر غمه) أي ومثل ذلك من الحكمة المجهولة لخفاء وجهها عندنا كإيلام الأطفال، والخلود في النار، فيجب الإيمان به والرضا بوقوعه واعتقاد كونه حقاً وعدلاً، وكثرة الغم يحتمل أنها بواسطة تجلي جلال الحق تعالى الذي هو قهاريته للكل والجلال له تعالى هو احتجابه بتعينات الأكوان، ولمعنى الاحتجاب والعزة لزم القهر للكل، ومحبة الله في مثل هذا للعبد بسبب ما يترتب على ذلك من افاضة الاحسانات والرحمات، حيث كان ذلك بمقتضى الحكمة السنية. (قوله: وإذا أبغض الله عبداً) أي أراد هلاكه وعقوبته، ووسع عليه دنياه أي يسر له تحصيلها، وشغل قلبه بذلك حتى تتزايد غفلاته. (قوله: ولكن بسخاء النفس الخ) ليس المراد أنها تكفي عن الصوم والصلاة

والنصح للأمة. **(وقال ابن المبارك إذا مات الفضيل ارتفع الحزن)** البالغ لكونه كان أكثر الناس حزناً في وقته. **(وقال الفضيل: لو أن الدنيا بحذافيرها)** بالذال المعجمة أي بأسرها واحدها حذفار **(عرضت عليّ ولا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها)** مخافة **(أن تصيب ثوبه)** فيه دليل على كمال حاله مع مولاه وأنسه به واستغراقه معه، ومن هذه حالته لو عرضت عليه الجنة بما فيها لكان ما هو فيه ألذ عنده منها فكيف بالدنيا الذي كرهها مولاه وزهد عباده فيها **(وقال الفضيل: لو حلفت)** وفي نسخة لأن أحلف **(أني مراء أحب إلي من أن أحلف أني لست بمراء)** خوفاً من عدم السلامة من شيء من مراتب الرياء الحاصلة باختلاف مراتب الصالحين لأن حقيقة الرياء التفات القلب في الطاعات إلى ثواب غير الله فمن الناس من يفعله ويدخل في عمله عليه فهذا غاية الفساد ومنهم من يدخل في عمله لله تعالى، ويعرض له في أثنائه ما يتزيد به فيبطل عمله، ومنهم من ينفي ما خطر له من التزيد ويبقى مسروراً بإطلاع الناس عليه في عمله فهذا مختلف فيه، ومنهم من يسكن لعمله، وإن

المفروضين، بل المراد بيان فضلها وشرفها، الحث على التخلق بها على أنه يحتمل أن فضلها بالنسبة لنفل الصوم والصلاة إذا تعين التخلق بها، وذلك لأن ثمرتها متعدية، وثمرة الصوم والصلاة قاصرة، والله أعلم. **(قوله: إذا مات الفضيل الخ)** أي فكان دائم الأحزان تخلقاً بالخلق المحمدي. **(قوله: لو أن الدنيا الخ)** أقول ذلك غير بعيد بالنسبة لمن كملت محبته للحق تعالى حيث بغض ما يبغضه، ولو تيسرت الدنيا من وجه حلال على أن الدنيا باعتبار شأنها مشغلة للقلب، والله أعلم بمقاصد عباده.

(قوله: ومن هذه حالته الخ) أقول هو غير بعيد بالنسبة لمقام المقربين من عباد الله على أن الجنة بما اعده الله فيها من جنس المشتهيات والملاذ، ومثل هذا الشيخ ممن يتحقق بمقام الفناء عن ذلك، فلم يكن له من المطالب إلا ذاته سبحانه وتعالى والله أعلم. **(قوله: لو حلفت الخ)** أقول قد حمله خوفه رضي الله عنه على أنه جوز تنقيص نفسه بإعتبار شأنها مع الحلف عليه على تزكيتها بنفي صفة الرياء عنها، فكان الحال الأوّل أحب إليه من الحال الثاني، وذلك من تمكنه من مقام القرب، وقوّة فنائه عما يلائم النفس، والله يختص برحمته من يشاء من أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح على أن القضية شرطية فافهم.

(قوله: التفات القلب الخ) وهذا من الكبائر محبط لثواب الأعمال، والعياذ بالله تعالى. **(قوله: إلى ثواب غير الله)** أي ما يقصد به أنه زائد على غيره فيه لأجل غرض فاسد من أغراضه، فيتحسن للمخلوقين بذلك، وهو من جنس ما قبله محبط للعمل والله أعلم. **(قوله: مختلف فيه)** أي وعندي أنه مما يرجى له الخير، وفضل الله واسع. **(قوله: وينسى)** أي يغفل

كان صحيحاً تاماً ويستحسنه، وينسى منة ربه عليه، ومنهم من يلتفت في وقت عبادته لربه لحسن عمله، وإن رآه منة من ربه وسلم من العجب فهذان لا يبطلان عمله، وبهذا الاعتبار قيل: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين، فإن إخلاص المريدين سلامتهم من أوّل رتب الرياء المحرم ورياء العارفين التفاتهم إلى عملهم ونظرهم إلى حسنه في حال عبادتهم **(وقال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس)** أي ليثنوا عليه بالإخلاص **(هو الرياء)** أما تركه للخوف من وقوعه في الرياء فليس رياء وإن كان تاركه مضيعاً له بل حقه أن ينفي ذلك الخاطر ويعمل **(والعمل لأجل الناس)** مع الله **(هو الشرك)** أما عمله لأجل الناس خاصة فهو رياء أو كفر. **(وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً، ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي فقلت له: في ذلك فقال: إن الله أحب أمراً فأحببت ذلك)** الأمر فيه دليل على كمال حزنه في سائر أوقاته وإنما تكلف الضحك والسرور بموت ولده على خلاف عادته لأنه علم أن الله تعالى يحب منه هذه الحالة لكونها دليل الرضا بقضائه فأظهرها لمولاه. **(وقال الفضيل: إني لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي)**

عن منة ربه حيث هو الموفق له أقول، وهو أحسن حالاً ممن قبله وقوله، ومنهم من يلتفت في وقت عبادته الخ، أي وهو أكمل ممن قبله كذلك **(قوله: أفضل من إخلاص المريدين)** أي لأنه قل أن يصفو ويتم. **(قوله: وقال الفضيل الخ)** منه يعلم أنه كان من أرباب الهمم العالية التي هي الدرجة الثانية، فلا يرضى فيها العبد، ولا يقنع إلا بالذات، فلم يكن له التفات إلى حال أو مقام، وأنه نفعنا الله به كان طبيباً روحانياً، وهو العالم بكمالات القلوب وآفاتها وأمراضها، وبكيفية حفظ صحتها واعتدالها ورد أمراضها، فهو حينئذٍ متحقق بمقام الإرشاد والتكميل فتدبر. **(قوله: هو الرياء)** أي لأنه من الغفلة عن النافع الضار، فالكمال في الفناء عن سائر الكائنات، والتحقق بالبقاء الأبدي فافهم. **(قوله: والعمل لأجل الناس)** أي باعتبار حب محمدة، أو إقبال عليه أو لنيل عرض فان. **(قوله: هو الشرك)** الخفي أي في العمل وهو من الكبائر محبط للثواب لا في الاعتقاد إذ هو كفر، والعياذ بالله تعالى. **(قوله: ما رأيته ضاحكاً)** أي فكان مشهده الجلال، وهو احتجاب الحق بعزته أن تدرك حقيقته اللازم منه قهاريته لسائر ما سواه، وعلوه على كافة ما عداه فافهم.

(قوله: فقلت له في ذلك) أي سألته عن السبب، فقال: إن الله الخ أي فكان مشهد ما صدر الأفعال، فكان مراده ما أراده الله، فموقفه موقف صدق حيث فني عن مراداته في مرادات ربه والله أعلم. **(قوله: وإنما تكلف الخ)** أقول وهذا لا ينافيه بكاؤه ﷺ على ولده إبراهيم وقوله: «إن العين لتدمع» الحديث لأنه بيان للجواز، وللتشريع للامة فتأمل. **(قوله: فأعرف ذلك في خلق حماري)** أي بأن يتعاصى عليه، وقوله: وخادمي أي باساءة

هذا يفعله الله حفظاً لأوليائه إذا قصروا في أحوالهم فيما بينهم وبينه أدبهم ليرجعوا إليه بسرعة، وتارة يعكس عليهم أسباب دنياهم وتارة أخرى أسباب آخرتهم من تغير قلوبهم وعدم نشاطهم، فإذا رجعوا إليه بالتذلل والسؤال منَّ عليهم بشريف نواله، وهذا التأديب لمن جلت رتبته فإنه لم يسمح له كما يسمح لغيره وربما كانت الغفلة لمن هذه درجته رحمة لما يعقبها من الجد والتشمير، وإن كانت الغفلة بلاء ونقمة في حق غيره.

(ومنهم أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي) نسبة إلى كرخ قرية ببغداد **(كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف ترياق)**

خلقه معه، ثم أقول: أن ذلك يدلك على أنه وصل إلى درجة المحبوبية بإشارة خبر: «إذا أحب الله عبداً عجل له العقوبة في الدنيا». **(قوله: وتارة أخرى أسباب آخرتهم)** أقول العقاب الأوّل بتعسير الدنيا أسهل من هذا العقاب بكثير. **(قوله: وربما كانت الغفلة الخ)** أي ولذا قال ابن عطاء الله في جملة حكمه: رب معصية أورثت ذلاً، وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً.

(قوله: ومنهم أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي) قال بعضهم هو على المعروف ملهوف، وعن الفاني مصروف، وبالباقي مشغوف وبالتحف محفوف، وباللطف مردوف كان شيخ السلسلة وشيخ السري، ولم يكن في العراق في وقته من يربي المريدين مثله، وجميع المشايخ يعرفون في ذلك فضله قال الغزالي: كان أحمد بن حنبل، وابن معين يختلفان، ويسألانه، ولم يكن في علم الظاهر مثلهما، وكان مجاب الدعوة، قال خليل الصياد: غاب ولدي فتألمت فجئت إلى معروف، فقلت غاب ولدي قال: وما تريد قلت رجوعه، فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك، وما بينهما لك ائت بمحمد فأتيت باب الشام، فإذا هو واقف فقلت: أين كنت قال كنت الساعة بالانبار، ولا أعلم ما صار، ومن فوائده أنه قال: حقيقة الوفاء إفاقة السر من رقدة الغفلات وفراغ الهم عن فضول الآفات، وقال: طول الأمل يمنع خير العمل، وقال: من قال كل يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد كتب من الأبدال، وقال: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، ورجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق، وقال: ما أكثر الصالحين، وأقل الصادقين منهم، وقال: إذا عمل العالم بعلمه استوت له قلوب المؤمنين، فلا يكرهه إلا من بقلبه مرض، وقال: احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم، وقال: التصوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما بأيدي الخلائق، وله كلام كثير نافع. **(قوله: يستشفى بقبره)** أي بالحضور عند قبره، وزيارته على الوجه المذكور في الشارح. **(قوله: وقد قال له يوماً**

بكسر التاء وتبدل بدال مهملة (**مجرب**) قال أبو عبد الرحمن الزهري يقال من قرأ عند قبره مائة مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وسأل الله ما يريد قضيت حاجته، ومثله يذكر عن قبري أشهب وابن القاسم صاحبي الإمام مالك رضي الله عنه وهما مدفونان بمشهد واحد بالقرافة يقف الزائر بين قبريهما ويقرأ ما ذكر ويدعو متوجه القبلة فيستجاب له **(وهو من موالي علي بن موسى الرضا رضي الله عنه مات سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين وكان)** رحمه الله **(أستاذ السري السقطي وقد قال له يوماً إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي)** قاله له ليكمل اقتداؤه به وانتفاعه به، فهو من باب التنبيه على الخير، ومن هذا القبيل ذكر الشيخ لتلميذه كراماته وأسرار معاملته مع ربه. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: كان معروف الكرخي أبواه)** هو بدل مما قبله**(نصرانيين فسلموا)** بناه على أن أقل الجمع اثنان **(معروفاً إلى مؤدبهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل)** الله **(ثالث ثلاثة فيقول)** معروف **(بل هو واحد)** وفي نسخ الواحد **(فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً)** أي شديداً**(فهرب معروف فكان أبواه يقولان**

الخ) أقول لما كان نفعنا الله ببركاته من العارفين المحققين، ومن خاصة أطباء الدين والذين كوشفوا عن حقائق الأشياء على ما هي عليه إذ المعرفة حالة تحدث عن شهود، كما أن العلم يحدث عن يقين، إذ هو عنوان علماء الرسوم من العامة، كما أن المعرفة حلية أرباب الخصوص من الخاصة داوى مريده بما عرفه وعالجه بما كوشفه، ويحتمل أنه كان مستغرقاً في بحر الواحدية، ومصطلماً في مشاهد اطلاق الأحدية، وهذا مجمع احصاء الأسماء الإلهية الذي يفنى فيه العبد عن الرسوم الخلقية، ويتحقق بالنعوت السرمدية، وإلا فكان الأكمل في طريق الإرشاد أن يسلك غير هذا في بلوغ المراد فافهم.

(قوله: ليكمل اقتداؤه به الخ) أي أو كان من باب التحدث بالنعمة. **(قوله: فيقول معروف بل هو واحد الخ)** أقول في ذلك دليل على أنه رضي الله عنه كان من المجذوبين، وهم من اصطنعهم الله لنفسه، واصطفاهم لحضرة أنسه وطهرهم بماء قدسه، فحازوا من المواهب ما وصلوا به جميع المراتب بدون كلفة المكاسب والمتاعب، واعلم أن مثل نفس هذا الأستاذ يعبرون عنها بالبقرة، وهي كناية عن النفس المستعدة لأنواع الكمالات التي بدت فيها صلاحية قمع الشهوات، والهوى الذي هو حياتها، ويكنى عن هذه النفس قبل هذه الحالة بالكبش، فارجع إلى كلامهم نفعني الله وإياك بعلومهم. **(قوله: فيقول معروف الخ)** فيه تنبيه على أن الأمر من الله وإلى الله وإن ربط الأسباب بمسبباتها أمر عادي، فعلى العاقل الرجوع إلى الله تعالى في كامل أحواله. **(قوله: يقولان ليته يرجع الخ)** أي وذلك لزيادة محبتهما له وتعلقهما به يتمنيان أنه يرجع لهما على أي دين شاء يوافقانه عليه.

ليته يرجع إلينا على أي دين يشاء فنوافقه عليه ثم أنه أسلم على يدي علي بن موسى الرضا، ورجع إلى منزله ودق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقالوا على أي دين جئت فقال على الدين الحنيفي فأسلم أبواه) هذا من جملة حفظ الله تعالى لأوليائه أن يكره لهم الشر في صغرهم ويحب لهم الخير، وكان من بركة إسلام معروف وفراره إلى ربه تأثير ذلك في أبويه حتى لم يجمع الله بينه وبينهما إلا على أحسن الأحوال، وهذا شأن من فر إليه من محل سخطه أن يرده إليه مكرماً. ومنه ما جرى لموسى عليه الصلاة والسلام لما فر من فرعون كلمه ربه ورده إليه رسولاً، وما جرى لنبينا ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً مكنه ربه ورده إليها فاتحاً مالكاً قاهراً. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا بكر الحربي يقول سمعت سرياً السقطي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم مكانه تحت العرش**

(قوله: ثم أنه أسلم الخ) اعلم أن العناية قد سبقت له، ولذا قد فر هارباً من الضلال لتحصيل طريق الهدى، حيث وفقه الله للرحلة، والسفر في طلبه تعالى، وهو درجات الأول من السفر هو رفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة، وذلك نهاية هذا السفر، وهو ما صار له رضي الله تعالى عنه، ونهاية السفر الثاني هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنية، ونهاية السفر الثالث هو زوال التقييد بالضدين الظاهر والباطن بالحصول في عين أحدية الجمع، والسفر الرابع عند الرجوع من الحق إلى الخلق في مقام الاستقامة، وهو أحدية الجمع، والفرق بشهود اندراج الحق في الخلق، واضمحلال الخلق في الحق حتى يرى عين الوحدة في صور الكثرة، وصور الكثرة في عين الوحدة فافهم. **(قوله: على يدي علي)** الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق كان عظيم القدر مشهور الذكر أجله المأمون، وأحله محل مهجته، وأشركه في مملكته، وعهد إليه بالخلافة من بعده بعدما أراد أن يخلع نفسه، ويفوضها إليه في حياته فمنعه بنو العباس، فمات قبله فأسف عليه، له كرامات كثيرة منها أنه قال لرجل صحيح سليم استعد لما لا بد منه فمات بعد ثلاثة أيام رواه الحاكم، ومنها ما رواه الحاكم أيضاً عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال رأيت المصطفى في النوم في المنزل الذي ينزله الحاج ببلدنا فوجدت عنده طبقاً من خوص فيه صيحاني فناولني ثماني عشرة تمرة، فبعد عشرين يوماً قدم علي الرضا من المدينة، ونزل ذلك المنزل، وفزع الناس للسلام عليه، ومضيت نحوه فإذا هو جالس بالموضع الذي رأيت المصطفى جالساً فيه، وبين يديه طبق فيه تمر صيحاني فناولني قبضة فإذا عدّتها بعدد ما ناولني المصطفى، فقلت: زدني فقال: لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك.

(قوله: الحنيفي) أي المائل إلى الحق. **(قوله: وكان من بركة الخ)** أقول: والسر

فيقول الله عز وجل لملائكته من هذا فيقولون أنت أعلم) به **(يا رب فيقول: هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي)** فيه تنبيه للسري على الجد والتخلق بأخلاق شيخه في كمال محبته لمولاه، وجميل حاله في تقواه حتى باهى الله به ملائكته بقوله: من هذا وهو أعلم به ليجمع هممهم عليه قبل الجواب، ويعرّفهم ما هو عليه من حسن الاستقامة مع ما ابتلاه به من اختلاف الأهواء والشهوات، وتسليط عدوه عليه بالوسوسة والتلبيسات، ومع ذلك سكر من حب مولاه حتى لم يلتفت لما عداه، فإن الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم لم يبتلوا بما ابتلي به الإنسان، ولا امتحنوا بمعاداة النفس والشيطان. **(وقال معروف: قال لي بعض**

الأعظم في كل ذلك إنما هو سابقة العناية، وإنما المظاهر أمارات فالله سبحانه وتعالى لا يحرمنا سبق عنايته، ويحفظنا بمتابعة خير بريته إنه جواد كريم.

(**قوله: فيقولون أنت أعلم به الخ**) أقول عدم علمهم به يدل على أنه من جملة المضنون بهم غيرة عليهم المقول لهم سود الوجوه الذين هم من أفراد الإنسان الكامل، وإنما قيل لهم سود الوجوه لأنهم دائماً في المشاهدة فيرون ظلمة الكون في نور مرآة الحق، ومن دونهم من السعداء بالعكس، فيقال: لهم بيض الوجوه في الدنيا والآخرة، وذلك لأنهم مرآة الحق فتنتفي ظلمتهم بنور الحق، وهو معنى قوله: في الخبر: «كنت سمعه» الحديث فافهم. (**قوله: سكر من حبي الخ**) أي غلب عليه هيام الحب بدوام المتابعة مع الإخلاص في العمل والمراقبة حتى غيبه عما سوى الحق تعالى، فلا يفيق من هذه الغيبة إلا باللقاء. (**قوله: سكر من حبي**) أي لأنه قد انكشف له حجاب مجمع الأهواء الذي هو حضرة الجمال المطلق الذي لا يكون هو إلا رشحة منه المشار إليه بقول بعضهم:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

(**قوله: مع ما ابتلاه به الخ**) أقول: ولعل ذلك سبب فضل الإنسان إذ مكابدة الأهواء والشهوات، حتى يقوى على ترك العادات والمألوفات لا تكون إلا بعظيم الجد والمجاهدات، فتدبر.

(**قوله: ومع ذلك سكر الخ**) أي بسبب قوّة روحه، وروحانيته واضمحلال ناسوته وبشريته. (**قوله: حتى لم يلتفت الخ**) أي لما وقر في قلبه، من أن كافة الممكنات هي الظل الثاني، وفي الحقيقة ليس إلا وجود الحق الظاهر بصورها، فلظهوره بتعيناتها تسمى باسم السوى باعتبار الإضافة إلى الممكنات، إذ لا وجود للممكن إلا بمجرد هذه النسبة وإلا فالوجود عين الحق، والممكنات ثابتة على عدمها في علم الحق، فهي شؤونه تعالى الذاتية، فالعالم صورة الحق، والحق هوية العالم وروحه، وإنما هذه التعينات في الوجود

أصحاب داود الطائي: إياك أن تترك العمل فإن ذلك) هو (**الذي يقربك إلى رضا مولاك فقلت وما ذلك العمل فقال دوام طاعة ربك**) بقلبك وجوارحك (**وحرمة المسلمين**) أي: معرفة منزلتهم في الدين والشفقة عليهم (**والنصيحة لهم**) اللازم من ذلك عادة مساعدتهم في مقاصدهم الصحيحة وتحمل ما يطرأ من أذاهم وتقصيرهم في حقه وفيما قاله تنبيه على الرد على من زعم أنه إذا وصل الفقير إلى دوام الحضرة والذكر ولذة المناجاة مع مولاه استغنى عن العمل. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت علي بن محمد الدلال يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك فقال: غفر لي فقلت: بزهدك وورعك فقال لا**) بل (**بقبولي موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء**) اللازم له عادة الزهد والورع وغيرهما من المقامات السنية (**وموعظة ابن السماك ما قاله معروف كنت ماراً**

الواحد إحكام اسمه الظاهر الذي هو مجلى لاسمه الباطن، فتأمل تفهم، والله بالحال أعلم. (**قوله: إياك أن تترك العمل الخ**) مراده نفعنا الله به الحث على دوام الجد في العبادة، ولو بلغ العبد غاية الكمال في القرب، وعدم الاغترار بما ذكره أهل البهتان من أن المقصود من العبد حضور القلب معه تعالى، فإذا تم له ذلك سقط عنه التكليف، فإن ذلك كفر وضلال.

فائدة: ينبغي للعبد السير إلى الله تعالى من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين الذي هو نهاية مقام القلب، ومبدأ التجليات الاسمائية، ذلك جميعه هو أول السير، والثاني هو السير في الله تعالى بالاتصاف بصفاته، والتحقق بأسمائه إلى الأفق الأعلى الذي هو مقام الروح والحضرة الواحدية، والثالث هو السير مع الله تعالى بالترقي إلى عين الجمع، والحضرة الأحدية الذي هو مقام قاب قوسين ما بقيت الأثنينية، فإذا ارتفعت فهو مقام أو ادنى، وهو مقام الولاية، والرابع هو السير بالله عن الله للتكميل الذي هو مقام البقاء بعد الفناء، والفرق بعد الجمع، وقولهم: السير بالله عن الله الخ المراد منه الاكتفاء بالقسمة الأزلية عن التشوف إلى زيادة عنها تدبر تفهم، وربك بالحال أعلم. (**قوله: وحرمة المسلمين**) أي احترامهم، وقوله: والنصيحة لهم أي لعامتهم وخاصتهم.

(**قوله: وفيما قاله: تنبيه على الرد الخ**) أي حيث كفروا لتكذيبهم القرآن العزيز قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] وفسر اليقين بالموت على ما ذهب إليه أئمة المسلمين. (**قوله: فقال لا بل بقبولي موعظة ابن السماك الخ**) أقول ويقال: لمثل هذا المدد الوجودي، وهو وصول كل ممكن إلى ما يحتاج إليه في وجوده على الولاء، حتى يبقى فإن الحق يمده من النفس الرحماني بالوجود حتى يترجح وجوده على عدمه

بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض الله) أي: قطع رحمته (عنه جملة ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه) وفي نسخة عليه (وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتاً ما) بأن يرحمه أواخر عمره (فوقع كلامه على قلبي فأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا) فإنها من جملة الطاعات فالاستثناء منقطع (وذكرت هذا الكلام لمولاي) المذكور (فقال: يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت أخبرني بهذه الحكاية محمد بن الحسين قال: سمعت عبد الرحيم بن علي الحافظ ببغداد يقول: سمعت محمد بن عمر بن الفضل يقول: سمعت علي بن عيسى يقول: سمعت سرياً السقطي) نسبة إلى بيع السقط (يقول: سمعت معروفاً يقول ذلك) وقال محمد بن منصور الطوسي كنت يوماً عند معروف فدعا لي ثم عدت إليه من الغد فرأيت في وجهه أثر شجة فهممت أن أسأله عنها، وكان عنده رجل أجرأ عليه مني فسأله عنها فقال له سل عما يعنيك فقال بمعبودك ألا عرفتني فتغير، وقال لم أعلم أنك تحلفني بالله صليت البارحة هنا واشتهيت أن أطوف فطفت، ثم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها فزلقت على الباب،

الذي هو مقتضى ذاته بدون موجوده، وذلك في التحلل، وبدله من الغداء والتنفس ومدده من الهواء ظاهر محسوس، وأما في الجمادات والأفلاك والروحانيات، فالعقل يحكم برجحان وجودها، والشهود يحكم بكون كل ممكن في كل آنٍ خلقاً جديداً فتدبر.

(قوله: ولزومي الفقر الخ) هو من عطف السبب على المسبب إذ القبول المذكور إنما نشأ من رقة القلب، وتنويره الناشىء كل منهما عن لزوم الفقر ومحبة الفقراء، وفيما ذكر إرشاداً إلى التقلل من الدنيا مع الإحسان إلى الفقراء، فتدبر. (قوله: من اعرض عن الله الخ) أي فلم ينظر في أدلة معرفته المفيدة لوحدة وجوده تعالى اللازم من ذلك الإعراض عن متابعة سيد المرسلين، وعلى ذلك فيجب على كل مكلف النظر في مرآة الوجود التي هي التعينات المنسوبة إلى الشؤون الباطنة التي صورها الأكوان، إذ الشؤون باطنة، والوجود المتعين بتعيناتها ظاهر، فمن هذا الوجه كانت الشؤون مرايا للوجود الواحد المتعين بصورها، ثم بعد تحقق هذا يرجع إلى الأخذ بالأسباب المحققة لسعادة الدارين، وذلك بمتابعة سيد الكونين عليه أفضل الصلاة، وأشرف التسليم. (قوله: فالاستثناء منقطع) أي لأن الخدمة المذكورة لم تكن من جنس ما كان عليه. (قوله: إن اتعظت) أي إن كان فيك قابلية قبول الموعظة. (قوله: وقال محمد بن منصور الخ) في هذه الحكاية الإشارة إلى أنّ من دام على الاستقامة ثبتت له الكرامة، ولك أن تقول لا كرامة غير الاستقامة. (قوله: فطفت الخ) أقول ذلك من قبيل طي البعيد، وهو نوع من

فأصاب وجهي ما تراه (**وقيل لمعروف في مرض موته أوص فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً**) ظاهره أنه لم يبق له ما يكفن فيه وكأنه أوصى بذلك حينئذ لما علم من إخوانه وأحبابه أنهم لا يتركون تجهيزه بل يرغبون فيه (**ومر معروف وهو صائم**) نفلاً (**بسقاء وهو يقول رحم الله من يشرب فتقدم فشرب فقيل له: ألم تكن صائماً فقال: بلى ولكني رجوت دعاءه**) رأى رحمه الله أن دعاء هذا السقاء له إذا شرب أفضل من استمراره على صومه لما رأى عليه من علامات الصلاح ورجائه من استجابة دعائه، ومن كلامه: الدنيا أربعة أشياء المال والكلام والمنام والطعام المال يطغي والكلام يلهي، والمنام ينسي والطعام يقصي.

(**ومنهم أبو الحسن سري بن المغلس**) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وكسر اللام المشدّدة (**السقطي خال الجنيد وأستاذه وكان تلميذاً لمعروف الكرخي**) كما مر (**كان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد**) ملازماً بيته لا يخرج منه إلا للجمعة والجماعة ولا يراه في غيرهما إلا من يقصده طلباً لسلامة دينه وإراحة

الكرامة كبسط القليل من الزمان. (**قوله: فإني أريد أن أخرج الخ**) فيه دلالة على تمام تجرد قلبه، وتخلصه من علق الدنيا، قال بعضهم: اعلم أن كيمياء السعادة نوعان، فكيمياء سعادة العوام استبدال المتاع الدنيوي الفاني بالمتاع الأخروي الباقي، وكيمياء سعادة الخواص هي تخليص القلب عن الكون إيثاراً للمكوّن، وكل منهما إنما ينشأ عن تهذيب النفس باجتناب الرذائل وتزكيتها، باكتساب الفضائل وتحليتها بها. (**قوله: لما علم من إخوانه الخ**) أي ولعله لم يكن له وارث، وفي هذا دلالة على أنه كان في غاية التقلل من الدنيا. (**قوله: فتقدم فشرب**) أقول لا حرج ولاسيما عند حسن المقاصد لقوله ﷺ: «الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر»[1]. (**قوله: الدنيا أربعة أشياء**) أي باعتبار مشتهياتها والحصر إضافي.

(**قوله: المال يطغي**) أي لقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦، ٧] وقوله والكلام يلهي أي المباح منه الذي هو مما لا يعني يلهي عما يعني من العبادة، ويشغل عنها، وقوله: والمنام ينسي، أي لأنه إنما ينشأ غالباً من كثرة الأبخرة الناشئة عن كثرة الأكل الموجب لزيادة الغفلات، وقوله: والطعام أي الزائد عن الشرعي يقسي، أي القلب، أي بسبب كثرة ظلماته الناشئة عن زيادة الطعام.

---

(١) أخرجه الترمذي (صوم ٣٤) وأحمد بن حنبل (٦، ٣٤١، ٣٤٣، ٤٣٤).

لقلبه وبدنه. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت أبا عمرو بن علوان يقول: سمعت أبا العباس بن مسروق يقول: بلغني أن السري السقطي كان يتجر)** وفي نسخة كان تاجراً **(في السوق وهو**

تنبيه

يعلم من كلام هذا الأستاذ الحث على أسباب سلوك الطريق الموصل إليه تعالى، وقد قالوا: زواهر الأنبياء وزواهر العلوم، وزواهر الوصلة هي علوم الطريقة لكونها أشرف العلوم وأنورها، ولكن الوصلة إلى الله تعالى متوقفة عليها، فحينئذٍ تكون نفس هذا الشيخ هي النفس المستعدة للإرشاد بسبب قوّة نور القدس الناشيء عنه قوّة التفكر في الأنفع.

(قوله: السري السقطي) قال بعضهم: هو خال الجنيد وأستاذه إمام أزهرت روضة رياسته، واشتهرت أخبار تربيته وسياسته انتهت إليه مشيخة الصوفية، وتفجرت عيون موارده في المعارف الإلهية، ومع هذا كان وجيهاً عند الملوك والأكابر معظماً بين أرباب السيوف والمحابر، أخذ عن الكرخي وغيره، وسمع الحديث من الفضيل، وهشيم وأبي بكر بن عياش، وعلي بن غراب، ويزيد بن هارون وغيرهم، وروى عنه الجنيد وأبو العباس بن مسروق وغيرهما، قال السلمي هو أوّل من أظهر ببغداد لسان التوحيد، وتكلم في الحقائق والإشارات، وله كلام في الحقائق نافع، ومنه أنه قال: عجباً لضعيف كيف يعصي قوياً، وقال: إن في النفس لشغلاً عن الناس، وقال: احذر أن تكون ثناء منشوراً وعيباً مستوراً، وقال: الشوق والأنس يرفرفان على القلب، فإن وجدا فيه هيبة واجلالاً، وإلا ارتحلا اجتمع ببعض العارفات، فقال لها يا جارية قالت لبيك يا سري، فقال: من أين عرفتيني قالت: ما جهلت منذ عرفت، ولا فترت منذ خدمت، ولا انقطعت منذ وصلت، وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضاً، فقال: أسمعك تذكرين المحبة، فلمن تحبين قالت لمن تعرّف إليّ بنعمائه، وجاد عليّ بجزيل عطائه، وأنشأت تقول:

ألبستني ثوب وصل طاب ملبسه ... فأنت مولى الورى حقاً ومولائي
كانت لقلبي أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
من غص داوى بشرب الماء غصته ... فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبي حزين على ما فات من زللي ... والنفس في جسدي من أعظم الداء
والشوق في خاطري صيما وفي كبدي ... والحب مني مصون في سويدائي
إليك مني قصدت الباب معتذراً ... وأنت تعلم ما ضمته أحشائي

ومن كلامه لا تكمل المحبة بين اثنين، حتى يقول كل للآخر يا أنا، وله كلام آخر فائق نفعنا الله ببركات علومه. **(قوله: طلباً لسلامة دينه)** أي لأن الشرور غالباً إنما تكون من الخلطة، وحيث كان ذلك من الشيخ في زمانه، فكيف الحال بنا في زماننا، فلا حول

من **أصحاب معروف الكرخي)** كما مر **(فجاء معروف يوماً ومعه صبي يتيم فقال له: اكس هذا اليتيم قال سري: فكسوته ففرح به معروف وقاله له: بغض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إليّ من الدنيا وكل ما أنا فيه من بركات معروف)** فيه تحريض على إدخال التلميذ المسرة على المشايخ بفعل ما يشيرون به ليدعوا له باجتهاد. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول سمعت الجنيد يقول: ما رأيت اعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت)** لعجزه، فيه تنبيه على كمال مجاهدته وملازمته الإقبال على الله تعالى بالقلب والجوارح. **(ويحكى عن السري أنه قال: التصوف اسم لثلاث معان)** من قامت به فهو الصوفي لأن التصوف مشتق على الصحيح من الصفا عن الكدر وقد بين المعاني الثلاث مع من قامت به فقال **(وهو الذي لا يطفيء نور معرفته نور ورعه)**

ولا قوة إلا بالله. **(قوله: ففرح به معروف)** أي حيث امتثل، وبذل، ورأى اخلاصه فيه، ومن أجل ذلك دعا له بحضور قلبه وجمع همه.

(قوله: بغض الله إليك الخ) إن قلت لم لم يطلب له زيادة التوفيق، والغنى، قلت: لعله كان ممن رزق الحكمة التي هي العلم بحقائق الأشياء وأوصافها وخواصها وأحكامها على ما هي عليه، وبارتباط الأسباب بالمسببات، وأسرار انضباط نظام الموجودات، فبمقتضى ما لاح له بالنور دعا له بالدعاء المذكور على أن الخير كله في بغض الدنيا، كما أن جماع الشر كله في حبها. **(قوله: فقمت من الحانوت الخ)** منه يعلم أن الشيخ كان مجاب الدعوة. **(قوله: وكل ما أنا فيه)** أي زيادة عن تجرده وبغضه للدنيا الحاصل بدعائه نفعنا الله به. **(قوله: ما رأيت أعبد من السري)** أي وهو غير بعيد باعتبار من منح الحكمة الجامعة التي هي معرفة الحق، والعمل به ومعرفة الباطل واجتنابه، كما أشار إلى ذلك الخبر بدعائه ﷺ الذي كان يقول فيه: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه»[1]. **(قوله: ما رؤي مضطجعاً الخ)** أي لأنه كان من المجاذيب الذين هم السائرون إلى الله تعالى حاملين لزاد التقوى والطاعة حتى يصلوا إلى منازل القلب ومقامات القرب، فيكون حينئذٍ سيرهم في الله فافهم.

(قوله: وهو الذي لا يطفيء الخ) أقول فاعل الفعل الذي هو يطفيء قوله نور معرفته، وقوله: نور ورعه منصوب على أنه مفعول به، والمعنى أن نور المعرفة الذي من جملته علم، ويقين أن العبرة، والمعول عليه إما هو بما سبق به القضاء الأزلي من سعادة

---

(١) أخرجه العراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٣٦٦).

وهو الكف عن محارم الله تعالى بخلاف من يطفيء نور معرفته نور ورعه **بأن أخطر الشيطان** لمن أراد الله خذلانه أن عملك لا يفيدك شيئاً لأنه لا يجري عليك إلا ما سبق لك عند مولاك فيترك العمل **فالعلم بما سبق** مبهماً لا يمنع من العمل لأنه لا يدري ما سبق له على التعيين والظاهر عنوان الباطن (**ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة ولا تحمله الكرامات**) التي ظهرت منه (**على هتك أستار محارم الله**) بأن لا يعتقد أنه ممن لا يؤاخذ بالزلات إذ لو اعتقد ذلك كان آمناً من مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. (**مات السري سنة سبع**) قال الشيخ السراج ابن الملقن، والأصح سنة ثلاث (**وخمسين ومائتين**) ودفن

أو ضدها لا يطفيء نور الورع المفيد للاجتهاد، وبذل الوسع في الطاعة، والعمل بالأوامر والنواهي ما دام حياً قادراً، فلا يجوز ترك العمل، والاعتماد على ما سبق، وذلك لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ونهاية الكمال أن لا يعتمد على شيء من أعماله والله أعلم. (**قوله: بأن أخطر الشيطان الخ**) هو تصوير لمن أطفأ نورمعرفته نور ورعه. (**قوله: فالعلم بما سبق**) أي اعتقاد ثبوت القضاء والقدر في الأزل لا يمنع من العمل، أي كما لا يقتضيه لجهله بالنسبة لنا، وعدم تعيين ما انبرم من الأحكام منه سبحانه وتعالى، وحينئذٍ، فيجب العمل بمقتضى الأوامر والنواهي، مما جاء على لسانه ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقوله ﷺ: «كل ميسر لما خلق له»[1] وغير ذلك مما يدل على وجوب العمل ولا سيما، وما يظهر على الجوارح البشرية إمارة على ما خفي عنا من أسرار أحكام الالوهية، فتأمل والله الموفق. (**قوله: ولا يتكلم بباطن الخ**) أي فلا يتلفظ بعبارة لها معنى خفي باطن، وهو حق وصحيح، ولكن ظاهر تلك العبارة ينافيه ظاهر الكتاب والسنة، فلبشاعة الظاهر منع منه، وإن حسنت المقاصد فتأمل.

(**قوله: ولا تحمله الكرامات الخ**) أي لا يركن الإنسان، ويعتمد على ما أكرمه الله به من الكرامات، وأسرار خوارق العادات، ويغفل عن سر القضاء والقدر الذي به يحتمل التغيير والتبديل، والحاصل أن الواجب على العبد دوام الخوف منه تعالى، فلا يركن على كائن من الكائنات، وإن كان حسناً في نظر الشرع لجهله أحكام القضاء والقدر بل يقوم بالعبادة والمتابعة ويفوض الأمر لمن له الأمر كيف، وقد قال تعالى: حكاية عنه ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري (تفسير سورة ٩٢، ٣ ـ ٥، ٧) (أدب ١٢٠) (قدر ٤) (توحيد ٥٤) ومسلم (قدر ٦ ـ ٨) وأبو داود (سنة ١٦) والترمذي (قدر ٣) (تفسير سورة ١١، ٣) وابن ماجه (مقدمة ١٠) (تجارات ٢) وأحمد بن حنبل (١، ٦، ٢٩، ٨٢، ١٢٩، ١٣٣، ١٤٠، ١٥٧، ٢، ٥٢، ٧٧، ٣، ٢٩، ٤، ٦٧، ٤٣١).

بالشونيزية. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يحكي عن الجنيد أنه قال سألني السري يوماً عن المحبة فقلت قال قوم هي الموافقة)** للمحبوب **(وقال قوم)** هي **(الإيثار)** لغيره على نفسه بالأمور الدنيوية **(وقال قوم)** هي **(كذا وكذا فأخذ السري جلدة ذراعه ومدها فلم تمتد ثم قال: وعزته تعالى لو قلت أن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت، ثم غشي عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق، وكان السري به أدمة)** أي سمرة. بالغ السري رحمه الله في تعليم التلامذة اكتساب الأحوال والمقامات بأنواع المجاهدات ولا يقنعون بمجرد الأقوال والركون إلى الراحات وذلك أن من قويت محبته في شيء جد في تحصيله وأزال ذلك نومه وأطال سهره وهمه

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. **(قوله: قال قوم هي الموافقة)** أي ويعبر عن مقام مثل هذا المحب بوصل الفصل، وجمع الفرق، وهو ظهور الوحدة في الكثرة، فإن الكثرة فاصلة لوصل الوحدة مكثرة لها بالتعينات الموجبة لتنوع مظاهر الوحدة في القوابل المختلفة اختلاف اشتكال الوجه الواحد في المرايا المختلفة، وفوق هذا المقام مقام وصل الوصل، وهو العود بعد الذهاب، والعروج بعد النزول إذ كل أحد منا قد ينزل عن أعلى المراتب الذي هو عين الجمع، والوصل المطلق إلى أدنى المهاوي وهو عالم العناصر المتضادة فمنا من أقام في غاية الحضيض حتى هبط أسفل سافلين، ومنا من رجع إلى مقام الجمع بالسير إلى الله وفي الله حتى وصل إلى الوصل الحقيقي في الأبد، كما كان في الأزل، تدبر تفهم، والله سبحانه أعلم.

(قوله: هي الموافقة) أي بأن يكون مراد المحب تابعاً لمراد المحبوب، فيما يلائم وفي غيره، وقد أشار إليه بعضهم حيث قال شعراً:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه، ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... طرباً لذكرك فليلمني اللوّم

(قوله: وقال قوم هي الإيثار) أي تقديم المحب محبوبه على نفسه في الأغراض الدنيوية أي، والأخروية إن لم يفوّت على نفسه فضيلة شرعية. **(قوله: فاخذ السري الخ)** أراد نفعنا الله به تعليم التلامذة بالحال الواقع له ليكون اقوى في الإرشاد من التعليم بالمقال كما يشير إليه الشارح. **(قوله: من محبته)** أي الموجبة لزيادة متابعته وجده واجتهاده في عبادته، والخروج عن عاداته ومألوفاته. **(قوله: ثم غشي عليه)** أي بسبب استحضاره عظمة ربه سبحانه وتعالى. **(قوله: فدار وجهه كأنه القمر)** لعله بتزايد أنوار سره فاضت على صفحات وجهه، يختص الله برحمته من يشاء. **(قوله: ولا يقنعون بمجرد الأقوال)** أي لأن ذلك من حظ المنافقين، كما حكى الله عنهم في كتابه حيث قال: ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]، وكقوله ﷺ: «المتشبع بما لم ينل كلابس

وغمه وقل طعمه وشربه فيبس جلده على عظمه من توالي ذلك على قلبه ففعل السري ما فعل وغلب عليه الحال لكمال الوقت الذي أقسم فيه فغشي عليه وظهرت آثار صدقه على وجهه فنار وجهه كأنه قمر مشرق، فالتأديب بالحال أكمل منه بالمقال

ثوبي زور»[1]. (قوله: وذلك أن من قويت الخ) الإشارة للمذكور قبله من أن المقامات والأحوال لا تكون إلا بتمام المجاهدات إذ من قويت محبته لشيء استعمل الجد في تحصيله، فما ظنك بأنفس النفيس، فهو بالأولى لا يكون الحصول عليه هيناً بل لا بد فيه من بذل الوسع، والخروج عن جميع المألوفات، والله تعالى ولي العنايات يختص برحمته من يشاء فافهم. (قوله: وأزال ذلك) أي الجد والاجتهاد نومه أي لأجل نيل مقصوده، كما أشير إلى ذلك في قول بعضهم:

يغوص البحر من طلب اللآلي ... ومن رام العلا سهر الليالي

(قوله: من توالي ذلك على قلبه) أي حيث هو من مظاهر الخوف ومجال العظمة. (قوله: لكمال الوقت) أي بسبب حضور قلبه فيه بمراقبة ربه.

(قوله: وظهرت آثار صدقه) أي بعمارة باطنه، وقوّة يقينه فتزايدت الأنوار، حتى فاضت، وظهرت على الجوارح الظاهرة فأشرق بذلك وجهه، ودار كأنه القمر، ولم يمنع من ذلك ما كان به من الأدمة نفعنا الله ببركاته، وإخواننا المؤمنين. (قوله: في الاستغفار) أي في طلب المغفرة منه تعالى عن قولي أي من أجله فعن بمعنى من التعليلية. (قوله: قيل له وكيف ذلك) أي كيف تستغفر من قولك الحمد لله، والحال أنه ثناء على الله سبحانه وتعالى في مقابلة نعمه، وهو من الطاعات، وقوله: قال وقع الخ محصل جوابه أن الاستغفار من إيثار نفسه، حيث أوقع الثناء بصدد ما حصل له من نجاة حانوته من النار مع الغفلة، عما صار لإخوانه المؤمنين رضي الله تعالى عن عباده الصالحين. (قوله: حيث أردت لنفسي الخ) اعلم أن النفس أمارة ولوّامة ومطمئنة فالأمارة تميل إلى الطبيعة البدنية، وتجنب القلب إلى الجهة السفلية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] واللوامة هي التي تنورت بنور القلب تنور أمّا قدر ما تنبهت من سنة الغفلة فهي مترددة بين جهة الربوبية والخلقية، فكلما صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية تداركها نور التنبيه الإلهي، فاخذت تلوم نفسها وتتوب مستغفرة راجعة إلى باب الغفار الرحيم، والمطمئنة هي التي لم تتنور بنور القلب حتى انخلعت عن الصفات الذميمة، وتحلت بالحميدة فتوجهت إلى القلب بالكلية متابعة، وجاذبة له إلى عالم القدس مجانبة لعالم الرجس حتى خاطبها ربها بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَٱدْخُلِى

---

(١) أخرجه البخاري (نكاح ١٠٦) ومسلم (لباس ١٢٦، ١٢٧) والترمذي (بر ٨٧) وأحمد بن حنبل (٦، ١٦٧، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٣).

وفيه جواز إظهار المشايخ الصفات المحمودة والنطق بها لتلامذتهم ليكمل اقتداؤهم بهم. **(ويحكى عن السري أنه قال منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار عن قولي)** في ابتداء أمري في الوقت الذي كنت أبيع واشتري فيه في السوق **(الحمد لله مرة قيل)** له **(وكيف ذلك قال: وقع ببغداد حريق)** فأحرق الحوانيت وما فيها **(فاستقبلني رجل)** وفي نسخة واحد **(فقال لي نجا حانوتك فقلت الحمد لله فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت حيث أردت لنفسي خيراً مما)** أي بدل ما **(حصل للمسلمين)** إذ كان حقه أن يغتم لهم فلما فاته ذلك استغفر الله من غفلته كلما تذكرها **(أخبرني به عبد الله بن يوسف قال سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا بكر الحربي يقول سمعت السري يقول ذلك. ويحكى عن السري)** أيضاً **(أنه قال أنا أنظر في أنفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسودّ)** أي **(خوفاً من الله أن يسوّد صورتي لما أتعاطاه)** أي من التقصير في كمال التعظيم له تعالى بالإجلال لا من المعاصي لأنه رحمه الله تعالى كان مبرأ عنها أو إنما خص الأنف لأن الشخص لا يرى من وجهه غير أنفه. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة فقلت له، ما هو**

فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠]. **(قوله: إذ كان حقه أن يغتم الخ)** أي لأن المؤمنين كالعضو الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله.

(قوله: أنا أنظر في أنفي الخ) أي أكرر النظر فيه خوفاً من أن يكون قد اسودّ يعني مع باقي الصورة، وذلك من تجلي صفة الجلال، والقهارية على هذا الشيخ بسبب التفاته إلى تقصير النفس الذي لا يخلو عنه الإنسان غالباً، وهو مقام رفيع له نفعنا الله به. **(قوله: أن يسود صورتي الخ)** إن قلت التقصير لا يظهر على الصور قلت بالنسبة للمحبوبين لا للمكاشفين. **(قوله: كان مبرأ عنها)** أي محفوظاً منها، كما هو شأن مثله المحفوظين. **(قوله: لا يرى من وجهه غير أنفه)** أي بدون واسطة مرآة.

(قوله: أعرف طريقاً) أي من طرق الوصول إلى الله تعالى مختصراً قصداً، أي متوسطاً إلى الجنة، ومحصل الغرض له إبعاد المريدين عن مهنة التطلع إلى ما في يد الغير وحثهم على التقلل من الدنيا، حتى لا يكون بيدهم ما يوجب تطلع غيرهم لهم أيضاً. **(قوله: إلى الجنة)** اعلم أنها جنات جنة الأفعال جزاءً لها، وهي صورية إذ هي من جنس الملاذ، وجنة الوراثة، وهي جنة الأخلاق الحميدة الحاصلة بمتابعة سيد المرسلين، وجنة الصفات الحاصلة من تجلي الصفات، والأسماء الإلهية، وهي جنة معنوية، وجنة الذات، وهي للقلوب والأرواح الحاصلة من مشاهدة الجمال الأحدي، وجنة الضيق والسعة الأولى ما لا اتساع معها للغير لا وجوداً، ولا تعقلاً كقولهم: لا يعرف الله غير

فقال لا تسأل من أحد شيئاً ولا تأخذ من أحد شيئاً ولا يكن) وفي نسخة ولا يكون **(معك شيء تعطي منه أحداً)** لأن العبد يكتسب بقدر حاجته من وجه طيب فيستغني به عن السؤال ولا يتعلق به أحد من المحتاجين. **(سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت الجنيد ابن محمد يقول: سمعت السري يقول: أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد فقيل له ولم)** اشتهيت **(ذلك قال)** لأني **(أخاف أن لا يقبلني قبري فأفتضح)** قاله اتهاماً لنفسه وقد كان مستور الحال بين الناس في الدنيا فأحب أن يستره عنهم في الآخرة، ويحتمل أن يكون أحب حفظ قلوب العامة من أن يسوء ظنهم بالصالحين، فلا ينتفعوا بهم فإنهم إذا رأوا من اشتهر بالصلاح لم يقبله قبره دلهم ذلك على خبث باطنه فيسوء ظنهم بأمثاله. **(سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول سمعت أبا الحسن بن عبد الله الغوطي الطرسوسي يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول اللهم مهما)** أي إن **(عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل**

الله، والثانية هي الحاصلة بالظهور، وفي جميع المراتب باعتبار الأسماء، والصفات المقتضية للمظاهر الغير متناهية، وهي جنة السعة كما قيل:

لا تقل دارها بشرقيّ نجد ... كل نجد للعامرية دار
ولها منزل على كل ماء ... وعلى كل دمنة آثار

(قوله: لا تسأل من أحد شيئاً) أي لخبر: «اليد العليا خير من اليد السفلى» المشير إلى ترك التعرض للمسألة، والعليا في الخبر المعطية، والسفلى الآخذة وإن انعكس الحال في الظاهر. **(قوله: ولا يكن معك شيء)** الغرض منه الحث على قلة التكسب إذا وافق إذناً شرعياً بواسطة عدم المؤن اللازمة.

(قوله: لأن العبد الخ) المراد به الكامل من العبيد إذ هذه الصفة لا تكون إلا للكامل منهم. **(قوله: فقيل له ولم الخ)** وجه السؤال إن مما جبل عليه البشر حب الوطن، فكيف يتمنى هذا الشيخ مفارقته مع أن جمع الموتى الذين بينهم قرابة أفضل في الدفن من غير الجمع. **(قوله: قال لأني أخاف الخ)** أي، وذلك إنما ينشأ غالباً من تجلي الأحدية، ومن عدم الركون إلى خير العمل بسبب جهل سر القضاء والقدر، وهذا حال الكمل كما ترى والله أعلم. **(قوله: اتهاماً لنفسه)** أي مع تبريه من الحول والقوّة. **(قوله: ويحتمل الخ)** هو الأوفق بمقامه على أنه لا مانع من كل من المعنيين أن يراد.

(قوله: أي إن عذبتني الخ) يشير الشارح بذلك إلى أن معنى قوله: مهما عذبتني أي إن كان السابق في قضائك وقدرك تعذيبي، فلا يكن بذلّ الحجاب أي بالحجاب الذي هو سبب الذل في الدنيا والآخرة. **(قوله: فلا تعذبني بذل الحجاب)** أي وهو الحاصل

الحجاب) فيه دليل على كمال معرفته بربه ودوام أنسه به وتلذذه بمناجاته في ليله ونهاره حتى صار الحجاب عنه أشق عليه من كل حجب وألم وأراد بالحجاب الجهل والضلال أو كل ما يشغل العبد عن الحق حتى من العرفان، ومن أكثف الحجب حجاب الدنيا والخلق والشيطان والنفس فإنهن المهالك، وأعدى عدوّ للسالك.

(سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول: دخلت يوماً على السري السقطي وهو يبكي فقلت) له **(وما يبكيك فقال جاءتني البارحة الصبية)** بنتي **(فقالت يا أبتِ هذه ليلة حارة وهذا الكوز أعلقه ههنا ثم إنه حملتني)** وفي نسخة غلبتني **(عيناي فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت لمن أنت فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرّد في الكيزان فتناولت الكوز فضربت به الأرض)** فكسرته **(قال الجنيد فرأيت**

بالوقوف مع ظواهر المكونات مع الغفلة عن المسألة الغامضة التي هي بقاء الأعيان الثابتة على عدمها مع تجلي الحق باسم النور، أي الوجود الظاهر في صورها، وظهوره بأحكامها، وبروزه في صور الخلق الجديد على الآفات بإضافة وجوده إليها، وتعينه بها مع بقائها على العدم الأصلي، وهذا ذوق كشفي ينبو عنه الفهم، والعقل الظلماني، ولهذا سميت غامضة فافهم. (**قوله: فلا تعذبني بذل الحجاب**) يشير إلى أن النار هي نار البعد، والجنة هي جنة القرب، فالنار مع الشهود نعيم، والجنة مع الغفلة عذاب مقيم. (**قوله: فيه دليل على كمال معرفته الخ**) أي لأن التألم بالحجاب من ذوق لذة القرب بحضور القلب مع الغيبة عن السوى، وذلك المقام لا يكون إلا لعارف. (**قوله: أو كل ما يشغل العبد عن الحق**) أقول هو أولى مما قبله لعمومه، ولمناسبته لمقام الشيخ فالحمل عليه أولى. (**قوله: وما يبكيك**) أي أيّ شيء كان سبباً في بكائك.

(**قوله: وهذا الكوز أعلقه الخ**) أي شفقة على والدها وبراً به. (**قوله: فرأيت جارية الخ**) أي رأيت فيما يرى النائم. (**قوله: لمن لا يشرب الخ**) أي لمن يمنع نفسه منه مع رغبته فيه. (**قوله: قال الجنيد الخ**) فيه إشارة من الجنيد نفعنا الله بعلومه، وأمدنا من حقائقه أن السري قد وصل إلى درجة المستريح من العباد الذين أطلعهم الله على سر أحكام القضاء والقدر الأزليين بحيث تحققوا أن كل مقدور يجب وقوعه في وقته المعلوم، وكل ما ليس بمقدور يمتنع وقوعه، فاستراحوا من الطلب والانتظار لما لم يقع والحزن والتحسر على ما فات، كما قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] ولهذا قال أنس رضي الله تعالى عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فلم يقل لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء تركته لم تركته، فلم يجد هذا الإنسان إلا الملائم لفقد مراداته في

الخزف) المكسور **(لم يرفعه ولم يمسه حتى عفا)** أي: درس **(عليه التراب)** في ذلك تنبيه للسري على الإعراض عن الشهوات العاجلة، ومنها شرب الماء المبرد وذلك ليتفرغ قلبه ويحسن أدبه مع الله، ومن كلامه كما نقله عنه الجنيد اعتللت بطرسوس بعلة القيام فعادني ناس من القراء، فأطالوا الجلوس فقلت ابسطوا أيديكم حتى ندعو فقلت اللهم علمنا كيف نعود المرضى فعلموا أنهم قد أطالوا فقاموا.

(ومنهم أبو نصر بشر بن الحرث الحافي) سمي به لأنه طلب من إسكاف شسعاً

مرادات سيده فافهم. **(قوله: في ذلك)** أي ما مر من الرؤية المنامية تنبيه أي إيقاظ للسري على الإعراض عن الشهوات العاجلة أي ويؤيده ما ورد أن عباد الله ليسوا بالمتنعمين، حيث كان الأخذ بالتنعم والتمادي على الشهوات من أقوى الحجاب فتأمل. **(قوله: وذلك ليتفرغ الخ)** أي ليتم له التهيؤ لما أعده الله له ووعده به على لسان سيد الكاملين ﷺ.

(قوله: اعتللت) أي اصابتني علة، وقوله: بعلة القيام يعني بسبب الاسهال، وقوله: فعادني ناس أي زارني ناس في هذا المرض، وقوله: فقلت الخ أي فقصد تعليمهم بإشارة الدعاء بعداً عن المواجهة بصريح العبارة تخلقاً بالخلق المهدي، حيث كان لا يواجه أحداً بما يكره ﷺ.

(قوله: بشر الحافي) كان رضي الله عنه كبير الشأن علماً وزهداً وورعاً وحالاً ومقالاً كثير الحديث لا يروي إلا الصحيح منه غير أنه كره الرواية آخراً أخذ عن الفضيل، وتلك الطبقة، وكان أسفل قدمه أسود من التراب لكثرة مشيه حافياً قد بلغ من رفيع قدره، أن المأمون استشفع بأحمد بن حنبل في أن يأذن له في زيارته فأبى، ومن كلامه من أراد أن يلقن الحكمة، فلا يعصي الله تعالى، وقال: ما اتقى الله من أحب الشهرة، وقال: لا تعمل لتذكر، وقال: إذا أعجبك الكلام فاصمت أو السكوت فتكلم، وقال: من سأل الله الدنيا، فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه، وقال: من عامل الله بالصدق استوحش من الناس، وقال: لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوه، وقال: ما أعرف رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح، وقال: لا يجد حلاوة الآخرة رجل أحب أن يعرفه الناس، وقال: العبادة من الفقير كعقد جوهر في جيد حسناء، ومن الغني كشجرة خضراء على مزبلة، وقال: نعم المنزل القبر لمن أطاع، وقال: النظر إلى من تكره حمى باطنة، وقال: التوكل اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب، وقال: لا يجد عبد حلاوة العبادة، حتى يجعل بينه وبين الشهوات حائطاً من حديد، وقال: النظر إلى البخيل يقسي القلب، وقال: هب أنك ما تخاف أما تشتاق، وقال: غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه، وقال: ليس من المروءة أن تحب ما يبغضه حبيبك، وقال: إياك والاغترار بالستر، والاتكال على حسن الذكر، وقال: الليل والنهار حثيثان يعملان فيك، فاعمل فيهما

لإحدى نعليه، وكانت قد انقطعت فقال له: ما أكثر كلفتكم على الناس **فألقاها** من يده والأخرى من رجله وحلف لا يلبس نعلاً بعدها وصحب الفضيل بن عياض ورأى سرياً السقطي وغيره.

(أصله من مرو وسكن بغداد ومات بها وهو ابن أخت علي بن خشرم مات) عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأوّل وقيل لعشر خلون من المحرم **(سنة سبع وعشرين ومائتين وكان كبير الشأن)** أي: الحال **(وكان سبب توبته أنه أصاب في الطريق كاغدة)** أي: رقعة كما عبر بها جماعة **(مكتوباً فيها اسم الله عز وجل قد وطئتها الأقدام فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية فطيب بها الكاغدة وجعلها في شق حائط)** لئلا تمتهن **(فرأى)** في النوم **(فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول له يا بشر طيبت اسمي لأطيبن اسمك)** أي: ذكرك وكما طهرته لأطهرن قلبك **(في الدنيا والآخرة)** فلهذا اشتهر ذكره وصار معظماً فيهما وكذا كل من أجلّ الله وعظمه أجله الله وعظمه. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول مرّ بشر ببعض الناس فقالوا هذا الرجل لا ينام الليل كله)** يعني لا ينام الليل أصلاً **(ولا يفطر إلا في كل ثلاثة أيام مرة)** أي: يواصلها **(فبكى بشر)** بكاء فرح وسرور شكراً لربه في كونه ستر أمره وأظهر

وقال: أفضل أعمال البر الصبر على الفقر، وقال: حقيقة المحبة ترك مخالفة المحبوب بكل حال، والتسليم إليه في الحال والمال، وقال: المحبة ذلّ في عز المحبوب، ومشاهدة للحتف المجلوب مع امتناع المطلوب، وقال: القرب من الأغنياء بعد من الحبيب، والأنس بهم وحشة منه، وقال: لقي حكيم حكيماً، فقال: لا رآك الله عندما نهاك، ولا فقدك حيث أمرك، وقال: كل حرف من العلم يدل صاحبه على الهرب من الدنيا، وله كلام كثير نافع، وفي هذا القدر كفاية.

(قوله: شسعاً) أي بمعجمة ثم مهملة، وهو سير النعل يربط به النعل.

(قوله: فألقاها) أي فردة النعل. **(قوله: وكان سبب توبته الخ)** أي وكان سبب إرادته التي هي جمرة من نار الحب تقع في القلب تقتضي إجابة دعوة الحقيقة فتدبر. **(قوله: أنه أصاب)** أي وجد. **(قوله: اسم الله)** أي اسماً من أسمائه تعالى. **(قوله: قد وطئتها)** أي مرّت وداست عليها الأقدام. **(قوله: غالية)** هي نوع من الطيب. **(قوله: طيبت اسمي الخ)** أي برفعه وتطييبه، وقوله: لأطيبن اسمك أي أجعل لك شهرة وصيتاً وذكراً جميلاً بما حسن من اخلاقك، وأزوى عن الناس ما قبح منها حتى لا تذكر إلا بالمحاسن، وقد تحقق له ذلك نفعنا الله به. **(قوله: لأطهرن قلبك)** أي من رجس العيوب، كالكبر والعجب والحقد والحسد بل، ومن الالتفات إلى غيري. **(قوله: وكذا كل الخ)** أي فهذا الجزاء الحسن لكل من أجل الله وعظمه، فليس خاصاً بالشيخ المذكور وفضل الله واسع.

جميله ورجا أن يفعل به ذلك في آخرته (**فقيل له في ذلك فقال إني لا أذكر أني سهرت ليلة كاملة ولا أني صمت يوماً، ولم أفطر من ليلته ولكن الله سبحانه يلقي في القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفاً منه سبحانه**) بعبده (**وكرماً**) له (**ثم ذكر ابتداء أمره كيف كان على ما ذكرناه**) آنفاً قال ذلك تحقيقاً لبراءته مما قالوه وخوفاً من غرور نفسه وسكونها إلى مدحهم بما ليس فيه. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول: بلغني أن بشر بن الحرث الحافي قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا بشر تدري لم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يا رسول الله قال باتباعك لسنتي وخدمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك**) إذ كل منها سبب للرفعة (**ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار**) لأن محبتهم تابعة لمحبة الله ورسوله لأن من أجلّ الله ورسوله أجل من أجله الله ورسوله. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت بلالاً الخواص يقول: كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه ثم الهمت إنه الخضر عليه السلام**) فإنه حي (**فقلت له بحق الحق من أنت فقال أخوك الخضر**

(**قوله: بكاء فرح الخ**) أقول ويحتمل أنه بكاء حزن وتحسر، حيث ظهر للناس من أحواله ما هو أكمل مما خفي منها في الواقع، وذلك لحبه أن يكون باطنه ظاهره، بل هذا أولى بمقام هذا العارف على أن مقام القبض الذي هو بمعنى الخوف أسلم من مقام البسط الذي هو بمعنى الرجاء، فافهم. (**قوله: لا أذكر الخ**) أي لا أتذكر الخ، وقوله: ولا أني صمت أي على طريق الوصال، كما قيل عنه. (**قوله: قال ذلك الخ**) الإشارة لما وقع له في ابتداء أمره مع قوله: أني لا أذكر الخ. (**قوله: وخوفاً من غرور نفسه الخ**) أي حيث ذلك من أشد المهلكات للعبد. (**قوله: تدري الخ**) هو على حذف همزة الاستفهام أي أتدري الخ. (**قوله: من بين اقرانك**) أي المماثلين لك في العلوم والحقائق، حتى فقتهم بالاشتهار بالخير والصلاح وغير ذلك. (**قوله: قال باتباعك لسنتي**) أي طريقتي التي كنت عليها، فهي تعم الواجب والمندوب. (**قوله: وخدمتك للصالحين**) أي القائمين بحق الحق، وحق الخالق. (**قوله: ونصيحتك لاخوانك**) أي المؤمنين الخاص منهم والعام. (**قوله: ومحبتك لأصحاب الخ**) أي حيث اتبعتهم في الأخلاق، وعظمتهم وأكرمتهم. (**قوله: هو الذي بلغك**) أي هو الذي كان سبب وصولك إلى منازل، أي رتب الابرار. (**قوله: لأن محبتهم الخ**) علة لما قبله إذ لا يكون إلا عن محبة الله ورسوله. (**قوله: يماشيني**) أي يصاحبني في المشي.

(قوله: ما تقول في الشافعي) أي وهو محمد بن إدريس الإمام الأعظم، والهمام الأقوم ابن عم المصطفى ﷺ عالم قريش الذي ملأ الله به طباق الأرض علماً، الحبر الذي أسس بعد الصحب قواعد بيت النبوّة، وأقامها وشيد مباني الإسلام بعدما جهل الناس حلالها وحرامها قد أكثر القوم التصانيف في مناقبه منهم داود الظاهري والساجي، وابن أبي حاتم والأبري والحاكم، والأصبهاني والقطان وأبو منصور البغدادي والبيهقي وابن المقري وإمام الحرمين والدارقطني والآجري والسرخسي، والصاحب بن عباد ونصر المقدسي، والسبكي وخلائق ما بين متقدم ومتأخر، ونحن نذكر من ذلك نبذا يسيرة، فنقول هو إمام الأئمة علماً وزهداً وورعاً، ومعرفة وذكاء وحفظاً، كإنه برع في كل فن وفاق فيه أكثر من تقدمه سيما مشايخه، فاجتمع له من تلك الأنواع وكثرة الاتباع في أكثر الأقطار، سيما في الحرمين والأرض المقدسة ما لم يجتمع لغيره، ولذلك خص بحديث عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً، وزعم وضع هذا الحديث حسد وغلط. قال أحمد بن حنبل نراه الشافعي، وكاشف صحته بوقائع وقعت بعد موته ولد رضي الله عنه بغزة، أو بعسقلان سنة خمسين ومائة اتفاقاً، وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة وأجيز بالافتاء، وهو ابن خمس عشرة سنة، ثم رحل إلى الإمام مالك رضي الله عنه، فأقام عنده مدة، ثم لبغداد ولقب ناصر السنة، ثم عاد لمكة، ثم لبغداد، ثم لمصر فأقام بها، حتى مات سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة، وحكي عن الربيع بن سليمان أنه رآه في المنام بعد موته فقال له يا أبا عبد الله ما صنع الله بك قال: اجلسني على كرسي من ذهب، ونثر عليَّ اللؤلؤ الرطب.

(ومن فوائده) وحكمه التي ينبو عنها نطاق الحصر من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه به، وقال: ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلة، وقال من سام نفسه فوق ما يساوي رده الله تعالى إلى قيمته، ومن أحب أن يفتح الله تعالى قلبه أو ينوّره فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، وقال: من أحب أن يقضي الله تعالى له بالخير فليحسن الظن بالناس، وقال: من سمع بأذنيه كان حاكياً، ومن أصغى بقلبه كان واعياً، ومن وعظ بفعله كان هادياً، وقال: لا يطلب أحد هذا العلم بعزة نفس فيفلح، وقال: زينة العلماء التوفيق، وحليتهم حسن الخلق، وجمالهم كرم النفس، وقال: زينة العلم الورع، والحلم، وقال: لا عيب في العلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه، وقال: ليس العلم ما حفظ إنما العلم ما نفع، وقال: فقر العلماء فقر اختيار، وفقر الجهلاء فقر اضطرار، وقال: ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتي، وقال: من لم تعزه التقوى، فلا عز له، وقال: من شهد من نفسه الضعف نال الاستقامة، وقال: من غلبته شدّة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع،

الله قال هو من الأوتاد) لأنهم الذين يحفظ بهم الدين، وهو بهذه المثابة (فقلت) له (ما تقول في أحمد بن) محمد بن (حنبل قال رجل صديق) لما قاساه من الضرب

وقال: من أحب أن ينور الله قلبه فعليه بالخلوة، وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء، وقال: لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضي كل الناس، فلا سبيل إليه، فأخلص عملك ونيتك لله، وقال: لو أوصى لأعقل الناس صرف للزهاد، وقال: العاقل من عقله عقله عن كل مذموم، وقال: لو علمت أن شرب الماء ينقص مروءتي ما شربته، وقال: لا تبذل وجهك لمن يهون عليه ودك، وقال: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل، وقال التواضع من شيم الكرام، والتكبر من شيم اللئام، وقال: لا وفاء لعبد ولا شكر للئيم، وقال: صحبة من لا يخاف العار عار، وقال: إن الله خلقك حراً فكن كما خلقك، وقال: مداراة الأحمق غاية لا تدرك، وله رضي الله عنه من الفوائد النثرية، والدرر الشعرية ما لا يحصى، وفيما ذكرناه كفاية، والله تعالى ولي الهداية.

(قوله: ما تقول في الشافعي الخ) يريد الاستفهام عما منحه رضي الله عنه من المقامات والأحوال ليقوى على متابعته وإلا فظاهر أحواله لا يخفى على أحد.

(قوله: قال هو من الأوتاد) أي وهم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب يحفظ الله تلك الجهات كلها بهم لكونهم محل نظر الحق تعالى، وكونهم أربعة أي كما أن البدلاء سبعة يسافر أحدهم عن موضع، ويترك جسداً فيه على صورته، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، وذلك معنى البدل لا غير، وهم رضي الله عنهم على قلب سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والتسليم.

(قوله: في أحمد بن حنبل) أي وهو الإمام المبجل، والهمام المفضل علم الزهاد وقلم النقاد، امتحن فكان فيها صبوراً، واجتبي، فكان للنعمة شكوراً عرضت عليه الدنيا فأباها والبدع فنفاها، وكان للعلم والحلم واعياً، وللفهم والفكر راعياً، وقد قيل أن التصوف التجلي بالآثار، والتخلي عن الأكدار، وقد ترجمه بعضهم، فقال هو الصديق الثاني المروزي، ثم البغدادي الصابر على المحنة الناصر للسنة شيخ العصابة، ومقتدى الطائفة، وإمام الدنيا، ولد سنة أربع وستين ومائة ببغداد وتفقه على الشافعي، وأخذ الحديث عن عبد الرزاق، ويزيد بن هارون، ومن لا يحصى، وعنه البخاري ومسلم وأبو داود ولما خرج الشافعي من بغداد قال: ما خلفت بها أفقه، ولا أورع، ولا أزهد ولا أعلم منه، وكان يحفظ ألف ألف حديث، وقيل لابن المبارك: تضم أحمد إلى التابعين فقال: إلى كبارهم، وقد سارت بزهده وورعه وتقلله من الدنيا الركبان، واتفق عليه الأعيان. **(قوله: ومن فوائده)** رضي الله عنه أنه قال: رأيت رب العزة في المنام فقلت له:

والهوان لما طلب منه القول بخلق القرآن فأبى، ولم ينطق بكلمة يتخلص بها مما هو فيه حفظاً لدين الله ولعباده لئلا يعتقد في كلام الله ما لا يليق به.

بم يتقرب إليك المتقربون قال: بكلامي قلت بفهم أو غير فهم قال: بفهم وبغير فهم، وكان مجلسه خاصاً بالحديث، وبأمور الآخرة لا يذكر فيه شيئاً من أمور الدنيا إلا لضرورة، وكان أكثر أدامه الخل، وإذا اشتهى الطعام طبخوا له العدس وشحماً في فخارة، وكان يحيي الليل، ويميل إلى العزلة، ويؤثرها حتى كان لا يرى إلا بمسجد، أو جنازة، أو عيادة، وحج خمس حجات ثلاث منها ماشياً، وألّف مسنده وهو أصل من أصول هذه الأمة، ورأى الشافعي المصطفى في النوم فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله، فاقرأ عليه السلام، وقل له ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن، فلا تجبهم فيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة، فكتب إليه بذلك وجهزه مع الربيع فلما وصله قال له الربيع البشارة، فخلع أحد قميصيه فاعطاه إياه فلما عاد للشافعي قال: ما اعطاك قال قميصه قال: لا نفجعك فيك لكن بله وادفع إلى الماء لا تبرك به، وقد أقام بتلك المحنة مقام الصديقين، وحبس ثمانية أشهر، وضرب حتى غاب عقله، ثم خلى عنه، ومن كلامه: طوبى لمن أخمل الله ذكره، وقال: زهد العوام عن الحرام، وزهد الخواص عن الفضول من الحلال، وزهد العارفين في ترك ما يشغل عن الله، وقال: لأن تطلب الدنيا بالدف والمزمار خير من أن تطلبها بدينك، وقال: سألت ربي أن يفتح عليَّ باب من الخوف ففتح فخفت على عقلي، فقلت يا رب على قدر ما أطيق ففعل ذلك، وقال: الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى، وقال: إذا كان في الرجل مائة خصلة من الخير، وكان يشرب الخمر محتها كلها، هذا وقد أفرد جمع مناقبه بالتأليف منهم البيهقي وابن الجوزي، ومن ذلك ما نقل عن ابن أبي الورد أنه قال: رأيت المصطفى، فقلت: ما شأن أحمد قال سيأتيك موسى فاسأله فإذا بموسى فقلت: يا نبي الله ما شأن أحمد قال: بلي في السراء والضراء، فوجد صابراً فالحق بالصديقين وفي ذلك كفاية.

(**قوله: صديق**) أي بالغ في الصدق غايته، وقوله: لما قاساه أي هذه الرتبة التي هي الصديقية، إنما نالها بمقاساته الضرب، والحبس ليقول إن القرآن مخلوق، فلم يقل ورعا منه رضي الله عنه لوقوفه مع مراد الحق تعالى، ولذا لم ينطق بكلمة يتخلص بها مع تمكنه من ذلك. (**قوله: ممن في زمانه**) أي أما في غيره فالله قادر على أن يوجد مثله وأمثل منه. (**قوله: لكنها أولى منه الخ**) أي لما لها من مشاق التربية التي لم يثبت مثلها للأب. (**قوله: فقال أن اشكر لي**) أي بصرف قواك في عبادتي، وقوله: ولوالديك أي ببرهما وحسن العشرة معهما. (**قوله: فقالت له بنية من داخل**) أي فكانت صغيرة في السن كبيرة في المعرفة نفعنا الله بمعارفها، وحقائقها.

(قلت فما تقول في بشر بن الحرث الحافي فقال لم يخلف بعده)[1] ممن في زمانه (مثله فقلت بأي وسيلة رأيتك فقال ببرك لأمك) فيه تحريض على بر الأم ومثلها الأب لكنها أولى منه بذلك لخبر الصحيحين: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك، قال ثم من، قال أمك، قال ثم من قال أمك، قال ثم من قال أبوك» وقد قرن الله برهما ببره فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول أتى بشر الحافي) وفي نسخة بشر بن الحرث (باب المعافى بن عمران فدق عليه الباب فقيل له (من) هذا (قال بشر الحافي فقالت له بنية من داخل الدار لو اشترين لك نعلاً بدانقين لذهب عنك اسم الحافي) وزالت عنك هذه الشهرة (أخبرني بهذه الحكاية محمد بن عبد الله الشيرازي قال حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال: حدثني محمد بن سعيد قال: حدثني محمد بن عبد الله) وفي نسخة عبيد الله (قال: سمعت عبد الله المغازلي يقول: سمعت بشراً الحافي يذكر هذه الحكاية) فيها تنبيه على أن العبد إذا قدر على ستر حاله وترك شهرته كان ذلك أولى به لأن بشراً اتخذها عبرة ولذلك نقلها الناس عنه. (وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسن الحجاجي يقول: سمعت المحاملي يقول سمعت الحسن المسوحي يقول: سمعت بشر بن الحرث يحكي هذه الحكاية) فيها دليل على أن بشراً وجد في نفسه منها وجداً كثيراً حتى كثر ذكره لها فنقلت عنه من طرق، وذلك أن الله نبهه على مطلوبية ستر حاله على لسان صغيرة. (وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الفضل العطار يقول: سمعت أحمد بن علي الدمشقي يقول: قال لي أبو عبد الله بن الجلاء) بالتشديد والهمز (رأيت ذا النون) المصري (وكانت له العبارة) في طريق القوم (ورأيت

(قوله: لذهب عنك الخ) أي لذهب عنك الاشتهار الذي ربما قصم الظهور، إلا من حفظه الله تعالى. (قوله: وجد في نفسه منها الخ) أي تألم منها تألما كثيراً ومن ثم أكثر من حكايتها فنقلت عنه بكثرة، فكانت له هذه القصة من الزواجر، وهو واعظ الله في قلب المؤمن، وذلك هوالنور المقذوف فيه الداعي للحق، والدامغ للباطل. (قوله: وكانت له العبارة الخ) أي النطق بالحكمة الناشيء عن تعمير القلب، وزيادة تنويره بواسطة جده في عبادة ربه. (قوله: وكانت له الإشارة) أي اشتهر بها، والإشارة أرق وأدق من العبارة إذ الحكمة نوعان منطوق بها، وهي علوم الشريعة والطريقة وذلك ما كان لذي النون، ومسكوت عنها مشار بها، وهي أسرار الحقيقة التي لا يفهمها علماء الرسوم بل ربما تهلكهم فافهم.

سهلاً) التستري (**وكانت له الإشارة ورأيت بشر بن الحرث، وكان له الورع فقيل له فإلى من كنت تميل فقال لبشر بن الحرث أستاذنا**) فيه تنبيه على أن الاقتداء بالأحوال أبلغ منه بالأقوال والإشارات (**وقيل إنه**) أي: بشراً (**اشتهى الباقلآ**) بتشديد اللام مع القصر وبتخفيفها مع المد أي الفول (**سنين فلم يأكله فرؤي في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال**) لي (**كل يا من لم يأكل**) ما اشتهاه (**واشرب يا من لم يشرب**) ذلك (**أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا أبو بكر ابن بنت معاوية قال سمعت أبا بكر بن عفان يقول سمعت بشر بن الحرث يقول إني لأشتهي الشواء**) بكسر الشين والمد (**منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه**) أي: ما خلص له ما يشتريه به لقلة الحلال في زمنه أو لكونه رأى صرف ما وجده حلالاً في جهات البر أولى من صرفه لهذه الشهوة، وفي ذلك كله دلالة على كمال ورعه لأن مخالفة الشهوة أصل في صحة الورع. (**وقيل لبشر بأي شيء تأكل الخبز فقال أذكر العافية وأجعلها أداماً**) لأن من كان في عافية، ولم يأكل إلا عند الحاجة كما هو السنة لم يحتج إلى أدام للخبز لشدة رغبته فيه. (**أخبرنا به محمد بن**

(**قوله: وكان له الورع**) أي الكف عن محارم الله تعالى، وما فيه شبهة، أو هو ترك ما سوى الله اكتفاء بالله، وهو الأليق بالمقام، ومني عليك السلام. (**قوله: فيه تنبيه على أن الاقتداء بالأحوال**) أي التي الورع منها، إذ هو صفة للقلب ابلغ منه بالأقوال والإشارات، أي لأن تأثير الحال أقوى من تأثير المقال لزيادة تنوير قلب صاحبه فتأمل. (**قوله: فلم يأكله**) أي هضماً لنفسه ومنعاً لها عن مألوفاتها فكانت له أيام الدنيا كلها يوم الجمعة الذي هو وقت اللقاء، والجمعية فلم يحجبه التلبس بالصور العنصرية التي تلبس الحقائق الروحانية، فهو قدسي الأخلاق مندرج في حديث أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري فافهم. (**قوله: الشواء**) أي اللحم المشوي.

(**قوله: أو لكونه الخ**) أقول كل من الاحتمالين حسن، والثاني منهما بالنسبة لمقامه أحسن. (**قوله: لأن مخالفة الشهوة الخ**) أي ولذا قال العراف الجنيد نفعنا الله به إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها فافهم.

(**قوله: فقال اذكر العافية الخ**) فيه إشارة إلى أن العافية من أعظم النعم بعد الإيمان، فمن رزقها فكأنه ما منع من شيء من النعم، ولذا ثبت في الخبر: «إذا أصبحت معافى جسدك آمناً في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء». (**قوله: لا يحتمل الحلال السرف**) أي الحلال المحقق حله المطلوب من الكامل تحصيله، فلقلته حينئذٍ لا يحتمل التوسع، فيقتصر فيه على قدر الحاجة أو الضرورة بحسب الإذن الشرعي في تحصيله

الحسين رحمه الله قال أخبرنا عبيد الله بن عثمان قال أخبرنا أبو عمرو بن السماك قال: حدثنا عمرو بن سعيد قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال قال رجل لبشر الحكاية المذكورة) وأجابه بما ذكر. **(وقال بشر لا يحتمل الحلال السرف)** لعزة وجوده فلا يصرفه واجده إلا فيما يليق. **(ورُؤي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وأباح لي نصف الجنة)** أي: جنتي أي: نصف نعيمي لأن روحه كسائر أرواح الصالحين تتنعم في الجنة وجثته في البرزخ، فإذا كان يوم القيامة دخلها بجثته أيضاً فيكمل له نعيمه في الآخرة وقد ورد أن الميت إذا قبر وسأله الملكان وأجابهما بالحق يفتح له باب إلى الجنة ويقال له: هذا ما أعد الله لك وتسرح روحه في جثته ما دام في حفرته وورد أن أرواح الشهداء في قناديل معلقة بالعرش في ثمار الجنة. **(وقال لي يا بشر لو سجدت لي على الجمر ما أديت شكر ما جعلته لك في قلوب عبادي)** من إجلالهم وتعظيمهم ومحبتهم لك وحسن ظنهم وسرعة اقتدائهم بك فضلاً عن سائر النعم التي أنعمت بها عليك. **(وقال بشر لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس)** ديناً وكمالاً في علمه وعمله لما فيه من الرياء بخلاف من أشهره الله بغير اختياره أو باختياره لأمر ديني كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] أي: محبة في القلوب ويكون إشهاره تعالى لهم بين الناس ليقتدوا بهم فتكمل أجورهم كما أثنى تعالى على من سأل ذلك منه في

وصرفه فتأمل. **(قوله: وأباح لي نصف الجنة)** أي ما اعده الله له فيها والنصفية باعتبارات التنعم مقصور على الروح لبقاء الجسم في البرزخ فافهم. **(قوله: لأن روحه الخ)** أي لما ثبت من أنها تكون في جوف طيور خضر تعلق من ثمار الجنة. **(قوله: وقد ورد الخ)** في هذا الخبر ما يؤيد ما قدمناه من أن النصفية باعتبار تأخر لذة الجسم فلا ينافي أن الروح تتنعم بكل ما اعده الله لها في الجنة. **(قوله: ما اديت الخ)** أي لعدم القدرة على ذلك، ومنه يعلم قصور العبد عما يقابل شيئاً من نعم الله تعالى عليه قال جل من قائل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. **(قوله: لا يجد حلاوة الآخرة الخ)** أي لا تصفو له أعماله المرتب عليها ثمراتها لتكدره بدني المقاصد، فالله يطهر قلوبنا منها.

(قوله: بخلاف من اشهره الله الخ) منه يعلم أن الضار من ذلك هو ما كان لحظ النفس لا لوجه الحق، وهو كذلك. **(قوله: أو باختياره لأمر ديني)** أي كتعليم علم شرعي أو اقتداء في عمل خير لقصد وجه الله تعالى. **(قوله: فهذه شهرة محمودة)** أي يثاب عليها ثواباً جزيلاً ومن ذلك تعلم أن الاعتبار في نيل درجات الأبرار بحسن المقاصد، ولذا ورد الأعمال بمقاصدها. **(قوله: رضا الناس الخ)** أي وحيث كان كذلك فارجع إلى مولاك، واشتغل بما فيه هداك، ولا سيما وارضاء الغير لا يتم مع حفظ الدين، فإذاً تكون بذلك

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أي أئمة يقتدى بهم فهذه شهرة محمودة وإن كانت باختيار العبد لما قلناه، وكان سفيان يقول: رضا الناس غاية لم تدرك فإن أرضيتهم أسخطت ربك وإن أسخطتهم فتهيأ للسهام قال بشر فالتهيؤ للسهام أحب إليّ من أن يذهب ديني.

(ومنهم أبو عبد الله الحرث بن أسد المحاسبيّ) بضم الميم وكسر السين سمي به لأنه كان يحاسب نفسه **(عديم النظير في زمانه علماً، وورعاً ومعاملة وحالاً)** مع الله

من الهالكين الأخسرين. **(قوله: قال بشر فالتهيؤ للسهام الخ)** يريد حمل نفسه وإخوانه على معاملة الحق، وإن حصل بها الضرر من المخلوقين، وذلك لارتكاب أخف الضررين إذ الدنيا وما فيها مما لا يدوم، ولكون عذابها أخف، وأسهل من عذاب الآخرة.

(قوله: الحرث بن أسد المحاسبي) قال بعضهم هو علم العارفين في وقته، وأستاذ السائرين في أوانه، عالم سار نبأ فضله، وصوفي طار نبل نبله برع في عدة فنون، وتكلم على الناس فأراهم الجوهر المكنون، وكان في علم الأصول راسخاً راجحاً وعن الخوض في الفضول جانحاً، وقد قالوا التصوف الأخذ بالأصول، وترك الفضول واختيار ما اختاره الرسول، صحب الشافعي، وقيل: بل عاصره فقط، قال التميمي: هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام، وقال غيره: له المصنفات النافعة الجمة، بحيث تبلغ نحو المائتي مجلد، قال الغزالي في الأحياء: المحاسبي خير الأمة في علم المعاملة، وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال، وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه، وقال ابن الأثير: هو أوّل من تكلم في إثبات الصفات، ومن فوائده البديعة من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة، وقال: لو أن نصف الخلق تقربوا مني، ما وجدت بهم أنساً ولو أن النصف الآخر أعرضوا عني ما استوحشت لبعدهم، وقال في حديث خير الرزق ما يكفي هو قوت يوم بيوم لا يهتم لرزق غد، وقال: فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الأخاء مع الأمانة، وقال: كل زاهد زهده على قدر معرفته، ومعرفته على قدر عقله، وعقله على قدر إيمانه، وقال: العلم يورث المخافة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة، وقال إذا لم تسمع نداء الله، فكيف تجيب دعاءه، ومن استغنى بشيء دون الله جهل قدره والظالم نادم، وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمه الناس، والقانع غني وإن جاع، والحريص فقير وإن ملك، ومن لم يشكر الله على النعمة فقد استدعى زوالها، وقال: خير الناس من لا تشغله دنياه عن آخرته، وقال: من خرج من سلطان الخوف إلى عزة الأمن اتسعت به الخطا إلى مواطن الهلكة، وقال: الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام، وله كلام آخر نافع، فارجع إليه إن شئت. **(قوله: لأنه كان يحاسب نفسه)** أي عملاً بخبر «وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»، فكان لا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً إلا بموافقة الكتاب والسنة. **(قوله: علماً)** أي بأحكام

تعالى (**بصري الأصل مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين**) ومن كلامه: من أراد أن يذوق لذة طعم معاشرة أهل الجنة فليصحب الفقراء الصالحين. (**قيل إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً قيل لأن أباه كان يقول بالقدر**) بإسكان الدال، وفتحها أي كان من القدرية القائلين بإنكار القدر الذي يجب الإيمان به حيث جعلوا الأفعال لفاعلين، وزعموا أن الله تعالى يخلق الخير، وأن العبد يخلق الشر فأثبتوا لأنفسهم قدرة، وفعلاً فسموا لذلك قدرية (**فرأى في الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئاً**) لاختلاف العلماء في تكفير القدرية (**وقال: صحت الرواية عن النبي ﷺ إنه قال: «لا يتوارث أهل ملتين شيئاً»**[1]) رواه أبو داود، وقال ابن الصلاح: إن له رتبة الحسن. (**سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت محمد بن مسروق يقول: مات الحرث بن أسد المحاسبي، وهو محتاج إلى درهم وخلف أبوه ضياعاً**) بكسر الضاد جمع ضيعة بفتحها، وهي العقار فالعطف في قوله: (**وعقاراً**) للتفسير (**فلم يأخذ منه**) أي مما خلفه (**شيئاً**) لما ذكر. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: كان الحرث المحاسبي إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرّك على أصبعه عرق فكان**

الشريعة والطريقة وورعاً أي بترك الشبهات والشهوات، ومعاملة في عبادته وطاعته بإيقاعها على أحسن وجوه كما لها وحالاً أي اخلاصاً لوجه ربه وصدقاً وغير ذلك. (**قوله: من أراد أن يذوق الخ**) مراده الحث على صحبة الفقراء المنقطعين إلى الله تعالى القائمين بما للحق والخلق لا كفقراء زماننا هذا، فإياك والاغترار بهم، والاجتماع عليهم فإن ضررهم أكبر من نفعهم. (**قوله: لأن أباه كان الخ**) أي فقد نزه نفسه عن قذر كسب من قذر عقيدته سفهاً وفسقاً وجهلاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(**قوله: بإنكار القدر**) أي إنكار عمومه للخير والشر، أي بل كان يعتقد أن فاعل الشر غيره تعالى. (**قوله: لفاعلين**) يقرأ على صيغة التثنية. (**قوله: لاختلاف العلماء الخ**) أي وإن كان المعتمد أنهم فسقة لا كفرة. (**قوله: لا يتوارث أهل ملتين الخ**) أقول يؤخذ من عمومه وإشاراته تمام الانقطاع بين الواقف مع نفسه وشهواتها، وبين السائر عن منازلها المترقي إلى معارج السيادة في الدنيا والآخرة. (**قوله: وهو محتاج إلى درهم**) أي وهو شديد الفقر. (**قوله: لما ذكر**) أي لما تقدّم من الورع نظراً إلى القول بكفر القدري وإن كان ضعيفاً. (**قوله: تحرك على اصبعه الخ**) أي تنبيهاً له لأجل الامتناع من تعاطي ذلك الطعام صيانة له عنه بواسطة العناية وسابق الاصطفاء.

(**قوله: فكان يمتنع منه**) أي لأن قلبه مطهر من دنس الاغيار، وبذلك قد فاضت منه

---

(١) أخرجه الدارمي في (سننه ٢/ ٣٦٩).

يمتنع منه) جعل الله له ذلك حفظاً له **(وقال أبو عبد الله بن خفيف؛ اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا لهم حالهم)** والخمسة هم **(الحرث بن أسد المحاسبي، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رويم، وأبو العباس بن عطاء وعمرو بن عثمان المكي لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق)** أي بين علم الشريعة والحقيقة، وسيأتي بيانهما ومن جمع بينهما كلم الناس بقدر ما تقتضيه أحوالهم وغيره من غلب عليه حاله إنما يكلمهم بما غلب عليه، فلا يصلح أن يقتدى به فمن غلب عليه حال الجوع مثلاً، وفتح عليه به إنما يكلم الناس بحاله، وليس كل سالك يصلح له ذلك فقد يكون بعض الناس إنما يفتح عليه من باب التبذل وليس الثياب الخلقة وخدمة الفقراء لا من باب الجوع، فالشيخ المقتدى به ينبغي أن يكون طبيباً عارفاً بسائر الأدوية والأمراض فيداوي كل عليل بالدواء اللائق بمرضه. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت جعفراً الخلدي يقول: سمعت أبا عثمان البلدي يقول: قال الحرث المحاسبي من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص)** بأن راقب حركاته بقلبه وجوارحه ووزنها بميزان الشرع

الأنوار، فكانت روحه مكاشفة في عالمها منبأة من سيدها.

(قوله: والباقون سلموا الخ) أي لأن من سلم سلم، ومن خاض فقد خسر وندم.
(قوله: لأنهم جمعوا بين العلم الخ) أي فقد حازوا الشرف والكمال الذي هو عبارة عن ارتفاع الوسائط بين الشيء وموجده أو قلتها، فكلما كانت الوسائط بين الحق والخلق أقل، وأحكام الوجوب على أحكام الإمكان أغلب كان ذلك أشرف وأكمل، واعلم أن علم الحقائق من وراء علم الشرائع، كما يشير إليه خبر: «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم»، فافهم ولا تغتر بمن لم يعلم. **(قوله: أي بين علم الشريعة)** أي الذي مداره على النقل وقوله: والحقيقة أي الذي مداره على الذوق والكشف، والعلم الأوّل حجاب العلم الثاني لمن وقف على ظاهره فافهم. **(قوله: ومن جمع بينهما كلم الناس الخ)** أي لأن روحه لها إشراف على الحقائق الكونية بواسطة ما منحت من جواهر العلوم التي لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً، فمن أجل ذلك كان له قوّة فيكلم الناس على قدر عقولهم، فلا يفرق عليهم أحوالهم، ولا يشتت عليهم علومهم لرسوخ قدمه واتساعه لكافة المكونات فتدبر. **(قوله: وغيره الخ)** مستأنف خبره قوله: إنما يكلم الخ وقوله: فمن غلب عليه حال الجوع أي بأن كان سبباً في الفتح عليه إنما يكلم الخ. **(قوله: وليس كل سالك الخ)** مراده مريد السلوك، فهو على تقدير مضاف.
(قوله: من باب التبذل الخ) أي لكونه من أصحاب النفوس الأبية التي لها ترفع وأنفة بدون وجه شرعي. **(قوله: فيداوي الخ)** انظر رقيق الإشارات تعلم خبث عادة البشريات فالله تعالى ينور منا البصائر لنحظى بدخول هاتيك الحظائر.

(قوله: من صحح باطنه الخ) الغرض الحث على طهارة الباطن من رجس

حتى عرف أنها سنّة أو بدعة (**زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة**) على وفق المراقبة والإخلاص. (**ويحكى عن الجنيد أنه قال مرّ بي يوماً الحرث المحاسبي، فرأيت فيه أثر جوع فقلت: يا عمّ تدخل الدار وتتناول شيئاً**) من الطعام فقال: نعم فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدمه إليه فكان في البيت شيء من طعام حمل إليّ من عرس قوم فقدمته إليه فأخذ لقمة فأدارها في فيه مرات ثم إنه قام وألقاها في الدهليز ومر فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك أي: ما سببه (**فقال إني كنت جائعاً وأردت أن أسرك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله سبحانه علامة**) على (**أن لا يسوّغني طعاماً فيه شبهة فلم يمكني ابتلاعه فمن أين كان لك ذلك الطعام فقلت له إنه حمل إليّ من دار قريب لي من العرس ثم قلت**) له (**تدخل**) الدار (**اليوم فقال نعم فقدمت إليه كسراً يابسة كانت لنا فأكل وقال لي: إذا قدمت إلى فقير شيئاً فقدم إليه مثل هذا**) مما تعرف وجه حله وما تعاطيته بنفسك بخلاف طعام العرس، فإن أحوال أربابه ومقاصدهم في عمله لله أو لغيره تختلف، وأفادت الحكاية المذكورة أن

المكونات، حتى تقع عبادته على طريقة سيد السادات، فإن الجوارح الظاهرة، إنما تكسى من الحالات الباطنة، ولذا قال سيد المرشدين وإمام المرسلين: «إنما الأعمال بالنيات» المصرح بأنه لا عمل صحيح إلا بها، ولا ثمرة للعمل إلا بصفائها، واعلم أن المساعد للعبد على الطهارة المذكورة أن ينظر بالنظر الصحيح فيرى به أن الحق تعالى هو النافع وهو الضار، لا مدخل لما سواه، في حركة ولا في سكون، فحينئذٍ يوقع الأعمال لمحض وجه الذات العلية من غير التفات إلى العادات الدنية، فتدبر تفهم، والله سبحانه أعلم. (**قوله: من صحح باطنه الخ**) أي بواسطة مظهر إفاضة نور الهداية الموجب لاستيفاء حقوق المراسم، فإن من لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقي إلى ما فوقه كما أن من لم يتحقق بالقناعة، حتى يكون له ملكة لم يصح له التوكل، ومن لم يتحقق بحقوق التوكل لم يصح له التسليم وهلم جرا.

(**قوله: زين الله ظاهره الخ**) منه تعلم أن ميزان كمال الإنسان متابعته للسنة والقرآن، وغير ذلك، إنما هو من تلبيسات الشيطان. (**قوله: تدخل الخ**) هو بحذف همزة الاستفهام أي أتدخل الخ. (**قوله: وأردت أن أسرك الخ**) أي ويؤيد ذلك قول إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه أن فطر من صام نفلاً أفضل من إتمامه الصوم إن علم أن أكله يسر صاحب الأكل، ويتألم بعدمه. (**قوله: وقال لي إذا قدمت الخ**) أي لأنه ينبغي للعبد أنه يحب لأخيه المسلم، مثل ما يحب لنفسه، إذ المؤمنون كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً، وخبر الصادق ﷺ يدل على ما ذكرناه، والله أعلم. (**قوله: وأفادت الحكاية الخ**) مراد الشارح نفعنا الله بعلومه بيان ما تضمنته هذه الحكاية من صفة كمال الشيخ رضي الله عنه بطريق

المحاسبي رحمه الله كان لا يأكل إلا عند الجوع، ولا يجيب من يدعوه عند الجوع إلا لإدخال المسرة عليه، وحفظ قلبه إذا كان مستحقاً لحفظ القلب من التغير وإنه قد يمد يده ولا يضرب العرق الذي مر بيانه ويتناول الطعام لكن لا يقدر على ابتلاعه فله على ما ذكر أمارتان أمارة عند مد اليد، وأمارة ضد الابتلاع وربما كان ذلك لقوة الشبهة في أحد المحلين وخفتها في الآخر، فإذا كانت قوية صانه الله عز وجل عن مد اليد وإذا كانت خفيفة صانه عن الابتلاع بعد مدها وتناوله الطعام.

(ومنهم أبو سليمان داود بن نصير) بضم النون **(الطائي)** نسبة إلى طي واسمه جلهمة

العد الصريح ليقتدى به فيها، وهو عدم الأكل إلا عند الجوع، ويكون ذلك لإدخال المسرة، وحفظ قلب صاحب الطعام وأن للشيخ إمارتين على ما منع منه لشبهة مثلاً، والله تعالى ولي التوفيق. **(قوله: ربما كان ذلك لقوّة الشبهة)** ظاهره أن الشبهة تتفاوت، وهو كذلك.

(قوله: ومنهم أبو سليمان داود بن نصير الطائي) قال بعضهم: هو الفقيه الواعي البصير الراوي العابد الطاوي أبصر معتبراً وسبق مبتدراً، وقبل التصوف تشمر لاستباق وتضمر للحاق، أخذ الحديث عن عبد الملك بن عمير وعروة بن هشام والأعمش وغيرهم، وقال الذهبي: كان إماماً فقيهاً ذا فنون عديدة، ثم تعبد وآثر الوحدة وأقبل على شأنه، وساد أهل زمانه، وقال غيره: كان يحضر مجلس أبي حنيفة فقال له أبو حنيفة يوماً: أما الأداة فقد أحكمناها، فقال له داود فما بقي قال: العمل بما علمناه، فاعتزل وتزهد وتعبد وانقطع لذلك، وقيل: إنما سبب توبته أن امرأة جاءت إلى أبي حنيفة تسأله عن مسألة فأجابها، فأعجبت بجوابه، ثم قالت: هذا العلم فأين العمل فأثر كلامها في قلب داود، فاعتزل وتعبد، فكان إذا مشى يسلك الطريق المهجورة البعيدة، فيقال له: الطريق من هنا أقرب، فيقول: فرّ من الناس فرارك من الأسد، ومكث أربعاً وستين سنة أعزب، فقيل له: أما تستوحش، فقال: حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا وأهلها، ومن كلامه: إنما شرع تعلم العلم ليعمل به الطالب أولاً فأولاً، فإذا قطع عمره في تحصيله، فمتى يعمل، وقال: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاضٍ، فكأنك بالأمر وقد بغتك والسلام، وقال: لا تمهر الدنيا دينك، فمن أمهرها دينه زفت إليه الندم، وقال: أصحب أهل التقوى، فإنهم أيسر أهل الدنيا مؤنة عليك وأكثرهم معونة لك، وقال: ما خرج عبد من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه الله تعالى بلا مال، وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس، وقال له رجل: دلني على رجل أجلس إليه، فقال: تلك ضالة لا توجد، وقال:

مات بالكوفة سنة خمس وقيل ست وستين ومائة في خلافة المهدي واعتل أياماً، وكان سبب علته أنه مر بآية فيها ذكر النار فكررها مراراً في ليلة فأصبح مريضاً، واستمر أياماً ثم وجد ميتاً ورأسه على لبنة (**وكان**) أبو سليمان (**كبير الشأن أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال: حدثنا محمد بن المسيب قال: حدثنا**) عبد الله (**بن خبيق**) بضم الخاء المعجمة (**قال قال يوسف بن اسباط ورث داود الطائي عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة**) كل سنة ديناراً وكان يتصدق منه، ولم يمسكها شحاً بل لكونها حلالاً وإذا أخرجها غلب على ظنه أنه لا يجد مثلها يأكل منه. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق**) رحمه الله (**يقول كان سبب زهد داود أنه كان يمر ببغداد يوماً**) بالطريق (**فنحاه**) أي: ردّه إلى جانبها (**المطرّقون**) أي: الموسعون لها (**بين يدي حميد الطوسي فالتفت داود الطائي فرأى حميداً**) ورأى أنه قد رفع في الدنيا حتى صار أميراً يطرّق بين يديه فلم ترض همته بهذه المنزلة، ورأى أن شرف الآخرة أكبر (**فقال داود: أف لدنيا سبقك بها حميد ولزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة وسمعت ببغداد بعض الفقراء يقول: إن سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح، وتقول بأي خديك تبدى البلا. وأي عينيك إذا**) أي: حين البلا (**سالا**) اعتبر في نفسه بما ذكرته النائحة من أن العبد وإن ارتفع في الجمال مصيره إلى الحالة المذكورة وخشي معالجة الموت على حين غفلة فجد في الخير واجتهد في العبادة حتى ساد. (**وقيل كان سبب زهده أنه كان يجالس أبا حنيفة رضي الله عنه فقال له أبو حنيفة يوماً: يا أبا سليمان أما الأداة**) أي: العلم (**فقد أحكمناها فقال له داود فأي شيء بقي فقال العمل به**)

من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل آت قريب، وكل ما شغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم، وله غير ذلك من نفيس الكلام، والله ولي الأنعام.

(**قوله: وكان سبب علته الخ**) أي لتمكن الخوف من قلبه مع رقته نفعنا الله به أثر فيه تأثيراً قوياً، حتى كان سبباً في مرضه الذي مات فيه، وهكذا يكون مثله لتثبت شهادته. (**قوله: ورث داود الخ**) فيه دلالة على قوّة قنعه، وزيادة تقلله من الدنيا، وذلك غير بعيد إذ القناعة هي كيماء السعادة.

(**قوله: بل لكونها حلالاً الخ**) أي، ويحتمل أنه لغرض كف نفسه عن التطلع لما في يد غيره مع الرضا بما قسم له من الرزق. (**قوله: ورأى أنه قد رفع الخ**) أقول أحسن منه أن سبب زهده ما عاينه من بدعة المتوسعين الذين بين يديه مع عدم النكير، فعرف أنه منشأ الإبتلاء في الدين، فخاف على نفسه فلزم بيته، والله سبحانه وتعالى أعلم. (**قوله: أنه سمع نائحة الخ**) أي، وهي من ترفع صوتها بتعداد أوصاف الميت، وذلك من الكبائر فلعل سماعه اياها كان بدون قصد. (**قوله: فقال العمل به**) أي فقد أرشده إلى ثمرة العلم

الأولى العمل بها **(قال داود فنازعتني نفسي إلى العزلة)** والاجتهاد في العبادة **(فقلت لنفسي)** وقد اتهمتها في قلة صدقها وصبرها على ما عزمت عليه **(حتى تجالسهم)** أي: أبا حنيفة وأصحابه ولا تتكلم معهم **(في مسألة قال: فجالستهم سنة لا أتكلم)** معهم **(في مسألة وكانت المسألة تمر بي وأنا إلى الكلام فيها اشد نزاعاً من العطشان إلى الماء)** البارد **(ولا أتكلم به)** فيه أيضاً تنبيه على شرف همته وقوّة حزمه في مجاهدته. ولما علم بذلك أن مجاهدته لنفسه غالبة لهواه اعتزل حينئذ واجتهد **(ثم صار أمره إلى ما صار)** إليه والصوفية لما زهدوا في الدنيا تزكت نفوسهم وانجلت مرائي قلوبهم بصقال التقوى فانجلى فيها صور الأشياء وحقائقها فبانت لهم الدنيا بقبحها فجّدوا في رفضها، فظهرت لهم الآخرة بحسنها، فجدوا في طلبها وانصبت إلى بواطنهم العلوم اللدنية ونبعت من قلوبهم ينابيع الواردات الغيبية والمواجيد الوهبية ولهم في ذلك مقامات وأحوال سيأتي

ونتيجته، وإلا فإن تجرد العلم عن العمل به كان ضاراً غير نافع، وحجة على الإنسان لا له.

(قوله: الأولى العمل بها) أي لأن مرجع الضمير الأداة، وهي مؤنثة إلا أن يقال سهل ذلك للمصنف أن المراد بالأداة العلم، فتأمل. **(قوله: حتى تجالسهم الخ)** أي فأراد امتحان نفسه بالزامها السكوت هل تقوى عليه وتصبر له أو لا. **(قوله: والصوفية لما زهدوا في الدنيا تزكت نفوسهم)** أي تطهرت عن الحظوظات والعادات البشرية، وقوله: وانجلت مرائي قلوبهم، أي انصقلت أعين بصائرهم بمجاهدات التقوى، الشبيهة بآلة يصقل بها ما يصدأ من الأواني مثلاً، وقوله: فانجلى فيها صور الأشياء وحقائقها، أي فكوشفوا بواسطة نور قلوبهم، فعلموا صور الأشياء وحقائقها علماً لا يجامع شكاً ولا وهماً ولا ظناً، وقوله: فبانت أي ظهرت لهم الدنيا، حيث هي من جملة الأشياء الكامنة بقبحها هو ضد الحسن، وذلك لكونها فتنة ملهية شاغلة للإنسان عما يعنيه غدّارة له مع سرعة زوالها، وغير ذلك من معايبها التي لا تخفى على ذي بصيرة، وقوله: فجدوا أي شمروا، ساعد الجد والاجتهاد عقب عملهم بقبح الدنيا، وقوله: في رفضها أي تركها على معنى ترك التعلق القلبي بها، وترك التهافت على تحصيلها، وقوله: فظهرت لهم الآخرة أي اتضح لهم خيرها، وحسن عاقبتها، وما اعده الله لعباده المؤمنين فيها، وذلك بواسطة نور بصيرته أيضاً، وقوله: فجدّوا أي اجتهدوا في طلبها حيث قاموا بوظائف الأعمال الموصلة إلى نعيمها، وقوله: وانصبت إلى بواطنهم العلوم اللدنية، أي افيضت على قلوبهم علوم الأذواق التي مددها الإلهام بوسايط الأنوار وسببها العمل بعلم المتابعات المتلقى عن سيد الكائنات، وذلك على حسب إشارة خبر: «من عمل بما علم» الحديث، وقوله: ونبعت من قلوبهم ينابيع الواردات الغيبية، أي ظهرت الحكم على ألسنتهم مما امتلأت به قلوبهم من الواردات الواردة من حضرة القدس والغيب، وقوله:

بيانهما. **(وقيل حجم جنيد الحجام داود الطائي فأعطاه ديناراً فقيل له هذا إسراف فقال لا عبادة)** كاملة من لا مروءة له إذ الغالب من الشحيح الإخلال بالمروءة وكمال الدين بكمال المروءة وفيما فعله داود تنبيه على كرمه وعدم الدنيا في قلبه وعلى أن إنفاقه العشرين ديناراً في عشرين سنة لم يكن شحاً منه كما مر. **(وكان يقول بالليل إلهي همك)** الذي أحوجني للإجتهاد **(عطل عليَّ الهموم الدنيوية، وحال بيني وبين الرقاد. سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا سعيد بن عمرو قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي قال: حدثنا إسماعيل بن زياد الطائي قال قالت داية)** أي: جارية **(داود الطائي له)** لما رأته لا يأكل الخبز بل يشرب الفتيت **(أما تشتهي الخبز فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية)** فتركت أكله لما يفوت عليَّ به من تلاوة القرآن لا لقلة رغبة فيه دلالة على كمال محاسبته لنفسه وتألمه على ضياع أوقاته في غير مقصوده من تلاوته كتاب ربه **(ولما توفي داود)** **(رآه بعض الصالحين في المنام وهو يعدو)** أي: يسرع في مشيه **(فقال له ما لك)** تعدو **(فقال: الساعة تخلصت من السجن)** لخبر: «الدنيا سجن المؤمن» **(فاستيقظ الرجل)**

والمواجيد الوهبية، أي ما يجدونه من إحسان الحق وامداده مما لا تكسب لهم فيه، وقوله: ولهم في ذلك الخ أي وهم فيما تقدم متفاوتون في المقامات والأحوال أي على حسب الاستعداد والقسمة السابقة بمقتضى الحكمة الفائقة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(قوله: فقال لا عبادة الخ) في ذلك إشارة إلى تزييف السائل في دعواه الإسراف لأن حقيقته الصرف الغير المأذون فيه على أنه ترقي، حتى جعل ذلك من المروءة المطلوبة من الإنسان المخل عدمها بالعباد فتأمل. **(قوله: على كرمه)** أي وعلى كرامته عند ربه حيث رزقه القناعة فكفته العشرون ديناراً عشرين سنة. **(قوله: إلهي همك عطل عليَّ الهموم الدنيوية)** أي اهتمامي بوظائف عبادتك، واجتهادي في إيقاعها عليّ وجه الكمال خالصة لوجهك عطل على الهموم الدنيوية أي ما يهتم به منها فلم التفت إليه شغلا بك ولعل عدم الالتفات إلى ما يهم من الدنيا لقوّة صبره، وإلا فمن المعلوم وجوب السعي فيما لا بد منه لبقاء الحياة فتدبر. **(قوله: فقال بين مضغ الخ)** أقول هكذا يكون حال من علت همته وصفت نيته، ولاحت أمنيته، واضمحل ناسوته، وقوي لاهوته وكثرت محاسباته، وارتقت معاملاته إذ كل من كان إلى طرف الوجوب أميل، وأحكام الوجوب فيه أغلب، فهو من السابقين الأنبياء والأولياء، وكل من كان إلى طرف الإمكان أقوى كان أخس وادنى، وكل من كان نسبته التساوي كان مقتصداً من المؤمنين، فحسب اختلاف الميل إلى احدى الجهتين، حصل اختلاف المؤمنين في قوّة الإيمان وضعفه فتأمل.

(قوله: لخبر الدنيا سجن المؤمن) أقول إنما كانت سجناً له لأنها دار إمتحان

من منامه (**فارتفع الصباح**) بقول الناس (**مات داود الطائي وقال له رجل أوصني فقال له: عسكر الموتى ينتظرونك**) فيه تنبيه له على مراعاة الموت والعمل له فإن جميع الموتى ينتظرون الأحياء فإذا كمل موتهم رحلوا جملة واحدة إلى الآخرة. (**ودخل بعضهم عليه فرأى جرة ماء انبسطت عليها الشمس فقال له: ألا تحولها إلى الظل فقال: حين وضعتها لم يكن شمس وأنا أستحي أن يراني الله تعالى أمشي لما فيه حظ نفسي**) من عدم تغير الماء عما كان عليه وفيه وفيما مر تنبيه على كمال اشتغاله وعمارة أوقاته بالطاعات حتى لا يصرف حركاته في شيء من الجائزات (**ودخل عليه بعضهم فجعل ينظر إليه فقال أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام**) فيه تنبيه على كمال النصح لزائره ووعظه بما ينتفع به في آخرته من ترك الفضول لعموم الخبر الصحيح: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وهو ما لا تدعو إليه حاجة دينية.

وابتلاء، كما لا يخفى على ذي بصيرة بل وبصر، فهي لهذا سجن، وكذلك بحسب ما أعده الله له في الآخرة، فهي سجن، وإن أعطيها بحذافيرها، إذ هي فانية وقليلة مع ما فيها من الابتلاء والإمتحان، وما عند ربك خير وأبقى فافهم. (**قوله: عسكر الموتى ينتظرونك**) أي فعسكر الموتى وجماعتهم ينتظرونك، ولا يخفى ما في الانتظار من معنى استعجال الطلب فعلى العاقل أن يكثر من ذكر الموت ليتجهز لسفره الطويل، حيث السفر بلا زاد يخشى على صاحبه العطب، فينبغي التنبه من سنة هذه الغفلة والاستعداد لطول هذه الرقدة، فالإنسان في حال الحياة يتمكن من الأعمال والهمم، وبعد الممات لا يحصل على غير الخسران والندم ورحم الله الحسن بن علي، حيث قال: ما رأيت حقاً اشبه الباطل من الموت وورد في الخبر: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا».

(**قوله: وأنا أستحي الخ**) أقول من ذلك يعلم أنه كان لا يقع منه مباح، وهو غير بعيد إذا حسنت النيات، وخلصت المقاصد، ويقال: لمثل نفسه الكريمة الزيتونة، وهي النفس المستعدة للاشتغال بنور القدس بسبب قوّة الفكر فافهم. (**قوله: حتى لا يصرف حركاته الخ**) أي بل كان ينقلها إلى وجوه الطاعات برفيع النيات. (**قوله: أما علمت الخ**) فيه حث على مقام الشكر الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه به فيما خلق لأجله. (**قوله: يكرهون فضول النظر الخ**) أي يكرهون النظر الزائد عما يحتاج إليه، إذ هو مما لا يعني، وقوله: كما يكرهون فضول الكلام أي الفاضل الزائد عن الحاجة كذلك، فكانوا لا يتحركون ولا يسكنون إلابالإذن الشرعي، وهكذا يكون الكامل من عباد الله لا تتعلق همته إلا بما يعني قولاً وفعلاً. (**قوله: لعموم الخبر الصحيح الخ**) أي لشموله كل فرد وذلك باعتبار جنس المرء. (**قوله: صم عن الدنيا**) أي اعرض عن التعلق

(أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي قال: حدثنا قاسم بن أحمد قال: سمعت ميمونا الغزال قال: قال أبو الربيع الواسطي: قلت لداود الطائي أوصي فقال صم عن الدنيا) بزهدك فيها وإمساكك عن نعيمها **(واجعل فطرك الموت وفر من الناس كفرارك من السبع)** لأن ذلك سبب سلامة دينك وبدنك وعرضك ومعين على صومك عن الدنيا، ومن كلامه ما أخرج الله عبد من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا بشر.

بها، رأساً والتعبير عن ذلك بقوله: صم الخ فيه مبالغة لا تخفى على ناظر، أو المعنى على التقلل منها، وعدم التنعم فيها حيث الدار التي للتنعم بعدها لا هي، وقوله: وفر من الناس الخ يريد به الحث على البعد عن الناس، واعتزالهم بلزوم المنزل أو الخلو لما أشار به الشارح نفعنا الله ببركات علومه بوجه مبالغة، حيث جعل الفرار كهو من الأسد المفيد أن الاختلاط بالناس، كالاختلاط بالأسد بجامع حصول الضرر في كل، على أنك لو تأملت تجد الضرر الذي يحصل من الأسد أخف من ضرر مخالطة الناس لتعلق الأول بالبدن، والثاني بالدين فاستمع يا أخي تسلم، وانهض إلى العزلة تغنم.

(قوله: ما أخرج الله عبداً الخ) أي ما باعد الله عبده من المعاصي المكسبة للذل في الدنيا والآخرة ووفقه للطاعة والتقوى المثمرة للعز كذلك دنيا وأخرى، وقوله: إلا أغناه بلا مال أي لكونه يهبه القناعة، وقوله: وأعزه بلا عشيرة أي لكون الحق تعالى يكون حسبه وناصره، وقوله: وآنسه بلا بشر أي لكونه يجعل أنسه بذاته تعالى، حتى يورثه ذلك الوحشة من جنسه وأمثاله فتأمل. **(قوله: ومنهم أبو علي شقيق بن إبراهيم)** قال بعضهم: هو البلخي الزاهد العابد العلي الشأن العجيب البرهان من أكابر السادة، وأعاظم مشايخ الطريق كان يقول: بطرح المكاسب والمطالب، والتوجه في الأسباب، والمذاهب، وقدّم للمعاد، وتنعم للوداد وثق بكفالة الكفيل، فتوكل واجتهد فيما الزمه، فتحمل وحصل، وقد قيل التصوف الركون والسكون، ونحول الأعضاء والغضون، والتخلي عن القرى والحصون، كان من أجل مشايخ خراسان، كما ذكره الشارح له كلام حسن في التوكل فاق به الأقران طالما خاض في المجاهدة الغمرات، واصطلى في الرياضة حر الجمرات، حتى قامت الأدلة على فضله، واجلب على النفس والشيطان بخيله ورجله، وقال: رأيت بمكة مقعداً يزحف فقلت له: من أين قال: من سمرقند قلت، وكم لك فذكر أعواماً تزيد على عشر فرفعت طرفي أنظر إليه، فقال: مالك تنظر إلي فقلت متعجباً من ضعف مهجتك، وبعد سفرك فقال: أما بعد سفري فالشوق يقربه، وأما ضعف مهجتي فمولاها يحملها أتعجب من عبد ضعيف يحمله المولى اللطيف، وانشأ يقول شعراً:

أزوركم والهوى صعب مسالكه   والشوق يحمل من لا مال يسعده

(ومنهم أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من مشايخ خراسان له لسان في التوكل) قال: وهو طمأنينة القلب لوعود الله، وقال: غيره متهيئة الأسباب، واعتقاد أن لا مسبب للأسباب إلا الله، وقيل غير ذلك. مات شهيداً في غزوة كولان سنة أربع وتسعين، وقيل ثلاث وخمسين ومائة. **(وكان أستاذ حاتم الأصم قيل: كان سبب توبته أنه كان من أبناء)** وفي نسخة من أولاد **(الأغنياء خرج للتجارة إلى أرض الترك)** وفي نسخة الشرك **(وهو حدث)** أي: شاب **(فدخل بيتاً للأصنام فرأى خادماً للأصنام فيه قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثياباً أرجوانية)** أي مصبوغة بالأرجوان بضم

ليس المحب الذي يخشى مهالكه كلا ولا شدة الأسفار تبعده

ومن كلامه: عملت بالقرآن عشرين سنة، حتى ميزت أعمال الدنيا، وما عند الله خير وأبقى، وقال: لا تتعب في طلب الغنى، فإنه إذا قسم لك الفقر لا تكون غنياً، وقال: إذا صار الفقير يخاف من الغنى، كما يخاف من الفقر فقد تم زهده، وقال: إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله، ووعده الناس بأيهما يكون أوثق، وقال: اصحب الناس، كما تصحب النار خذ منها منفعتك، واحذر أن تحرقك، وقال: العبادة عشرة أجزاء تسعة في الهرب من الناس، وواحد في السكوت، وقال: إذا أردت أن تكون في راحة، فكل ما أصبت والبس ما وجدت، وارض بقضاء الله، وله فوائد غير هذه كثيرة أسند الحديث، وأخذ الفقه عن أبي حنيفة وغيره، وعنه حاتم الأصم، وأيوب بن الحسن الزاهد قال الذهبيّ: سافر مرة ومعه ثلاثمائة فقير، فتوسل إليه المأمون حتى اجتمع به واجتمع به قبله أبوه الرشيد، وقال له: أنت شقيق الزاهد قال: نعم شقيق، ولست بالزاهد فقال له: أوصني قال: إن الله قد أجلسك مكان الصديق، وإنه يطلب منك مثل صدقه، ومكان الفاروق، ويطلب منك الفرق بين الحق وغيره، ومكان عثمان، ويطلب منك مثل حيائه وكرمه ومقام علي، ويطلب منك مثل علمه وعدله إلى آخره. **(قوله: له لسان في التوكل)** أي له توسع في معانيه بتأديتها بعبارات رائقة، وإشارات فائقة على حسب ما منح من التخلق به.

(قوله: وهو طمأنينة الخ) أي سكون القلب، وهدء السر ثقة بما عنده تعالى لقوّة يقينه، وتصديقه بأن المقدر يجب وقوعه وغيره يستحيل وقوعه، وما أراده الحق خير مما يريده العبد. **(قوله: تهيئة الأسباب الخ)** أي تعاطيها على حسب حكم الظاهر المشار له باعقلها، وتوكل مع عدم الركون إليها باعتقادات الحق تعالى هو الموجد لكل من السبب والمسبب. **(قوله: كان سبب توبته الخ)** أي باعتبار ما يظهر، وإلا فهو في الحقيقة سابق العناية الإلهية. **(قوله: وهو حدث)** أي حديث السن، وقوله: فدخل بيتاً للأصنام الخ هي صور من حجر أو غيره تتخذ لتعبد من دون الله، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

الهمزة وهو صبغ أحمر شديد الحمرة (**فقال شقيق للخادم إن لك صانعاً حياً عالماً قادراً فاعبده، ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، فقال: إن كان كما تقول: فهو قادر على أن يرزقك ببلدك، فلم تعنيت إلى ههنا للتجارة فانتبه شقيق**) إلى أنه طلب منه ترك الكد في طلب الدنيا والرجوع إلى القناعة بما تيسر فرجع (**وأخذ في طريق الزهد**) فهذا كان سبب زهده في الدنيا لما حسنت نيته في وعظ خادم الأصنام ليرجع عن خدمتها إلى الإسلام أجرى الله على لسان خادمها كلاماً جارى به شقيقاً نقله من الكد في طلب الدنيا إلى الزهد فيها. (**وقيل: كان سبب زهده أنه رأى مملوكاً يلعب ويمرح**) أي يشتد فرحه ونشاطه (**في زمان قحط كان الناس فيه مهتمين**) بتحصيل قوتهم (**فقال له شقيق: ما هذا النشاط الذي فيك أما ترى ما فيه الناس من الحزن والقحط فقال ذلك المملوك وما عليّ من ذلك، ولمولاي قرية خالصة بدخل له**

(**قوله: شديد الحمرة**) أي، وهو المعبر عنه بالأحمر القانيء. (**قوله: التي لا تضر ولا تنفع**) أي بالنظر لذاتها، وإلا فعبادتها تثمر ضرراً لا يضارعه ضرر. (**قوله: فلم تعنيت**) أي أوقعت نفسك في العناء والمشقة والتعب. (**قوله: فانتبه شقيق الخ**) أي تيقظ وفاق من غفلته، أي وذلك كما قيل: إن السبب الباعث لمعاوية الصغير على الزهد في الخلافة، والنبذ لها إنه سمع جاريتين له يتلاحيان، وكانت إحداهما بارعة في الجمال فقالت الأخرى لها لقد اكسبك جمالك كبر الملوك، فقالت لها الحسناء، وأي الملك يضاهي ملك الحسن، وهو فاض على الملوك، فهو الملك حقاً فقالت لها الأخرى، وأي خير في الملك وصاحبه إما قائم بحقوقه، وعامل بالشكر فيه فذاك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش، وإما منقاد لشهواته مؤثر للذاته مضيع لحقوقه مضرب عن الشكر فيه، فمصيره إلى النار فوقعت الكلمة في نفس معاوية موقعاً مؤثراً، فحملته على الانخلاع من الخلافة والله أعلم.

(**قوله: وقيل: كان سبب زهده الخ**) أقول لا مانع من تعدد الأسباب فلا مخالفة. (**قوله: ما هذا النشاط الخ**) الغرض التعجب مع اللوم لعدم ظهور سبب الفرح، بل كان الظاهر خلافه. (**قوله: وما عليّ من ذلك**) أي لا يضرني ما ترى. (**قوله: فانتبه شقيق**) أي تنبه من غفلة الركون على الأسباب بالرجوع إلى مسببها فزهد في الدنيا بما فهيا. (**قوله: واستحيا من الله**) أي حصل له الحياء منه تعالى، حيث أن ما عنده مما ضمنه لعبده من الرزق أحق بالاعتماد مما في يد المخلوق لأنه معرض للزوال كل لحظة. (**قوله: ومولاه غني**) أي بل هو الغني لا غني غيره، فقول الشارح: بل أغنى الأغنياء، إنما هو باعتبار الظاهر المألوف. (**قوله: وكان يتفتى الخ**) أي يبذل ماله وجاهه وفاة بمروءته، بل من المروءة الإيثار لمن وثق بنفسه صبراً.

منها ما نحتاج نحن إليه فانتبه شقيق) إلى ما ذكر آنفا واستحيا من الله أن يهتم برزقه، وقد ضمنه له مالك السموات والأرض **(وقال: إن كان لمولاه قرية ومولاه مخلوق فقير ثم إنه)** مع ذلك **(ليس يهتم لرزقه فكيف ينبغي أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غني)** بل أغنى الأغنياء فانتقل بذلك إلى فضل ربه من همه وكربه. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسين بن أحمد العطار البلخي يقول: سمعت أحمد بن محمد البخاري يقول: قال حاتم الأصم: كان شقيق بن إبراهيم موسراً وكان يتفتى)** بماله وجاهه وما يمكنه وفاء بكمال مروءته **(ويعاشر الفتيان)** جمع فتى وهو من لا يدخر ما أمكنه عن قاصده **(وكان علي بن عيسى بن ماهان أمير بلخ، وكان يحب كلاب الصيد ففقد كلباً من كلابه فسعى برجل)** أي: وشى به **(أنه عنده وكان الرجل في جوار شقيق فطلب الرجل، فهرب فدخل دار شقيق مستجيراً فمضى شقيق إلى الأمير وقال خلوا سبيله، فإن الكلب عندي أرده إليكم)** وأمهلوني في ردّه **(إلى ثلاثة أيام فخلوا سبيله وانصرف شقيق مهتماً لما صنع، فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائباً من بلخ رجع إليها فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة)** تدل على أنه معلم **(فأخذه وقال أهديه إلى شقيق)** يتفتى به **(فإنه يشتغل بالتفتي فحمله إليه فنظر)** إليه **(شقيق فإذا هو كلب الأمير فسر به وحمله إلى الأمير وتخلص من الضمان فرزقه الله الانتباه)** بذلك وقال في نفسه إذا كان لطفه تعالى بي وأنا في حال الغفلة والجفاء، فكيف إذا رجعت إليه بصدق العبادة والوفاء، فرجع إليه **(وتاب مما كان فيه وسلك طريق الزهد)** والسداد **(وحكي عن حاتم الأصم قال: كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا نرى إلا رؤوساً تندر)** بالدال المهملة أي: تسقط **(ورماحاً تتقصف وسيوفاً تتقطع فقال لي شقيق: كيف ترى نفسك**

(قوله: وكان علي بن موسى الخ) الغرض بيان سبب رجوعه إلى الله تعالى ولا مخالفة في تعدد الأسباب لاحتمال أن كلاً وقع، وكان سبباً في الرجوع. **(قوله: في جوار شقيق)** يحتمل أنه في حماه، أو كان مجاوراً له في محل السكنى. **(قوله: وقال خلوا سبيله الخ)** ذلك من جملة تفتيه المتقدم. **(قوله: مهتماً لما صنع)** أي من التزامه إحضار الكلب وفاءً بالمروءة ولم يكن عنده. **(قوله: قلادة)** هي ما يجعل في العنق من خرزات ونحوها. **(قوله: يتفتى به)** أي يفعل به فعل الشباب. **(قوله: وحمله إلى الأمير)** أي أوصله إليه.

(قوله: وأنا في حال الغفلة والجفاء) أي بالتفتي والاشتغال بما يلهي عن الحق تعالى. **(قوله: في مصاف)** جمع صف واحد الصفوف تكون تلقاء وجه العدوّ في الحرب. **(قوله: لا ترى إلا رؤوساً الخ)** أي من كثرة الضراب، والنزال.

يا حاتم في هذا اليوم) من كثرة العدو هل **(تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفت إليك امرأتك فيها)** من مسرتك وطمأنينة قلبك **(فقلت: لا والله قال لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة، ثم نام بين الصفين ودرفته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه)** أي: شخيره فيه دليل على كمال يقينه بأن العبد لا يصيبه إلا ما قدر عليه ومقصوده بذلك أن يعرف تلميذه قوّة اليقين بالمقال والحال، وليس هو بما فعله مغرراً بنفسه فإنه من جملة المسلمين، وبعضهم يحرس بعضاً ولو تحرك العدوّ أدنى حركة وازدحم الناس لاستيقظ **(وقال شقيق إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله)** به **(ووعده الناس)** به **(فبأيهما يكون قلبه أوثق)** فيمتحن الإنسان نفسه في الوعد والأمر والنهي، وغيرهما بهذا الميزان مثلاً لو وعد شخص بمال في وقت فزاحمه في الوقت عبادة وعد الله عليها جزيل الثواب كصلاة جمعة فليمتحن قلبه إلى أي جهة مصروف وكذا لو نهاه طبيب عن قرب طعام يضره ضرراً عاجلاً ونهاه الله

(قوله: قال لكني والله أرى نفسي الخ) أقول يريد مع التحدث بالنعمة زيادة يقين المريد بزيادة اعتقاده فيه ليتم له إرشاده، كما أشار إليه الشارح وفيه دلالة على أنه نفعنا الله به كان في مقام المتحققين بالحق، وهم من يشهدون الله تعالى في كل متعين بلا تعين به، وإن كان مشهوداً في كل متقيد باسم أو صفة أو اعتبار أو تعين أو حيثية، فإنه لا ينحصر فيه ولا يتقيد به، فهو المطلق المقيد والمقيد المطلق المنزه عن التقيد واللاتقيد والإطلاق واللاإطلاق، وهذا بخلاف حال ومقام المتحقق بالحق والخلق، إذ هو من يرى أن كل مطلق في الوجود له وجه إلى التقيد، وكل مقيد له وجه إلى الإطلاق بل يرى الوجود كله حقيقة واحدة له وجه مطلق، ووجه مقيد بكل قيد، فمن كان يشاهد هذا المشهد ذوقاً كان متحققاً بالحق والخلق والفناء والبقاء تدبر تفهم، أو سلم لمن عرف تسلم. **(قوله: غطيطه)** هو ما يسمع من النائم من الصوت. **(قوله: بأن العبد الخ)** أي كما يشير إليه خبر: «ما أصابك لم يكن ليخطئك» الحديث، وخبر: «لا ينفع حذر من قدر». **(قوله: أن يعرف تلميذه)** أي ليقوى فيه اعتقاده كما تقدم. **(قوله: بالمقال والحال)** أي بالقول والتخلق. **(قوله: إذا أردت أن تعرف الرجل الخ)** المقصود الحمل على عدم الغفلة عن النفس، بل يلزم الإنسان دائماً تفتيشها وامتحانها، فيما توهمته من المقامات والأحوال حتى يتحقق رسوخها، وبعد هذا فلا يركن إلى ما منح، بل يدوم على الجد لينال ما فوق ذلك، أو ليدوم له ما هو فيه، إذ قد يسلب السائر من حيث لا يشعر، وفي ذلك منه نفعنا الله به تنبيه على أنه قوى وثوقه بما وعده الحق تعالى من ثواب الامتثال، وأنه انقطع عن الحظوظ، وأنه يرشد إلى مثل ذلك غيره. **(قوله: فزاحمه في الوقت عبادة الخ)** أي بحيث لو حصل المال فاتت العبادة بفوات فضيلة وقتها مثلاً. **(قوله: إلى أي جهة هو مصروف)**

عن قرب معصية تضرعاً عاجلاً وآجلاً فليمتحن قلبه إلى أي جهة هو مصروف وأكثر الناس يجد ميله إلى البعد عما نهاه عنه الطبيب، وإن كان عدو الله غاشاً للمسلمين أكثر من ميله إلى البعد عما نهاه الله عنه، وإذا امتحن نفسه ورأى بها كمالاً فليزد فيما هو فيه أو نقصاً، فيجتهد في التدارك قبل الموت (**وقال شقيق: تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء في أخذه ومنعه وكلامه**) هذا قريب مما قبله إلا أن ذاك امتحان الإيمان وتوابعه، وهذا امتحان في صحة الأعمال التي بها التقوى تعرف صحة أحوال الشخص بفعله وتركه وقوله: فإن فعل، فلا يفعل إلا مباحاً، وإن ترك، فلا يترك إلا غير مباح، وإن قال فلا يقول إلا حقاً. ومن كلام شقيق: من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً، ومنه: إذا أردت أن تكون في راحة فكل ما أصبت، والبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك.

(**ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي**) بفتح الموحدة نسبة إلى بسطام

أي أكثر ميلاً. (**قوله: وأكثر الناس الخ**) أي بسبب قوّة الحجاب عمت الغفلة، وكثر الجهالات حتى أن أكثر الناس تجد ميله الخ. (**قوله: قبل الموت**) أي الذي ييأس به الإنسان من تدارك ما فاته، وذلك بإشارة خبر «إذا مات ابن آدم انقطع عمله» الحديث.

(**قوله: في أخذه الخ**) أي في الأحوال المذكورة هل ذلك بحق، أو بباطل بسهولة أو ضدها بصدق أو كذب. (**قوله: إلا أن ذاك امتحان في الإيمان**) أي فيما نشأ عن قوته من المقامات والأحوال، كالزهد والورع والثقة بالوعد والتصديق بالوعيد، ونحو ذلك. (**قوله: فلا يفعل إلا مباحاً**) أي وذلك أقل درجات السائر وأعلى من ذلك أنه إن فعل لا يفعل إلا طاعة وعبادة، وذلك سهل بطهارة المقاصد كأن يقصد بالأكل التقوي على العبادة، وبالنكاح التوالد وكف الشهوة عن المحرمات وهكذا فتدبر.

(**قوله: فلا يقول إلا حقاً**) أي بشاهد الكتاب والسنة. (**قوله: من شكا مصيبة الخ**) أقول، وليس من الشكوى ذكر ما نزل به لطبيب يداويه أو لصديق ليسليه مثلاً فافهم. (**قوله: في راحة**) أي من الكد والتعب والتهافت، وقوله: فكل ما أصبت الخ أي انتفع بما تيسر حصوله لك في أكل وغيره، ولا تتعب نفسك في تحصيل زائد عن ذلك، والبس ما وجدت أي ما يسره الله لك، ولا تتكلف غيره، حيث اللباس غير معتبر فيما يتميز به الإنسان شعر:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

وارض بما قضى الله عليك أي، وإن كان غير ملائم لنفسك عملاً بخبر: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع»، ومما يسهل هذا الطريق رجوع الإنسان إلى مصدر الكائنات الرضا بما يقع، وحيث غير ممكن خلافه فافهم. (**قوله: ومنهم أبو يزيد طيفور**

قرية بخراسان (وكان جده مجوسياً أسلم وكانوا) أي: أولاد عيسى (ثلاثة أخوة آدم

الخ) قال بعضهم هو أشهر من أن يذكر، وأعرف من أن يعرف، كان نادرة زمانه حالاً وانفاساً وورعاً وعلماً وزهداً وتقى، بل قيل: من الأكابر، إنه سلطان العارفين، وكان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر، وهو القائل:

غرست الحب غرساً في فؤادي — فلا أسلو إلى يوم التناد
جرحت القلب مني باتصال — فشوقي زائد والحب باد
سقاني شربة أحيا فؤادي — بكأس الحب من بحر الوداد

وقال:

أريدك لا أريدك للثواب — ولكني أريدك للعقاب
وكل مآربي قد نلت منها — سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فانظر إلى هذا النفيس ما أسماه، وإلى هذا المقام ما أسناه، ذكر ابن عربي أنه كان القطب الغوث في زمنه، وذكر في محل آخر أنه كان على قلب إسرافيل له الأمر ونقيضه جامع للطرفين، وهذا المنصب لا يكون في الزمان إلا لواحد فقط اهـ. قال الذهبي: نقلوا عنه أشياء الشأن عدم صحتها منه منها قوله سبحاني، وما في الجبة إلا الله ما النار إلا لأستعد إليها وأقول: اجعلني لأهلها فداء ما الجنة إلا لعبة الصبيان هب لي هؤلاء اليهود ما هؤلاء، حتى تعذبهم، ومن الناس من يصحح هذا عنه، ويقول: قاله حال سكر، وغلبة حال، وقال ابن حجر: بعد حكايته ذلك عنه قلت أبو يزيد يسلم له حاله والله متولي السرائر اهـ، ولما تكلم في علم الحقائق لم يفهم أهل عصره كلامه، فرموه بالعظائم، ونفوه من بلده سبع مرات، وهم في كل مرة يختل أمرهم، وينزل بهم البلاء حتى أذعنوا له وأجمعوا على تعظيمه، وكان إذا ذكر الله يبول الدم، وصلى الجمعة، فسمع الخطيب يقرأ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن، ففرح فطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر، وقال: يا عجباً حيث يحشر إليه من هو جليسه، فإن الله تعالى يقول: أنا جليس من ذكرني والمتقي ذكر الله ذكر حذر، فلما حشر إلى الرحمن، وهو مقام الأمان مما كان فيه من الحذر فرح بذلك، قال ابن عربي: فكان دمع أبي يزيد دمع فرح لا دمع ترح كيف حشر منه إليه حتى حشر غيره إلى الحجاب قال: وكان يحتج إلى مواجيده بالقرآن، وما تقدم له به حفظ، ومن لا يعطى ذلك لا يحكم عليه بقبول، ولا رد كأهل الكتاب إذ أخبرونا عن كتابهم بأمر لا نصدق، ولا نكذب هكذا أمرنا رسول الله ﷺ فنتركه موقوفاً قال أعني ابن عربي قال بعض المحجوبين لأبي يزيد: شربت شربة، فلم أظمأ بعدها أبداً، فقال أبو يزيد: الرجل من يشرب البحار، ولسانه خارج على صدره من العطش فأشار إلى أن الحب شرب بلا ري قال ابن عربي: أنه قيل له يوماً عن بعض

وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهاداً عباداً وأبو يزيد) طيفور (كان أجلهم حالاً قيل:

الرجال أنه يقال فيه أنه قطب الوقت، فقال الولاة كثيرون، وأمير المؤمنين واحد لو أن رجلاً شق العصا وقام ثائراً في هذا الموضع، وأشار إلى قلعة هناك، وادعى أنه خليفة قتل، ولم يتم له ذلك، وبقي أمير المؤمنين، فما مرت الأيام حتى ثار في تلك القلعة ثائر ادعى الخلافة، فقتل، وما تم له ذلك فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه، وكان على قدم المسيح عليه السلام قتل نملة خطأ، فنفخ فيها فأحياها خوفاً من المطالبة، وقال أوقفني ربي بين يديه، وقال: يا أبا يزيد بأي شيء جئتني قلت بالزهد في الدنيا قال: إنما مقدار الدنيا عندي جناح بعوضه، ففيم زهدت قلت إلهي أستغفرك من ذلك جئت بالتوكل عليك قال: ألم أكن ثقة فيما ضمنت لك قلت أستغفرك جئت بك، أو قال بالافتقار إليك فقال عند ذاك قبلناك، وقال: وقفت مع العابدين، فلم أر لي معهم قدماً فوقفت مع المجاهدين، فلم أر لي معهم قدماً، فوقفت مع المصلين والصائمين فلم أر لي معهم قدماً، فقلت يا رب كيف الطريق إليك فقال لي: اترك نفسك وتعال. قال الخواص: فاختصر له الطريق بألطف كلمة وأخصرها فإنه إذا ترك حظ نفسه من الدارين قام الحق معه، ومن فوائده سر في ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد، وطر في دار التفريد حتى تلحق وادي الديمومية، وقال: أمر الله العباد ونهاهم وأطاعوا، فخلع عليهم خلعاً فاشتغلوا عنه بالخلع وإني لا أريد إلا الله، وقال: قلت يوماً سبحان الله فناداني الحق في سري هل فيّ سبب تنزهني عنه قلت لا يا رب، قال فنفسك نزه فأقبلت على نفسي بالرياضة، حتى تنزهت عن الرذائل، وتحلت بالفضائل فقلت سبحاني ما أعظم شأني من باب التحدث بالنعمة، وقال: ليس العالم من يحفظ من كتاب الله، فإذا نسي ما حفظ صار جاهلاً، بل من يأخذ علمه من ربه، أيّ وقت شاء بلا تحفظ ودرس، وهذا هو العالم الرباني، وقال: إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل الطريق، فقل له: يدعو لك فإنه مجاب الدعوة، وقال: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، قال ابن عربي: فعلماء الرسوم يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة وعناية سبقت لهم عند ربهم، وقال: حركات الظواهر توجب بركات السرائر، وقال: لم أزل ثلاثين سنة، كلما أردت أن أذكر الله أغسل فيّ، ولساني إجلالاً لله، وقال: دعوت نفسي إلى ربي فأبت فتركتها، ومضيت إليه وقال شعراً:

الناس بحر عميق ... والبعد عنهم سفينة
وقد نصحتك فاختر ... لنفسك المسكينة

وقال: عرفت الله بنور صنعه، وعرفت صنعه بنوره ونهاية الأمر فإني أقول شرح مثل هذا يطول، والاقتصار على هذا كفاية، والله يتولى العناية.

مات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل: **أربع وثلاثين**) وفي طبقات الصوفية لابن الملقن أربع وستين (**ومائتين سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت الحسن بن علي يقول: سئل أبو يزيد بأي شيء وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار**) يعني أنه اشتغل بالله تعالى، وبمعرفته حتى نال ما نال، ولم يلتفت إلى القواطع العادية من طعام، ولباس وشهوة وكان نبه وأدب بذلك من شغله أمر بدنه من بطنه ولباسه. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول سمعت أبا يزيد يقول عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد عليّ من العلم ومتابعته**) بالأعمال لأنهما لا يتمان للعبد إلا بمخالفة هواه واجتهاده في تقواه وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى لاسيما العلم المتعلق بالقلب من الرياء

(**قوله: بأي شيء وجدت الخ**) أي بأي سبب وصلت إليها، وقوله: فقال ببطن جائع أي عملاً بخبر «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه»، وقال رويم نفعنا الله به: بني التصوف على ثلاث خصال، وهي التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار. (**قوله: وبدن عار**) مراده عدم الاعتناء بما يلبسه، فكان يقتصر على ما يستر البدن بأي وجه كان.

(**قوله: يعني أنه اشتغل بالله تعالى الخ**) يشير إلى أن المراد بما تقدم من قوله ببطن الخ عدم الاشتغال بما يشغل عنه تعالى بشاهد: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه». (**قوله: حتى نال ما نال**) أي وصل إلى ما وصل، وفي ذلك إشارة إلى شرف ما وصل إليه بأبلغ عبارة.

(**قوله: فما وجدت شيئاً الخ**) أي، فكان من ذي الهمم العالية التي هي الدرجة الثالثة، وهي التي لا تتعلق إلا بالحق، فلا تقنع بالمقامات والأحوال، ولا تقف مع الأسماء والصفات، فلا تقصد إلا عين الذات، وأوّل درجات الهمة الإفاقة، وهي الباعثة على طلب الباقي، ورفض الفاني، والدرجة الثانية الأنفة، وهي التي تورث صاحبها الأنفة من طلب المثوبات على الأعمال، حتى يأنف من توقع ما وعده الله تعالى من الثواب على العمل، بل يعبد الله على طريق الإحسان، فلا يفرغ من طلب التوجه إلى الحق طلباً للقرب منه إلى طلب ما سواه فافهم. (**قوله: أشد عليّ من العلم الخ**) أي لكلفة تحصيل العلم وزيادة مشقة العمل به، ولذا قيل أصعب ما ورد التكليف به قوله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]. (**قوله: لأنهما لا يتمان الخ**) إن قلت هو في العمل ظاهر، فما بال العلم قلت لفقد الثمرة فافهم. (**قوله: لاسيما العلم المتعلق بالقلب**) أي الذي هو ثمرة العلم الشرعي المتعلق بظاهر التكليف، فهو من علوم الأذواق

والعجب والكبر، وغيرها من الأخلاق الذميمة، والورع والزهد والإخلاص وغيرها من الأخلاق الحميدة **(ولولا اختلاف العلماء)** في بعض المسائل **(لبقيت)** على اجتهاد واحد وهو ما اتفقوا عليه وكنت في مشقة زائدة بالملازمة لنوع واحد، وفي نسخة لتعبت أي: زيادة تعب بذلك، ومن ثم قال: تخفيفاً لمن يقلده **(واختلاف العلماء رحمة)** في حقنا **(إلا في تجريد التوحيد)** أي: محضه لأن المقصود من مسائل التوحيد القطع والحق فيها واحد ومن مسائل الفروع الظن فما غلب على ظن أحد من العلماء، فهو حكم الله في حقه **(وقيل: لم يخرج أبو يزيد من الدنيا)** إلى الآخرة مع كمال مجاهدته في رياضة أخلاقه وإصلاحه ظاهره وباطنه **(حتى استظهر القرآن)** أي: حفظه **(كله)** وهذا يدل على كمال اجتهاده إذ كان يكفيه أن يحفظ ما يصلي به فقط **(أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال: أخبرنا أبو نصر السراج قال: سمعت طيفور البسطامي)** غير أبي يزيد **(يقول: سمعت)** الشيخ **(المعروف بعمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: قال لي أبو يزيد قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد، وقال مضينا إليه فلما خرج من**

الناشئة عن طهارة القلوب من رجس الغيوب، بل عن التخلق لا عن التملق. **(قوله: ولولا اختلاف العلماء الخ)** مراده توضيح معنى خبر: «اختلاف أمتي رحمة». **(قوله: على اجتهاد واحد)** أي العمل بقول وحكم واحد، وفي ذلك حرج عظيم، ومشقة زائدة. **(قوله: في مشقة زائدة)** هو ظرف لقوله لبقيت. **(قوله: ومن ثم)** أي من أجل ذلك الذي هو لزوم المشقة في حالة كون الاجتهاد واحداً قال: تخفيفاً الخ. **(قوله: في حقنا)** أي بالنسبة لنا باعتبار الأحكام الفرعية المتعلقة بفعل المكلف لا الأصيلة المتعلقة بعقائده، كالتوحيد. **(قوله: أي محضه)** أي خالصه، وعلم التوحيد موضوعه ذاته تعالى وصفاته.

(قوله: القطع) أي الجزم، والإذعان عن دليل وبرهان. **(قوله: والحق فيها واحد)** أي باتفاق فلا ينافي أنه واحد في غيرها على الأصح. **(قوله: فهو حكم الله في حقه)** أي بالنسبة له، وكذا بالنسبة لمن يقلده في ذلك الحكم، وحينئذٍ فلا يجوز العمل بغيره إلا إذا كان هناك مسوغ، فتدبر. **(قوله: حتى استظهر القرآن الخ)** أي لأن ذلك من جملة متابعة العلم، والعمل به الذي كان شأنه رضي الله عنه.

(قوله: إذ كان يكفيه الخ) أي، والزائد عن ذلك حفظه من السنة الشريفة. **(قوله: قم بنا الخ)** فيه دلالة على زيادة عنايته، وهمته في طلب ما به النفع بالوصول إلى من له إرشاد، ودلالة على الحق سبحانه وتعالى بالعبارة والإشارة والذكر والفكر، والحال، فافهم. **(قوله: بالولاية)** والولي فعل بمعنى مفعول أو فاعل، فهو من تولى الله أمره، أو

بيته ودخل المسجد رمى ببصاقته تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه) من الولاية في ذلك دلالة على اعترافه بقدر الأولياء فإنه لما سمع بهذا الرجل أتاه لينتفع به ويسمع من أقواله، ويرى من أحواله فلما رأى ما رأى خشي أن يطلع منه على ما سواه فلا ينتفع به، فتركه وذهب إذ اعتبار الأولياء يكون بملازمتهم السريعة وآدابهم فيها فإن الولي محفوظ من الزلل غالباً. **(وبهذا الإسناد قال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل الله هذا، ولم يسأله رسول الله ﷺ إياه فلم أسأله ثم إن الله سبحانه**

من تولى حقوق ربه. **(قوله: رمى ببصاقته)** أي قذف بها، وقوله: تجاه القبلة أي في جهتها، أي مع أن المشروع الرمي بها في جهة اليسار، إن كانت أرض المسجد ترابية وإلا امتنع مطلقاً. **(قوله: ولم يسلم عليه)** أي لكونه غير متأدب بالآداب الشرعية. **(قوله: وقال: هذا غير مأمون الخ)** أي لكونه لم يقف موقف الصدق الذي هو الوقوف مع مراد الحق تبارك وتعالى. **(قوله: فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه)** أي من الأسرار والمعارف التي تكون من وراء حجاب الأدب الشرعي فافهم. **(قوله: على ما سواه)** أي كما هو شأن من يخالف الأدب الشرعي، إذ من خالف في مشروع خالف في غيره لأنه لا فرق. **(قوله: فلا ينتفع به)** أي لأن انتفاع المريد لا يتم إلا بجزم اعتقاده في شيخه المربي له. **(قوله: إذ اعتبار الأولياء الخ)** أقول منه يعلم أن من ظهر بالمخالفات مع بقاء أسباب التكليف ظاهرة عليه، فقوله وفعله رد عليه لأنه مبتدع، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(قوله: غالباً) احترز به عمن جذب في الله، حتى خرج عن أسباب التكليف، فإنه لا لوم عليه فعلاً، لا تركاً. **(قوله: لقد هممت الخ)** أقول يظهر من ذلك أنه قد شهد المجاز والمطالع والمنصات، وهي مفاتيح العيوب التي انفتحت بها الأبواب المسدودة بين ظاهر الوجود، وباطنه، وتلك المجالي خمسة الأوّل مجلى الذات الأحدية، وعين الجمع ومقام أو ادنى والطامة الكبرى، والثاني مجلى البرزخية الأولى، ومجمع البحرين، ومقام قاب قوسين، وحضرة جمعية الأسماء الإلهية، والثالث مجلى عالم الجبروت، وانكشاف الأرواح القدسية، والرابع مجلى عالم الملكوت، والمدبرات السماوية، والقائمين بالأمر الإلهي في عالم الربوبية، والخامس مجلى عالم الملك بالكشف الصوري، وعجائب عالم المثال، والمدبرات الكونية في العالم السفلي، فتأمل تفهم وربنا بالحال أعلم. **(قوله: أن يكفيني مؤنة الأكل الخ)** أي بإخراجه عن مزاج أصحاب الشهوة. **(قوله: كيف يجوز لي الخ)** أقول المراد الجواز المستوي الطرفين، والقصد نفيه بعدم السؤال، حيث أن الأفضل خلافه فتأمل. **(قوله: كفاني مؤنة النساء)** أي بردع شهوتي عنهن. **(قوله: ليس للزهد منزلة)** أي حالة وصفه لا تتغير، والكلام باعتبار

كفاني مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط) في ذلك دلالة على كمال اتباعه لسنة نبيه ﷺ وبه صار إلى ما صار. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: سألت أبا يزيد عن ابتدائه)** في سلوكه **(وزهده فقال: ليس للزهد منزلة)** واحدة حتى أجيبك عنه جواباً واحداً **(فقلت)** له **(لماذا فقال لأني كنت ثلاثة أيام)** قائماً **(في الزهد فلما كان اليوم الرابع خرجت منه اليوم الأوّل)** من الثلاثة **(زهدت في الدنيا وما فيها)** من طعام ولباس ونوم وفضول كلام وراحة وغيرها **(واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها)** من طعام ولباس وحور عين وغيرها لا لحقارتها كالزهد في الدنيا التي لا تزن عند الله جناح بعوضة، بل لشغلي بمولاي وتفرغي لمناجاته **(واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله)** تعالى الشامل للدنيا والآخرة حتى نفسه حيث زهد فيها وبذلها اجتهاداً لربه، فلم يلتفت لحظوظها مطلقاً **(فلما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى الله فهمت)** من هام على وجهه إذا ذهب من عشق أو غيره، وفي نسخة فنمت **(سمعت هاتفاً يقول يا أبا يزيد لا تقوى معنا)** وأنت على حالتك التي أنت عليها من الشغل بنا **(فقلت هذا الذي أريده)** من أن أكون عاجزاً فقيراً إلى فضلكم وعونكم **(فسمعت قائلاً يقول: وجدت وجدت)** مطلوبك **(وقيل**

الزاهدين لاختلاف أحوالهم ومواهبهم فيه، وفي ذلك إشارة منه رضي الله تعالى عنه إلى تعدد المراتب في المقامات، مثل المقامات، واعلم هداك الله أن المراتب الكلية ستة: مرتبة الذات الأحدية، ومرتبة الحضرة الإلهية، وهي الحضرة الواحدية، ومرتبة الأرواح المجردة، ومرتبة النفوس العاملة، وهي عالم المثال وعالم الملكوت، ومرتبة عالم الملك وهو عالم الشهادة، ومرتبة الكون الجامع، وهو الإنسان الكامل الذي هو مجلى الجميع وصورة جمعيته، فلا مجلى للمرتبة الأولى إلا الإنسان الكامل، فافهم والله أعلم.

(قوله: ثلاثة أيام الخ) لعل المراد مقادير من الزمان عبر عنها بالأيام، ويحتمل الحقيقة والله أعلم. **(قوله: خرجت منه)** أي بالفناء عن نفسي. **(قوله: وغيرها)** أي من باقي عادات البشرية. **(قوله: زهدت في الآخرة)** أي لم أطلها بعبادتي، ولم أقصدها بها بل أخلصتها لذاته سبحانه وتعالى. **(قوله: زهدت فيما سوى الله)** أي وهو مقام جمع الجمع باعتبار شمول السوي لنفسه فبالفناء عن جميع ذلك يتحقق هذا المقام. **(قوله: فهمت الخ)** أقول هو من هيام العشق دهشة، وحيرة في حال المعشوق، فليس هو من هام الذي هو عدم دراية حقيقة الطريقة المسلوكة، كما لا يخفى. **(قوله: لا تقوى معنا)** أي بسبب فناء قوتك شغلاً بنا لا تكون لك قوة. **(قوله: إلى فضلكم وعونكم)** أي إلى إحسانكم وإعانتكم. **(قوله: وجدت الخ)** ذلك كناية عن إشارة الوصول، والتكرير

لأبي يزيد ما أشد ما لقيت في سبيل الله) أي في الطريق الموصل إليه من الطاعات (فقال: لا يمكن وصفه) لشدة عظمه ومشقته (فقيل له: ما أهون ما لقيت نفسك منك فقال أما هذا فنعم) أي فيمكن وصفه (دعوتها إلى شيء من الطاعات، فلم تجبني فمنعتها الماء سنة)، فإذا كان هذا هو الأهون فما ظنك بغيره (وقال أبو يزيد منذ ثلاثين سنة أصلي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصليها كأني مجوسي أريد أن أقطع زناري) بضم الزاي فسره في موضع آخر فقال كنت ثنتي عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين مرآة قلبي وسنة انظر فيما بينهما فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في

للتأكيد. (قوله: فقال لا يمكن وصفه) أي لبلوغه فيما به السلوك إلى عقبات ومشاق تخرج عن الضبط، أو لكون بعضها من الوجدانيات التي تضيق عنها العبارة، فتأمل. (قوله: أي فيمكن وصفه) أي لسهولته، وقرب تذكره. (قوله: فنعتها الماء سنة) أي فنعتها شرب الماء سنة، أي عاماً كاملاً أدباً لها، وإرجاعاً من العود لمثل ذلك فتأمل أخلاق المقربين، والله ولي المحسنين إن قلت كيف ساغ له ذلك، وفيه اضرار بالنفس، وهو ممنوع منه شرعاً قلت لعله استعمل ما يقوم مقام الماء هذه المدة على أنه من جملة إكرام الله تعالى لمن أحبه أن يخلق فيه قوة الطاعم الشارب. (قوله: أريد أن أقطع زناري) أي لعدم صفاء أعماله من كدورات الحظوظ، والزنار بضم الزاي ما يشد به الوسط. (قوله: فقال كنت ثنتي عشرة سنة الخ) يريد رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته أن يبين ما كانت عليه البشرية، مما جبلت عليه بخبث الطوية من الميل إلى الحظوظ والشهوات، ودنى المقاصد في النيات، وانتقاله بمقتضى الأمر إلى الكمال ليتعرض لنفحات الإفضال، فشرع في تقويم الجوارح بالتعلم فتعدلت على حسب ما أفاده التفهم، فالتفت إلى الخواطر القلبية، فوجد فيها دسائس شيطانية، وذلك بالالتفات في بعض الأغراض إلى الخلق، فعبر عن ذلك بالزنار في الطريق الأحق، فتخلص من ذلك بمساعدات ربانية، ومجاهدات بدنية وقلبية، فظهر له حسن أقواله وأفعاله، حيث نسي أنعام الله عليه بأفضاله، فسماه بالزنار الباطن، فهو لخفاء خيانته فيه اشبه المآنيّ فجد واجتهد في إعدامه مستعيناً بواردات إلهامه، فظهر له أن الأمر منه وإليه، فكبر على الكائنات جميعاً بين يديه، فصار الله الشاهد، والمشهود مالك الملك فهو الموجود، فتحقق حينئذٍ بمقام جمع الجمع المنزه عن حواس البصر والسمع، فعلم أن الله تعالى هو العابد والمعبود إذ هو الموجود في كل الوجود فتأمل تفهم وربي بحال الأستاذ أعلم. (قوله: حداد نفسي) أي يجهدها في أنواع العبادات، ويقهرها عليها حتى تتطبع وتتخلق بها. (قوله: مرآة قلبي) أي اشاهد ذاتي في غيري من أمثالي. (قوله: فإذا في وسطي زنار ظاهر) أي بواسطة إستحساني لأحوالي وأعمالي. (قوله: كالموتى الخ) أي وذلك من شهود أنه لا فاعل غيره سبحانه وتعالى.

قطعه ثنتي عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في وسطي زنار باطن فعملت في قطعه خمس سنين، فلما قطعه رأى الخلق كلهم وهو منهم كالموتى أي: لا يقدرون له على نفع ولا ضر فكبر عليهم أربع تكبيرات، وذلك لأن الحداد شأنه أن يحمي الحديد ويطرقه ليصفيه، ويخرج وسخه فقال: كنت أعدل جوارحي وخواطري بالخوف والرجاء هذه المدة حتى اعتدلت على الشريعة فرأيت في نفسي التفاتا إلى الخلق ليعرفوا ما أنا عليه من الطاعات الخالصة فشبه نفسه حيث التفت في عمله إلى غير الله بعلامة الشرك وهي الزنار الظاهر، فعمل في قطعه فلما تخلص منه أعجب بنفسه وتقواه وجد نفسه على ذلك ونسي منة ربه عليه فلما أدرك ذلك رآه زناراً باطناً حيث جعل لنفسه أثراً في طاعته فلما منّ الله عليه برؤية فضله عليه، وأن جميع الخلق كالموتى كبر عليهم أربع تكبيرات فذكر الله وحده وأسند إليه دون غيره كونه أكبر أي أعظم من كل ما عداه فقوله كأني في صلاتي مجوسي يعني في المدّة التي كان يعمل فيها في قطع الزنار الظاهر مع ما قبلها. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول: قال لي أبي قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي**) وفي نسخة يرتفع وفي أخرى يتربع (**في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة**) لأن الكرامة ما كان عوناً لصاحبها على ما يقربه إلى مولاه ويقوي يقينه، ويمكنه من محبته ورضاه فإذا جرى الخارق للعادة على يد العبد، ولم تشهد

(**قوله: فكبر عليهم الخ**) أقول هو كناية عن فنائه عن الجميع حتى عن نفسه، وما لها من الأحوال والمقامات. (**قوله: بالخوف والرجاء**) أي، فإنه لا بد للسائر منهما مع تغليب الخوف زمن صحته. (**قوله: بعلامة الشرك**) أي: حيث نظر إلى الغير في حال السير (**قوله: فلما أدرك ذلك**) أي بذوق ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم﴾ [الحجرات: ١٧]. (**قوله: حيث جعل لنفسه أثراً**) أي مع أن الله تعالى هو الفاعل قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. (**قوله: برؤية فضله عليه**) أي حيث ترقى إلى مقام الجمع بعد فنائه عن الكل وقوله: فذكر الله وحده أي: شهده في الملك، والملكوت منفرداً بذاته، وما سواه تعالى عدم محض، فتدبر ما أشرنا إليه تعلم ما في الشارح.

(**قوله: مع ما قبلها**) احترز به عما بعدها حيث أنه كان بالترقي، والله ولي التوفيق.
(**قوله: لو نظرتم الخ**) مراده الحث على متابعة الكتاب والسنة، وعدم الخروج عن سننهما، وعدم الغرور بمن حاله يخالفهما، فهو، وإن كان صادقاً في الحقيقة، فلا يتابع بحكم الطريقة فافهم. (**قوله: في الهواء**) هو بالمد ما بين السماء والأرض من الجوهر اللطيف، أما بالقصر فهو الميل النفسي والحب الذاتي. (**قوله: لأن الكرامة**) أي: ما يكرم

له الشريعة بالاستقامة، فهو ممكور به مخدوع. **(وحكى عمي البسطامي عن أبيه أنه قال: ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط ليذكر)** اسم **(الله سبحانه على سور الرباط)** بلسانه لأن المرابطة على السور إنما تكون بذكر اللسان غالباً ليعرف أن الرباط محروس ممن يقصده من الأعداء قضى أبو يزيد ليلة لينال فضيلة الحراسة بالذكر بلسانه غالباً مع ذكره بقلبه **(فبقي إلى الصباح لم يذكر)** ربه بلسانه **(فقلت له في ذلك)** أي: ما السبب فيه **(فقال: تذكرت كلمة)** لا ترضيه **(جرت على لساني في حال صباي فاحتشمت)** أي استحييت منه **(أن أذكره سبحانه وتعالى)** بلسان عصيته به. في ذلك دليل على كمال تعظيمه واستحيائه منه في جميع ما يتعاطاه ومن ذلك ما حكي عن بعضهم أنه صلى خارج المسجد فقيل له: لم تركت الصلاة فيه فقال خطر ببالي أما تستحي تدخل بيته وقد عصيته، ومن كلام أبي يزيد: الناس يهربون من الحساب، ويخافون منه وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني فقيل له: لم فقال لعله يقول لي في أثناء ذلك يا عبدي فأقول لبيك فقوله لي: يا عبدي أعجب إلي من الدنيا، وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء وقال له رجل: دلني على عمل أتقرب به إلى أبي فقال: أحبب أولياء الله ليحبوك، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر لك.

(ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله التستري) بضم التاء الأولى وفتح الثانية

الله به عبده، وقوله: على ما يقر به الخ أي وهو باتباع أحكام الكتاب والسنة. **(قوله: ولم تشهد له الشريعة)** أي: لعدم العمل باحكامها. **(قوله: إنه قال ذهب أبو يزيد الخ)** الغرض من ذكر هذه القصة بيان ما وصل إليه رضي الله تعالى عنه في مقام الحياء أقول، وهكذا ينبغي أن تكون هذه الحالة في معاملة العظماء.

(قوله: فقلت له في ذلك) أي سألته عن السبب فيه. **(قوله: لا ترضيه)** أي: مما لم يأذن فيه الشارع ﷺ. **(قوله: في حال صباي الخ)** فيه اشعار بعدم صدور المخالفات منه بعد التكليف بالأولى. **(قوله: ومن ذلك)** أي: من هذا القبيل. **(قوله: ومن كلام أبي يزيد الخ)** فيه تنبيه على أن غاية قصده بمجاهدته ذاته سبحانه وتعالى لا غيره. **(قوله: فقوله لي يا عبدي الخ)** أي حيث أضافه إلى نفسه العلية. **(قوله: أحبب أولياء الله ليحبوك)** أي: وإذا أحبوك أحبك الله تعالى لأن محبوب المحبوب محبوب، ويدل على ذلك خبر «من أحب قوماً حشر معهم». **(قوله: ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله التستري)** هو الشيخ الأمين الناصح المكين من أعاظم المشايخ المشهورين حبر تجمل الإسلام بوجوده، وزين طريق الصوفية بقلائد فوائده وعقوده، كان أوحد زمانه في علوم الرياضات، صحب خاله محمد بن سوار، ولقي ذا النون، وأخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة، وأكثر في الأرض من علوم الحقائق فحسده فقهاء بلده فنسبوه إلى عظائم بسبب

نسبة إلى تستر بلدة من الأهواز (أحد أئمة القوم لم يكن له في وقته نظير في

قوله: التوبة فرض على العبد في كل نفس، ولم يزالوا به حتى أخرجوه وجماعته من البلد إلى البصرة فمات بها، وحفظ القرآن، وهو ابن سبع، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع، ومقامات الإرادة، وفقه العبادة، وهو ابن عشر، فيحسن الإجابة، وكان يكفيه لطعامه في السنة كلها درهم، وكان يطوي ثلاثين وأربعين ليلة لا يأكل شيئاً، وإذا جاع قوي، وإذا شبع ضعف.

قال الغزالي: وقد انتهى إلى ذلك جماعة يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو المغربي وإبراهيم التيمي، وحجاج بن قرافصة، وسليمان الخواص، وإبراهيم الخواص وغيرهم، وذكر بعضهم أن من طوى أربعين يوماً ظهرت له قدرة من الملكوت، أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية. قال ابن العربي: كان بدء سهل في هذا الطريق سجود القلب، وكم من ولي كبير الشأن مات، ولم يحصل له سجود القلب، والقلب إذا سجد لا يرفع رأسه أبداً من سجدته، فهو ثابت على قدم واحدة تتفرع منها أقدام، وأكثر الأولياء يرون تقلب القلب من حال إلى حال، ولهذا سمي قلباً، وصاحب مقام سجود القلب، وإن تقلبت أحواله، فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب، ولهذا لما رأى سهل في ابتداء دخوله الطريق أن قلبه سجد وانتظر أن يرفع، فلم يرفع بقي حائراً، فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته، فما وجد أحداً يعرفها، فانهم أهل صدق لا ينطقون إلا عن ذوق محقق، فقيل له: أن في عبادان شيخاً لو رحلت إليه، ففعل فقال له: أيها الشيخ يسجد القلب، فقال: إلى الأبد، فوجد شفاءه عنده، فلزم خدمته، فالله تعالى يؤتي ما شاء من علمه من يشاء من عباده، ومن فوائده: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، وإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم ينفعهم الندم، وقال: ما اعطى أحد شيئاً أفضل من علم يستزيد به افتقاراً إلى الله، وقال: الجاهل ميت والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصرّ هالك، وقال: التائب من يتوب عن غفلته في كل لمح، وقال: لا يستحق الرجل الرياسة على الخلق إلا إن احتمل أذاهم، وبذل لهم ما بيده وزهد فيما بيدهم، وقال: دخلت الفتنة على العامة من الرخص والتأويلات، وعلى العارفين من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر، وقال: لا يرى في القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام، والاقتداء بالمصطفى في أكله، وقال: لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل، وقال: جعل الله العلم والحكمة في الجوع وجعل المعصية والجهل في الشبع، وقال: ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى، وقال: إنما صار الإبدال أبداً لا بأخماص البطون والصمت والسهر والخلوة، وقال: من أعظم المعاصي الجهل بالجهل، والنظر إلى العامة، وسماع كلام أهل الغفلة، وكل عالم خاض في الدنيا فلا تصغ لكلامه، بل يتهم فيما يقول لأن كل إنسان يدفع ما لا يوافق محبوبه، وقال: أصول طريقتنا سبعة: التمسك

المعاملات مع الله تعالى وفي الورع، وكان صاحب كرامات لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج توفي كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين وقال سهل: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، وكان يقوم بالليل فربما كان يقول لي: يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبي) فيه إشارة إلى أن الله وفقه من صغره الذي لا يميز فيه الصغير غالباً (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد يقول سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول سمعت عبيد الله بن لؤلؤ يقول: سمعت عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال قال لي خالي) محمد بن سوار (يوماً) وكان عمره إذ ذاك ثلاث سنين (ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت له: كيف اذكره فقال لي: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي فقلت: ذلك ثلاث ليال ثم أعلمته به فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات فقلت: ذلك ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي له حلاوة فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة) فيه إشارة إلى قوله ﷺ لجبريل لما سأله

بالكتاب، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى وتجنب المعاصي والتوبة، وأداء الحقوق، وقال: العيش أربعة: عيش الملائكة في الطاعة والأنبياء في العلم، وانتظار الوحي، والصديقين في الاقتداء، وسائر الناس في الأكل والشرب كالبهائم، وقال: ما من ولي صحت ولايته إلا يحضر مكة كل ليلة لا يتأخر، وقال: إن الله سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه، وأخرجها عن قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم، وقال: حياة القلب الذي يموت بذكر الحيّ الذي لا يموت، وله فوائد كثيرة نفعنا الله ببركة علومه.

(قوله: وكنت أقوم بالليل الخ) فيه دليل على أنه من ذوي الهمم العالية حيث كان ينظر إلى صلاة خاله نظر شوق ومحبة واعتبار على ما يظهر، ويليق به، وذلك بواسطة عناية ربه السابقة على عمله ووجوده.

(قوله: ألا تذكر الله الخ) انظر تفرس الأستاذ ونجابة الصبي، فسبحان من تفضل عليهما. (قوله: قل بقلبك) أي مع حضور قلبك. (قوله: الله معي) أي بالحفظ الله ناظر إليّ أي عالم بي، وبحركاتي وسكناتي. (قوله: الله شاهدي) أي يراني ويرى أفعالي. (قوله: فوقع في قلبي له حلاوة) أي تأثر بواسطة تنويره بسبب الاخلاص وقوة المرشد. (قوله: فإنه ينفعك في الدنيا الخ) أي بالكرامات والدرجات. (قوله: فيه إشارة الخ) أي من حيث قوله له: قل بقلبك إذ هو حمل على المراقبة بالترقي إلى درجة الإحسان المشار

عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه»[1]، وهذه مراقبة الله تعالى عند الأعمال **(فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها)** أي: لهذه الكلمات **(حلاوة في سري)** تحملني على ملازمتها، وأمره بأن يقولها أولاً ثلاثاً، ثم سبعاً، ثم إحدى عشرة على سبيل التدريج تسهيلاً لانتقاله من شيء إلى ما هو أولى منه، وفي ذلك تدريج وتعليم للمريد كيف يتعلم المراقبة وأولها ذكر الله تعالى باللسان تكراراً مع حضور القلب، فإذا تنبه ذكره بقلبه خاصة إن لم يكن في ذكره بلسانه أيضاً زيادة فضيلة، فلهذا لما رآه منتبهاً قال له فيما ذكر قل: بقلبك من غير أن تحرك به لسانك، وفي نقله له في عدد الأفراد سر وهو أنه تعالى فرد يحب الفرد وكونه ثلاثاً وسبعاً، وإحدى عشرة كأنه لكون الثلاث أقل الجمع والسبع عدد السموات السبع والأرضين وأيام الأسبوع والإحدى عشرة نهاية صلاة الوتر. **(ثم قال لي خالي يوماً)** منبهاً لي على فائدة هذه الكلمات **(يا سهل من كان الله معه، وهو ناظر إليه وشاهده أيعصيه)** لا فإن من استشعر من الله ذلك لم يعصه **(إياك**

إليها في الحديث الشريف. **(قوله: حلاوة في سري)** أي لتأثير التنوير الفائض في سره.

(قوله: تسهيلاً) أي وخوفاً من الملل بدوام الأمر دفعة عملاً بإشارة خبر: «لا يمل الله حتى تملوا». **(قوله: مع حضور القلب)** أي بجمعه على التدبر والتفكر، وتفريغه مما سوى ذلك مع إخلاص العمل له تعالى. **(قوله: فإذا تنبه)** أي تعمر وترقى إلى حال ذكره بقلبه خاصة لأجل البعد عن أسباب العطب المانعة من السير إلى الله تعالى. **(قوله: إن لم يكن الخ)** قيد في قوله: ذكره بقلبه خاصة، فمحله إن لم يكن في ذكره بلسانه أيضاً زيادة فضيلة بأن كان في خلوة يأمن فيها الرياء، أو كان قوي الحال يأمن مثل ذلك مع الخلطة، أو بأن يكون ورده من مرشده عظيم فيه قوة حفظ مريده بالحال مثلاً.

(قوله: زيادة فضيلة) أي مثل دعاء مأثور يتعلق باللسان مع امنه على عدم الرياء، كما تقدّم. **(قوله: فرد يحب الفرد)** أي، وفي خبر: «وتر يحب الوتر». **(قوله: وكونه ثلاثاً الخ)** انظر هذه الحكمة، والله أعلم بأسرار خلقه. **(قوله: ثم قال لي الخ)** فيه تنبيه على أحد سببي ترك المخالفات، وهما الإجلال والخوف، والأوّل مقام الكمل من عباد الله المشار إليه بخبر: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»، والثاني مقام العامة، والله أعلم.

(قوله: من كان الله معه) أي بالعلم والحفظ والإعانة، وهو ناظر إليه أي عالم بأحواله له عناية به، وشاهده أي مطلع عليه أيعصيه لا، فالاستفهام إنكاري، كما أشار إليه الشارح بتقدير كلمة لا. **(قوله: إياك والمعصية)** أي احذر التلبس بها بل القرب من

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ٣٧) ومسلم (إيمان ١، ٥ ـ ٧) وأبو داود (سنة ١٦) والترمذي (إيمان ٤) والنسائي (إيمان ٥، ٦) وابن ماجه (مقدمة ٩) وأحمد بن حنبل (٢، ١٠٧، ١٣٢).

والمعصية **فكنت أخلو**) أي: أحب الخلوة (**فبعثوا بي**) أي: أهلي (**إلى الكتاب**) لأتعلم فيه القرآن (**فقلت**) لهم (**إني لأخشى أن يتفرق عليّ همي**) ولكن شارطوا (**المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع**) إلى خلوتي (**فمضيت إلى الكتّاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي خبز الشعير إلى أن بلغت اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة**) الظاهر أنها من أحوال القلوب والمعاملات مع الله تعالى (**وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوا بي إلى البصرة أسأل عنها فجئت البصيرة وسألت علماءها، فلم يشف عني أحد منهم شيئاً فخرجت إلى عبادان إلى رجل بها يعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني، فسألته عنها فأجابني، وأقمت عنده مدّة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه، ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصاراً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق**) بفتح الراء وسكونها وهو قدر ستة عشر رطلاً بالبغدادي وقيل ستة وثلاثين، وقيل: ستين وقيل: ثمانين (**فيطحن ويخبز لي فأفطر**

أسبابها، والمعصية تختلف إذ هي باعتبار الخاصة بالميل إلى الحظوظ مما لم يكن فيه وعيد شديد، وباعتبار العامة بفعل ما منعه الشارع، وكان فيه الوعيد المذكور. (**قوله: أي أحب الخلوة**) أي للبعد عن الأسباب المعطلة. (**قوله: إني لأخشى أن يتفرق عليّ همي**) أي ما أهتم به، وهو ذكر ربي في الخلوة مع حضور قلبي، والله ولي التوفيق. (**قوله: ولكن شارطوا المعلم**) أي اشترطوا عليه، وقوله: إني أذهب إليه ساعة أي مقداراً من الزمن لا خصوص الساعة المقدرة بخمسة عشر درجة. (**قوله: وحفظت القرآن الخ**) أنظرعلو الهمة في حالة السير، حيث يحمل هذا الشيخ مشاق التكليف قبل خطابه بزمن كبير، فلله الحمد عوداً وبدءاً أوّلاً وآخراً، حيث هو ولي الإنعام، ورب الإحسان. (**قوله: وقوتي خبز الشعير**) الظاهر أنه كان يقتصر عليه هذه المدة. (**قوله: فوقعت لي مسألة**) أي خطر لي خاطر قلبي طلبت نفسي فهم معناه، ولم يتيسر لي ذلك في محل إقامتي، وذلك الخاطر هو سجود القلب، كما أشرنا إليه في أوّل ترجمة الشيخ، ولاسيما مع الانتقال ربما يجد ثمرة مفارقة الأوطان.

(**قوله: فسألت أهلي الخ**) أي طلبت منهم أن يبعثوا بي إلى البصرة أسأل عنها أي اطلب سر معناها.

(**قوله: فجئت البصرة**) أي فأجابوني إلى ما سألت، فسافرت فجئت الخ (**قوله: فلم يشف الخ**) أي فلم أقنع بجوابها من أحد. (**قوله: فأجابني**) أي أجابني بما شفى قلبي لقوة معارفه بواسطة تنوير باطنه. (**قوله: انتفع بكلامه**) أي بما يجري على لسانه من الحكم، وقوله: واتأدب بآدابه أي أتخلق بمثل أخلاقه، واتحلى بمثل صفاته. (**قوله: فجعلت قوتي اقتصاراً**) أي مقتصراً فيه على خصوص الشعير. (**قوله: فأفطر عند السحر الخ**)

عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا) أي: بغير ملح ولا أدام **(فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة)** هذا لا ينطبق على تفسير الفرق بشيء مما ذكر والرطل اثنتا عشرة أوقية كما هو معروف **(ثم عزمت على أن أطوي)** أي: أجوع **(ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم)** أطوي **(خمساً)** ثم أفطر ليلة **(ثم)** أطوي **(سبعاً)** ثم أفطر ليلة **(ثم)** أطوي **(خمساً وعشرين ليلة فكنت عليها عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين)** فيه تنبيه على أنه ينبغي لمريد السياحة أن لا يتعرض لها بلا زاد حتى يتعود الصبر والقناعة باليسير والقوة على الجوع لتصير راحته في دوام ذكر الله تعالى ومناجاته فيشتغل بذلك عن أكله وشربه ويمنّ الله عليه بالقوة فيه كما منّ على النبي ﷺ بذلك في وصاله الصوم **(ثم)** بعد السياحة **(رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله)** قاله لتلامذته ليقتدوا به فينال أجر الدال على الخير. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت إبراهيم بن فراس يقول: سمعت نصر بن أحمد يقول: قال سهل بن عبد الله: كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء)** شرعي **(طاعة كان)** الفعل **(أو معصية فهو عيش النفس، وكل فعل)** يفعله **(بالاقتداء)** الشرعي وذلك

يؤخذ منه أنه كان مع دوام صومه يؤخر فطره إلى وقت السحر، ولعل وجهه طلب دوام النشاط للعبادة في الليل. **(قوله: هذا لا ينطبق)** أي باعتبار المقدار المعلوم للفرق، والأوقية، ويحتمل أنه استعملهما في غيره. **(قوله: ثم عزمت على أن أطوي الخ)** انظره مع أن الوصال في الصوم من خصائصه ﷺ، فلا يجوز لغيره فعله نعم إن حمل الطي على تأخير ما به التغذي لا ما يحصل به الفطر غيره، فلا يرد ما ذكر، وحينئذٍ فالأولى الحمل عليه كما أشار له الشارح بقوله: أي أجوع فتدبر. **(قوله: حتى يتعود الصبر الخ)** أي، وإلا كان تعرضاً للهلاك، وهو ممنوع شرعاً. **(قوله: فيشتغل بذلك الخ)** أقول غير بعيد حصول القوة بالذكر، إذ تسببها عن الأكل والشرب أمر عادي يجوز تخلفه فتأمل. **(قوله: ليقتدوا به)** أي، أو ليقوى اعتقادهم فيه، أو للتحدث بالنعمة. **(قوله: فينال أجر الدال على الخير)** أي عملاً بخبر: «الدال على الخير كفاعله» المراد منه حصول أصل الأجر، وإن تفاوت الكم أو الكيف**(قوله: قال سهل الخ)** المراد له رضي الله عنه حث المريدين على الخروج عن جميع المألوفات بمتابعة أحكام الرسالات، فإن الخير كله في الاتباع والشركة في الابتداع.

(قوله: فهو عيش النفس) أي حظها، واعلم أن النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل للقوة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم الروح الحيوانية، وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة، وبين البدن المشار إليها بالشجرة الزيتونة الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية لازدياد رتبة الإنسان وبركته بها، ولكونها ليست من

فيما إذا كان الفعل طاعة **(فهو عذاب على النفس)** لأن الاقتداء مخالفة الهوى وخلافه عمل بالهوى، وقد مدح الله تعالى الناهي نفسه عن الهوى، وقال رجل لسهل: أريد أن أصحبك فقال له: فإذا مات أحدنا فمن يصحب الثاني قال: يرجع إلى الله تعالى قال: فليفعل الآن ما يفعله غداً.

شرق عالم الأرواح المجردة، ولا من غرب عالم الأجساد الكثيفة، وهي تنقسم إلى أمارة ولوامة ومطمئنة وراضية ومرضية، كما هو معلوم في اصطلاح الصوفية نفعنا الله بهم. **(قوله: لأن الاقتداء مخالفة الهوى)** أي يلزمه مخالفة الهوى الذي هو ميل النفس بمقتضيات الطبع، والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية. **(قوله: فقال له: فإذا مات أحدنا الخ)** لعل مراده نفعنا الله به أن يحمله على معالي الأمور بعلو المقاصد، وذلك بالفناء عن جميع الكائنات بشهود رب الإحسانات والإمدادات.

(قوله: قال يرجع إلى الله تعالى الخ) أي حيث هو الذي منه الإيجاد وإليه مرجع العباد، فاللائق مصاحبته من أوّل الأمر، وهذا لم يكن الغرض منه اهمال طلب المرشد والواسطة، بل الرجوع مع ذلك إليه سبحانه وتعالى، وإلا فقد قيل لولا الواسطة لذهب الموسوط، والله أعلم. **(قوله: ومنهم أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني)** بنون بعد الألف الثانية، ويقال: بهمزة بدل النون وبالنون أشهر وأكثر، ذكره السمعاني، وهو الإمام الكبير الشأن في علوم الحقائق ارتفع قدره، وعلا ذكره حتى صار تشد إليه الرحال لإقامة شعار الدين، ونصرة حزب الصوفية الموحدين، قال النووي في بستانه: كان من كبار العارفين وأصحاب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة والحكم المتظاهرة، هو واحد مفاخر بلاد دمشق وما حولها.

(ومن فوائده) لا ينبغي لفقير أن يزيد في نظافة ثوبه على نظافة قلبه ليشاكل باطنه ظاهره، وقال: ليت قلبي في القلوب كثوبي في الثياب، وقال: من صارع الدنيا صرعته، ومن سكنت الدنيا قلبه ترحلت منه الآخرة، وقال: من اظهر الانقطاع إلى الله تعالى لزمه خلع ما دونه من عنقه، وقال: يا رب إن طالبتني بسريرتي طالبتك بتوحيدك، وإن طالبتني بذنوبي طالبتك بكرمك، وإن جعلتني من أهل النار أخبر أهلها بحبي إياك وقال: أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى إن يطلع على قلبه، فيراه لا يريد أحداً غيره في الدارين، وقال: إذا بلغ العبد غاية الزهد أخرجه إلى التوكل، وقال: كلما ارتفعت منزلة العبد كانت العقوبة أسرع إليه، وقال: أسكنهم الغرف قبل أن يطيعون، وادخلهم النار قبل أن يعصوه لا يسأل عما يفعل، وقال: القناعة أوّل الرضا، والورع أوّل الزهد وقال: مفتاح الآخرة الجوع، ومفتاح الدنيا الشره، ومفتاح كل خير الخوف من الله وقال هانوا عليه فعصوه وكرموا عليه لمنعهم منها، وقال: كيف يعجب عاقل بعمله وإنما عمله عطية من

(ومنهم أبو سليمان عبد الرحمن) بن أحمد (بن عطية الداراني) وفي نسخة الدارائي (وداران) وفي نسخة وداريا (قرية من قرى دمشق مات سنة خمس عشرة ومائتين سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد الداري يقول: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان) الداراني (يقول: من أحس في نهاره) بمراقبة حركاته وسكناته مع الله تعالى (كوفيء) أي: جوزي (في ليله) على ذلك (ومن أحسن في ليله) لما ذكر (كوفيء في نهاره) عليه (ومن صدق في ترك شهوة) لشيء (ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له، وبهذا الإسناد قال إذا

الله تعالى وأهمية منه عليه شكرها، وقال: إذا فتح الله لك باباً من الطاعة فالزمه، وقال: من حسن ظنه بالله فقد فتح عليه باب الرحمة، وقال: القلب كالمرآة إذا جلبت لا يمر بها شيء إلا مثل فيها، وقال: القلب كالقبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأي باب فتح له عمل فيه، وقال: أحلى ما تكون لي العبادة إذا لصق بطني بظهري، وقال: القلب إذا جاع وعطش صفا ورق، وإذا شبع عمي وثار، وقال: من ترك الدنيا للآخرة ربحهما، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما، وقال: الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية، وقال: إن الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائم يصلي، وقال: من كان يومه مثل أمسه، فهو في نقصان، وقال: إذا تكلف المتعبدون أن لا يتكلموا إلا بإعراب ذهب الخشوع من قلوبهم، وقال: ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى، وقال: ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك، ولكن ابدأ برغيفك فاحرزه، ثم تعبد، وقال: إذا واخيت أخاً فلا تعاقبه على ما تكرهه، فإنك لا تأمن أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول، قال الغزالي: جربته فوجدته كذلك، وقال: أي شيء يزيد عليكم الفاسقون إذا كنتم إذا اشتهيتم شيئاً أكلتموه، وقال: إذا سماك الله باسم فكن عند ما سماك وإلا هلكت، قال: الدنيا تطلب الهارب منها، وتهرب عمن طلبها، فإن أدركت الهارب منها جرحته، وإن أدركها طالبها قتلته، وله غير ذلك نفعنا الله به. (قوله: من أحسن في نهاره الخ) أي اقتصر فيه على فعل ما استحسنه الشرع كوفيء، أي جوزي في ليله يعني بالتوفيق والسداد وإفاضة الرحمات، ومثل ذلك يقال في قوله، ومن أحسن في ليله الخ.

(قوله: ومن صدق في ترك شهوة الخ) أي بأن يكون تركه إياها لله سبحانه وتعالى لا لحظ نفسه إذ الصدق هو الوقوف مع مراده تعالى، والفناء عن مراد النفس. (قوله: ذهب الله بها من قلبه الخ) أي صرف قلبه عن الميل إليها، ولم يلمه على ذلك، وحفظه عن طرق مثلها فيه. (قوله: إذا سكنت الدنيا الخ) أي إذا قوي تعلق القلب بها، وتمكن منه

سكنت الدنيا القلب) بأن كمل اشتغاله بها (ترحلت منه الآخرة) فلم يتفكر في أعمالها، ولم يستعد لها (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن) محمد بن الحسين (السلمي رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: قال أبو سليمان الداراني ربما يقع في قلبي النكتة) أي: كلمة الحكمة (من نكت القوم أياماً فلا أقبلها) (منه) أي: لا أستحسنها منه (إلا بشاهدين عدلين) أي (الكتاب والسنة) ولم يكتف بأحدهما احتياطاً لجواز أن يكون أحدهما مخصصاً أو ناسخاً أو مبيناً للآخر (وقال أبو سليمان أفضل الأعمال خلاف هوى النفس) أي: ما ليس للنفس فيه هوى إذ العمل الذي ينشئه عامله على الصدق والإخلاص أفضل الأعمال (وقال لكل شيء علم) بفتح العين واللام أي: علامة (وعلم الخذلان) أي: علامته (ترك البكاء) والتوبة والتضرع ممن هو مذنب أو مقصر

إليها واشتغاله بها ترحلت منه الآخرة، أي لم يجعل الله له التفاتاً إليها لانهما ضرتان، فمتى أرضيت واحدة أغضبت الأخرى «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه»، ومن ذلك كان حجاب الميل إلى الدنيا أشد الحجب المانعة من الخيرات الدينية والدنيوية.

(قوله: ربما يقع في قلبي الخ) أي ربما أسمع الكلمة والحكمة عن بعض الصالحين ممن اشتهر بالخير فيشهد قلبي بحسنها لتأثيرها فيه فلا أقبلها منه الخ، أي فلا أكتفي باستحسان قلبي اتهاماً لنفسي بسبب بقاء بعض الحظوظ، حتى أعرضها على شاهدين عدلين وهما الكتاب والسنة، فإن شهد إلي بحسنها أقدمت وإلا أحجمت، قال بعضهم: ويقال لهذا المقام المطلع والإعراف، وهو مقام الإشراف على الأطراف قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]، وقال النبي ﷺ «لكل آية ظهر وبطن وحد ومطلع» فافهم. (قوله: ربما يقع في قلبي الخ) قال بعضهم: ونهاية مقام القلب هو الأفق المبين فافهم. (قوله: أفضل الأعمال خلاف هوى النفس) أي العمل الذي لا ميل للنفس له، ولا حظ لها فيه يثيب الله تعالى عليه أكثر مما لها فيه حظ، وقوله: إذ العمل أي المتعلق بالجوارح الظاهرة والباطنة الذي ينشئه عامله على الصدق الخ أي مخلصاً فيه فانياً عن مراده أفضل الأعمال، أي لما فيه من ارغام النفس الذي مدار الوصول عليه، وذلك علة لقوله أفضل الأعمال خلاف هوى النفس، أي ما خالف هواها من الأعمال.

(قوله: وعلم الخذلان الخ) أي علامة الرد وعدم القبول، وعدم التوفيق ترك البكاء أي ترك تحزن القلب وتوجعه على ما هو نعته من فعل معصية، أو قصور من درجة كمال، ويؤخذ منه أن البكاء من أجل ذلك ينشأ عنه صدق التوبة، والنهوض إلى سني الأحوال، وعلى المقامات فعلى العبد بذل الوسع، والاجتهاد في الرجوع إلى مولاه باخلاص التوبة، وبعد ذلك عليه أن يجتهد في طاعة ربه ليتهيأ لقرع باب الفتاح العليم.

أو عازم على سلوك المنهاج الأفضل، ولم يجد من نفسه نهضة إلى قيام الليل وصيام النهار ونحوهما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ﴾ أي فهلا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا ﴿تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣] **(وقال لكل شيء صدأ)** أي: وسخ يمنع صفوه **(وصدأ نور القلب شبع البطن، وقال: كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤوم)** وفي نسخة مشؤوم قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] وقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وذلك لاشتغال الإنسان بهم وبالسعي في أغراضهم عن آخرته يقال: رجل مشؤوم ومشوم من الشؤم، وهو ضد اليمن ومنه تشاءم القوم بكذا **(وقال أبو سليمان كنت في ليلة باردة في المحراب، فأقلقني البرد**

(قوله: والتوبة) عطفه على ما قاله من عطف الكل على الجزء الأعظم، فهو من قبيل: «الحج عرفة» فتدبر. **(قوله: أي فهلا الخ)** أشار إلى أن لولا بمعنى هلا التحضيضية. **(قوله: تضرعوا)** أي بالندم، وطلب الغوث والمعنى لنفسه معهم ذلك، وقوله: ولكن قست قلوبهم، أي عمها العمى والغفلة باعتبار عدم قابليتها للخير، وذلك على حسب ما قسم الله لها في أحكام الأزل ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣].

(قوله: وقال لكل شيء صدأ الخ) الغرض التقريب، حيث شبه المعقول بالمحسوس لغرض بعث النفس على تكلف إزالته، أي فكما أن الصدأ المحسوس من الوسخ الذي يعلو الشيء يمنع من صفائه ونظافته المحسوسة، فكذلك الصدأ المعقول، وهو تكدر القلب بالحظوظات والشهوات يمنع من صفائها. **(قوله: وصدأ نور القلب الخ)** قال بعضهم: اعلم أن النور اسم من أسمائه تعالى، وهو تجليه باسمه الظاهر أعني الوجود الظاهر في صور الأكوان، وقد يطلق على ما يكشف المستور من العلوم اللدنية، والواردات الإلهية التي تطرد الكون عن القلب تدبر الكلام، واحمل عليه المقام. **(قوله: شبع البطن)** أي تعاطي الزائد عن المأذون فيه من الشارع ﷺ، وذلك لما ينشأ عنه من الظلمة، وزيادة الغفلة والفتور عن الطاعة، وقسوة القلب، وغير ذلك من بقية الداآت الدينية بل والبدنية.

(قوله: وقال كل ما شغلك الخ) أي كل ما كان سبباً في إعراضك عن معاملته، وغفلتك عن الأهم لنفسك، فهو مشؤوم أي ضرر صرف، فما كل ملائم نعمة، بل قد يكون من أعظم النقمة فافهم. **(قوله: فتنة)** أي سبب في الافتتان، ففي التعبير مبالغة. **(قوله: وذلك لاشتغال الإنسان بهم)** أقول، ويحتمل أيضاً أنهم باطناً أعداء حقيقة، إذ بعض الأزواج، والأولاد يميل إلى هلاكه لنيل دنيء المقاصد بل هذا مشاهد محسوس. **(قوله: كنت في ليلة باردة الخ)** الغرض له الحث على الصبر على مشاق العبادة بإفادة أن

فخبأت إحدى يدي من البرد وبقيت الأخرى ممدودة) للدعاء (فغلبتني عيناي فهتف بي هاتف) فقال لي (يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها) من الخيرات (ولو كانت الأخرى) ممدودة (لوضعنا فيها) مثل ذلك (فآليت) أي: فحلفت (على نفسي أن لا أدعوه إلا ويداي خارجتان حراً كان الزمن أو برداً) فيه تنبيه على أنه ينبغي للعبد إذا دعا أن يستفرغ كليته بقلبه وجوارحه وإقباله على ما أمر بالإقبال عليه وبسط اليدين في الدعاء (وقال أبو سليمان نمت عن وردي) في العبادة (فإذا أنا بحوراء) جميلة من الحور العين (تقول لي تنام وأنا أربى لك في الخدور) أي: الستور (منذ خمسمائة عام) أعدني الله لك جزاء قبل أن تعمل (أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أخبرنا أبو عمرو الجولستي قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل قال: أخبرنا أحمد بن أبي الحواري قال: دخلت على أبي سليمان يوماً وهو يبكي) بكاء محبة وشوق للوصول لا بكاء فرح وسرور بالنعم ولا بكاء شكر للقبول (فقلت له ما يبكيك فقال،

الخير الإلهي على حسب المشقات، وأنه وقع له ما يشهد بذلك أي، ويرشد إليه أيضاً خبر: «الأجر على قدر النصب». (قوله: فهتف بي هاتف الخ) أي بالهام إلهي بواسطة تنوير الباطن بقوّة اليقين. (قوله: خارجتان) أي بارزتان عن الساتر. (قوله: أن يستفرغ كليته الخ) أي وإذا كمل له ذلك شغله عن الحر والبرد فربما لا يحس بهما.

(قوله: نمت عن وردي الخ) أي غلبني النوم فتركته، وقوله: فإذا أنا بحوراء سميت بذلك لاتساع سواد عينيها واتساع بياضهما، وقوله: جميلة من الجمال، وهو تناسب الأعضاء تقول لي تنام على حذف الهمزة من تنام، وأنا أربي لك من التربية، وهي إبلاغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً فالمعنى اهيأ لك. (قوله: أعدني الله لك جزاء الخ) أي باعتبار سابق تقدير التوفيق، فلا يقال الجزاء يترتب على صدور الأعمال بالفعل. (قوله: وهو يبكي الخ) أقول الغرض من ذكر هذه القصة بيان ما كان عليه نفعنا الله به من الشوق إلى رفيع المقام، ودخول معسكر هاتيك الخيام، والعد في جملة الواصلين إلى السلام بسلام، ممن روق لهم شراب المحبوب، فحثوا بالكاسات فوق المطلوب، ثم ناداهم رسول الحبيب هلموا إلى حضرة العزيز القريب، فأقبلوا مجدين بالسير المسير بواسطة إعانة اللطيف الخبير، حتى وصلوا إلى مقام التنزيه والتقديس، فشاهدوا في كل شيء أنفس كل نفيس، وذلك بعد أن اميطت لهم حجب العظمة والجلال، وكشفت لهم الستائر عن الجمال، فتاهوا بعز الدلال، وسكروا بمظاهر صور الجمال، فسعدوا بظهور شمس ذات الأحدية، وبزوغ قمر أهلة الصمدية، فعند ذلك زاد منهم الأنين، فغلب البكاء ورقي الحنين، فناداهم رسول سر الاخلاص طيبوا نفوساً، فلا عتب ولا قصاص، فداموا على موائد القرب والتخصيص، حتى وجدوا ما وعدوا من النعيم بالتنصيص رضي الله تعالى

يا أحمد ولم لا أبكي و) أنا أعلم أنه **(إذا جن الليل)** أي دخل وستر **(ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم، وتقطرت في مجاريهم أشرف الجليل سبحانه)** أي: تفضل عليهم بنعمه وزاد قلوبهم حضوراً وشوقاً إليه **(فنادى)** وفي نسخة فينادي **(يا جبريل)** بشرهم بأن **(بعيني)** أي: برعايتي وحفظي **(من تلذذ بكلامي واستراح إلى ذكري وإني لمطلع عليهم في خلواتهم)** وجلواتهم **(أسمع أنينهم وأرى بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل)** قل لهم **(ما هذا البكاء هل رأيتم حبيباً يعذب أحباءه أم كيف يجمل)** بفتح الياء وضم الميم أي: يحسن **(بي أن آخذ قوماً)** بالعذاب **(إذا أجنهم الليل)** أي: سترهم **(تملقوا)** أي: توددوا وتلطفوا **(لي فبي)** أي: فبنفسي **(حلفت أنهم إذا وردوا عليّ القيامة)** أي: في يومها **(لأكشفن لهم عن وجهي الكريم)** أي: عن ذاتي **(حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم)** وذلك بكشف الحجب التي تحجبهم عن رؤيتهم له في الدنيا أما هو فلا يحجب عن رؤيتهم لاستحالة ذلك في حقه، فلا يوصف بأنه محجوب وإن وصف

عنهم ورضوا عنه، هذا ما لاح لي في هذا المقام، فانظره ومني عليك السلام. **(قوله: ولم لا أبكي)** أي ما يمنعني من البكاء وأنا أعلم الخ.

(قوله: إذا جن الليل) أي عمت ظلمته. **(قوله: ونامت العيون)** أي عيون الغافلين عما يحصل من ملاذ المجدين من المؤمنين. **(قوله: وخلا كل حبيب بحبيبه)** أي، وذلك مختلف باختلاف الأحوال والمقامات.

(قوله: وجرت دموعهم الخ) أي سالت بكثرة، وتقطرت في محاريبهم أي نزلت على محل صلاتهم قطرات حتى ملأتها. **(قوله: أشرف الجليل الخ)** هو كناية عن تجليه سبحانه وتعالى قائلاً لسان حال هذا التجلي في حالة مظاهر التقديس يا جبريل الخ فافهم سر السر المطلسم تعلم القصد من معنى تكلم. **(قوله: أي تفضل الخ)** يشير إلى أن معنى أشرف تجلى عليهم بالإحسان، وليس المعنى أنه حصل تغير في الصفات من حالة إلى حالة لاستحالته. **(قوله: وإني لمطلع عليهم)** أي عالم بهم، وبأحوالهم التي تحصل لهم. **(قوله: لأكشفن لهم عن وجهي الكريم الخ)** أي بإزالة الحجب الكائنة بحسب العباد نورانية أو ظلمانية الأولى بالعلوم، والمعارف التي غايتها أن يدركه بلا كيف ولا جهة ولا مكان ولا زمان، بل على ما يليق سبحانه وتعالى، وذلك بأن يخلق في العبيد المقربين قوّة بها يدركون ذاته تعالى على النعت الذي تقدم، والثانية بالجهالات وملابسة الشهوات، وأوّلها وآخرها عمى، نسأل الله السلامة بمنه وكرمه، فهو تعالى محتجب عن الخلق بهذين الحجابين لا محجوب فافهم. **(قوله: فلا يوصف الخ)** محصله أن هناك فرقاً بين محتجب ومحجوب لإشعار الثاني بالمقهورية والأوّل بالصفة الذاتية فتأمله.

بأنه محتجب لأن المحجوب مقهور، والمحتجب أي: المتخذ لنفسه حجاباً قاهر، وله تعالى سبعون حجاباً من نور وظلمة على ما ورد في الخبر وفسرت حجب النور بالعلوم والوقوف عندها، وحجب الظلمة بالجهالات.

(ومنهم أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان، ويقال حاتم بن يوسف الأصم من أكابر مشايخ خراسان وكان تلميذ شقيق وأستاذ أحمد بن خضرويه) مات سنة سبع وثلاثين ومائتين **(قيل لم يكن أصم وإنما تصامم مرة فسمي به، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة)** احتاجت إليها **(فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت)** أي ريح **(فخجلت)** منه غاية الخجل

(قوله: وفسرت حجب الخ) منه يعلم أنها من أنواع الحادث، وهو كذلك. **(قوله: ومنهم أبو عبد الرحمن حاتم الخ)** قال بعضهم: هو البلخي المعروف بحاتم الأصم المؤثر للأدوم والأعم، تحقق فسكن وأيقن فركن، وقيل: التصوف التنقي من الشكوك، والترقي في السلوك، وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي صحب شقيقاً البلخي، ثم اعتزل الناس في قبة منذ ثلاثين سنة لا يكلمهم إلا جواباً لضرورة، وهو من أجل مشايخ خراسان، ومن كلامه: من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله أوّلها الثقة بالله، فالتوكل فالإخلاص، فالمعرفة والأشياء كلها تتم بالمعرفة، وقال: تعهد نفسك في ثلاث إذا عملت فانظر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك، وقال: من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه، ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم، ودخل بعض الأمراء، فقال: ألك حاجة قال: أن لا تراني ولا أراك، وقال: اصحب الناس كما تصحب النار خذ نفعها واحذر أن تحرقك، وقال: من دخل في مذهبنا، فليجعل في نفسه أربع خصال موتاً أبيض، وهو الجوع، وموتاً أسود وهو تحمل الأذى، وموتاً أحمر وهومخالفة النفس، وموتاً أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض، وقال: أصل الطاعة ثلاثة الخوف، والرجاء والحب، وأصل المعصية ثلاثة الحسد والكبر والحرص، وقال: لا تغتر بموضع صالح ففي الجنة لقي آدم ما لقي، ولا بكثرة علم فبلعام كان يعرف الاسم الأعظم ولقي ما لقي، ولا بمعرفة الصلحاء، فلا أعظم من خاتم الرسل، ولم ينتفع بلقائه ناس كثير حتى من أهل بيته، وقيل له: عظني قال إن كنت تريد عصيان مولاك فاعصه في موضع لا يراك أسند الحديث عن بعض التابعين قال في روض الرياحين اجتمع به أحمد بن حنبل، وسأله فأجابه فاستحسن جوابه، وهو من كبار المشايخ نفعنا الله به. **(قوله: وإنما تصامم)** أي تكلف الصمم.

(قوله: سمعت الخ) شروع في بيان سبب تكلفه الصمم. **(قوله: من مسألة)** أي عن جوابها. **(قوله: فخجلت الخ)** الخجل حالة توجب حمرة أو صفرة في اللون بسبب

(فقال) لها **(حاتم)** لما أدرك منها ذلك **(ارفعي صوتك)** بكلامك **(فأرى من نفسه أنه أصم)** رحمة لها وشفقة عليها **(فسرت المرأة بذلك وقالت إنه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الصمم)** وفي نسخة اسم الأصم، وحدث بذلك من يقتدى به من تلامذته ليسلك مسلكه في الشفقة على الخلق ودفع ما يؤلمهم عنهم. **(أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: سمعت أبا علي سعيد بن أحمد يقول: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن عبد الله)** وفي نسخة عبد وفي أخرى عبيد **(يقول: سمعت خالي محمد بن الليث يقول: سمعت حامداً اللفاف يقول: سمعت حاتماً الأصم يقول: ما من صباح)** يمر بي **(إلا والشيطان يقول لي: ماذا تأكل وماذا تلبس وأين تسكن فأقول له آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر)** فيه تنبيه على أنه ينبغي للإنسان أن يقصر أمله، وقيل له مرة من أين تأكل فقال: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧] **(وبإسناده)** المذكور **(قيل له ألا)** بمعنى هل **(تشتهي)** شيئاً **(فقال أشتهي عافية يوم إلى الليل فقيل له: أليست الأيام كلها عافية)** فكيف لا تكون أنت في عافية **(فقال إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه)**. فإنه العافية الكبرى أي: التي لا مرض بعدها وهي السلامة من العقاب وأسبابه **(وحكي عن حاتم الأصم أنه قال: كنت في بعض الغزوات فأخذني)** **(شخص)** تركي **(فأضجعني للذبح)** وجلس على صدري وأخذ بلحيتي وأخذ في إخراج السكين من خفه **(فلم يشتغل به)**

حدوث ما يستحى منه غالباً، وقولهم: أن الخجل بالحمرة، والوجل بالصفرة في غير الصفراوي كما لا يخفى. **(قوله: فأرى من نفسه الخ)** أي فأظهر من نفسه أنه أصم. **(قوله: رحمة الخ)** أي وعملاً بخبر: «إن الله ستير يحب من عباده الستيرين»، وخبر: «تخلقوا بأخلاق الله». **(قوله: فغلب عليه الخ)** أي لاستصحابه إظهار الصمم. **(قوله: ودفع ما يؤلمهم)** أي عملا بخبر: «الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» والله أعلم. **(قوله: ما من صباح الخ)** الغرض التنفير والتحذير من مثل ذلك بإشارة أنه من عمل الشيطان، والعاقل يطلب رضا الرحمن. **(قوله: آكل الموت الخ)** المراد الإعراض عن الدنيا بجميع ما فيها بدوام ذكر الموت وما بعده. **(قوله: ولكن المنافقين لا يفقهون)** يشير بها إلى أن من شأن المنافق عدم الوثوق بما عنده تعالى مع أنه يثق بما في يده، فهو على غاية الجهل والحمق أعاذنا الله من ذلك.

(قوله: إن عافية يومي الخ) يرشد إلى أنه لا ينبغي أن يفهم من معنى العافية إلا العافية من ذات الدين لا البدن، وفيما ذكره هضم لنفسه، حيث أشار إلى أنه لم يتخلص من المخالفات هذا الزمن. **(قوله: أن لا أعصي الله فيه)** أي وذلك لأن الإنسان لا يخلو من قصور أو تقصير عن القيام بشكر النعم الإلهية. **(قوله: كنت في بعض الخ)** في هذه

أي: بالذبح أي بألمه **(قلبي)** لاشتغاله بمناجاة الله تعالى، وبالنظر لما تجريه المقادير كما قال **(بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى (فيّ) فبينما هو يطلب السكين من خفه أصابه)** في حلقه **(سهم غرب)** بإسكان الراء أي: أتاه من حيث لا يدري **(فقتله وطرحه عني فقمت)** إليه وأخذت السكين من يده فذبحته بها فمن كان قلبه مع الله رأى منه ما لم يره من الآباء والأمهات، وفي هذه الحكاية دلالة على كمال التثبت، وقوة اليقين بأنه لا يجري على العبد إلا ما سبقت به المقادير. **(سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر منصور بن محمد بن إبراهيم الفقيه يقول: سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن نصير يقول: روي عن حاتم أنه قال: من دخل في مذهبنا هذا)** أي علم التصوف **(فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت موتاً أبيض وهو الجوع)** سمي أبيض لأنه يحيي القلب ويصفيه للذكر **(وموتاً أسود وهو احتمال الأذى من الخلق)** سمي أسود لما يلحق الإنسان به من الغم وعدم الانتصار للنفس **(وموتاً أحمر وهو العمل الخالص من الشوب)** وفي نسخة الاقتصار على قوله وهو العمل **(ومخالفة الهوى)** سمي أحمر بلون الدم الحاصل بالجرح والقطع لمخالفته

الحكاية ما يدل على قوة إيمانه، وصدق يقينه، وطمأنينة قلبه لما تجري به أحكام ربه، والله أعلم.

(قوله: لم يشتغل به الخ) أي لكونه كان مصطلماً في أرائك التوحيد، وفي حظائر الأسماء الإلهية. **(قوله: ماذا يحكم الله تعالى)** أي ماذا يظهره من آثار القضاء، والقدر الأزليين. **(قوله: أصابه سهم الخ)** أي بسر قوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]. **(قوله: فمن كان قلبه مع الله الخ)** أي من كان قلبه متعلقاً به مراقباً له، رأى منه أي حصل له من مظاهر رحمته وإحسانه ما لم يره من الآباء والأمهات على أن التعبير بهما للتقريب للعقول بحسب المألوف. **(قوله: بأنه لا يجري الخ)** أي كما يدل له خبر «ما أصابك لم يكن ليخطئك» الحديث. **(قوله: من دخل في مذهبنا الخ)** أي من أراد سبيل التصوف، فليجعل في نفسه الخ أي فليحمل نفسه على هذه الخصال عسى أن تصله نفحات الأفضال، إذ هي قد تعينت للسلوك، ورفع المملوك إلى درجة الملوك.

(قوله: لأنه يحيي القلب) أي يكون سبباً في حياته، أي والشبع يميته ويقسيه ويظلمه، إذ البطنة تميت الفطنة. **(قوله: وهو احتمال الأذى الخ)** أي تحمله من الخلق أقول، ومما يسهل ذلك شهود مصدر الأفعال سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. **(قوله: وهو العمل الخالص من الشوب)** أي شائبة الالتفات إلى الغير، حتى من شهود حسن الفعل بل، ومن طلب عوض عليه منه تعالى. **(قوله: ومخالفة الهوى)** أي ميل النفس، وذلك إنما يتحقق بالفناء عن حظوظها، وعاداتها في كل شيء.

الهوى وقطعه النفس عن شهواتها **(وموتاً أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض)** للتستر بها سمي أخضر بلون لباس أهل الجنة لأنه شعار الصالحين، فإن العبد إذا قلل في اللباس بأن لم يكن له فيه غرض إلا ما يستر به عورته، وإن تقطع مما عليه موضع التقط رقعة وغسلها بالماء وتستر بها جوزي بما وعد الله به السابقين كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] وقال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١] ومن كلام حاتم: الزم خدمة مولاك تأتيك الدنيا راغمه والآخرة راغبة وتعهد نفسك في ثلاث مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فانظر سمع الله إليك، وإذا سكت فانظر علم الله فيك.

(قوله: وموتاً أخضر) أي: باعتبار ما يترتب عليه من حلل الجنة المعدة للصابرين على التقلل في الدنيا من اللباس. **(قوله: فإن العبد إذا قلل الخ)** أي فقد مات الموت الأخضر، وذلك لاخضرار عيشه بالقناعة ونضرة وجهه بنضار الجمال الذاتي الذي يحيي به السالك، ويستغني به عن التجمل العارض، ولذا قيل شعر:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

ولإمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه شعر:

لئن كان ثوبي فوق قيمته الفلس ... فلي فيه نضر دون قيمتها الأنس
فثوبك شمس تحت أنواره الدجى ... وثوبي ليل تحت ظلمته الشمس

(قوله: جوزي الخ) جواب إذا قلل الخ.

(قوله: وجزاهم بما صبروا) أي: بسبب صبرهم، وهو حبس النفس على ما به الكمال الآخروي وإن لم يلائم النفس. **(قوله: وإستبرق)** هو نوع من الحرير رفيع. **(قوله: ومن كلام حاتم الخ)** يريد أنه بدوام الامتثال كما يصل به إلى الخيرات الحسان في العقبى، فهو يصل به إلى العرض الفاني في الدنيا **(قولن: تأتيك الدنيا راغمة)** أي: قهراً، والمراد من غير حساب ومن غير كد وتعب، وقوله: والأخرى راغبة أي طالبة لك مسهلة أسبابها بدون مشقة، إذ التخلق بالدوام عليه يصير خلقاً. **(قوله: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك)** أي: فارفع عملك موقع الإخلاص بالتفاتك إلى أنه تعالى ناظر إليك وعالم بحركاتك وسكناتك، وذلك حمل على العمل بإحدى درجتي الإحسان المشار إليها بقوله ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1]. **(قوله: وإذا تكلمت فانظر سمع الله إليك)** أي فلا تتكلم إلا إذا تحقق عندك خبرية القول بشاهد الشريعة المطهرة، وإلا كان إثماً أو إرتكاباً

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ٣٧) (تفسير سورة ٣١، ٢) ومسلم (إيمان ١، ٥، ٧) والنسائي (إيمان ٥، ٦).

لما لا يعني، وقوله: وإذا سكت يعني عن العمل، فانظر علم الله فيك أي فليكن سكوتك تفكراً في المصنوعات تكن مأجوراً في حالة السكوت، كما كنت مأجوراً في حالة العمل، والله يتولى هداك.

(قوله: ومنهم أبو زكريا يحيى بن معاذ الخ) قال بعضهم: كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر له سطوة تكف الأيدي عن الجور ومهابة تزعزع كل جبار لزم الحدود توقياً من المعاد، واستلذ السهاد تحرياً للوداد، واحتمل الشدائد توصلاً إلى المعتاد، ومن كلامه أنه قال: مفاوز الدنيا تقطع بالإقدام ومفاوز الآخرة بالقلوب، وقال: من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار، وكل إلى الخلق، وقال: الوحدة جليس الصديقين، وقال: من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم، وقال: العارف يشتغل بربه عن مفاخرة الأشكال في مجالس العطايا، وعن منازعة الأضداد في مجالس البلايا، وقال: زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها، وقال: العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وهيأ قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه، وقال: العمال أربعة تائب وزاهد ومشتاق وواصل، فالتائب محجوب بتوبته، والزاهد بزهده، والمشتاق بحاله، والواصل لا يحجبه عن الحق شيء، وقال: إذا لم يكن الإيمان هادماً للسيئات كما أن الكفر هادم للحسنات لما فضل الإيمان، وقال: لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة، وقال: مصيبتان لم يسمع بمثلهما للعبد في ماله عند موته يؤخذ منه كله، ويسأل عنه كله، وقال لا تستبطىء الإجابة إذا دعوت، وإن تسددت طرقها بالذنوب، وأكل الحرام، وقال: الدنيا قنطرة الآخرة، فاعبروها ولا تعمروها، وقال: ليس من العقل بنيان القصور على الجسور، وقال: حقيقة المحبة لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء، وقال أخوك من عرفك العيوب، وصديقك من حذرك الذنوب، وقال: عجب ممن يحزن على نقص ماله، ولا يحزن على نقص عمره، وقال: من قوة اليقين ترك ما ترى لما لا ترى، وقال: الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لا يفيق إلا وهو في عسكر الموتى، وقال: علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات، وقال: إن الله رضي عن قوم فغفر لهم السيئات، وغضب على قوم فلم يقبل منهم الحسنات، وقال: الدنيا بحر التلف والنجاة منها الزهد فيها، وقال: يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم بذكرك في اللوح لمت طرباً، وقال: على قدر حب العبد لله يحببه إلى عباده، وعلى قدر توقيره لأمره يوقره خلقه، وقال: أعمال كالسراب، وقلوب من التقوى خراب، وذنوب بعدد التراب، ويطمع مع هذا في الكواعب الأتراب هيهات هيهات أن هذا السكر بغير شراب، وقال: أحسن شيء كلام صحيح من لسان فصيح، وقال: مسكين ابن آدم لو يخاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة، وله درر فوائد غير هذا، ولله خرق العوائد.

زائدة في النسبة (**الواعظ نسيج وحده**) أي: لا نظير له (**في وقته**) من علم وغيره (**له لسان**) أي: كلام متين (**في الرجاء**) الآتي بيانه في بابه (**خصوصاً و**) له كلام قويم (**في المعرفة**) بالله تعالى (**خرج إلى بلخ وأقام بها مدة، ورجع إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين**) وقبره بها يستشفى به وكانوا ثلاثة أخوة يحيى وإبراهيم وإسماعيل، وكلهم زهاد (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان العكبري يقول: سمعت أحمد بن محمد بن السري يقول: سمعت أحمد بن عيسى يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول كيف يكون زاهداً من لا ورع له**) إذ الورع ترك الشبهات، والزهد ترك الحلال كما سيأتي في بابيهما وإليها أشار هنا بقوله: (**تورّع عما ليس لك**) أخذه شرعاً (**ثم ازهد فيما لك**) أخذه شرعاً (**وبهذا الإسناد قال جوع التوّابين تجربة**) لهم هل يصبرون عن الطعام فإن عملهم على خلاف العادة (**وجوع الزاهدين سياسة**) أي: قيام على أنفسهم بما يصلحهم لا بما يتعودون به الجوع، فإن أنفسهم معرضة عن الطعام بزهدها (**وجوع الصديقين تكرمة**) من الله لهم حيث أشغلهم بذكره ومناجاته ودوام أنسه وتلذذهم بما

(**قوله: الواعظ**) أي الذي يأتي بكلام فصيح يشتمل على وعد ووعيد مع ترغيب وترهيب. (**قوله: نسيج وحده**) أي عملاً وعلماً. (**قوله: له لسان أي كلام متين في الرجا**) أي له منطق حسن في بيان حقيقة الرجاء، وتفاصيل أحواله ومقامات من اتصف به، والرجاء هو المعبر عنه بالبسط، كما أن الخوف يعبر عنه بالقبض.

(**قوله: وله كلام قويم في المعرفة بالله تعالى**) أي العلوم الإجمالية المشار إليها في الكتاب العزيز بنون، والتفصلية المشار إليها فيه أيضاً بقوله: ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] فافهم. (**قوله: وله كلام قويم في المعرفة الخ**) أي في بيان حقيقتها وثمرتها العاجلة والآجلة. (**قوله: ترك الشبهات**) أي وذلك إنما يتم بمفارقة جميع المألوفات من العادات امتثالاً للشارع الأعظم، وعملاً بسنة النبي الأكرم ﷺ.

(**قوله: والزهد ترك الحلال**) أي ترك ما زاد عن الحاجة منه شغلاً عنه بطلب الدرجات، ورفيع المقامات، فمن زعم أنه من الزاهدين مع عدم كف نفسه عما فيه شبهة، فهو من الكذابين المغرورين. (**قوله: تورع الخ**) الأمر في الأوّل محتم، وفي الثاني مندوب الرسول الافخم. (**قوله: جوع التوابين الخ**) يشير إلى أن مقامات الجوع ثلاثة إمتحان، وناموس وكرامة، فالأول مرجو النفع، والثاني يرجع غالباً إليه، والثالث من نوع الكرامة، حيث كان الترك لما هو أعظم. (**قوله: جوع التوابين**) أي كثيرين التوبة، والرجوع إلى الله تعالى. (**قوله: وجوع الزاهدين سياسة**) أي من جهة أنهم تغلبوا على أنفسهم بالقهر لها إرجاعاً للأرشد والأنفع. (**قوله: وجوع الصديقين**) أي الواصلين

هم فيه عن الطعام **(وقال: يحيى الفوت)** لما تعلق به القلب **(أشد)** على النفس **(من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق)** وذلك لأن الموت معلوم والعبد ينتظره ويتهيأ له، فخف أمره بخلاف ما تعلق به القلب، وليس معلوماً واجتهد في تحصيله ثم فاته فإن ألمه عليه شديد «وإن كان الفائت عظيماً»، فالألم عليه أشد ولا أعظم من الله تعالى، فمن اجتهد واشتغل بجميل تقواه ودام ذكره لمولاه ففاته الوصول، وحجب عنه لسبب من الأسباب فألمه أشد الآلام، ولذلك قال بعضهم: اللهم إن عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب **(وقال يحيى: الزهد)** أي: علاماته **(ثلاثة أشياء: القلة)** من المال **(والخلوة)** عن الخلق **(والجوع)** بقلة أكل الطعام، وما ذكره بعض الدنيا المزهود فيها لانها غير محصورة في المال والطعام، ومخالطة الخلق **(وقال يحيى: لا تربح على نفسك بشيء أجل)** وأعظم **(من أن**

إلى مقام الصديقية مع قوّة اليقين، وإخلاص النية، والتبري من الحول والقوة، وقوله: تكرمة أي كرامة أكرمهم الله بها، حيث شغل نفوسهم بالأنفس من ذكره ومراقبته، وغيرهما من مشاهد كرامته. **(قوله: تكرمة من الله لهم)** أي لكونه صدر عنهم باختيارهم بسبب اشتغالهم بالذكر الذي هو غذاء أرواحهم. **(قوله: الفوت لما تعلق به القلب الخ)** أي فأولى ما ينحسر عليه العبد، ويحزن على ضياعه فوات ما كان سبباً للقرب مما يحصل به المرغوب، ويتوصل بسببه إلى المطلوب، مما يدوم نفعه من جزاء الأعمال، ولذا قيل ليس المصاب، من فقد الأحباب إنما المصاب من حرم الثواب.

(قوله: أشد من الموت) أي موت المشغول بالعاجل، إذ غاية ما يترتب على موته فوات عرضٍ فانٍ كما لا يخفى. **(قوله: لأن الفوت انقطاع عن الحق الخ)** أي وفرق ما بين فائت إذا تم وحصل دام، وغيره مما ينعدم بمر الأيام. **(قوله: ولا أعظم من الله تعالى)** أي ويلزم من ذلك أنه لا أعظم مما يقرب إليه. **(قوله: فلا تعذبني بذل الحجاب)** أقول إنما كان الحجاب ذلاً لأن من ذاق معالي القرب، ثم حرم الوصول إليها كان في غاية الذل، ولهذا من الشاهد دليل بل شتان ما بين الحالين، والله أعلم.

(قوله: الزهد أي علاماته الخ) أي يتعرف حال مدعي الزهد بثلاثة أشياء القلة أي التقلل من الدنيا، والخلوة، أي العزلة بقصد العبادة، والجوع أي الاقتصار من الأكل على قدر الحاجة، أو الضرورة استغناء عن الزيادة بالذكر الذي هو غذاء الروح. **(قوله: وما ذكره بعض الدنيا الخ)** أقول هو، وإن كان بعضاً غير أنه لما كانت المفاسد البالغة تنشأ عن شهوة الفرج والبطن، وبذلك يشتد الحجاب اقتصر على ما ذكره حيث كان راداً عنهما، وهو بهذا الاعتبار كأنه ذكر جميع الدنيا. **(قوله: لا تربح الخ)** أي، فالذي ينبغي للإنسان العاقل أن ينظر إلا ربح لنفسه، فيسلك سبيل تحصيله، إذ من المعلوم بالضرورة

تشغلها في كل وقت بما هو أولى بها) إذ حياة العبد في الدنيا رأس ماله، وهي في الحقيقة نفسه، فإن ضيعها في البطالات والمكروهات، فقد خسرها، وإن شغلها بالخيرات والتقرب إلى الله تعالى، فهو الرابح عليها، وأجل ما يربح عليها ولها إذا شغلها في كل وقت بما ذكر، ولذلك قيل الصوفي ابن وقته لا نظر له إلى ماضٍ، ولا إلى مستقبل لأنه إذا اشتغل بالماضي ضيع ما هو فيه، والمستقبل لا يعلم حاله كيف هو فيه. **(وقيل إن يحيى بن معاذ تكلم ببلخ في تفضيل الغنى على الفقر)** من حيث أن النفع المتعدي أفضل من القاصر **(فأعطي ثلاثين ألف درهم فقال له بعض المشايخ: لا بارك الله له في هذا المال، فخرج إلى نيسابور فوقع عليه اللص وأخذ منه ذلك المال)** فيه تنبيه على تفضيل الفقر على الغنى من حيث أن فيه عمارة القلوب وفراغها لمناجاة الله تعالى وسيأتي ذلك في بابه، والغرض من ذلك بيان فضيلة يحيى

أن ثمرة الإجتهاد في تحصيل الدنيا الوصول إلى المشتهيات منها، ومعظم ذلك شهوة البطن والفرج، وهو سعي في طلب، فإن لمثله من الجسم بخلاف ما إذا اشتغل بما خلق له من العلوم والمعارف، وحصل ثمرتهما من العمل ليصل إلى درجة المشاهد بدوام المراقبة، فإن سعيه لنيل باقٍ لمثله، وهو الروح وشتان ما بين المطلبين. **(قوله: أجل الخ)** أفعل ليس على بابه، وإنما ذكره باعتبار المألوف للتقريب للمعقول. **(قوله: فقد خسرها)** أي حيث عرضها للهلاك.

(قوله: الصوفي ابن وقته) أقول مرجعه إلى أن الكامل في التدبير ينتهز فرصة الأوقات بأداء ما قصد منه فيها من الطاعات، إذ النظر في الماضي لا يجدي، والتسويف بالمستقبل قد لا يعيد فيه ولا يبدي، فإنه قد يكون الفوات بحلول هاذم اللذات. **(قوله: لأنه إذا اشتغل بالماضي الخ)** أقول يعلم من ذلك أن ما فات العبد من أعمال الخير لا يمكن تداركها، وهو كذلك فالله يمنحنا التوفيق للعمل بما يرضيه. **(قوله: كيف هو فيه)** أي من صحة أو مرض أو موت أو حياة. **(قوله: في تفضيل الغنى الخ)** أقول من بقية كلامه يفهم أن مراده الغنيّ الموفق للبذل، ومع هذا فكأن المقام اقتضى ذلك عنده، وإلا فالغنى من حيث هو قد يكون سبباً في الإمتحان، فلا يبعد القول بكراهته ولاسيما إذا نظرنا إلى أن الدنيا مكروهة له تعالى لا يرضاها لكمل عباده وأحبائه. **(قوله: من حيث أن النفع المتعدى الخ)** الذي يظهر من ذلك أنه قد اعتبر حاجة لغير في الدنيا، وأنت خبير بأن حاجة النفس أهم، والفقر أقرب في تحصيلها من الغنى فتدبر.

(قوله: فيه تنبيه الخ) أي من حيث الدعاء عليه بعدم البركة فيه، واستجابة الدعاء بوقوع اللص عليه، وأخذه المال منه، ويعلم من ذلك أن التجرد هو المختار له. **(قوله: لطفا به)** أي بإعتبار شأن الغني من الاطغاء المشار إليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ

لأنه لما أعطي المال الكثير رده الله إلى الفقر لطفاً به، ولعله إنما تكلم على تفضيل الغنى على الفقر بالنظر للحاضرين من الأغنياء، فحثهم بذلك على التفضلات والمبرات ليواسوا الفقراء، وروي عنه أن رجلاً قال له: إنك لتحب الدنيا فقال: أين السائل عن الآخرة قال: ها أنا قال: أخبرني عنها أبالطاعة تنال أم بالمعصية قال: لا بل بالطاعة قال: أخبرني عن الطاعة أبالحياة تنال أم بالممات قال: لا بل بالحياة قال: فأخبرني عن الحياة أبالقوت تنال أم بغيره قال: بل بالقوت قال: فأخبرني عن القوت أهو من الدنيا أم من الآخرة قال: لا بل من الدنيا قال: فكيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت أكتسب به حياة أدرك بها طاعة أنال بها الآخرة فقال الرجل أشهد أن ذلك معنى قول النبي ﷺ: «إن من البيان سحراً». (**أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني، قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين ابن بالويه الصوفي قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت الحسين بن علويه يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقال: من خان الله**) تعالى في معاملته (**في السر**) بالمراءاة

ﵟالْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓﵞ [العلق: ٦، ٧]. (**قوله: وروي عنه أن رجلاً الخ**) في هذه القصة دلالة على قوّة علمه وذكاء قريحته، حيث توصل بالفاني للباقي وبالخسيس للشريف، وبالدنيء للعلي، وبغير المنظور إلى المنظور بطريق لا تمكن فيه معارضته، ولا تتأتى مخالفته لا ببرهان عقلي، ولا بدليل نقلي، ولذا قال له الرجل: إن من البيان سحراً، فأشار إلى أن ذلك من التلبيس حيث هو من السحر الخسيس.

(**قوله: من خان الله في السر الخ**) السر مقابل العلانية، واعلم أن السر يطلق في اصطلاحهم على ما يخص كل شيء من الحق عند التوجه الإيجادي المشار إليه بقوله تعالى: ﵟإِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُﵞ [النحل: ٤٠] ولهذا قيل لا يعرف الحق إلا الحق، ولا يحب الحق إلا الحق، ولا يطلب الحق إلا الحق، كما أشار إليه النبي ﷺ حيث قال: «عرفت ربي بربي» ويطلق السر على سر العلم وهو حقيقة سر العالم به لأن العلم عين الحق في الحقيقة غيره بالاعتبار، وعلى سر الحال وهو ما يعرف من مراد الله فيها، وعلى سر الحقيقة وهو ما لا يفشي من حقيقة الحق في كل شيء، وعلى سر التجليات، وهو شهود كل شيء في كل شيء، وذلك بانكشاف التجلي الأوّل للقلب، فيشهد الأحدية الجمعية بين الأسماء كلها لاتصاف كل اسم بجميع الأسماء لاتحادها بالذات الأحدية، وامتيازها بالتعينات التي تظهر في الأكوان التي هي صورها، فيشهد كل شيء في كل شيء، والمراد هنا بالسر هو ما قابل العلانية لا غير، وإنما ذكرنا ما قيل في السر بالنظر لظاهر التعبير ليتأمله البصير الخبير. (**قوله: من خان الله الخ**) الخيانة ضد الأمانة وهي تتحقق بالخروج عن المأمورات، والدخول في المقاصد بالحظوظات.

والدعوى (**هتك الله ستره في العلانية**) عقوبة له. (**سمعت عبد الله بن يوسف يقول: سمعت أبا الحسين محمد بن عبد العزيز المؤذن يقول: سمعت محمد بن محمد الجرجاني يقول: سمعت علي بن محمد يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: تزكية الأشرار لك هجنة**) أي: قبح ونقص (**بك وحبهم لك عيب عليك**) لأن ذلك يدل على موافقتك لهم فيما هم فيه إذ لو نصحتهم، وأنكرت عليهم أبعدوك وكرهوك (**وهان عليك**) غالباً (**من احتاج إليك**) وسألك إذ احتياج الشخص إلى الخلق، وعدم الزهد فيما بأيديهم يؤدي إلى هوانه عليهم إلا من أصطفاه الله ممن إذا احتاج إليهم أحد ساعدوه بأنفسهم وأموالهم ودعوا الله له أن يمده بعونه ويغنيه عنهم، وقليل ما هم بخلاف الاحتياج إلى الله وسؤاله لا هوان فيه على أحد، ومن كلام يحيى: بئس

(**قوله: في السر**) أي حيث دنسه بالعيوب، فحجبه ذلك عن مطالعة الغيوب، وأوقعه في عظيم الذنوب، وفي الحقيقة يعلم أنه إنما خان نفسه أشد الخيانة. (**قوله: بالمراءاة والدعوى**) أي بأن كان فعله بمرأى من الناس في حالة ميل نفسه إلى حب المحمدة منهم له، أو اعتقادهم فيه أو غير ذلك من المقاصد الدنيئة التي لا تجدي بل تضر.

(**قوله: هتك الله ستره في العلانية**) أي فضحه على رؤوس الاشهاد في الأخرى، بل قد يحصل له ذلك في الأولى والله أعلم. (**قوله: تزكية الأشرار الخ**) أي تطهير الإنسان، ممن ظهر بالشر والقبيح من القول والفعل، وقوله: هجنة أي نقص فهي في الحقيقة من التلويث، حيث هي من إغواء الخبيث، فلا تدل هذه التزكية إلا على القبح، والنقص في المزكى لأنها لا تنشأ غالباً إلا عن ميل قلوبهم إليه، وهو لا سبيل إليه إلا بالموافقة لأغراضهم الفاسدة، فالذي يظهر أن معاملته كمعاملتهم، وأخلاقه مثل أخلاقهم، وهم قد ظهروا بالشرور، فإن كان موافقاً في الباطن مخالفاً في الظاهر، فهو حينئذٍ أشد عذاباً لهم بإشارة خبر: «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيراً، ولا خير فيه» فتأمل. (**قوله: وهان عليك الخ**) أي وإلى التنزه عن هذا أشار ﷺ حيث قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[1] فالذي ينبغي حمل النفس على علو الهمة بترك التطلع لما في أيدي الناس، والرّجوع في جميع الحاجات إلى الحق سبحانه وتعالى. (**قوله: بئس الصديق الخ**) أقول، وحيث كان كذلك فينبغي الرجوع إلى الله، حيث ذلك بهذا المعنى

---

(١) أخرجه البخاري (وصايا ٩) (رقاق ١١) (زكاة ١٨) (نفقات ٢) ومسلم (زكاة ٩٤ ـ ٩٧، ١٠٦) وأبو داود (زكاة ٢٨) والترمذي (زكاة ٣٨) (زهد ٣٢) (قيامة ٢٩) والنسائي (زكاة ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٦٠، ٩٣) والدارمي (زكاة ٣٢) والموطأ (صدقة ٨) وأحمد بن حنبل (٢، ٤، ٢٧، ٩٨، ١٢٢، ١٥٢، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٧٨، ٢٨٨، ٣١٩، ٦٢، ٣٩٤، ٤٣٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨٠، ٥٠١، ٥٢٤، ٥٢٧، ٣٣٠، ٣٤٦، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٣٤، ٥، ٢٦٢).

الصديق صديق يحتاج أن يقال له: اذكرني في دعائك وبئس الصديق صديق يحتاج أن يعتذر إليه، وبئس الصديق صديق يحتاج أن يعيش بالمداراة، ومن كلامه أيضاً: على قدر حبك الله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق.

(**ومنهم أبو حامد أحمد بن خضرويه**) بكسر الخاء المعجمة مع فتح الراء والواو وإسكان الياء ومع ضم الراء وإسكان الواو وفتح الياء (**البلخي**) نسبة إلى بلخ بلدة من خراسان فتحها الأحنف بن قيس زمن عثمان رضي الله تعالى عنه (**من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشبي وقدم نيسابور**) بفتح النون بلدة مشهورة (**وزار أبا حفص**) الحداد (**وخرج إلى بسطام في زيارة أبي يزيد البسطامي وكان كبيراً في الفتوة**) الآتي بيانها في بابها وفي غيره (**وقال أبو حفص**) المذكور (**ما رأيت أحداً أكبر همة ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه وكان أبو يزيد**) إذا ذكره (**يقول أستاذنا**

قد أماته الله. (**قوله: على قدر حبك الله الخ**) هذا من قبيل التقريب للعقول بالإشارة بالمألوف، وإلا فاحسانه تعالى أعز من أن يقدّر، أو يضارع ما من شأنه أن يكدّر فافهم. (**قوله: وعلى قدر خوفك من الله الخ**) أي فحينئذٍ الذي ينبغي دوام معاملة الحق بالإجلال، والمراقبة لنيل عظيم هذه الفائدة. (**قوله: وعلى قدر شغلك بالله الخ**) أي على حسب اشتغالك بعبادته، وانكبابك على طاعته يشتغل بك الخلق على معنى المساعدة فيما يعرض من حاجتك تسخيراً منه تعالى.

(**قوله: أحمد بن خضرويه**) قال بعضهم: هو ولي عارف سخي ببذل التالد والطارف، من كبار شيوخ خراسان أيس من الفضول فأونس بالوصول، وقال: إن التصوف تطهير من الأدناس، وتشمير للإيناس لقي النخشبي والأصم، وأبا يزيد وغيرهم، وكان يجلب القلوب بوعظه، وينثر الدرر برقيق لفظه ما رآه فقيه جاحد أو مكابر منتقد إلا اعترف، ووقف عى شاطىء التسليم وربما اغترف، ومن فوائده: القلوب جوّالة، فإما أن تجول حول العرش، أو تجول حول الحش، وقال: أفضل الأعمال رعاية السر عن الالتفات إلى شيء غير الله، وقال: القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق فاضت زيادة أنوارها على الجوارح، وقال: الصبر زاد المضطرين، والرضا درجة العارفين، وقال: حقيقة المحبة معرفته تعالى بالقلب، وذكره باللسان مع الحضور والاحترام، ورفع الهمة عن كل ما سواه، وله غير ذلك من الفوائد. (**قوله: وكان كبيراً في الفتوة**) أي قوّة البذل للمال والجاه والعلم على حسب إذن الشرع. (**قوله: أكبر همة الخ**) أي وكانت همته عالية وهي التي لا تتعلق إلا بالحق، فلا يرضى صاحبها بالوقوف مع الأحوال والمقامات، فلا يقصد إلا الذات. (**قوله: ولا أصدق حالاً الخ**) الصدق فيه هو بالوقوف

أحمد) بن خضرويه تبجيلاً وتعظيماً له **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه عن مسألة فدمعت عيناه وقال)** تأديباً له بلطف **(يا بني باب)** يعني لقاء ربه

مع مراد الحق تعالى. **(قوله: فسأله بعض أصحابه عن مسألة الخ)** أقول يظهر من بقية كلامه أن هذه المسألة من متعلقات العلوم القلبية الواردة بالإلهامات الأحدية، ولعلها هي المعبر عنها بالغامضة، وهي بقاء الأعيان الثابتة على عدمها مع تجلي الحق باسم النور، أي الوجود الظاهر في صورها، وظهوره بأحكامها، وبروزه في صورة الخلق الجديد على الآنات بإضافة وجوده إليها، وتعينه بها مع بقائها على العدم الأصلي، إذ لولا دوام ترجح وجوده بالإضافة إليها، والتعين بها لما ظهرت قط، فهذا أمر كشفي ذوقي ينبو عنه الفهم ويأباه العقل، ويعبر عن هذا المعنى المذكور في هذه المسألة الغامضة بوصل الفصل، وشعب الصدع، وجمع الفرق، وهو ظهور الوحدة في الكثرة، فإن الوحدة واصلة لفصولها بإتحاد الكثرة بها وجمعها لشتاتها، كما أن فصل الوصل ظهور الكثرة في الوحدة، فإن الكثرة فاصلة لوصل الوحدة مكثرة لها بالتعينات الموجبة لتنوع ظهور الوحدة في القوابل المختلفة اختلاف الوجه الواحد في المرايا المختلفة فافهم.

(أقول) أو لعلها أي هذه المسألة من مسائل الحكمة المسكوت عنها، وهي أسرار الحقيقة التي لا يفهمها علماء الرسوم والعوام، بل ربما تهلكهم، وذلك مثل ما روي أنه ﷺ «كان يجتاز بعض سكك المدينة ومعه أصحابه، فأقسمت عليه امرأة أن يدخلوا منزلها فدخلوا فرؤوا ناراً مضرمة وأولاد المرأة يلعبون حولها، فقالت: يا نبي الله أرحم بعباده أم أنا بأولادي، فقال: بل الله أرحم الراحمين، فقالت يا رسول الله أتراني أحب أن ألقي أولادي في النار، فكيف يلقي الله عبده فيها، وهو أرحم الراحمين»[1] قال الراوي فبكى عليه الصلاة والسلام، وقال: هكذا أوحى الله إليّ اهـ.

(وأنا أقول) لعله ﷺ لم يجب المرأة عن مسألتها هذه لكونها من أحكام سر القدرة، وهو ما علمه الله تعالى من كل عين في الأزل، مما انطبع فيها من أحوالها التي تظهر عليها عند وجودها، فلا يحكم على شيء إلا بما علمه منه أزلاً من عينه في حال ثبوته والله أعلم. **(قوله: باب)** أي سبب من أسباب الوصول إلى المشاهدات كنت أدقه، أي اتعاطاه وأفعله، وقوله: هو ذا أي ما اشرت إليه بالباب هو قد آن وقت إنكشافه هل هو قد قبل مني، فأصل إلى السعادة، أو لم يقبل فأصل إلى الشقاوة، والمراد ما أعد لكل من

---

(١) أخرجه البخاري (أدب ١٨) ومسلم (توبة ٢٢) وأبو داود (جنائز ١) وابن ماجه (زهد ٣٥).

(كنت أدقه خمساً وتسعين سنة) يعني بدقه له عبادته لربه رجاء قربه (هو ذا يفتح لي الساعة لا أدري أبالسعادة يفتح أم بالشقاوة أنى) أي: من أين (لي الآن الجواب) في هذه الحالة (قال) بعض أصحابه (وكان عليه سبعمائة دينار دينا) ظاهر حاله أنه استدانها لينفقها في جهة بر (وغرماؤه عنده فنظر إليهم) وذكر دينهم وأن نفوسهم إنما كانت مطمئنة به في حياته (وقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال) تطيب أنفسهم بوجودها (وأنت تأخذ عنهم) بمعنى منهم (وثيقتهم) وأنا وثيقتهم وقد أردت أخذي (فأدّ عني) دينهم (قال: فدق داق الباب) والظاهر أنه أنسي كان ذا ثروة محباً للخير ويحتمل أنه ملك أو جني في صورة أنسي (فقال: أين غرماء أحمد) بن خضرويه فقيل له: هم الجالسون هنا (فقضى عنه) دينهم (ثم خرجت روحه ومات رحمه الله سنة أربعين ومائتين. وقال أحمد بن خضرويه: لا نوم أثقل من الغفلة) عن الآخرة لأن النائم حساً إذا نُبه انتبه بخلاف النائم غفلة إذا نبه لا ينتبه بذلك غالباً، فتضيع مصالحه الأخروية (ولا رق أملك) للشخص (من الشهوة) لاتباعه هواه لأن من ملكه هواه عمي عن عمل أخراه ولهذا قال ﷺ: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم

السعداء والأشقياء، وفي ذلك منه غاية التفويض مع التبري من الحول والقوّة، وعدم الركون إلى شيء إلا له تعالى، وهكذا حال الكمل من عباد الله. (قوله: ظاهر حاله) أي الذي كان عليه من الزهد والورع، وغيرهما من الأخلاق الشريفة. (قوله: وغرماؤه عنده) الواو فيه للحال. (قوله: وقال الخ) فيه الإشارة إلى حكمة الرهن، وهي التوثق على الدين بما يسكن معه قلب الدائن. (قوله: وأنا وثيقتهم) أي لتوثقهم على ديونهم بحياتي. (قوله: فأدّ عني) أي هيء ما يكون سبباً في أدائه عني. (قوله: كان ذا ثروة) أي غني. (قوله: محباً للخير) أي لفعله. (قوله: ويحتمل أنه ملك الخ) الأوّل أقرب والله قادر. (قوله: فقضى عنه دينهم) أنظر عناية الله بهذا الأستاذ، حيث لم يخرج من الدنيا إلا مطهراً من دنسها. (قوله: لا نوم أثقل من الغفلة) أي بسبب الإعراض عن الأنفع من العلوم مع الأعمال مصاحبة لمحاسن النيات، فالغفلة له تكون بالاشتغال بالحظوظ والعادات، ثم يدل لقوله لا نوم الخ خبر «ليس في النوم تفريط» الحديث.

(قوله: لأن النائم حساً) أي المعروف بأنه نائم إذا نبه انتبه على جري العادة بخلاف النائم غفلة، أي نوماً بمعنى الغفلة إذا نبه لا يتنبه بذلك غالباً، وذلك على جري العادة كذلك. (قوله: ولا رق أملك الخ) أي لأن المملوك قد يتحرر بعتق سيده له، ولا كذلك أسير شهوته، والحس شاهد عدل. (قوله: لأن من ملكه هواه الخ) أي حتى شغله عن مجمع الأهواء الذي هو حضرة الجمال المطلق، ومجمع الأضداد من الهوية المطلقة التي هي حضرة تعانق الأطراف، ويعبر عن مثل نفس هذا المحجوب بالهوى بالكبش، كما

وعبد القطيفة وعبد الخميصة»[1] **(ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة)** لأنك لو كنت مستيقظاً عند حضور دواعي نفسك لأفعالك وفرقت بين المذموم منها والمحمود، لسلمت من شهواتك واشتغلت بقربك وطاعاتك.

(ومنهم أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري) بفتح المهملة وبكسر الراء أشهر من فتحها عبد الله بن ميمون **(من أهل دمشق صحب أبا سليمان الداراني وغيره)** من أرباب الأحوال **(مات سنة ثلاثين)** قال السراج بن الملقن صوابه أربعين كما نبه عليه

يعبر عن النفس التي استعدت، وبدت فيها صلاحية قمع الهوى بالبقرة، وبالبدنة بعد أخذها في السلوك بالفعل. **(قوله: عمي عن عمل أخراه)** أي عميت بصيرته التي هي عين قلبه، وذلك لما غلب عليه من دنس بشريته، ورجس طبيعته. **(قوله: تعس عبد الدنيا الخ)** أي من له تعلق قلبي بذلك، وتهافت على تحصيله وجمعه، والشاهد من الخبر واضح، وهو إثبات عبوديته لما تعلق به قلبه. **(قوله: ولولا ثقل الغفلة الخ)** أي فقوّة الشهوة من تزايد الغفلة، وإلا فلو تنبه الإنسان للأهم منه لاضعفها بالاشتغال به.

(قوله: ومنهم أحمد بن أبي الحواري) بفتح الراء وكسرها قال في البستان، والكسر أشهر من الفتح سمعته من شيخنا الحافظ أبي البقاء يحكيه عن أهل الإتقان، وهو السيد الجليل الزاهد في الأموال والسراري، النابذ للنساء والجواري، العابد في القفار والبراري، كان لفضول الدنيا قالياً، وعن الملاذ سالياً، وفي مكين الأحوال عالياً، ولصحيح الآثار حاوياً، طود حلم، وبحر علم يتموّج فضائل، ويتبرج براهين ودلائل، بذهن يتوقد وقريحة تدور على قطب الصواب كالفرقد، صحب الداراني، وقال يحيى بن معين: أهل الشام به يمطرون، وقال محمود بن خالد: ما بقي على وجه الأرض مثله، ومن كراماته أنه كان بينه وبين الداراني عقد لا يخالفه، فجاءه وهو يتكلم بمجلسه، وقال يا سيدي التنور قد سجر فما تأمر وكرره فلم يجبه فكرره فقال له: إذهب فاقعد فيه كانه ضاق بذلك صدره، وتغافل ساعة طويلة، ثم قال: اطلبوه من التنور فانه على عقد لا يخالفني فيه فنظروا فإذا هو داخله لم يحترق منه شعرة، ومن كلامه: من أحب أن يعرف بشيء من الخير أو يذكر به، فقد اشرك في عبادته، وقال: من عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف الآخرة رغب فيها، ومن عرف الله آثر رضاه، ومن لم يعرف نفسه فهو في دينه في غرور، وقال: إن دخلت القبر، ومعك الإسلام فابشر، وقال: من أيقن بما بعد الموت شد متزر الحذر، ولم يكن للدنيا عنده خطر، وقال: العذاب على العارفين أهون من العصيان، وقال: الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب، وأقل من الكلاب من عطف عليها،

---

(١) أخرجه البخاري (جهاد ٧٠) (رقاق ١٠) وابن ماجه (زهد ٨).

ابن عساكر (ومائتين وكان الجنيد) رحمه الله (يقول أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (يقول: سمعت الحافظ أبا أحمد يقول: سمعت سعيد بن عبد العزيز الحلبي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها) لاستحسانها عنده (أخرج الله)

فإن الكلب يأخذ منها حاجته ويفارقها ومحبها لا يفارقها، وقال: مررت براهب نحيف فقلت: أنت عليل قال: نعم قلت: منذ كم قال: منذ عرفت نفسي قلت: نداويك قال: قد أعياني الدواء، وقد عزمت على الكيّ، قلت: ما الكي قال: مخالفة النفس، وقال: رأيت في النوم جارية وجهها كالبدر قلت: ما أنور وجهك قالت: تذكر ليلة بكيت فيها قلت نعم قالت: حملت دمعتك، فمسحت بها وجهي فصار كما ترى، وقال: رأيت في بعض الكتب الإلهية أن بدن بني آدم خلق من الأرض، وروحه من ملكوت السماء، فإذا أجاع بدنه وأعراه وأسهره وأقمأه نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه، وإذا أطعمه وسقاه ونومه ونعمه أخلد إلى الموضع الذي خلق منه، فلم يكن شيء أحب إليه من الدنيا، وفي رواية أنه طلب العلم ثلاثين سنة، فلما بلغ حمل كتبه إلى البحر فغرقها، وقال: يا علم لم أفعل بك هذا، هو أنابك ولا استخفافاً بحقك بل كنت أطلب لأهتدي بك إلى ربي، والآن استغنيت عنك، وقال: لا دليل على الله سواه، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة، وقال: علامة حب الله حب ذكره، وقال: إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها، فهو خدعة، وإذا حدثتك بتركها عند إقبالها فذاك، وقال: علامة الرضا أن لا يختاره إلا ما يختار مولاه، وقال: إذا وصلوا إلى الله لم يرجعوا عنه إنما رجع من رجع من الطريق، وقال: قيل لموسى عليه الصلاة والسلام إنما مثل كتاب أحمد في الكتب كمثل وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبده، وقال: كنت بالمدينة فاتيت مسجد المصطفى بليل فإذا شاب يتهجد بين القبر والمنبر، فلما طلع الفجر استلقى على جنبه، وقال: عند الصباح يحمد القوم السري، فقلت: يا ابن أخي لك ولأصحابك لا للجمالين، وقال قال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غيب لم يره، وقال: ما أخلص عبد قط إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف، وقال: الزهد إعطاء المجهود، وخلع الراحة، وقطع الأمان، وله درر فوائد غير ما ذكرناه عنه نفعنا الله ببركات أسراره. (قوله: ريحانة الشام) أي لما يجدونه فيه من فوائح الخيرات، ونوافح البركات. (قوله: من نظر إلى الدنيا الخ) المراد النهي عن التعلق بها والحث على تركها بوجه مبالغة مع بيان الدليل على ذلك من أن الدنيا والآخرة ضرتان لا يجتمعان، فالاشتغال بواحدة يفوت الأخرى، ولا يستوي الخبيث، ولا الطيب. (قوله: والزهد) عطف على اليقين أي يخرج نور اليقين، ونور الزهد من قلبه. (قوله: لأن بين إرادتها الخ) بيان وتوضيح لأن الاشتغال بواحدة يلهي ويشغل عن الأخرى لتنافي

في حالة نظره إليها **(نور اليقين والزهد من قلبه)** لان بين إرادتها وحبها وبين يقين حقارتها ونقصها عند خالقها والزهد فيها تضاداً **(وبهذا الإسناد يقول)** أحمد **(من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله ﷺ فباطل عمله)** لإخلاله بأركانه أو شروطه أو فباطل ثواب عمله لإخلاله بفضائل عمله التي بينتها السنة **(وبهذا الإسناد قال أحمد ابن أبي الحواري: أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة)** على ما جاءت به السنة، والعبد إذا بكى على ذلك قد يبكي على وقوعه في المعاصي، وقد يبكي على غلبة نفسه إياه على التوبة عنها بعد الوقوع فيها، وقد يبكي على ارتكاب المكروهات وترك المندوبات، قد يبكي على تقصيره عن أرفع الطاعات، ونيل المقامات العالية، وقد يبكي على طروق الغفلات في كثير من الأوقات، وقد يبكي على عدم التلذذ بالمناجاة والحضور بقلبه في الدعوات وكلامه صادق بجميع هذه الأقسام بحسب الدرجات والمقامات **(وقال أحمد)** ابن أبي الحواري **(ما ابتلى الله عبداً بشيء أشد)** عليه **(من الغفلة والقسوة)** لأنهما يمنعان قبول المواعظ وسببه توالي المخالفات والتلذذ بالشهوات، وهذه البلية تفوت خيرات الآخرة بخلاف بلايا الدنيا فإنها لا تخلو من أجور فكانت الغفلة والقسوة أعظم البلايا.

المقصدين وتباعد الغرضين أي تناف، وبعد كما وضحه الشارح. **(قوله: فباطل عمله)** أي لفساده وعدم صحته لإخلاله بأركانه وشروطه، وقوله: أو فباطل ثواب عمله الخ أي لأن الأمور بمقاصدها فإن قلت المبتدع قاصد قلت قصده كلا قصد. **(قوله: أو فباطل ثواب عمله)** أي إن توفرت أركانه وشروطه وتعطلت مكملاته، كما ذكره الشارح. **(قوله: أفضل البكاء الخ)** المراد أفضل أنواع البكاء المشروع، بكاء العبد أي الإنسان على ما فاته أي على الفائت من أعمال الخير بفوات وقته المطلوب إيقاعه فيه على وجه الموافقة لما جاء عن سيد الرسل ﷺ. **(قوله: والعبد إذا بكى الخ)** هذا شروع في تفصيل أنواع البكاء بحسب اختلاف أحوال الباكي. **(قوله: على غلبة نفسه إياه الخ)** أقول بغلبة النفس إياه على التوبة غاير ما قبله من البكاء على الوقوع في المعصية، وإن كان الوقوع في المعصية في كل، إنما هو بواسطة غلبة النفس. **(قوله: على طروق الغفلات)** أي القاطع لدوام المراقبات. **(قوله: بحسب الدرجات الخ)** أي رفعة وانحطاطاً.

(قوله: من الغفلة والقسوة) أما الغفلة فسببها الاشتغال بما يلهي من الحظوظ، وكذلك هو سبب في القسوة غير أن القسوة ربما كان الحجاب بها أقوى، فالغفلة والقسوة من داآت القلب الذي يقال له: أنه مستوى الاسم الأعظم، وبيت الله المحرم الذي وسع الحق بإشارة الحديث الصحيح. **(قوله: توالى المخالفات)** أي التي هي سبب الحجاب والانقطاع، وغالب منشأ ذلك إنما هو الإنهماك على الدنيا، وملاذها الصورية. **(قوله:**

(ومنهم أبو حفص عمر بن مسلمة ويقال عمرو بن أسلم) وفي نسخة والأصح مسلمة **(الحداد من قرية يقال لها كورد أباذ على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى أحد الأئمة والسادة)** صحب ابن خضرويه وغيره وهو أوّل من أظهر طريقة التصوف بنيسابور و **(مات سنة نيف)** بتشديد الياء وتخفيفها وهو الزائد على العقد ولم يعينه المصنف وعينه غيره فقال السمعاني: سنة خمس وقال السلمي: سنة أربع **(وستين ومائتين قال أبو حفص المعاصي بريد الكفر)** أي: رسله ومقدماته **(كما أن الحمى**

فإنها لا تخلو من أجور) أي إن صحبها الصبر وعدم الشكوى.

(قوله: ومنهم أبو حفص الخ) هو عمر بن مسلمة الحداد شيخ خراسان كان عظيم الشأن عالي المقام واضح البرهان مباركاً على صوفية الزمان كانت تربيته عائدة عليهم بصلاة المعارف التي لا يحصرها أقلام، له الفتوة الكاملة، والمروءة الشاملة صحب الأبيوردي وغيره، كان حداداً فبينما غلامه ينفخ غاب فكره في ذكر محبوبه ففني عن الحس البشري، ونسي أن يخرج الحديد من الكير بالآلة، فأخرجه بيده، فصاح الغلام الحديد في يدك بلا آلة فرماه به، وخرج سائحاً في البرية، وهو يقول شرط المحبة الستر والكتمان لا الافتضاح والإعلان. قال المرتعش: دخلت مع أبي حفص على مريض نعوده فقال أبو حفص للمريض: تحب أن تخرج معنا وتبرأ قال: نعم فقال للقوم: احملوا عنه فقالوا: نعم فخرجنا وخرج المريض معنا، ولما ورد على الجنيد عمل له ألوان الأطعمة، فانكر عليه وقال: صيرت أصحابي كالمخانيق فقال: إنما فعلته إكراماً للضيف، فقال: شرط الإكرام أن لا يتولد منه ضرر، ومن كلامه: حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرسني عشرين سنة، ثم صرنا جميعاً محروسين، وقال: العبودية ترك ما لك والتزام ما أمرت به، وقال: من تجرع كأس الشوق هام هياماً لا يفيق منه إلا عند المشاهدة واللقاء، وقال: البخل ترك الإيثار عند الحاجة، وقال: لا تكن عبادتك لربك سبباً لأن تكون معبوداً، وقال: تركت العمل فرجعت إليه، وتركني العمل فلم أرجع إليه، وقال: الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن، فقد قال عليه الصلاة والسلام «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»[1] وكان لا يذكر الله إلا عند الحضور، وتعظيم الحرمة، فإذا ذكر تغير حاله فإذا رجع قال ما أبعد ذكرنا من ذكر المتحققين ما اظن من ذكر الله تعالى حاضراً من غير غفلة يبقى بعد ذكره حياً إلا الأنبياء. وقال: الكرم ترك الدنيا لمحتاجها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه، وقال: الزاهد حقاً لا يذم الدنيا، ولا يمدحها ولا ينظر إليها ولا

---

(١) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ٢٨٩) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٣) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٨٩١) والألباني في (إرواء الغليل ٢/ ٩٢) وابن المبارك في (الزهد ٢١٣) والقرطبي في (التفسير ١٢/ ١٠٣) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٥٠).

ونحوها (**بريد الموت**) فيه تحريض على ترك المعاصي فإنها إذا توالت على العبد تعلق قلبه بها وقل سماعه للمواعظ لقسوة قلبه، وصار من حزب الشيطان فإذا جاء وقت موته اشتد كيده على أن يموت كافراً، والعياذ بالله تعالى، وإذا كان الشيطان يلعب به في حال صحته فكيف إذا توالت عليه أوجاعه واشتغل عقله الحارس لهواه بما هو فيه (**وقال أبو حفص إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة**) بفتح الباء إذ لو كمل شغله بالله تعالى لرزقه من اللذة بمناجاته ما يغنيه عن المحرّكات إذ الغالب من السماع الخالي من الآفات، والمنكرات تحريك القلوب

يفرح بها إذا أقبلت، ولا يحزن عليها إذا أدبرت، وقال: إذا جاع القلب وعطش صفا ورق، وإذا شبع وروي عمي، وقال: رد سبيل العجب بمعرفة النفس، وقال: إني لامرض، فاعرف الذنب الذي بسببه المرض، وقال: أحسن ما يتوسل به العبد لمولاه دوام الفقر إليه في كل حال، وملازمة السنة في جميع الأفعال، وطلب القوت من حلال، وقال: ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه، فإن المعاصي بريد الكفر، وسئل عن التوبة، فقال: ليس للعبد من التوبة شيء لأن التوبة إليه لا منه، وقال: ضحك العارف التبسم، وقال: من عمل شيئاً من أنواع الخير بلا نية اجزأته النية الأولى، حين اختار الإسلام على الأديان كلها، وقال: ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح إنما تلك الراحة، إنما الزاهد من القى غمها وتعب فيها لآخرته، وقال: أهل الطاعة في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، وله فوائد أخرى بالغة، فارجع إليها إن شئت. (**قوله: أي رسله ومقدماته**) أي باعتبار أنها تظلم القلب، وهو إذا عمته الظلم كان ذلك سبباً في الكفر والعياذ بالله، بشاهد: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

(**قوله: فإنها إذا توالت الخ**) أي وذلك هو المراد بقوله جل من قائل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ الآية إذ هو نكت الملك في قلب من صدر منه الذنب نكتة سوداء، فإن تاب من الذنب وأقلع، صقل قلبه منها، وإلا فإن عاد نكت نكتة أخرى، فإن عمت النكت قلبه فلا تؤثر فيه الزواجر وتسوء عاقبته أعاذنا الله، وأحيتنا من ذلك. (**قوله: واشتغل عقله الحارس لهواه**) أي الذي هو سبب في ذلك، ولذا قيل لا تصدر المخالفة من العبد ما دام عاقلاً، إذ العقل معناه المنع فهو إنما سمي بذلك لمنعه صاحبه من صدور ما يلام عليه.

(**قوله: يحب السماع**) أي بغير شاهد من الكتاب والسنة، أما بذلك فهو مطلوب لكل من المريد بل، ومن الكامل. (**قوله: فاعلم أن فيه الخ**) فيه إشارة إلى أنه غير ضار في المبادي، ولا سيما إذا كان محركاً لذكر المحبوب الحق فافهم.

(**قوله: إذ الغالب الخ**) أقول ذلك باعتبار ما كان لا في وقتنا هذا فلا حول ولا قوة

للطاعة، ومتى احتاج العبد فيها إلى المحركات كان فيه بقية من البطالة. **(وقال)** أبو حفص **(حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن)** لأن النبي ﷺ قال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» وقال: «إنَّ في الجسد مضغة إذ صلحت صلح الجسد كله، وإذ فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»، فإذا تعمر قلب العبد بالمراقبة لله تعالى وتأدب بآداب الله التي أدبه بها على لسان نبيه ﷺ تبعت جوارحه قلبه لأن القلب أول عامر ومحل النيات التابع لها الأعمال صحة وفساداً. **(وقال)** أبو حفص **(الفتوة أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف)** وفي نسخة الإنتصاف لأن الفتى هو الذي يبذل كل ممكن له بسهولة من نفس أو مال أو جاه ولا يرى له على ذلك حقاً لحسن خلقه وكمال فتوته وسخائه، ومن هذه صفته لا يخطر بباله أن يطلب من أحد أن ينصفه لأن طلبه ذلك ممن آذاه وظلمه دليل على مؤاخذته بحقه، وهذا ليس من كمال الفتوة. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن موسى يقول: سمعت أبا علي الثقفي يقول: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أفعاله)** وفي نسخة وأقواله **(وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره، فلا تعده في ديوان الرجال)** الذين قال الله فيهم ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] لأن من لم يكن كذلك فقد اغترّ بحاله، وأمن خدعة نفسه وعدوه، ومن أمن عداوة من أمر الله بعداوته، وبنى على أنه لا يضره كيد من كاده، فقد أمن مكر الله، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وعن المرتعش قال دخلنا مع أبي حفص على مريض نعوده، ونحن جماعة فقال للمريض أتحب أن تبرأ قال نعم فقال لأصحابه تحملوا

إلا بالله. **(قوله: حسن أدب المظاهر الخ)** أي ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن غير أن ذلك أغلبي، وإلا فقد ثبت في الخبر: «أخوف ما أخاف على أمتي المنافق عليم اللسان». **(قوله: الفتوة الخ)** فيه تنبيه على حسن الأخلاق، وحمل النفس على بذل المال والجاه بل والنفس والعفو عن الجاني، وغير ذلك مما تكمل به الأخلاق. **(قوله: وترك مطالبة الانصاف)** أي المشار إليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] حيث القصد منه التعليم فافهم. **(قوله: من لم يزن الخ)** فيه تنبيه على أنه ينبغي التوقف عما لم يعلم الإذن فيه من الشارع ﷺ، إذ المتابعة واجبة أو مندوبة فتأمل. **(قوله: ولم يتهم خواطره الخ)** أي فعلى الإنسان أن يعرض واردات قلبه على الكتاب والسنة فما وافق واحداً منهما فليمضه، وما لا فلا فتدبر.

(قوله: فقال للمريض الخ) فيه دلالة على قوة صدق حالهم مع الحق تعالى، وأنهم من أهل كرامته وخدام حضرته. **(قوله: ومنهم أبو تراب)** هو النخشبي بفتح النون، وسكون الخاء، وفتح الشين المعجمتين نسبة إلى نخشب بلدة بما وراء النهر، ولم يشتهر

عنه، فقام المريض، وخرج معنا وأصبحنا كلنا أصحاب فرش نعاد.

(ومنهم أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي) بفتح النون والشين المعجمة، وإسكان الخاء المعجمة نسبة إلى نخشب بلدة بما وراء النهر **(صحب حاتماً الأصم وأبا حاتم العطار المصري مات سنة خمس وأربعين ومائتين قبل مات بالبادية نهسته)** بإهمال السين أكثر من إعجامها **(السباع)** أي أخذت لحمه بمقدم أسنانها **(وقال ابن الجلاء صحبت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب النخشبي قال أبو تراب: الفقير قوته ما وجده)** مما يقيم صلبه **(ولباسه ما ستره)** من أي نوع كان

إلا بكنيته، كان شيخ عصره بالاتفاق جامعاً بين العلم والدين والزهد والتصوف بلا شقاق متقشفاً متوكلاً متخشعاً متبتلاً، قد أضاء في سماء المعالي بدره، واشتهر في الآفاق حسنه له الرياضات المذكورة في السياحات المشهورة، صحب حاتماً الأصم والخواص والطبقة، وكتب الحديث الكثير، وتفقه على مذهب الشافعي، وأخذ عنه أحمد بن حنبل، وابن الجلاء وآخرون من الأجلاء، قال ابن الجلاء: لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم أربعة أولهم أبوتراب، ووقف خمساً وخمسين وقفة بعرفة، ومر به بعض الأمراء وهو يحلق رأسه وأعطاه ألف دينار، فقال: ادفعها للمزين فردها المزين فردها أبو تراب، وكان إذا وجد من اتباعه فترة جدد توبة، وقال: بشؤمي وقعوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١]، وقال: لقيت غلاماً في التيه يمشي بلا زاد فقلت في نفسي إن لم يكن معه يقين وإلا هلك، وقلت: يا غلام في مثل هذا الموضع بلا زاد، فقال: يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله قلت الآن اذهب حيث شئت.

ومن فوائده أن الله ينطق العلماء في كل وقت بما يشاكل أعمال ذلك الزمن، وقال: إذا تواترت على أحدكم النعم فليبك على نفسه، فإنه قد سلك به غير منهج الصلحاء، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، وقال: العارف الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء، وقال: الناس يحبون ثلاثة، وليست لهم: النفس والروح وهما لله، والمال وهو للورثة، ويطلبون اثنين ولا يجدونهما الفرح والراحة، وهما في الجنة. واتفق له رضي الله عنه أنه نظر إلى صوفي مد يده إلى قشور بطيخ، وكان قد طوى ثلاثة أيام فقال: تمد يدك إلى هذا لا يصلح لك التصوف اذهب إلى السوق، وقال: إذا الفت القلوب الإعراض عن الله تعالى صحبتها الوقيعة في الأولياء، وقال: من شغل مشغولاً بالله أدركه المقت للوقت، وقال: شرح التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر، وإن منع صبر، وقال: صحبت مائة شيخ، ما نفعني شيء مثل سد رأس الجراب يعني القنع، والتقلل من الدنيا، وله فوائد أخرى هي الفرائد فارجع إليها إن شئت، والله المستعان.

(قوله: الفقير قوته ما وجده) أي لعدم التفاته إلى غير الأهم من شأنه، فكل شيء صادفه

(**ومسكنه حيث نزل**) أي مكان يكنه فعلم أن الفقير إنما يأخذ من منافع الدنيا ما دعت إليه ضرورته أو حاجته، لكن حاله يختلف بالنظر إلى الصحة والمرض والسفر والحضر والاجتماع بالناس، والإنفراد عنهم فما يأخذه في صحته من الطعام قد لا يوافقه في حال مرضه، وقس بذلك البقية. (**وقال أبو تراب: إذا صدق العبد في العمل**) الشامل لعمل اللسان والقلب والجارحة (**وجد حلاوته**) ولذته (**قبل أن يعمله فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة الفعل**) والمراد بالصدق الجد في إصابة الحق فإن كان في اللسان، فهو الإخبار عن الشيء بما هو عليه، أو في القلب فقوة العزم وشدّة الحمل على الإيقاع بلا فتور أو في الجارحة فكمال النشاط، وعدم الكسل والملال. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول: كان أبو تراب إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد في اجتهاده وجدد توبته**) لنسبته النقص إلى نفسه لأنه المتبوع (**ويقول**) لنفسه (**بشؤمي دفعوا إلى ما دفعوا إليه**) بضم الدال فيهما أي مما كرهته منهم فيه دلالة على كمال اقتدائهم به في أعماله فإذا رأى منهم فترة عما يشير به عليهم نسب النقص إلى نفسه. (**كأن الله عز وجل يقول: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) جعل تغييرَ

واتفق له وجوده جعله قوته، بل، ولولا توقف الحياة بحسب جري العادة على ذلك لما شغل بذلك وقته والله أعلم. (**قوله: لكن حاله يختلف الخ**) محصله أن الضرورة، أو الحاجة تختلف باعتبار الأحوال والأوقات، فتقدر بقدرها. (**قوله: إذا صدق العبد الخ**) يؤخذ من كلامه أن الصدق أقوى تأثيراً من الإخلاص حيث تسبب عنه وجود الحلاوة قبل الفعل ولا مانع منه بعد، حمل الشارح معناه على الجد في إصابة الحق. (**قوله: وجد حلاوته**) لعل المراد قوّة الإقدام على الفعل، والنشاط إليه وبذلك يكون جدّه واجتهاده فيه بأن يعمل بدون تراخ وفتور، وبالضد يعلم حكم ضده. (**قوله: فإذا أخلص فيه**) أي بقوّة يقينه ودوام مراقبته، وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة الفعل بواسطة التنوير القلبي الحاصل له بسبب الإخلاص.

(**قوله: كان أبو تراب الخ**) من ذلك يعلم أنه بزيادة كمال المرشد يزداد حفظ الاتباع والمريدين، وذلك قريب لأنه بمقابلتهم لأنواره يزداد نورهم وهداهم، أي وبعروض خلاف ذلك للمرشد من تراخ أو غفلة، مما يجوز في حقه يحصل لمريده منه تأثر والله أعلم. (**قوله: لنسبته النقص الخ**) فيه دلالة على قوّة اتهامه لنفسه، وذلك لقوّة ورعه في عدم الثقة بصدقها. (**قوله: يقول لنفسه بشؤمي الخ**) أي لأنه بواسطة دوام نظره في مرآة نفسه المصقولة بكثرة التعهد، التفتيش عن خداعها ومعايبها الخفية لا يأمن لها، ولا يثق بها رجوعاً في ذلك إلى خبر: «المؤمن مرآة المؤمن». (**قوله: فإذا رأى منهم فترة الخ**) أي لأن قوة حال المتبوع لها تأثير في التابع، وبالضد يكون حكم الضد.

نفسه تغيير جميع أصحابه (**قال**) ابن نجيد (**وسمعته**) أيضاً (**يقول لأصحابه: من لبس منكم مرقعة فقد سأل**) بالحال فكان كمن سأل بالمقال (**ومن قعد**) كثيراً في (**خانقاه أو مسجد فقد سأل ومن قرأ القرآن**) كثيراً (**من مصحف**) بين الناس وإن لم يسمعهم (**أو**) جهرا ولو من غير مصحف (**كيما يسمع الناس فقد سأل**) أراد بذلك تعليم أصحابه كمال التوكل والإعراض عن التعرض للسؤال والأسباب (**خوفاً عليهم من أن يتعرضوا بهذه الأفعال للشهرة بالصلاح فيبروا ويوصلوا لذلك قال**) السلمي (**وسمعته**) أي: ابن نجيد (**يقول: كان أبو تراب يقول: بيني وبين الله عهدان لا أمد يدي إلى حرام**) أو ما فيه شبهة (**إلا قصرت يدي عنه**) كرامة من الله وحفظاً له (**ونظر أبو تراب يوماً إلى صوفي من تلامذته قد مد يده إلى قشر بطيخ وقد طوى ثلاثة أيام فقال له أبو تراب بتمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف إلزم السوق**) أي: أهله هذا من باب الأمر بالصبر، وكمال المجاهدة ورفع الهمة عن تناول ما لا يصلح لمثله من،

(**قوله: من لبس منكم مرقعة الخ**) يريد حثهم على البعد عما يوهم مد النظر إلى ما بيد الغير، ولو كان ذلك بالحال حملاً على علو الهمة بالانقطاع في جميع حاجات النفس إلى الحق تعالى. (**قوله: خوفاً عليهم الخ**) أي، والشهرة تقطع الظهور إلا من حفظه الله تعالى لأنها ربما تكون سبباً للفتنة والانقطاع عن الطريق، وشاهده غير خاف على ذي بصيرة. (**قوله: بيني وبين الله عهد الخ**) أقول ذلك من عناية الحق بعبده وغيرته عليه، وقوله: إلا قصرت يدي عنه يحتمل الحقيقة، وإن ذلك جعل علامة له على المحرم، أو ما فيه شبهة، ويحتمل أن المراد الحفظ منه تعالى لعبده.

(**قوله: أنت لا يصلح لك التصوف الخ**) أي لأنه صفة عزيزة لا يتحلى بها إلا العزيز الذي لا يطلب ولا يقصد سفاسف الأشياء، بل يقتصر على الأشراف، والله أعلم. (**قوله: ورفع الهمة الخ**) أي بشاهد خبر: «إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها». (**قوله: ما تمنت نفسي الخ**) فيه إشارة إلى ارتياض نفسه وخلوصها من أسر الشهوة، إذ النادر لا حكم له. (**قوله: فأدبني الله الخ**) أي، ويشهد له خبر: «إذا أحب الله عبداً عجل له العقوبة في الدنيا»، مع أن ما صدر منه مباح لغيره فتأمل.

(**قوله: وأكله هذا الخ**) هو جواب، عما يقال أنه حينئذٍ لم يتأدب، بل جرى مع شهوته. (**قوله: طيب النفس**) أي لكون مشهده مجمع الأهواء الذي هو حضرة الجمال المطلق الذي هو لا يتعلق هوى إلا برشحة منه كما قيل:

نقل فؤادكَ حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

وقال الشيباني:

كل الجمال غداً لوجهك مجملاً ... لكنه في العالمين مفصل

وخلوصها الزهاد لأن من وصل إلى أن يصبر عن الطعام ثلاثة أيام بلياليها شغلاً بالخير لا يليق به خسة الهمة، وتناول ما يلقيه الناس ولا يأكلونه. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت أبا عبد الله الفارسي يقول: سمعت أبا الحسين الرازي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت أبا تراب النخشبي يقول: ما تمنت نفسي عليّ شيئاً قط**) منذ أخذت في الرياضة (**إلا مرة واحدة تمنت عليَّ خبزاً وبيضاً**) على ما هو الغالب على أهل الريف لأنه المتيسر عندهم غالباً (**وأنا في سفري فعدلت عن الطريق إلى قرية**) لآكل ذلك من عند بعض إخواني فأدبني الله على كوني فسخت عزمي من ترك تمني الشهوات (**فوثب رجل وتعلق بي وقال كان هذا مع اللصوص فبطحوني وضربوني سبعين خشبة**) لأقر وأنا صابر لقضاء الله تعالى (**قال فوقف علينا**) رجل (**صوفي**) يعرفني (**فصرخ**) بأعلى صوته (**وقال ويحكم هذا أبو تراب النخشبي**) وكان معروفاً عندهم بالصلاح قال (**فخلوني**) إلى حال سبيلي (**واعتذروا إليّ وأدخلني الرجل**) الذي عرفني (**منزله وقدم إليّ خبزاً وبيضاً فقلت**) في نفسي لنفسي (**كلها**) أي شهوتك أي ما اشتهيته وفي نسخة كليها (**بعد سبعين جلدة**)، نبه به على أنه أدب على ما ذكر وأكله هذا لم يكن شهوة، بل طاعة للمضيف له وجبراً لخاطره. (**وحكى ابن الجلاء**) بمعنى أخبر عن أبي تراب بقوله (**قال: دخل أبو تراب مكة طيب النفس فقلت**) له (**أين أكلت أيها الأستاذ فقال:**) أكلت (**أكلة بالبصرة وأكلة بالنباج وأكلة ههنا**) فيه دليل على كمال صبره عن الطعام، حتى قطع هذه المسافة بأكلة واحدة فيها، أو على أن الأرض طويت له فقطع ما بين البصرة ومكة في زمن يسير، وسئل أبو تراب عن التوكل، فقال الله الذي خلقكم ثم رزقكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم.

وبذوق ما أشرنا إليه تعلم حكمة استغنائه عن الأكل هذه المدة، بل يمكنه ذلك مطلقاً. (**قوله: فيه دليل على كمال صبره إلى آخره**) أقول بل على محوه الذي هو إزالة العلل والآفات، وذلك لا يتحقق إلا برفع أوصاف العبد ورسومه أخلاقاً وأفعالاً بواسطة تجلي صفات الحق عليه، كما يشير إليه خبر «كنت سمعه» الحديث.

(**قوله: أو على أن الأرض الخ**) يحتمل الحقيقة، أو أن المراد تسهيل الصعب حتى كان البعيد طوى. (**قوله: وسئل أبو تراب عن التوكل الخ**) أي عن منشئه والباعث عليه، وما يحقق للعبد الاتصاف به، فقال الله الذي خلقكم الخ، أي فبالإلتفات إلى أن الله تعالى هو الموجود لكل من المرزوق ورزقه، وأنه المتكفل بالرزق فضلاً وكرماً بشاهد قوله سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] يفوّض الأمر له وحده في جميع حركاته وسكناته، وكل شيء عنده بمقدار.

(ومنهم أبو محمد عبد الله بن خبيق) بضم المعجمة وفتح الموحدة (من زهاد المتصوفة صحب يوسف بن إسباط كان كوفي الأصل ولكنه سكن أنطاكية سمعت محمد ابن الحسين يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت أبا الأزهر الميافرفيتي يقول: سمعت فتح بن شخرف يقول: حدثني عبد الله بن خبيق أوّل ما لقيته فقال لي يا خراساني إنما هي) يعني الأصول لمحرمات كثيرة غالبة على العبد (أربع لا غير عينك وقلبك ولسانك وهواك) لأن كلا منها يغلب عليه الميل إلى مستحسناته وشهواته (فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحل وانظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله تعالى خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد)

(قوله: ومنهم أبو محمد عبد الله بن خبيق) قال بعضهم: قد تحقق تزهده وتعففه، وصفا تصونه وتصوفه وترفق بالصفاء، وتحقق بالوفاء، وتخرج على ابن أسباط، فأعرض عن الشبهات وأماط، ومن كلامه: إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل أعمالك فأنت هالك، وقال: رأس الأدب أن يعرف الرجل قدره، وقال: أوحى الله إلى موسى لا تغضب على الحمقى فيكثر غمك، وقال: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يقول يا رب كم أعصيك، ولا تعاقبني، فاوحى الله إلى نبي من الأنبياء قل له: أعاقبك، وأنت لا تدري ألم أسلبك حلاوة مناجاتي، وقال: من عاتب نفسه في مرضاة الله آمنه الله من مقته، وقال: مكتوب في الحكمة من رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته، وقال: أنت لا تطيع من يحسن إليك، فكيف تحسن إلى من يسيء إليك، وقال: لا يستغني حال من الأحوال عن الصدق، وهو يستغني عنها كلها، ولو صدق عبد فيما بينه وبين الله حق الصدق اطلع على خزائن الغيب، وقال: وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب، ولو أنسوا بربهم، ولزموا الحق لاستأنس بهم كل أحد، وقال: خلق الله القلوب مساكن للذكر، فصارت مساكن للشهوات، ولا يمحي الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق. أسند ابن خبيق الكثير من الحديث، وروى عنه كثيرون نفعنا الله ببركات أنفاسه. (قوله: إنما هي الخ) يشير إلى أن أصول المفاسد الدينية امهاتها أربع، وذلك باعتبار ما ينشأ عنها من المخالفات، فإذا أراد الله بعبده خيراً نبهه على حراستها بتوفيقه إلى محاسبة نفسه عما يصدر منها، وإن كان بخلاف ذلك كان من الهالكين. (قوله: فانظر عينك الخ) أي عملاً بخبر: «من نظر إلى امرأة أجنبية حرام كويت عيناه بمسامير من نار يوم القيامة»، ومثل المرأة الأمرد الجميل بشهوة.

(قوله: وانظر لسانك الخ) أي فإنه، وإن صغر جرماً، فقد عظم جرماً، إذ يصدر عنه ما يوجب الخلود في النار على مقتضى سابق غضب القهار. (قوله: وانظر قلبك الخ) أي نظراً بمبالغة، وذلك بحسب ما يعرض له من الداآت الخفية والجلية، فينبغي إماطتها

من المسلمين بل ومن سائر المعصومين **(وانظر هواك لا تهوى به شيئاً من الشر فإذا لم يكن فيك هذه الأربع من الخصال فاجعل الرماد على رأسك فقد شقيت)** إلا أن يتوب الله عليك، وينقلك إلى ما خص به عباده الصالحين. **(وقال ابن خبيق: لا تغتم إلا من شيء يضرك غداً)** أي في الآخرة **(ولا تفرح إلا بشيء يسرك غداً)** فالغم المحمود ما كان على ما فات مما ينفع في الآخرة لا على ما فات من الدنيا والسرور المحمود ما كان بما ينفع في الآخرة لا بما ينفع في الدنيا. **(وقال ابن خبيق: وحشة العباد عن الحق أوحشت)** وفي نسخة أوحش **(منهم القلوب)** فالوحشة بينهم وبين الخلق إنما هي للوحشة بينهم وبين الحق **(ولو أنهم أنسوا بربهم لاستأنس بهم كل أحد)** ببركته تعالى بل قد جاء أن الذئاب كانت تستأنس مع الغنم في زمن عمر بن عبد العزيز، فلما مات وثبت عليها فانظر كيف أثرت بركة عمر في غيره من

وإزالتها بمبالغة، حيث هو محل نظر الحق من الإنسان بشاهد: «إن الله لا ينظر إلى صوركم»، ولأن باقي الجوارح تابعة له صحة، واعتلالاً بشاهد «ألا وإن في الجسد مضغة» الحديث.

(قوله: وانظر هواك الخ) أي ميل نفسك إلى الشهوات والعادات بمقتضى ما جبلت عليه من الميل إلى الدناآت، فاصرفه إلى أنواع الخيرات والطاعات حيث ذلك هو المقصود من إيجادك بشاهد قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. **(قوله: فإذا لم يكن فيك هذه الأربع خصال الخ)** أي إذا كنت لم تنظر فيها بما يعدلها ويصلحها، فاجعل التراب على رأسك أي قدم على الذل والحزن والتحسر. **(قوله: لا تغتم إلا من شيء الخ)** يريد الحث على الاشتغال بالخير الأبدي، والنعيم السرمدي الذي لا يتم إلا بالإعراض عن الدنيء الفاني من الأغراض الدنيوية، والحاصل أن الذي ينبغي التحسر على فواته، إنما هو أنواع الخيرات الدينية لا الشهوات الدنية. **(قوله: فالغم المحمود الخ)** أي فعلى العبد التدارك على حسب الإمكان عسى أن يتعرض لنيل الإحسان. **(قوله: والسرور المحمود الخ)** أي لأن ما ينفع في الآخرة ثمرته عاجلة وآجلة بخلاف ما ينفع في الدنيا.

وبضدها تتميز الأشياء. **(قوله: وحشة العباد عن الحق)** أي توحشهم بالإعراض عن ذكره وشكره ومراقبته بالإجلال والتعظيم، وأداء المأمورات، مع اجتناب المنهيات أوحشت منهم القلوب، أي كانت سبباً في قسوة قلوب الخلق عليهم جزاء، وفاقاً بمظهر العدل. **(قوله: ولو أنهم أنسوا بربهم)** أي بدوام الذكر والفكر والشكر، والمراقبة لاستأنس بهم كل أحد أي بلين قلوبهم لهم ورحمتهم عليهم جزاء وفاقاً كذلك، ودليله أن: «من أحب الله أحبه الله، ومن أحبه الله خلق محبته في قلوب عباده».

الحيوانات فألف الله بين الأعداء من البهائم (**وقال**) ابن خبيق (**انفع الخوف ما حجزك عن المعاصي وأطال منك الحزن على ما فات**) مما ينفع في الآخرة (**وألزمك الفكرة في بقية عمرك وأنفع الرجاء ما سهل عليك العمل**) بالطاعات بخلاف الخوف والرجا اللذين دون ذلك فإنهما ضعيفان، وبخلاف الخوف الشديد الموقع في اليأس من رحمة الله والرجاء الشديد الموقع في الأمن من مكر الله تعالى فإنهما مذمومان إذ هما من المعاصي. (**وقال: طول الاستماع إلى الباطل يطفىء حلاوة الطاعة من القلب**) لأن الطاعة إنما يلتذ بها بالدوام عليها والحضور فيها، ودوام استماع الباطل يضاد ذلك فيطفىء نوره ويزيل حلاوته.

(**قوله: أنفع الخوف الخ**) أي فالخوف أنواع، والأنفع منها ما كان سبباً لمنع المتصف به عن ملابسة شيء من أنواع المعاصي، فلا خوف يعتبر إلا إذا أثمر البعد عن المخالفات، والجد في العبادات فهذا هو الخوف المحمود، أما إذا لم يثمر ذلك، أو كان من غيره تعالى، فهو مذموم وعاقبته وخيمة، على أن الخوف من غيره تعالى إنما ينشأ من عدم الخوف من الله، إذ لو خاف الله تعالى لما خاف من غيره بل يخافه الغير بخلق الله تعالى الهيبة منه في قلوب الخلق والله أعلم. (**قوله: وأنفع الرجاء الخ**) يشير إلى أن الرجاء باعتبار حقيقة معناه التي هي تعلق القلب بمرغوب فيه مع الأخذ في أسبابه هو الأنفع، بل هو النافع، إذ غير ذلك يقال له الطمع، وهو محرم وضار، ولذا قال: ما سهل عليك العمل كما لا يخفى. (**قوله: بخلاف الخوف والرجاء الخ**) أقول قد سكت عن الخوف من غيره تعالى، وذلك للإشارة إلى أنه مما لا يصح وقوعه من عاقل، فكأنه غير موجود مبالغة في سفاهة وحمق من صدر منه ذلك.

(**قوله: فإنهما مذمومان**) أي محرمان لعدّهما من الكبائر، وذلك بدليل الكتاب والسنة، كما لا يخفي على من له اطلاع. (**قوله: طول الاستماع إلى الباطل الخ**) مراده بالباطل كل ما شغل عن الحق تعالى من شؤون الدنيا لا خصوص الكذب والبهتان، وأقول من جملة الاستماع إلى الباطل الاستماع إلى القوّالين المعدين إلى حلق الذكر الآن، فإنهم أشبه بالملاهي، بل هم الاحق بالاسم، فلا حول ولا قوّة إلا بالله. (**قوله: ومنهم أبو علي أحمد بن عاصم**) هو الإمام الزاهد العالم العابد، صدر حوى أسراراً من العلوم، وصوفي ظهر في أهل قطره كالبدر بين النجوم، سلك طريق الزهادة والصلاح، فطار إلى أوطار المعارف بجناح النجاح، وكان للهوى قاصماً ولشرور النفس هاشماً.

ومن فوائده البديعة النظام إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت الجوارح، وقال غنيمة بارقة أصلح فيما بقي يغفر لك ما مضى، وقال: الخير كله في حرفين يزوي عنك الدنيا، ويمن عليك بالقنع، ويصرف عنك وجوه الناس، ويمن عليك بالرضا، وقال:

(ومنهم أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي) بفتح الهمزة نسبة إلى أنطاكية بلدة من الشام (من أقران بشر بن الحرث والسري السقطي والحرث المحاسبي وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلوب) أي: البحاث عنها (لحدة فراسته) الدال عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] أي: للناظرين المتفرسين وخبر: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وذلك لما حصل لسره من الصفاء فصار كالمرآة المجلوة يتمثل فيها من صور الغيب ما شاء الله، فإن البصيرة في

التزين اسم لثلاث معانٍ متزين بعلم، ومتزين بجهل، ومتزين بترك التزين، وهو أغمصها واحبها إلى إبليس، وقال: احذر الغيبة، كما تحذر عظيم البلاء، فإنها إذا ثبتت في القلب أتتها إخواتها من النميمة والبغي وسوء الظن والبهتان، وهي مجانبة للإيمان، وقال: كل نفس مسؤولة فمرتهنة أو متخلصة، وفكاك المرهون بعد قضاء الديون، فإذا اتلف المرهون أكدت الديون، فاستوجبوا السجون، وقال: أرجع إلى الاستعانة بالله على شرور هذه الأنفس، ومخالفة هذه الأهواء، ومجاهدة هذا العدو، وقال: من قل صبره على علاج عدوه ساعد عدوه على مجاهدته، فهو أهل لأن يضحك منه الضاحكون، وقال: كفى بالعبد عاراً أن يدعي دعوة لا يحققها بفعله، أو يجعل لغير ربه من قلبه نصيباً أو يستوحش مع ذكره، وقال: من كان بالله أعرف كان منه أخوف. كان رضي الله عنه من المحدثين روى عن معاوية الضرير والهيثم بن جميل، ومخلد بن حسين وغيرهم، وعنه محمود بن خلدون، وأبو زرعة النصري وجماعة.

(قوله: لحدة فراسته) أي بواسطة تجلي الحق على قلبه باسمه النور بسبب قوّة صفائه من الحظوظات والكدورات البشرية، فبذلك يقوى نور البصيرة، فيشرف على ما غاب من أحوال القلوب وتصرفات الغيوب، في عالم الملك والملكوت، فمثله من عنى ﷺ بقوله: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» أي احذروها لأن نظره للأشياء على ما هي عليه بالمدد الإلهي، والكشف الرباني الذي مثله لا يتطرق إليه خلل ولا يعتريه تغير، إذ هو من جواهر العلوم، غير أن ذلك مختلف باختلاف مراتب المقربين بحسب قوّة النور وضعفه لأن الفراسة، كما قدمنا نور إلهي يفاض في القلوب به يدرك أربابها الأشياء على ما هي عليه بأعين بصائرهم والله أعلم. **(قوله: فصار كالمرآة المجلوة)** أي المصقولة بجامع الانطباع في كل، وقوله: يتمثل فيها من صدر الغيب، أي ينتقش فيها من الصور الغائبة عن أعمى البصيرة ما شاء الله تمثلها فيها، وقوله: فإن البصيرة أي التي هي عين في القلب يدرك بها المعقولات، والمعاني الشريفة، كما يدرك الإنسان بعين رأسه الأشياء المحسوسة، واعلم أن كدر هذه العين بالمعاني، كما أن كدر المنظر بالمحسوسات، وكل ذلك قد أشار إليه الشارح نفعنا الله بعلومه.

إدراكها لعالم الغيب كالبصر في إدراكه لعالم الشهادة فكما أن البصر كلما كان أصفى من الغشاوات كان أتم إدراكاً للمبصرات، كذلك القلوب كلما كانت أصفى من العيوب كانت أقوى إدراكاً للغيوب والنور الذي ينظر به المؤمن قد يكون الفراسة، وقد يكون نور العلم، وقد يكون إلهاماً منه تعالى، والفراسة بكسر الفاء من تفرست فيه خيراً وهو يتفرس أي: يتثبت وينظر قاله الجوهري. وقال الواسطي: هي سواطع أنوار لمعت في القلوب ومكين معرفة حملت السرائر في الغيوب حتى يشهد بها العارف الأشياء من حيث أشهده الحق إياها، فيتكلم عن ضمير الخلق. ومن ذلك ما حكي عن أبي سعيد الخراز قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت فقيراً عليه خرقتان يسأل الناس شيئاً فقلت في نفسي: مثل هذا كل على الناس، فنظر إليّ وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] قال: فاستغفرت في سري فناداني فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] **(وقال أحمد بن عاصم: إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك)** بل وسائر جوارحك من العين والأذن واللمس وغيرها لأن كل جارحة منها توصل إلى القلب ما يدركه من خير وشر. **(وقال أحمد بن عاصم قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾)** [التغابن: ١٥] لكم شاغلة عن أمور الآخرة **(ونحن)** مع علمنا بذلك **(نستزيد من**

(قوله: والنور الذي ينظر به المؤمن الخ) أي وسبب الكل سر المتابعة لسيد الرسل ﷺ. **(قوله: وقال الواسطي الخ)** أقول يرجع إلى ما قبله إذ الفراسة باعتبار منشئها عليه هي تلك السواطع اللامعة في القلوب، والعرفان المستفاد من علام الغيوب. **(قوله: هي سواطع أنوار)** هو من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي أنوار ساطعة في القلوب التي هي محل نظر الحق تعالى، وقوله: ومكين معرفة أي معرفة مكينة، أي متمكنة حملت السرائر أي قوّتها على الإشراف على الغيوب، وقوله: حتى يشهد بها العارف الخ يشير بذلك إلى أن الطريق الموصل إلى العلم، إنما هو المشاهدة التي هي أقوى طرق حصول العلم، فالعلم الناشيء عنها يقال له جواهر العلوم لأنه لا يقبل تغييراً ولا تبديلاً، كما أشار إليه بقوله: من حيث اشهده الحق إياها، وقوله: فيتكلم عن ضمير الخلق أي، فيفصح عما في الضمير لغيره.

(قوله: ومن ذلك الخ) القصد التحذير من الاعتراض على ما قد يخفى بسبب قوّة الأمراض، فإن الظاهر قد لا يدل على الباطن، والصادق قد يلتبس بالمائن، فالأولى التسليم للخبير العليم والتفويض للرب الحكيم. **(قوله: وقال واعلموا أن الله الخ)** فيه إشارة إلى أن ما علمه بإلهامه تعالى. **(قوله: إذا طلبت صلاح قلبك الخ)** إنما خص اللسان بالذكر لعظم جرائمه التي تؤثر في القلب ظلمة زائدة، فعلى العاقل أن يشغل لسانه

الفتنة) أي: نطلبها ونحبها، نبه بذلك على ذم المشغولين بالدنيا واستزادتهم من أموالها وأولادها. وقال أحمد بن عاصم: يسير اليقين يخرج كل الشك من القلب، ويسير الشك يخرج كل اليقين من القلب. وقال: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في قلوبكم، ويخرجون منها من حيث لا تحتسبون.

(ومنهم أبو السري منصور بن عمار من أهل مرو من قرية يقال لها يرانقان وقيل إنه من بوشنج أقام بالبصرة) ومات ببغداد سنة خمس وعشرين ومائتين **(وكان من**

بالذكر والتلاوة، ليتنور قلبه. **(قوله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة)** أي سبب في الافتتان لشغلهما القلب عن الخيرات، وفي الآية مبالغة في إفادة المقصود لا تخفى على عارف.

(قوله: ونحن مع علمنا بذلك الخ) أي وذلك كالجمع بين الضدين علم وجهل لأن طلب الاستزادة من الحمق والجهل وعلمه بالضرر، يفيد البعد عن ذلك غير أن من يضلل الله فلا هادي له. **(قوله: يسير اليقين)** أي الذي هو جزم القلب عن دليل يخرج كل الشك، أي جميع أفراد التردّد لأنه لا يجامع اليقين شيء من التردّد ويسير الشك أي التردّد ولو ضعف يخرج كل اليقين من القلب لعدم تصوّر اليقين مع أدنى تردّد كما لا يخفى. **(قوله: وقال إذا جالستم أهل الصدق الخ)** أي وهم من قوي يقينهم، وتمت في مقام الإحسان معاملتهم، وصفت من كدورات البشرية سرائرهم، ونارت بصائرهم فوقفوا مع مراد الحق حيث شهدوا بالحق، وقوله: **فجالسوهم بالصدق** أي بطهارة القلوب من دنس الشهوات والعادات والاعتراضات، فإنهم جواسيس القلوب بواسطة أنوار الفراسة والإلهام، وذلك لا يخطىء فيما تعلق به فإنه بالحق ومنه.

(قوله: ومنهم أبو السري منصور بن عمار) المروزي هو من كبار حكماء الشيوخ، وعظماء علماء أهل الرسوخ كان للإله واصفاً، وعلى بابه عاكفاً كان كبير الشأن وعظاً وورعاً اقتحم البراري، وقطع المفاوز في الليل الساري.

ومن كلامه: سلامة النفس في مخالفتها، وبلاؤها في اتباعها، وقال: الناس رجلان عارف بنفسه فشغله المجاهدة والرياضة، وعارف بربه فشغله الخدمة والعبادة طلباً لمرضاته، وكتب إليه بشر المريسي ما قولك في القرآن أمخلوق، أم لا، فكتب إليه: أما بعد عافانا الله وإياك من كل فتنة، فإن يفعل فأعظم بها من نعمة، وإلا هو الهلكة أعلم أن الكلام في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس له، والله تعالى الخالق، وما دون الله مخلوق، والقرآن كلام الله وانته إلى أسمائه التي سماه الله بها تكن من المهتدين، ولا تبتدع في القرآن من قبلك اسماً تكن من الضالين، وذر الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون، وقال: الغالب لهواء

الواعظين الأكابر) ومن كلامه ما ذكره المصنف بقوله: **(وقال منصور بن عمار من جزع)** أي تسخط **(من مصائب الدنيا)** وهي الآلام والأسقام وهلاك المال والولد ونحوها **(تحوّلت مصيبته في دينه)** ومن صبر عليها، وشكر ارتفعت مرتبته عند ربه، وقال: دخلت على المنصور أمير المؤمنين فقال لي: يا منصور عظني وأوجز فقلت إن من حق المنعم على المنعم عليه أن لا يجعل ما أنعم به عليه سبباً لمعصيته فقال: أحسنت وأوجزت **(وقال منصور بن عمار: أحسنت لباس العبد التواضع والانكسار)**

أشد من الذي يفتح المدينة وحده، وقال: الدمعة إذا بقيت في الجفون كان ابقى للحزن في الجوف، ولولا ذلك لاستراحوا إلى إسبال الدموع، وقال: قلوب العباد كلها روحانية فإذا دخلها الشك أو الخبث امتنع منها روحها، وقال: الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب الزاهدين والعباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المريدين بلسان التفكر، وفي قلوب العلماء بلسان التذكير، وقال: سبحان من جعل قلوب العارفين أوعية الذكر، وقلوب أهل الدنيا أوعية الطمع، وقلوب الزاهدين أوعية التوكل، أسند منصور عن جماعة من المحدثين نفعنا الله به. **(قوله: من جزع)** أي بأن قلق منها، أو لم يصبر للامتحان بها فشكا لأحد من الخلق على وجه الضجر، وقوله: تحوّلت مصيبته في دينه أي حيث فوت على نفسه الرضا، والصبر على حسب الأمر الذي كلف به، ويؤخذ من ذلك أن من رضي وصبر عليها فاز بالأجر، فحينئذٍ على العاقل اختيار الأنفع يوم لا صديق، ولا حميم يشفع، وهو ما أشار إليه الشارح بعد. **(قوله: ومن صبر عليها)** أي حبس نفسه على الرضا بها، وقوله: وشكر أي بدوامه على الجد والاجتهاد في عبادة ربه، ولم تشغله مصيبته عن ذلك.

(قوله: ارتفعت مرتبته) أي علت درجته بواسطة إحسانه تعالى جزاءً له على الصبر والرضا. **(قوله: أن لا يجعل ما أنعم به عليه الخ)** أي بل يشكره سبحانه وتعالى بصرف قواه، وما أولاه في طاعته تعالى. **(قوله: أحسن لباس العبد الخ)** أي أفضل وصف يتحلى به ورداء يرتدي به التواضع والتذلل، والانقياد لطاعته تعالى، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. **(قوله: إنهم كانوا يسارعون الخ)** أي كانوا يبادرون بالخيرات في أشرف أوقاتها، ويدعوننا رغباً ورهباً أي يطلبون منا خوفاً ورجاء، وكانوا لنا خاشعين متواضعين منقادين ظاهراً وباطناً. **(قوله: وأحسن لباس العارفين)** أي أفضل نعتهم، والعارفون جمع عارف، وهو من شهد الحق بالحق، وتحلى بالأعمال مع مراقبة المتعال، فشهد أن الأمر منه وإليه، فرجع في ظاهره وباطنه إليه. **(قوله: أي العمل الصالح)** أي ولو كان العمل من عمل القلوب. **(قوله: قال تعالى ولباس التقوى ذلك خير)** أي الاتصاف بالتقوى والتحلي بنعتها أفضل من كل وصف مع أن ذلك هو الخير على ما لا يخفى، والمراد الاستدلال على قوله، وأحسن لباس العارفين الخ. **(قوله:**

لمولاه لأن ذلك أقرب لنيل مطلوبه ومناه، وحفظه من التعرض لما يخشاه قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] **(وأحسن لباس العارفين)** الذين غلبت عليهم أحوالهم بدوام نظرهم لمولاهم، ولما سبق لهم عنده مما يجريه عليهم في دنياهم **(التقوى)** أي العمل الصالح **(قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾)** [الأعراف: ٢٦] فهي سبب لكل خير، ومن هنا قيل العارف من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، فمعرفته غلبة انفراد ربه بالأفعال على قلبه وورعه ملازمته لامتثال أمر ربه، واجتناب نهيه في كل حال **(وقيل: إن سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوب)** الأولى مكتوباً **(عليها بسم الله الرحمن الرحيم فرفعها)** إحتراماً لها **(فلم يجد لها موضعاً)** يليق بها **(فأكلها فرأى في المنام كأن قائلاً قال له: فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة)** فيه تنبيه على مطلوبه إحترام كل ما أضيف إلى الله تعالى من المخلوقات كالمساجد والصالحين، وما يدل على أسمائه وصفاته من الحروف وسائر نعمه من الأطعمة، وغيرها إذا وجدت مطروحة بالطريق. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا العباس القاص يقول: سمعت أبا الحسن الشعراني يقول: رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له: ما فعل الله بك قال لي أنت منصور بن عمار، فقلت بلى يا رب قال أنت الذي كنت تزهد الناس في**

فمعرفته غلبة الخ) يشير بذلك إلى أن فاعل يطفىء هو نور معرفته، والمفعول قوله نور ورعه، كما هو واضح.

(قوله الأولى مكتوباً) أي لأنه نعت لرقعة المنصوب على المفعولية لقوله وجد. **(قوله: وسائر نعمه الخ)** أي بإعتبار أنها أثر القدرة العلية قد قصد بها نفع العبد. **(قوله: يقول رأيت منصور بن عمار الخ)** أقول هذه القصة تشير إلى أن العبرة بما سبق من العناية، وإن ظهر خلاف طريق الهداية لتحقق فائدة الرجاء والآمل لكل من عمل، ومن لم يعمل، وذلك بواسطة فيوضات الكرم من خزائن ولي النعم، مع هذا فعلى المكلف دوام الامتثال، وتفويض القبول لرب الافضال، فلا يغتر الإنسان بكثرة العبادات، ولا يقنط بكبير المخالفات لثبوت الجهل بما علمه العليم، مما قضاه بحكمه القويم، فيلزم أن يكون عمله بين الرجاء والخوف، ولا يضيع وقته ما بين عسى وسوف، حيث ذلك من علامة الخذلان، والقائد إلى دركات النيران هذا ما تحرر في أحكام الشريعة، والمعول عليه في أصول الحقيقة.

(قوله: وترغيب فيها) أي مع أن الأولى بالإنسان جعل الباطن كالظاهر ليتهيأ لدخول هاتيك الحظائر، ولا يكون كما كان المنافقون يقولون ما لا يفعلون. **(قوله:**

الدنيا، وترغب فيها قلت قد كان ذلك يا رب ولكني ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالثناء عليك، وثنيت بالصلاة على نبيك ﷺ، وثلثت بالنصيحة لعبادك، فقال: صدق ضعوا له كرسياً يمجدني في سمائي بين ملائكتي، كما كان يمجدني في أرضي بين عبادي) فيه تنبيه على أن الأولى لمن يزهد الناس في الحلال أن يكون أوّل زاهد فيه لينتفعوا بحاله ومقاله جميعاً، ولو زهدهم بدون زهده كان فاعلاً خيراً، ولذلك لما سأله مولاه في الرؤيا عن حاله، وهو أعلم به، ولم يرتكب إثماً وإنما أخذ بكمال فضله فلما اعترف له بفعله، وذكر له أفضل ما كان يأتي به في وعظه من ثنائه عليه بكمال صفاته، وصلاته على نبيه ونصيحته لعباده أمر له بجزاء أعماله بأن يمجده بين ملائكته في آخرته، كما كان يمجده في دنياه بين عباده، وقال سليم بن منصور رأيت والدي في المنام، فقلت ما فعل الله بك، فقال: قربني، وقال: يا شيخ السوء تدري لم غفرت لك قال: لا يا رب قال: إنك جلست للناس يوماً مجلساً فابكيتهم فبكى فيهم عبد من عبيدي لم يبك من خشيتي قط فغفرت له، ووهبت أهل المجلس كلهم له ووهبتك فيمن وهبت له.

(ومنهم أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار نيسابوري منه انتشر

ضعوا له كرسياً الخ) أقول يؤيد ذلك ما ورد من أن الشخص يبعث على ما مات عليه. **(قوله: أن يكون أوّل زاهد فيه)** أي عملا بخبر: «إبدأ بنفسك»، وليؤثر وعظه في قلب من سمعه قبول موعظته **(قوله: كان فاعلا خيراً)** أي باعتبار المقال، والله يلطف بالحال. **(قوله: أمر له بجزاء أعماله الخ)** من ذلك يؤخذ أن الإنسان قد يقبل منه نوع من أنواع القرب، ويسامح في غيره مما قصر فيه، وهذا مظهر من مظاهر الحق سبحانه بسبب الرحمة المدخرة لمن أراد إكرامه من عباده والله أعلم. **(قوله: قال إنك جلست الخ)** يدل عليه خبر: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

(قوله: ومنهم أبو صالح حمدون الخ) هو أحد الأئمة الكبار مواعظه سديدة، وكلماته مفيدة، وديانته وافية وافرة وشمس مناقبه وكراماته باهية باهرة، وهو شيخ الملامتية صحب النخشبي وغيره.

ومن كلامه: كفايتك تساق إليك من غير تعب ولا نصب، وإنما التعب في الفضول، وقال: لا يجزع من المصيبة إلا من اتهم ربه، وقال: لا أحد أدون ممن يتزين إلى دار فانية، ويتذلل إلى من لا يملك له ضراً ولا نفعاً، وقال: إنما كان كلام السلف أنفع من كلامنا لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق، وقال: أنت عبد ما لم تطلب من يخدمك، فإذا طلبته خرجت من حد العبودية، وقال: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا كفرحهم

مذهب الملامتية) وهم الذين يسترون صلاحهم بأمور تتداولها العوام، وليست بمعاص في الحقيقة وربما يسمونه التخريب، وهذه الطريقة فيها غرر وضرر ديني ودنيوي، فإن السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم لم يتخلقوا بذلك، بل يقصدون إظهار الدين مع الإخلاص ليقتدى بهم، ومع ذلك فالملامتية لا يقصدون إلا خيراً، وانتشر مذهبهم عن حمدون **(بنيسابور وقد صحب سلماً)** وفي نسخة سالماً **(الباروسي وأبا تراب النخشبي مات سنة إحدى وسبعين ومائتين سئل حمدون متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس)** بأن يعظهم وينصحهم **(فقال إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى)** المحتاج فيه إلى تعليمه **(في علمه)** واعتقاده **(أو خاف هلاك إنسان في بدعة، وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها)** بتعليمه له فيجوز له حينئذ، بل يجب عليه أن يتكلم عليهم خصوصاً إذا سلم حال تكلمه من الكبر والعجب والرياء، ونحوها من الآفات لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لله والقيام بأمره كما قال تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه ومتى لم يتعين عليه ذلك وسلم من

بثلاثة مؤمن قتل مؤمناً، ورجل يموت كافراً، وقلب فيه خوف الفقر، وقال: اصحب الصوفية، فانهم ليس للقبيح عندهم خطر، ولا للحسن عندهم مقدار، وقال: ما دمت لا تعرف عيب نفسك فأنت محجوب، وقال: شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيلياً، وقال: أوصيكم بصحبة العلماء، واحتمال الجهال، ومن رأيتم فيه خصلة من الخير لا تفارقوه، وقال: إن استطعت أن تصبح مفوّضاً لا مدبراً فافعل، وقال: من استطاع منكم أن لا يعمى عن نقصان نفسه، فليفعل، وقال: من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل في الدنيا والآخرة، وله غير ذلك من الفوائد رضي الله عنه، ولم يزل هذ الشيخ راقياً في كماله إلى أن غاب بدره سنة احدى وسبعين ومائتين ودفن بنيسابور، وقد أسند الحديث عن جماعة من الأعيان، وروى عنه آخرون. **(قوله: منه انتشر الخ)** أقول الملامتي هو من لم يظهر بمظاهر الكرامة استر حاله عن الناس في الاستقامة، ومع ذلك فلا تقع منه المخالفات، وإن صدرت فهي من التلبيات زيادة في الغيرة على عدم الاطلاع على حاله، ومبالغة في الخفاء عن الشهرة والسماع به، ولكن طريق الاتباع أكمل والله سبحانه بعباده أعلم. **(قوله: وربما يسمونه التخريب)** أي لما فيه من تخريب الحال في الظاهر مع ثبوت النور في أعين البصائر.

(قوله: فقال إذا تعين الخ) أي ينبغي البعد عما به الظهور من إرشاد أو تعليم، إلا إذا تعين عليه ذلك بفقد من يقوم مقامه لأن نفع النفس ودفع الضرر عنها مقدم، حيث مظهر التعليم والإرشاد عرضة للشهرة وهي من المهالك فلا يقدم على ذلك إلا إذا تعين ذلك عليه عيناً بفقد من يقوم مقامه فيه والله أعلم **(قوله: خصوصاً إذا سلم الخ)** أي بأن وثق من نفسه بالسلامة مما ذكر **(قوله: ونحوها من الآفات)** أي ولو مثل رؤية حسن

ذلك ندب له أن يتكلّم عليهم **(وقال)** حمدون **(من ظن)** من المؤمنين **(أن نفسه خير من نفس فرعون)** في المال **(فقد أظهر الكبر)** لأنه ما دام في الدنيا هو والكافر سواء من حيث إنه لا يعلم خاتمة أمرهما فقد يختم له، والعياذ بالله بالردة وللكافر بالإيمان، فلا يغتر ويقطع بأنه خير ممن مات كافراً، وإن كان كفره أشد من كفر غيره كفرعون لادعائه الألوهية، وذلك لأنه في غرر من نفسه، وجهل بما يختم له، وإن كان يحسن ظنه بربه أن يختم له بخير أما الحكم بأن المؤمن خير من الكافر في الحال، فحق لا كبر فيه كيف لا والله ولي المؤمنين، وعدوّ الكافرين قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال فإن الله عدوّ للكافرين **(وقال)** حمدون **(مذ علمت أن للسلطان فراسة)** يعرف بها بواطن الأمور **(في الأشرار)** أي العصاة **(ما خرج خوف السلطان من قلبي)** أظهر بذلك أنه عد نفسه من الأشرار الذين يعرف السلطان أحوالهم ففيه ستر لحاله، وأنه من هؤلاء يخاف ما يخافونه، وباطنه بخلاف ذلك **(وقال: إذا رأيت سكراناً فتمايل)** على

الأعمال مع الغفلة عن ولي الأفضال **(قوله: ندب له أن يتكلم الخ)** أي حيث أمن ما تقدم من العيوب وإلا حرم أو كره **(قوله: من ظن أن نفسه الخ)** أي فالذي ينبغي للمكلف أن يشتغل بعبادة مولاه ويفوض الأمر إليه ولا يرى لنفسه خيرية على أحد وذلك لجهل السابقة والعاقبة مع أن ذلك من نوع الكبر فتدبره **(قوله: خير من نفس فرعون)** أي ومن نفس غير فرعون بالطريق الأولى **(قوله لأنه ما دام في الدنيا الخ)** حاصله أنه لا ينبغي للعبد رؤيا خيريته، على كافر أو غيره، حيّ أو ميت إذ قد يختم له بالكفر وللكافر بالإيمان أو له بالبعد ولغيره بالقرب، وذلك باعتبار المآل أما باعتبار الحال فخيرية المؤمن على الكافر حق وثابت وصحيح، وكذا خيرية الطائع على العاصي لأن حكم الحال يعلم، ومع هذا فالتسليم أسلم. **(قوله: مذ علمت الخ)** أقول مقتضى كلام الشارح أن ذلك من قبيل هضم النفس، ولك أن تقول ما المانع من أنه أراد من السلطان الحق تعالى، ومن الفراسة إحاطة العلم، وينحل إلى أنه من شهود ذلك دام خوفه، فلم يرتكب مخالفة، ويكون من باب التحدث بالنعمة لأنا نقول منع من ذلك ذكر الفراسة، وتخصيصها بالأشرار فما ذكره الشارح هو المتعين في الحمل عليه.

(قوله: ما خرج خوف السلطان من قلبي) أي فكان بهذا ممن حفظه الله تعالى، ومنعه من كل ما فيه فساده وإن طلبته نفسه، ومالت إليه بطبعها، وظنت فيه الخير، فيكون مشهده قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] على أنه من قبيل قولهم من العصمة أن لا تجد. **(قوله: وقال إذا رأيت سكراناً الخ)** يريد نفعنا الله به التحذير من الاعتراض على الغير بما ظهر به من العيوب، فالذي ينبغي حينئذٍ الرجوع إلى سؤال العافية للمبتلى، والسلامة للنفس، حيث

نفسك وخف عليها من التغير والنقص **(لئلا)** تقع في الكبر فيحملك على أن **(تبغي عليه)** وعبر بعضهم بقوله سكراناً يتمايل لا تبغي عليه **(فتبتلي بمثل ذلك)** الذي ابتلي به فالكبر على العصاة مذموم كغيرهم لأنه لا يليق إلا بالله تعالى، بل حق المؤمن أن يرحمه ويدعو له، ويشكر الله على عصمته مما ابتلاه به. **(وقال عبد الله بن منازل قلت لأبي صالح)** حمدون **(أوصني فقال: إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا فافعل)** فيه الحث على تحسين الخلق، واحتمال الأذى والعفو عنه، وذلك إنما يكون عند عدم الغضب الناشىء من انتقاص عرض أو مال أو نحوه، فإذا عفا العبد عن ذلك، ولم يغضب لم يتعد الحدود، ولذلك قال رجل يا رسول الله أوصني قال لا تغضب فاستزاده قال لا تغضب والسر فيه أن الغضب، كما قيل: غول العقل يأكله، فإذا ذهب العقل عدم التثبت فيقع صاحبه في الخطأ والزلل، وفاته حسن العمل **(ومات صديق له)** أي لحمدون **(وهو عند رأسه، فلما مات اطفأ حمدون السراج، فقالوا له: في مثل هذا الوقت يزاد في السراج الدهن، فقال لهم: إلى هذا الوقت كان الدهن له، ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة)** اطلبوا دهناً غيره، قد يقال: حقهم إنما يكون بعد القيام بحقوقه التي يزري به تركها وتركه في ليلة ببيت مظلم بلا سراج، مما يزرى به، ولذلك قدمت مؤنة تجهيزه من كفن

العالم شأنه التغير ومن الجائز أن يعافي ذلك المبتلى، ويبتلي السليم بمثل ما ابتلي به أو بأشد منه، ويدل على ذلك خبر: «لو عاير أحدكم أخاه» الحديث. **(قوله: سكراناً)** أي أو نحوه ممن ارتكب محرماً.

(قوله: فالكبر على العصاة الخ) أي ولو برؤية الخلو عن مثل ما تلطخوا به من نوع المخالفة فالذي ينبغي للكامل رؤية معاذير الخلق بشاهد أنهم محل تصاريف الحق تعالى. **(قوله: إن استطعت الخ)** الغرض الحث على حسن الخلق، فإنه إذا تم لعبد، فلا تضره معه مخالفة على أنه من البعيد أن يكون الشخص حسن الخلق مع الخلق سيئه مع الخالق. **(قوله: إنما يكون عند عدم الغضب الخ)** أي ويسهل طريق ذلك الالتفات إلى أنه تعالى هو الفاعل لكل شيء.

(قوله: والسر فيه الخ) محصله أن الغضب هو ثوران نيران النفوس، ودخانه إذا وصل إلى القلوب ستر نور العقل، وحينئذٍ فيزول النظر في غوائله فيحصل التعدي ومجاوزة الحدود. **(قوله: قد يقال الخ)** فيه أن بقاء حق الميت فيما تركه لا يمنع من تعلق حق الوارث به، فتعيين دهن لذلك يطلب من الوارث على أن المراد لهذا الأستاذ الإشارة إلى أن الموت يفوت علق الدنيا على الإجمال لغرض تنبيه السامع على الاشتغال بالأنفع.

(قوله: والفرق لائح) أي الفرق بين ما يجب كمؤن التجهيز من كفن وغيره، وبين دهن المصباح فلا يجب وفيه نظر فتدبر. **(قوله: من نظر الخ)** أي فبالاطلاع على ما كانوا

وحنوط، وغيرهما على حقهم والفرق لائح. **(وقال حمدون: من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال)** لأن الصحابة رضي الله عنهم بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وباعوا أنفسهم لله، وصدقوا فيما عاهدوا الله عليه، كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] والتابعون بعدهم أجهدوا أنفسهم في العلوم والأعمال والأعراض عن الحطام فمن وزن نفسه بأحوالهم لم يجد عنده عشر ما فعلوه، وسأل الله أن يلحقه بهم، ويمن عليه ببركة محبته لهم. **(وقال)** حمدون **(لا تفش على أحد ما)** أي شيئاً **(تحب أن يكون مستوراً منك)** إذ من الناس من لا يحب أن يظهر شيء من أحواله الصالحة فضلاً عن غيرها فإفشاؤك إياه مؤلم له، كما يؤلمك إفشاء غيرك عليك ما تحب أن يكون مستوراً منك، فالسلامة ترك الفضول.

(ومنهم أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد هذه الطائفة وإمامهم أصله من نهاوند)

عليه من الأخلاق والجد في العبادة يرى الناظر تقصيره عن عشر معشارهم، وحينئذٍ يفيده ذلك هضم نفسه وحثها على المقصود من المكلف. **(قوله: من نظر الخ)** أي فلا بد للعبد من مرآة ينظر فيها نفسه ليقومها ويعدلها، والمرايا متعددة، فمرآة الكون هو الوجود الوحداني لأن الأكوان وأوصافها وأحكامها لم تظهر إلا فيه، وهو يخفي بظهورها كما يخفي وجه المرآة بظهور الصور فيه، ومرآة الوجود التعينات المنسوبة إلى الشؤون الباطنة التي صورها الأكوان، إذ الشؤون باطنه والوجود المتعين بتعيناتها ظاهره فمن هذا الوجه كانت الشؤون مرايا للوجود الواحد المتعين بصورها، ومرآة الحضرتين أعني حضرة الإمكان وحضرة الوجوب هو الإنسان الكامل، وكذا هو مرآة الحضرة الإلهية لأنه مظهر الذات مع جميع الأسماء. **(قوله: وصدقوا)** أي في نصرة الدين بالنفس والمال.

(قوله: ويمن عليه الخ) أي بشاهد: «المرء مع من أحب». **(قوله: إذ من الناس الخ)** أي فالإفشاء حينئذٍ حرام من الكبائر لما فيه من إيذاء المسلم فيجب عدم إشاعة ما يكره إشاعته من نفسه سراً أو غيره، وجماعه العمل بخبر: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». **(قوله: ومنهم أبو القاسم الجنيد الخ)** أي وهو المزين بنعوت العلم المتوشح بجلابيب التقوى والحلم، المنور بخالص الإيقان المؤيد بثابت الإيمان العالم بسر الكتاب العامل بمحكم الخطاب، كان كلامه بالنصوص مربوطاً، وبيانه بالأدلة مبسوطاً سيداً لطائفة، ومقدم الجماعة مرجع أهل السلوك في زمنه وما بعده، رزق من القبول وصواب القول ما لم يقع لغيره بحيث كان إذا مر بشارع بغداد وقف الناس له صفوفاً كالملوك كان إذا رأيت علمه رجحته على حاله وعكسه، وقال ابن عربي: في الفتوحات هو سيد أهل الطائفة كان من الفقهاء المتعبدين على مذهب الشافعية تفقه على أبي ثور، وأفتى بحضرته، وهو ابن عشرين سنة، ولم تزل أعناق الفريقين له خاضعة، وعلى تبجيله

بضم النون، وفتح الواو مدينة من بلد الجيل[1] ومنشؤه ومولده بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج، فلذلك يقال له القواريري وكان فقيهاً على مذهب أبي ثور وكان يفتي

مجتمعة، وقد نقل شيخ الشافعية في الروضة عنه قبيل الصيام أن أخذ المحتاج من صدقة التطوع أفضل من أخذه من الزكاة، أخذ التصوف عن خاله السري، والحرث المحاسبي قال: قال لي السري: إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ قلت: المحاسبي، قال: نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين، ثم وليت، سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفياً، ولا جعلك صوفياً صاحب حديث، قال الغزالي: أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم، ثم تصوّف افلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه اهـ، وكان يقول: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، قال ابن عربي: يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهما الشاهدان العدلان، وصحب الجنيد من هذه الطائفة أربع طبقات كل طبقة ثلاثون رجلاً، وانتهت إليه الرياسة، وقال: ما أخرج الله علماً إلى الأرض، وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وجعل لي فيه حظاً ونصيباً، وقعد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع، ووروده كل يوم ثلاثمائة ركعة، وكانت الكتبة يحضرون مجلسه لالفاظه والفقهاء لتقريره، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه، والمتكلمون لتحقيقه، والصوفية لإشاراته وحقائقه.

ومن فوائده وحكمه: من لم يسمع الحديث، ويجالس الفقهاء، ويأخذ أدبه عن المتأديين أفسد من اتبعه، وسئل ما الفرق بين المريد، والمراد فقال: المريد تولته سياسة العلم والمراد تولته رعاية الحق، فإن المريد يسير، والمراد يطير، وأين السيار من الطيار، وقال: الإخلاص سر بين العبد وربه لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيهلكه، وقال: الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة، والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة، وقال: الإستئناس بالناس حجاب عن الله، والطمع فيهم فقر الدارين، وقال: لا يسمى عبد عاقلاً حتى لا يظهر على جوارحه شيء ذمه ربه، وقال: بني الطريق على أربع لا تتكلم إلا عن وجود، ولا تأكل إلا عن فاقة، ولا تنم إلا عن غلبة، ولا تسكت إلا عن خشية، وقال: صفاء القلوب على حسب صفاء الذكر، وخلوصه من النوائب، وقال: كلام الأنبياء عن حضور، وكلام الصدّيقين عن مشاهدة، وقال: من زعم أنه يعرف الله، وهو كاذب ابتلاه بالمحن، وحجب ذكره عن قلبه واجراه على لسانه، فإن تنبه وانقطع إليه وحده كشف عنه المحن، وإن أدام السكون إلى الخلق نزعت من قلوبهم الرحمة عليه، وألبس لباس الطمع فيهم، فتصير حياته عجزاً وموته كمدا وآخرته أسفاً نعوذ بالله من الركون لغيره، وسئل عن العارف، فقال: لون الماء لون إنائه، أي فهو بحكم وقته، وقال: مكابدة العزلة أشد من مداومة الخلطة، وقال: يجعل أحدهم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة، وقال: كنت بين يدي السري ألعب، وأنا ابن سبع والجماعة يتكلمون في الشكر، فقال: يا غلام ما الشكر؟ قلت: أن لا يعصى الله بنعمه، فقال: اخشى أن يكون حظك من الله القول، فلا أزال أبكي على هذه الكلمة، وقال: حجبت على الوحدة،

في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة صحب خاله السري والحرث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين سمعت محمد بن الحسين

فجاورت بمكة فكنت إذا جن الليل دخلت الطواف، وإذا بجارية تطوف وتقول:

أبى الحب أن يخفى، وكم قد كتمته فأصبح عندي قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره وإن رمت قرباً من حبيب تقرّبا
ويبدو فأفنى، ثم أحيا به له ويسعدني حتى ألذ وأطربا

فقلت لها يا جارية أما تتقين الله في مثل هذا المقام تتكلمين بمثل هذا الكلام، فالتفتت إليّ وقالت يا جنيد:

لولا التقى لم ترني أهجر طيب الوسن
إن التقى شرّدني كما ترى عن وطني
أفر من وجدي به فحبه هيمني

ثم قالت يا جنيد تطوف بالبيت أم برب البيت، فقلت بالبيت فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة إليك، وهم أقسى قلوباً من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم وحلوا محل القرب في باطن الفكر
فلو أخلصوا في الودّ غابت صفاتهم وقامت صفات الود بالحق للذكر

فغشي عليّ من قولها، فلما أفقت لم أرها، وسئل ما بال أصحابك إذا سمعوا القرآن لا يتواجدون بخلاف ما إذا سمعوا الرباعيات قال: القرآن كلام الله، وهو صعب الإدراك والرباعيات كلام المحبين المخلوقين، وقال: رأيت النبي في المنام، فقلت له: ما تقول في السماع الذي نفعل، ويحصل منا الحركات فيه؟ فقال: ما من ليلة إلا وأحضر معكم، ولكن ابدأوا بالقرآن واختموا به، وقال: أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة عري من الإيمان، وقال: ما دام الشاكر يطلب من الله المزيد بشكره، فهو غريق في حظ نفسه إنما الشكر أن يرى العبد أنه ليس بأهل أن تناله الرحمة لشهوده كثرة معاصيه، وقال: الطريق مسدود إلا على المقتفين آثار المصطفى، قل: هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وقال: طريق التصوف عنوة لا صلح فيها، وقال: التوحيد الخالص أن يرجع العبد إلى أوّله فيكون كما كان قبل أن يكون، وقال: طوي علم التوحيد منذ زمان، وإنما الناس يتكلمون في حواشيه، وقال: سبب اضطراب القلب عند السماع أنه تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأوّل بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] استفرغت عذوبة سماع كلامه الأرواح، فإذا سمعوا نغماً طيباً حركهم لذكره، وقال: لا يصفو قلب لعمل الآخرة إلا إن تجرد من حب الدنيا، وقال: حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك، وقال: العبادة على

رحمه الله يقول: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول: سمعت الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: وقد سئل من العارف بالله (قال) هذا يغني عنه قوله يقول **(هو من نطق بسرك وأنت ساكت)** وقال غيره هو من غلب عليه دوام الحضور والأدب مع الله حتى صار بعبده كأنه يراه ومن اتصف بذلك توالت عليه الكرامات. قال بعضهم:

العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك، وقال: إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسيء بالمحسن، وبقيت أعمالهم فضلاً لهم، فقال ابن عطاء: متى تبدو فقال: هي بادية قال تعالى: «سبقت رحمتي غضبي» وقال لو كان العلم الذي أتكلم به من عندي لفني لكنه من حق بدأ وإلى حق يعود، وقال: من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة، وقال: تنتهي عبادة أهل المعرفة إلى الظفر بنفوسهم، وقال: من سكن أو شكا لغير الله ابتلاه الله بحجب سره عنه، وقال: لا تيأس من نفسك ما دمت تخاف ذنبك وتندم عليه، وقال: العلم يوجب لك استعماله، فإن لم تستعمله في مراتبه كان عليك لا لك، وقال: بلغني أن يونس عليه السلام بكى حتى عمي، وقام حتى انحنى وصلى حتى أقعد، ثم قال: وعزتك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته شوقاً إليك، وقال: التواضع عند أهل التوحيد تكبر، قال الغزالي: لعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه أوّلاً ثم يضعها، والموحد لا يثبت نفسه، ولا يراها شيئاً حتى يضعها أو يرفعها، وقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ثم أنشد:

طوارق أنوار تلوح إذا بدت فتظهر كتماناً وتخبر عن جمع

ومرّ يوماً ببعض دروب بغداد، فسمع قائلاً يقول شعراً وهو:

منازل كنت تهواها وتألفها أيام كنت على الأيام منصورا

فقال ما أطيب منازل الألفة وأوحش مقامات المخالفة، وقال: الفتوّة كف الأذى، وبذل الندى، وقال: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب، وله من درر الفوائد وغرر العوائد ما لا يحصى، ولا يمكن أن يستقصى.

توفي ببغداد سنة سبع أو ثمان وتسعين ومائتين وحزر من صلى عليه، فكانوا ستين ألفاً رضي الله عنه، ونفعنا بعلومه، وبركات أنفاسه. **(قوله: هو من نطق بسرك الخ)** أي ومنشأ ذلك إنما هو المبالغة في المعاملات الباطنية وغاية الإخلاص له تعالى حتى قدس الله سره، وتجلى له باسمه الباطن، فغلبت روحانيته وأشرف على الغيب وأخبر به، فهو يدعو الناس إلى الكمالات المعنوية والتقديس، وتطهير السر، وترجيح التنزيه على التشبيه، كما كانت دعوته عليه السلام إلى السموات والروحانيات، وعالم الغيب والتقشف والاعتزال والخلوة.

(قوله: وقال غيره هو من غلب عليه الخ) أقول يرجع لما قبله لأن هذا المقام ثابت

كنت يوماً جالساً في بيتي فخطر لي خاطر أن الجنيد بالباب أخرج إليه فنفيته عن قلبي وقلت وسوسة فوقع لي خاطر ثانٍ أنه على الباب أخرج إليه فنفيته عن سري، فوقع لي ثالث فعلمت أنه حق ففتحت فإذا بالجنيد قائم فسلم عليّ وقال لي: لم لا خرجت مع الخاطر الأوّل. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات**) لأن التصوف عند كثير عبارة عن التخلق بأشرف الأخلاق الحميدة من الورع والزهد والتوكل والرضا ونحوها والبعد عن الأخلاق الذميمة من الرياء والكبر والعجب والحسد ونحوها، فلا يبالي بقيل عن فلان كذا ولا بقال فلان كذا ولا بمعرفة الأحوال والمقامات من أفواه الرجال، بل بالجوع وما عطف عليه والجد في الطاعات. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: سمعت محمد بن الحسن يقول؛ سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: سمعت الجنيد يقول لرجل، ذكر المعرفة بالله تعالى وقال أهل المعرفة: بالله يصلون إلى ترك الحركات**) أي: الأعمال التي هي (**من باب البر والتقرّب إلى الله عز وجل**) أي: إنما تراد الطاعات من الذكر والصوم والصلاة ونحوها للتوصل إلى الله تعالى فإذا وصل إليه بها استغنى عنها (**فقال الجنيد**) أعاد هذا لطول الفصل وإلا فقد أغنى عنه قوله يقول (**هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال**) عن بعض المكلفين (**وهو عندي**) هفوة

للعارف على ما ذكره الجنيد نفعنا الله به. (**قوله: قال بعضهم كنت الخ**) أي فتعريف العارف على ما قاله الجنيد قد صدق عليه هو، نفعنا الله بعلومه. (**قوله: ما أخذنا التصوف الخ**) أي فالتصوف لا يتم معناه بمجرد نقل عباراتهم بل لا يكون إلا بالتخلق بأخلاقهم، وغير التصوف مثله، وفي ذلك شعر:

قالت لنا سودة الأحداق والمقل ... ليس التكحل في العينين كالكحل

(**قوله: يصلون إلى ترك الحركات الخ**) لك أن تقول من أي شيء نشأت هذه الضلالة العظيمة والداء الذي لا دواء له فإن النصوص الشرعية وأحكام العقول السليمة بخلافه إذ من ثبت له وصف المحبة يدوم على طرق باب المحبوب ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن رجع إلى أخلاقه ﷺ في الجدّ في العبادة وكذا ما كان عليه خلفاؤه وأتباعهم وأتباع أتباعهم مع أنه لا محبة مثل محبتهم ولا معرفة مثل معرفتهم عرف أن هذه المقالة من جملة الأباطيل ونزغات الشيطان أعاذنا الله منها. (**قوله: هفوة عظيمة**) أي زلة كبيرة يخشى معها دوام وصف الكفر والعياذ بالله

(عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا) القول لأن كلا من الزاني والسارق يعرف عصيانه، ويرجو توبته منه بخلاف هذا لأنه يعتقد أنه في أرفع المقامات، وأحسن الأحوال، فلا يرجع عنه، وإلى ذلك أشار بقوله **(فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى)** امتثالاً لأمره **(وإليه رجعوا فيها)** بأن سألوه الإعانة والمجازاة عليها فلا ينبغي لأحد نقصها **(ولو بقيت ألف عام)** في الدنيا **(لم أنقص من أعمال البرذرّة إلا أن يحال بي دونها)** لعجز من مرض ونحوه. **(وقال الجنيد أن أمكنك أن لا تكون آلة بيتك إلاّ خزفاً فافعل)** فيه الحث على التقلل من الدنيا والاكتفاء بآلة الفخار عن آلة النحاس، ونحوه مما يدل اتخاذه على طول الأمل، والصوفي ابن وقته وموته بين عينيه فيكتفي باليسير من الدنيا **(وقال الجنيد الطرق)** التي يتوصل بها إلى الله **(كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى)** أي اتبع **(أثر الرسول عليه الصلاة والسلام)** فإنه الحاكي عن الله تعالى. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله)** لأن الصادق في سلوكه إلى ربه كل يوم يترقى في درج قربه

تعالى. **(قوله: لأن كلا من الزاني الخ)** أي مع أن الكفر والعياذ بالله هو أكبر الكبائر، وربما يضر بعض الجهله، ممن قل عرفافهم بسر الأمر الإلهي.

(قوله: أخذوا الأعمال عن الله تعالى) أي عن أمره تعالى، كما جاء عن سيد الرسل، فأنيط العمل بمدة حياة العبد على مقتضى إطلاق الأمر الكريم. **(قوله: بأن سألوه الإعانة الخ)** أقول، ويحتمل أن المراد بقوله: وإليه رجعوا فيها أي أنهم جعلوها خالصة له تعالى لا لغرض آخر من رغبة في جنة أو خوف من نار بل هذا، كما ترى هو المناسب لمقام العارف الكامل. **(قوله: فيه الحث على التقلل الخ)** أي ليبعد العبد مع التقلل عن الاشتغال بالأعراض الفانية الملهية، فيمكنه مع التقلل التفرغ، لما قصد منه من العبادة والطاعة.

(قوله: والصوفي ابن وقته) أي فهو دائماً لا يشتغل إلا بوظيفة الحال إذ الماضي ما وقع فيه لا يرتفع، والمستقبل لا يدري فيه الجائز والممتنع **(قوله: الطرق التي يتوصل بها الخ)** أي فلا طريقة إلا على موجب الشريعة، فلا وسيلة في القرب إلا بمتابعة سيد الكائنات ﷺ. **(قوله: كان ما فاته الخ)** محصله أن ما به الترقي إلى درجة الكمال بالنسبة لما ناله العبد، مما هو دونه مقصد وما ناله قبله وسيلة له، فحينئذ الذي فاته أكبر مما ناله مع أنه لا يرجى صعود درجة، مما فوق هذا الفائت بدون ذلك الفائت فافهم. **(قوله: وإنما يطيق الخ)** أي فلا يستعد ويتهيأ لما هو أعلى مما وصل إليه إلا بما يقدم له من

إليه، فهو في كل درجة مرتقب لما هو أعلى منها، وإنما يطيق حمل الأعلى بما يقدم له من الأسباب المقوّمة له بفضل ربه، فإذا أعرض عما هو فيه من السلوك، ونيل الخيرات فقد فاته في حال إعراضه ما هو أفضل من جميع ما ناله، فإن ما ناله وسيلة لحمل ما لم ينله **(وقال الجنيد: من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث)** أي من لم يفهم أحكامهما **(لا يقتدى به في هذا الأمر)** أي التصوف **(لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة)** والإجماع والقياس يرجعان إليهما **(سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول عن الجنيد: مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة)** أشار أولاً بقوله علمنا إلى صحة العلم وثانياً بقوله مذهبنا إلى صحة السلوك، فلم يستغنوا في علمهم، ولا عملهم عن الكتاب والسنة بحال، وفيه وفيما قبله رد على من يعتمد في سلوكه على ما يقع في قلبه من الخواطر، ويزعم أنها عن الله صادقة، ويستغني عن وزنها بالكتاب والسنة، وهذا هو الضلال المبين. **(وقال الجنيد: علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ أنبأنا محمد بن الحسين رحمه الله قال: سمعت أبا الحسين بن فارس يقول: سمعت أبا الحسين علي بن إبراهيم الحداد يقول: حضرت مجلس القاضي أبي العباس ابن شريح، فتكلم في الفروع والأصول بكلام أعجبت منه، فلما رأى أعجابي)** به **(قال: أتدري من أين هذا قلت يقول)** أي: يخبر **(به القاضي فقال: هذا ببركة مجالسة أبي القاسم الجنيد)** إذ مجالسة مثله تسعد وتنفع وترفع وجودة الكلام في العلوم إنما تكون بكمال التثبت، فإذا أخلص العبد في أعمائه وجالس الأولياء واستفاد منهم جرت

الأسباب المقومة له، أي وهذا هو مما فاته في حالة إعراضه اللحظة المذكورة.

(قوله، من لم يحفظ الخ) يريد أنه يشترط لطالب السلوك والترقي لدرجة الملوك أن يعمل بأحكام الشريعة المطهرة بعد علم تلك الأحكام من العلماء الأعلام، فحينئذ يصح أن يقتدى به في طرق الحقيقة، فمن ادعى الوصول بغير هذا، فهو مبتدع لا يرجع إليه، ولا يعول في شيء عليه. **(قوله: أشار أوّلاً الخ)** أي فلا بدّ من استفادة العلم من الكتاب والسنة، وإيقاع العمل على موجب ذلك العلم، فمن خرج عن ذلك علماً وعملاً فهو زنديق. **(قوله: مشيد بحديث الخ)** أي مرتفع بحديث رسول الله ﷺ، أي أن الحديث الشريف هو الكاشف لأسرار الكتاب العزيز تارة ببيان المراد، وتارة بالتقييد والتخصيص، وتارة بالنسخ للحكم وغير ذلك، كما لا يخفى.

(وقوله: فقال ببركة مجالسة الخ) الغرض من ذلك بعد الحث على الاقتداء بالكتاب والسنة الإرشاد إلى ما به تتم الخيرات، وتنال درجة أهل السعادات من مجالسة أهل

علومه وأعماله محكمة متقنة لعلمه بالمفسد من المصلح (**وقيل للجنيد: من أين استفدت هذا العلم فقال: من جلوسي بين يدي الله**) مشتغلاً بإصلاح قلبي وجوارحي (**ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأومأ إلى درجة في داره. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يحكي ذلك وسمعته**) أيضاً (**يقول: رؤي في يده**) أي: الجنيد (**سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال**) لهم (**طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه**) فيه دليل على كمال اجتهاده، وملازمته لما اعتاده من الطاعات (**وسمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله**) قصد بذلك الإيضاح، وإلا فيكفيه أن يقول كما في الذي قبله وسمعته (**يقول: كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يعود إلى بيته**) فيه دليل على كمال اجتهاده أيضاً، وعلى ستر أعماله وملازمته الأسباب لتكون بينه وبين من لا يعرفه حجاب لأنه إذا رؤي في حانوته فهو متشبه بالمتسببين، وإذا أسبل الستر بينه وبين الناس يظن أنه في أسباب حانوته، وهو مشتغل بأوراده وكونه يصلي أربعمائة ركعة يدل على أنه يخفف القراءة بالنهار، ويكثر الركوع والسجود وهو الأحسن في أعمال النهار وأكمل في ستر حاله لمن يطرقه من الناس، فيسرع إلى جوابه لخفة صلاته بخلاف صلاة الليل التي هو

التثبت في العلوم، الذين هم أولياء الحي القيوم، عسى أن يحظى الإنسان بقوة المتابعة لسيد ولد عدنان، وإشارة أهل الكرامات بالإندراج في ذوي القربات. (**قوله: من جلوسي بين يدي الله الخ**) أي من دوام مراقبة الحق سبحانه وتعالى في كامل حركاتي وسكناتي ثلاثين سنة الخ، وفي هذا دليل على قوّة تنبته على دوام الاستقامة، هذه المدة من غير التفات إلى شيء آخر وقوفاً مع مراداته تعالى. (**قوله: سبحة**) هي خرزات معدودة تتخذ ليذكر عليها اسم من أسمائه تعالى عدداً مخصوصاً، كذلك وهي بدعة حسنة حيث ثبتت عن كثير من أهل الورع، ولا سيما مثل هذا العارف نفعنا الله ببركاته.

(**قوله: طريق به وصلت الخ**) فيه إشارة إلى أنه يعتبر ما يكون من أسباب الوصول إليه تعالى، ولو انتقل إلى ما هو أشرف منه، وفي ذلك حث لغيره على ذلك، والله أعلم. (**قوله: فيه دليل الخ**) أقول يشير الشارح بذلك إلى أن استعمال السبحة من الطاعة، وهو يؤيد ما ذكرناه من أنها بدعة حسنة. (**قوله: يدخل كل يوم الخ**) الغرض من ذلك، كما أشار إليه الشارح ستر حاله عن الناس عملاً على خلاف هوى النفس ليتم بذلك إخلاصه ومراقبته، وانقطاعه إلى الله سبحانه وتعالى مع دوام مجاهدته في الطاعة. (**قوله: وإذا أسبل الستر الخ**) أي ستر للخصوصية بإجراء أحكام البشرية، كما أشار إليه صاحب الحكم العطائية، فارجع إليها إن شئت. (**قوله: بخلاف صلاة الليل الخ**) أي، فإنه لا يخفف فيها لأمنه من الإطلاع عليه فيها.

فيها بعيد عن المشغلات فارغ القلب لكمال المناجاة. **(وقال أبو بكر العطوي: كنت عند الجنيد حين مات فرأيته ختم القرآن ثم ابتدأ من البقرة وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله)** فيه دليل على كمال اجتهاده أيضاً وملازمته أوراده إلى حين موته. ومن كلامه: من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بحق.

(ومنهم أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري) بكسر الحاء المهملة نسبة إلى

(قوله: ختم القرآن الخ) انظر يا أخي همة هذا العارف مع قيام أسباب الموت به الشاغلة لغيره بالآلام والأوجاع، أما مثله رضي الله تعالى عنه، فلا تصل الآلام إلى قلبه، ولو كانت شديدة، فهي وإن أثرت في البدن، فلا تصل إلى القلب وربنا على كل شيء قدير. **(قوله: من طلب عزاً الخ)** أي طلب بواسطة نقص يقينه عزا على حسب ما سولت له نفسه الخبيثة بباطل، مما لم يشهد بصحته عقل ولا نقل، كعبادة مع رياء مثلاً أو ورثه الله بعدله جزاء لفعله ذلا حقيقة في الدين والدنيا بحق لوقوعه في مقابلة كسبه الخبيث، والله أعلم. **(قوله: ومنهم أبو عثمان سعيد الخ)** هو شيخ الجماعة، ومقدم الطائفة إمام جليل، ومعبر نبيل، وعارف لا يحتاج نهار فضله إلى دليل سمع الحديث على جماعة، قال الخطيب: وكان مجاب الدعوة، وقال أبو نعيم: كان بالحكم منطيقاً، وللمريدين نصيحاً شفيقاً.

ومن فوائده البديعة أنه قال: حق على من أعزه الله بالطاعة أن لا يذل نفسه بالمعصية، وقال: أصل التعلق بالخير قصر الأمل، وما دمت تتبع شهوتك وإرادتك فأنت مسجون، فإذا فوضت أمرك إلى الله وسلمت استرحت، وقال له رجل: كنت أجد بقلبي حلاوة ذلك، وقال: اصحب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل، فإن التعزز على الأغنياء تواضع، والتذلل للفقراء شرف، وقال: من تفكر في الدنيا وزوالها أورثه الزهد فيها، ومن تفكر في الآخرة وبقائها أورثه الرغبة فيها، وقال: من أضر به الرجاء حتى قارب الأمن فالخوف له أفضل، ومن أضر به الخوف حتى قارب اليأس فالرجاء له أفضل، وقال: طول العتاب فرقة وتركه حشمة، وقال: علامة السعادة أن تطيع الله، وتخاف أن تكون مردوداً، والشقاوة أن تعصيه، وترجو أن تكون مقبولاً، ومر بالطريق ومعه صحبة فوقع عليه رماد من كوة فهموا أن يكلموا أهل الدار، فقال بعد زجر من همّ بذلك: من استحق النار فصولح على الرماد لا يغضب، وقيل له: متى يكون صادقاً في حب مولاه، فقال: إذا خلا من خلافه فبكى السائل، ووضع التراب على رأسه، وقال: كيف أدّعي حبه ولم أخل طرفة عين من خلافه فبكى الحيرى وقال صادق في حبه مقصر في حقه، وخرج يوماً فقعد في موضعه الذي يقعد فيه للتذكير، فسكت طويلاً، فقال له رجل ترى أن تقول في سكوتك شيئاً فأنشد:

وغير تقيّ يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي والطبيب مريض

الحيرة محلة بنيسابور، وهي غير الحيرة المدينة المعروفة بالكوفة **(المقيم بنيسابور وكان)** أصله **(من الري صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي، ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني)** قرأ **(على أبي حفص الحداد وأقام عنده وتخرج به)** في العلم والأدب **(وزوجة أبو حفص ابنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين)** بنيسابور وقبره بها ظاهر مع قبر أستاذه الحداد يستسقى به، وذكر أبو نعيم في حليته أنه دفن بمقبرة الحيرة عند قبر أستاذه أبي حفص النيسابوري **(وعاش بعد أبي حفص نيفاً وثلاثين سنة. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول: سمعت أبا عثمان يقول: لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل)** بالنسبة إلى الدنيا، وبالنسبة إلى ربه تعالى من حيث أن له أن يفعل ما شاء من الخير والشر، ولا ينسب في ذلك إلى جور تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً لا بالنسبة إلى الآخرة، فإنه متى كان في واحد من المذكورات نقص، فلا ينبغي أن يستوي عنده ذلك نظراً لمنفعته في الآخرة وعليه أن يبكي ويتضرع، وينتقل عما حصل به النقص، واعلم أن العز والذل بالله محمودان، والعز بالدنيا والتذلل لأهلها طمعاً فيها مذمومان.

نفعنا الله ببركات أنفاسه. **(قوله: تخرج به الخ)** أي أدرجه في سنده لكونه واسطته بسبب التعليم للعلم والأدب الشرعيين. **(قوله: يستسقى به)** أي تطلب السقيا بواسطة التشفع بالأستاذ لكرامته عند ربه المحسن.

(قوله: نيفا وثلاثين) النيف هو ما زاد عن العقد من العدد، ولم يبلغ العقد الآخر. **(قوله: حتى يستوي الخ)** أي: فلا يتأثر بالمنع غماً ولا بالعطاء سروراً، ومثله يقال فيما بعده وذلك سهل بالنسبة لمن شهد مصدر الأفعال والحركات والسكنات، فيكون بكل وارد منه سبحانه وتعالى في غاية الرضا، ويؤيد ذلك خبر: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع». **(قوله: وبالنسبة إلى ربه)** أي: ولو كان المنع راجعاً إلى الدين لما تقدم من وجوب الرضا بالمقضي، ولو كان شراً من حيث مصدرية الأفعال أي منشأ صدورها. **(قوله: لا بالنسبة إلى الآخرة)** أي فلا يصح حينئذ الرضا به وعدم تداركه بالنظر لذاته لا بالنظر لمنشأ صدوره، كما قدمناه.

(قوله: واعلم أن العز الخ) أي فإن كان موفقاً لطاعة ربه، فليحمد الله، وليدم على جده واجتهاده، وإن كان بخلاف ذلك فليتضرع إلى الله، ويقبل بكليته على طلب التوفيق منه سبحانه وتعالى، فإن العز والشرف في التقوى، والذل والهوان في المعصية كما قدمناه، فعلى العبد أن يدوم على شهود عزه بالله تعالى وذله له لا لما سوى الحق تعالى، إذ لا يملك هو ولا غيره لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله يقول: سمعت بعض أصحاب أبي عثمان يقول: سمعت أبا عثمان يقول: صحبت أبا حفص مدة وأنا شاب فطردني مرة، وقال: لا تجلس عندي فقمت، ولم أوله ظهري وانصرفت إلى ورائي، وجهي إلى وجهه حتى غبت عنه، وجعلت على نفسي) حين تفكرت، فلم أجد من أنتفع به سواه **(أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره)** ففعلت ذلك وصرت ألازم الحفرة **(فلما رأى ذلك)** الأمر الدال على صبري وشدة رغبتي في الخير **(أدناني)** أي: قربني إليه **(وجعلني من خواص أصحابه)** فانتفعت به، في ذلك دلالة على قوّة رغبة أبي عثمان في الخير واحتمال ما تلقاه من الأذى في ذلك وهذه وصية المريدين الراغبين في السلوك لأن المشايخ أنما يطردون شخصاً لاساءة أدبه، وقد يطردونه امتحاناً ليعرفوا شدة رغبته في الخير، وفيه دلالة أيضاً عى أن المريد إذا أبعده الله لزلة لا يذهب مع شهوته، بل يرجع إليه بالتوبة، ويلزم الباب بها وبالبكاء ليغفر له ما تقدم، وروي أن رجلاً دعا أبا عثمان إلى ضيافته فلما وافى باب داره قال له: يا أستاذ ارجع فقد ندمت فرجع فلما أتى منزله عاد إليه الرجل وقال: احضر الساعة فقام معه فلما وافى باب داره قال له: مثل ما قال في المرة الأولى، ثم فعل به كذلك ثالثاً ورابعاً، وأبو عثمان يحضر ويرجع فلما كان بعد ذلك اعتذر إليه وقال يا أستاذ أردت اختبارك، وأخذ يمدحه ويثني عليه فقال له: لا

(قوله: صحبت أبا حفص الخ) فيه دلالة على أنه قد فنيت مألوفات النفس منه، حيث هو مقبل غاية الإقبال على ما به نفعه الأخروي، فلم يردّه عن ذلك راد من حظوظات النفس. **(قوله: فلما رأى ذلك أدناني)** أي وحيث كان دوام الذل يورث القبول عند المخلوق، فأولى وأحق بذلك ولي الإحسان والكرم جل شأنه فعلى العاقل أن يدوم على قرع الباب، عسى أن يكون مع الأحباب، على أنه في هذه الحالة إنما تذلل لمولاه سبحانه وتعالى. **(قوله: وهذه وصية المريدين)** الإشارة إلى زيادة الرغبة في الخير واحتمال الأذى لأن مدار الانتفاع على ذلك. **(قوله: لأن المشايخ الخ)** علة لقوله، فلما رأى ذلك مني أدناني. **(قوله: وفيه دلالة أيضاً الخ)** أي بالأولى مما قبله، إذ هو من الوسائل، وهذا هو المقصود. **(قوله: فلما كان بعد ذلك الخ)** انظر تحمل هذا الإنسان، وجراءة بعض الإخوان ولكن الله هو ولي التوفيق والخذلان. **(قوله: فقال له لا تمدحني الخ)** فيه دلالة على فنائه عن جميع مألوفاته وحظوظه، فإنه قد أثبت ممثل خلقه لأخس الحيوانات، وبمثل هذا ترفع الدرجات لأهل العنايات. **(قوله: هذا في نظر قائله الخ)** أي: ويحتمل أن يكون انفرادهم بمزايا لا توجد في غيرهم، وذلك لا يوجب أفضليتهم، ولا يمنع من وجود الأفضل، وحينئذ فلا حاجة إلا ما ذكره الشارح.

تمدحني على خلق تجد مثله مع الكلاب الكلب إذا دعي حضر، وإذا زجر انزجر. **(قال)** القشيري **(وكان يقال في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان بنيسابور والجنيد ببغداد، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام)** هذا في نظر قائله وإلا ففي الدنيا من هو أفضل من هؤلاء **(وقال أبو عثمان منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره)** مما لم يسخط الله **(فسخطته)** وإن كان دون الحال الأول. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن محمد الشعراني يقول: سمعت أبا عثمان يقول ذلك)** فيه دلالة على نيله مقام الرضا فإنه إنما ينال ذلك، أما ما يسخط الله من البدع والمحرمات، فلا يجوز الرضا به لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] فلا يرضى العبد إلا بما يرضاه الله تعالى **(ولما تغير على أبي عثمان الحال)** في مرضه حيث غشي عليه **(مزق ابنه أبو بكر قميصاً)** له **(على نفسه)** لظنه أنه مات **(ففتح أبو عثمان عينيه)** بعد إفاقته من الغشية فرأى ثوبه مقطعاً **(وقال)** له **(خلاف السنة)** كما فعلت **(يا بني في الظاهر علامة رياء في الباطن)** وهو هنا كونه أظهر الحزن والألم لئلا يذم بترك الحنو على الوالد والمحبة له، فإن العبد

(قوله: ما أقامني الله تعالى الخ) أي وقوفاً مع مراداته جل شأنه إذ هو محب، والمحب شأنه الموافقة هذا، ويحتمل أن الحق تعالى أشهده وجه الحق في كل شيء الذي هو ما به الشيء حق، إذ لا حقيقة لشيء إلا به تعالى المشار إليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فهو العين المقيم لجميع الأشياء، فمن رأى قيومية الحق، لجميع الأشياء رأى الحق في كل شيء، ومثل هذا يعبر عنه بالورقاء، وهي النفس الكلية، وقلب العالم واللوح المحفوظ، والكتاب المبين، ولا سيما إن شهد مع هذا وصف الحق الذاتي، ووصف نفسه الذاتي المعبر عن الأول بأحدية الجمع، والوجوب والغنى المطلق، وعن الثاني بالإمكان والفقر الذاتي المحقق. **(قوله: ما أقامني الخ)** أي لثبوت قدمه في مقام الأحدية ومشاهد الصمدية، فعرف أن الأمر منه وإليه، ولا يكون غير ما تحقق لديه فافهم. **(قوله: أما ما يسخط الله الخ)** أي من الأمور المقضية له سبحانه وتعالى، وقوله: فلا يجوز الرضا به أي من حيث ذاته أما من حيث مصدريته، فيجب الرضا به أيضاً، كما تقدم. **(قوله: لما تغير على أبي عثمان الخ)** في ذلك تنبيه على أن الأفعال إذا خرجت عن الشريعة يجازى فاعلها بضد قصده فيها بتسليط الأمثال على ذمه، فعلى العاقل أن يلزم طريق المتابعة في جميع ما يصدر عنه قولاً وفعلاً لينال الأجر، ويكفي شر مثله والله أعلم.

(قوله: وقال له خلاف السنة الخ) مراده بالسنة مطلق الطريقة لأن ما فعله ولده من المحرمات. **(قوله: فإن العبد إذا لم يراقب الله في أمره ونهيه)** أي بأن لا يصدر منه حركة

إذا لم يراقب الله في أمره ونهيه عند نزول المصائب سبق إلى قلبه ذم الناس له إن لم يظهر الحزن بموت من يعز عليه. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول: سمعت أبا الحسين الوراق يقول: سمعت أبا عثمان يقول: الصحبة مع الله**) إطلاقها معه تعالى مأخوذة من خبر: «أنت الصاحب في السفر»، والمراد دوام المعاملة معه تعالى تكون (**بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة**) والاحترام له (**والصحبة مع الرسول ﷺ**) تكون (**باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم**) مما يتعلق بالجوارح (**والصحبة مع أولياء الله تعالى**) تكون (**بالاحترام والخدمة**) لهم لأن الله تعالى خصهم بما لم يخص به غيرهم، (**والصحبة مع الأهل**) من الزوجة والولد والخادم والأقارب تكون (**بحسن الخلق**) معهم وبتأديبهم بما ينفعهم في دينهم، (**والصحبة مع الأخوان**) تكون (**بدوام البشر**) وهو حسن الملاقاة عند الاجتماع

ولا سكون إلا بشاهدهما وعلى مقتضاهما، وقوله: سبق إلى قلبه الخ، أي بأن يسلط الله عليه من يذمه على ما صدر منه بنقيض قصده وخلاف مقصده، وذلك واضح غير محتاج لدليل. (**قوله: الملامتي**) أي أحد الملامتية، وهم فرقة لا تظهر بزيادة عن العامة في طاعاتهم ستراً لحالهم عن الشهرة بين الخلق غيرة على ما منحوا من المقامات، والأحوال الشريفة، بل يقال لهم أهل التخريب لأنهم ربما ظهر منهم ما يغاير حكم الظاهر مع كونهم في الباطن على غاية التسديد، والله أعلم. (**قوله: الصحبة مع الله بحسن الأدب الخ**) أي وذلك بدوام العبادة والإخلاص فيها بموافقة السنة المحمدية. (**قوله: أنت الصاحب في السفر الخ**) أي الصاحب فيه بالحفظ والإعانة. (**قوله: ودوام الهيبة**) أي الخوف من سطوات القهر والمراقبة، أي ودوام اعتقاد العلم بأنه سبحانه وتعالى مطلع على ما تسكنه الضمائر، كعلمه بما يصدر من الجوارح في الظواهر. (**قوله: باتباع سنته**) أي طريقته وشريعته، وقوله: ولزوم ظاهر العلم، أي وذلك إنما يكون بعدم الخروج عنه قولاً وفعلاً وحركة وسكوناً.

(**قوله: بالاحترام الخ**) أي وجماعه حفظ القلب معهم عن شائبة الإعتراض في شيء من الأشياء، وإن خالف ظاهر العلم شيء صدر منهم، فإن لم يجد له تأويلاً سلم الأمر إلى من له الأمر، وإلا فيرتكب طريق تأويله. (**قوله: بحسن الخلق الخ**) أي مثل بشاشة الوجه، والقول الحسن، وأخذ المعاذير والنفقة والكسوة بالمعروف، وغير ذلك من باقي وجوه حسن الخلق. (**قوله: مع الإخوان**) أي في الدين تكون بدوام البشر، أي وتحمل الأذى، والعفو عن المسيء، وبذل المال والجاه إذا دعت إلى ذلك حاجتهم، وحفظ مجالسهم، وعدم الخوض في أعراضهم، وغير ذلك من باقي حقوقهم. (**قوله: بأن لم يكن الخ**) تصوير للنفي كما هو ظاهر. (**قوله: كان دوام البشر له إثماً**) أي لأن فيه رضا

والسؤال عن أحوالهم، وإدخال المسرة عليهم **(ما لم يكن)** ذلك **(إثماً)** بأن لم يكن منهم من اتصف بمعاص توجب هجره ومقاطعته، فإن كان منهم من اتصف بها كان دوام البشر له إثماً، وإن كان مسلماً مستحقاً لاسم الأخوة العامة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] **(والصحبة مع الجهال)** يعني عصاة المؤمنين ممن لا يرجع بموعظة تكون **(بالدعاء لهم)** والإنكار عليهم فيما يجب الإنكار فيه **(والرحمة عليهم)** لما ابتلوا به وصرفوا إليه من مخالفة الله تعالى. **(سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني رحمه الله يقول: سمعت أبا عمرو بن نجيد يقول: سمعت أبا عثمان يقول: من أمّر السنة)** أي: الشريعة **(على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة)** وجرى على لسانه ما في قلبه لأن أعماله حينئذ كلها محكمة **(ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة)** وجرى على لسانه ما في قلبه لأن أعماله كلها حينئذ محلولة غير منضبطة، فينطق تارة بالكفر وتارة بالبدعة، وتارة بغيرهما من المعاصي لاتباعه الهوى بخلاف الأول لاتباعه الرسول فهو المهتدي **(قال الله تعالى:** ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾**)** [النور: ٥٤]. ومن كلام أبي عثمان: موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم، وقال: حق لمن أعزه الله بالمعرفة أن لا يذل نفسه بالمعصية وقال: أصل التعلق بالخيرات قصور الأمل.

بصفته، وإعانة له عليها. **(قوله: وإن كان مسلماً الخ)** الواو للحال أي لأن عصيانه لا يخرجه عن أخوّة الإسلام على طريق أهل السنة.

(قوله: يعني عصاة المؤمنين الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالجهال الجهلة في معاملة ربهم، وإن كانوا علماء بأمر دينهم، إذ العلم إنما ينافي الجهل فقط. **(قوله: والرحمة عليهم)** عطفه على ما قبله من عطف الأعم على الأخص. **(قوله: من أمّر السنة الخ)** أي لازم متابعتها قولاً وفعلاً، فلم يخرج فيهما عنها وقوله: نطق بالحكمة أي لإفاضة المعاني الحقة على قلبه بواسطة إشراق النور الذي سببه دوام المعاملة على وفق المتابعة، فتجري ألفاظ الحكمة على لسانه لأن ترجمان القلب يظهر من آثار أسراره. **(قوله: ومن أمّر الهوى الخ)** أي تابعه في حركاته، وسكناته نطق بالبدعة، أي بما لم يشهد له شاهد من كتاب ولا سنة بضرورة أن كسوة الظاهر من حلية الباطن ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠]. **(قوله: موافقة الإخوان الخ)** أي المعهودين بالكمال، فأل فيهم للعهد لأن تأثيرها في قلوبهم أشد من تأثير الشفقة عليهم.

(قوله: حق لمن أعزه الخ) أي أمر ثابت لمن أعزه الله بالمعرفة، أي جعله عزيزاً بمعرفة الأحكام الفرعية والأصلية، أن لا يذل نفسه بالمعصية. **(قوله: وقال أصل التعلق بالخيرات الخ)** أي لأن من قصر أمله حسن عمله، ومن ذكر الموت خاف الفوت، ومن

(ومنهم أبو الحسن أحمد بن محمد النوري) بضم النون نسبة إلى نور بليدة بين

رجا حصول الخيرات دام على الطاعات. (قوله: ومنهم أبو الحسن أحمد بن محمد النوري) هو بغدادي المولد والمنشأ بغوي الأصل كان عليّ الهمم عظيم الكرم، وقد قيل: التصوف كف فارغ وقلب طيب، وهو من أقران الجنيد صحب السري وابن أبي الحواري، كان كبير الشأن عجيب المنطق والبيان، ذا رياسة في التصوف وسيادة في علوم الحقائق، وكان الجنيد يعظمه جداً، وقال الخطيب البغدادي: هو أعلم العراقيين بلطائف القوم، واعتل النوري فبعث إليه الجنيد بصرة دراهم فردها، ثم اعتل الجنيد، فعاده النوري وقعد عنده ووضع يده على جبهته فعوفي فوراً، وقال له: إذا عدت إخوانك فارفقهم بمثل هذا البرء، ولما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة، وأمر بضرب أعناقهم، فأحضروا وأحضر السياف فبادر إليه النوري، فقال له: السياف في ذلك فقال: لأوثر أصحابي بحياة لحظة فتحير السياف، ورمى السيف، وأخبر الخليفة فرد أمرهم لقاضي قضاة بغداد، فسألهم عن مسائل، فالتفت النوري يميناً وشمالاً، ثم أطرق، ثم أجاب فأعجبه، ثم قال: إن لله عباداً يقومون بالله، ويروحون بالله، وينطقون بالله، ويحيون بالله ويموتون بالله، ويرجعون في كل أمورهم إلى الله، ويتوكلون عليه، ويتقون بجميل نظره لهم فبكى القاضي، وقال للخليفة: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم، فأطلقهم وسأله القاضي عن التفاته يميناً وشمالاً، فقال: سألت صاحب اليمين، فقال: لا أعلم، وصاحب الشمال فقال لا أعلم فسألت قلبي، فأخبرني عن ربي فأجبت، وكان شديداً في تغيير المنكر، ولو كان فيه تلفه، نزل الدجلة يتوضأ، فرأى زورقاً فيه ثلاثون دناً خمراً، فسأل عنها فقيل له للخليفة المعتضد فأخذ مدراة فكسرها إلا واحداً، فقبض عليه، وأحضر إلى المعتضد، وكان قليل الرحمة، فلما رآه قال من أنت قال: محتسب قال: من ولاك الحسبة قال: الذي ولاك الإمامة فأطرق، ثم قال: ما حملك على ذلك، وكيف تركت دنا واحداً قال: أعجبتني نفسي عند وصولي إليه، فخلى سبيله. واعتل بعلة هو، والجنيد فأخبر الجنيد بحاله، ولم يخبر هو بحاله فقيل له في ذلك فقال ما كنا نبتلى، فنوقع عليها اسم الشكوى، ثم قال شعراً:

إن كنت للسقم أهلاً ... فأنت للشكر أهلا
عذب فلم يبق قلب ... يقول للسقم مهلا

فأعيد ذلك على الجنيد فقال: ما كنا شاكين، ولكن أردنا أن نكشف عن القدرة فينا ثم أنشأ يقول شعراً:

وأنت يا أنس قلبي ... أجل من أن تحل
أفنيتني عن جميعي ... فكيف يرعى المحل

فبلغ ذلك الشبلي نفعنا الله ببركات أنفاسه، وأسرار معانيه، فأنشأ يقول شعراً:

بخاري وسمرقند ويقال: إلى نور كان بباطنه وظاهره وقيل: إلى نور كان يخرج من

تبت دهراً فمذعر فـتك ضيعت توبتي
قربكم مثل بعدكم فمتى وقت راحتي

وسئل النووي عن الحبيب والخليل، فقال: ليس من طولب بالتسليم، كمن بادر بالتسليم، ثم أنشد:

وكم رمت أمراً خرت لي في انصرافه وما زلت بي مني أبر وأرحما
عزمت على أن لا أحس بخاطر من القلب إلا كنت أنت المقدّما
وأن لا تراني عندما قد كرهته لأنك في قلبي الكبير المعظما

ومن فوائده: التصوف ترك كل حظ للنفس، وقال: لا يصح لعبد مقام المشاهدة، وفيه نظر لغير الله، ومتى طلع الصباح استغنى عن المصباح. وساح يوماً فجاع في البادية أياماً فهتف به أيما أحب إليك سبب أو كفاية قال: كفاية ليس فوقها نهاية، فقعد بعده بضعة عشر يوماً لا يأكل، وقال: الجمع بالحق تفرقه عن غيره والتفرقة عن غيره جمع به، وقال: من وصل إلى وده أنس بحبه، ومن توصل بالوداد، فقد اصطفاه الله من بين العباد. ودخل عليه الشبلي فرآه ساكناً لا يتحرك فقال له: من أين أخذت هذه المراقبة والسكون، فقال: من سنور لي إذا أراد الصيد لا تتحرك منه شعرة، وقال: نعت الفقير السكون عند العدم والبذل والإيثار عند الوجدان، وسمع رجلاً يؤذن فقال طعنة وسم الموت، وسمع كلباً ينبح، فقال: لبيك وسعديك، فأنكر عليه، فقال المؤذن ذكره على رأس الغفلة، والكلب يسبحه حقيقة، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وله غير ذلك من الفوائد، والله أعلم.

(قوله: ويقال إلى نور كان بباطنه وظاهره) إن قلت يمكن الاطلاع على الظاهر، فمن أين الحكم على الباطن قلت الظاهر عنوان الباطن. **(قوله: من محرم الخ)** إن قلت ترك المحرم والمكروه ظاهر، فما بال المباح قلت لتمحض الحركات عبادة فافهم.

(قوله: لما بين النفس الخ) أي لأن النفس طبعت على الميل للشهوات، والقلب شأنه يدعو إلى نيل الكمالات. **(قوله: أعز الأشياء الخ)** أنت خبير بأن السبب في ذلك اختلاف الخلق جوهرية وغيرها، واختلاف الجوهرية قوة وضعفاً فكما عز الجوهر في الجمادات ندر مثله في البشريات، وكما غلا الأشرف في الجواهر عز مثله في الظواهر، ومحصل الغرض له نفعنا الله ببركات أنفاسه أن العلم صار مجرداً عن الثمرات والمعارف نقلاً للعبارات، ومنشأ ذلك كثرة أسباب الجهالات، والوصول إلى الشهوات الدنيا بالتشكل بصفات ذوي النفوس المقدسات، وحيث ثبت مثل ذلك في زمانه واتصف به في أوانه، فكيف أنت بالزمن الأخير، فقد تبجح بالبدع فيه الصغير والكبير، فلا حول ولا

فيه إذا تكلم في الليلة الظلماء (**بغدادي المولد والمنشأ بغوي الأصل صحب السري السقطي، وابن أبي الحواري وكان من أقران الجنيد رحمه الله مات سنة خمس وتسعين ومائتين وكان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان**) مع الله تعالى والخلق. (**قال النوري رحمه الله: التصوف ترك كل حظ للنفس**) من محرم ومكروه ومباح من تنعم بالذكر والمناجاة ونحوهما لما بين النفس والقلب من التنافي فمن لم تمت نفسه لم يحي قلبه. (**وقال النوري: أعز الأشياء في زماننا شيآن عالم يعمل بعلمه وعارف**) بالله (**ينطق عن حقيقة**) هذا في زمانه فكيف في زماننا أما من لم يعمل بعلمه، ومن ينطق عما سمعه وفهمه من الكتب وأفواه الناس فكثير. سمعت أبا عبد الله الصوفي رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن محمد البرذعي يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت النوري يقول: من رأيته يدّعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه فإنه مبتدع لأن من لم تشهد الشريعة لأفعاله وأقواله بالصحة فهو مبتدع، وإن جرت عليه أحوال خارقة للعادة لأن ذلك من جملة المكر به. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت**) أحمد بن محمد (**الفرغاني**) خادم أبي عثمان الحيري (**يقول: سمعت الجنيد يقول: منذ مات النوري لم يخبر عن حقيقة الصدق**) يعني عما وجده وناله من صدقه (**أحد**) فيما رأيته (**وقال أبو أحمد المغازلي ما رأيت أعبد من النوري قيل ولا الجنيد قال ولا الجنيد**) كما أقر به الجنيد آنفاً. (**وقال النوري كانت المراقع غطاء على الدر**) بضم الدال وهو اللؤلؤ لأنها إنما كانت من آثار التقلل وقلة الرغبة في الدنيا فإذا كان على واحد ثوب وتخرق منه موضع أخذ رقعة حيثما تيسرت له، وطهرها بالماء وأصلح بها موضع الخرق وكانت القلوب صافية غير ملتفتة للدنيا ولا لمدح الخلق ولا لذمهم

قوّة إلا بالله. (**قوله: من رأيته يدعي الخ**) أي فلا تثق، ولا تصدق إلا من كانت على المتابعات أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته لا يخرج عن ذلك في شيء من الأشياء.
(**قوله: فهو مبتدع**) أي لأن الهدي هديه ﷺ، فكل ما خرج عنه فهو ضلال وإضلال، فالخير كله في الاتباع، والسر كله في الابتداع.

(**قوله: منذ مات النوري الخ**) المراد وصفه بقوّة الصدق الناشىء عنها قوّة المجاهدة اللازم له وقوع الكرامة بإفادة ثمرات ما ناله من رفيع المقامات، وهو لا ينافي وجود من تخلق بالصدق وتحقق بالحق، لكن من قوّة الحجاب لم يشر إلى ما في الباب فافهم.
(**قوله: ما رأيت أعبد من النوري**) أقول لعله بسبب غلبة الحجاب أخبر بالظاهر، والله ولي السرائر فافهم. (**قوله: كانت المراقع الخ**) أي فلقوة صفاء جوهرية الأرواح كانت المراقع ستر الدر الأشباح، ثم صارت بحسب الظاهر، وخبث مقاصد الضمائر مزابل للقاذورات،

(فصارت) المراقع **(اليوم مزابل على جيف)** بل أنتن وأخس لأنها صارت تؤخذ من ثياب رفيعة للزينة ففيه إفساد للمالية وتشبه بالصالحين، وطلب الرفعة عند الناس بذلك والقلوب فارغة من الزهد والإعراض عن الدنيا. **(وقيل كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه)** ليوهم أهله إنه يتعذى به **(ثم يتصدق به في الطريق ويدخل مسجداً)** هناك **(يصلي فيه إلى قريب من الظهر ثم)** بعد صلاته الظهر فيه **(يخرج منه ويفتح باب حانوته)** ويقنع بما يسره الله له في هذا الوقت اليسير **(ويصوم)** بقية يومه **(فكان أهله يتوهمون أنه يأكل)** في حانوته **(في السوق)** وأنه لا يصلي زيادة على الفرض والراتبة **(وأهل السوق يتوهمون أنه يأكل في بيته وبقي على هذا النهج في ابتدائه عشرين سنة)** في ذلك من المجاهدة وستر الأحوال ما لا يخفى حيث لم يحب أن يكون في حانوته جميع النهار، ولا أن يطلع أهله على صلاته المذكورة، ولا أن يشتهر بتلك الأسباب لينسب إلى التوكل حيث ستر ذلك بالدكان.

(ومنهم أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء) بفتح الجيم، وتشديد اللام بعدها ألف سمي به لأن بكلامه على قومه تنجلي القلوب **(بغدادي الأصل)** مات لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلثمائة **(أقام بالرملة ودمشق من أكابر مشايخ الشام صحب أبا تراب النخشبي وذا النون المصري وأبا عبيد البسري وأباه يحيى الجلاء)** وانتفع بهم **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد العزيز الطبري يقول: سمعت أبا عمر الدمشقي يقول سمعت ابن الجلاء يقول: قلت لأبي**

حيث ما سترته من رجس النجاسات. **(قوله: فصارت اليوم الخ)** أي فينبغي البعد عن مثل هؤلاء بعد المكلف عن النجاسات الحسية، بل أشد، وذلك للتمكن من تطهير المصاب بالنجاسات، ولا كذلك فيما تنجس ن الاعتقادات بسبب خراب الطويات. **(قوله: وقيل كان يخرج الخ)** أي طالباً لستر حاله عن الخلق امتثالاً، وغيرة على الحق رجاء أن لا يشار إليه ليندرج في المحبين المحبوبين لديه. **(قوله: ليوهم أهله الخ)** أي مع كونه صائماً. **(قوله: ويفتح باب حانوته)** أي الذي هو معد للبيع والشراء. **(قوله: ويقنع الخ)** أي مع أنه قد يبارك في القليل، ولا سيما مع التقوى، وحسن المقاصد. **(قوله: ويصوم الخ)** أي يدوم على صومه.

(قوله: على هذا النهج) أي الطريق وهو إخفاء حاله في عبادة ربه. **(قوله: حيث لم يحب أن يكون الخ)** أي فيشبه المتهافتين على تحصيل الدنيا، وقوله: ولا أن يطلع الخ أي بعداً عن أسباب المنع بالتعرض للرياء والعجب والشهرة، وغير ذلك من أسباب العطب، وقوله: ولا أن يشتهر الخ أي بانقطاعه عن الأسباب الظاهرة، والظهور بأعمال الآخرة، فيقال: هو من المتوكلين لتركه سنة المحترفين. **(قوله: قلت لأبي وأمي الخ)**

وأمي أحب أن تهباني لله عز وجل فقالا) لي **(قد وهبناك لله عز وجل فغبت عنهما مدة، فلما رجعت كانت ليلة مطيرة فدققت الباب)** عليهما **(فقال لي أبي من ذا قلت: ولدك أحمد قال: كان لنا ولد فوهبناه لله تعالى، ونحن من العرب لا نسترجع ما وهبناه ولم يفتح)** لي **(الباب)** فيه دليل على كمال وفاء أبيه لله تعالى بما عزم عليه، ولا ينافي تركه ولده لله أن يفتح له الباب، فيراه ويكلمه لكنه خشي على نفسه من تعلق قلبه بما تركه لربه، فيرجع فيه، وإذا كان هذا في الولد، فكيف بغيره من حظوظ النفس. **(وقال ابن الجلاء: من استوى عنده المدح والذم، فهو زاهد)** لأن الزهد يكون أوّلاً في المال، ثم في الطعام، ثم في اللباس، ثم في الاستئناس

انظر أسباب التوفيق بإحسان الرب الرفيق، حيث أوجد في قلب الولد داعية العبادة، وفي قلب الوالدين محبة الإجابة وزيادة، وهكذا فضل رب الأنعام على من أحب قربه من الأنام رضي الله تعالى عنهم، وأرضاهم عنا. **(قوله: أحب أن تهباني لله الخ)** أقول هذا من باب مبدأ الفتوح، إذ هو كل ما يفتح الله به على العبد مما كان مغلقاً عليه من النعم الظاهرة والباطنة كالأرزاق والعبادات والعلوم والمعارف، واعلم أن من الفتح الفتح القريب، وهو ما انفتح على العبد من مقام القلب بظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣] ومن الفتح أيضاً الفتح المبين، وهو ما انفتح عليه من مقام الولاية، وتجليات الأنوار الأسمائية المغنية لصفات القلب وكمالاته، المشار إليه بقوله عز سلطانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] ومن الفتح أيضاً الفتح المطلق، وهو أعلاها، وهو ما انفتح من تجليات الذات الأحدية بعد فناء الرسوم الخلقية، وهو المشار إليه بقوله جل جلاله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فافهم.

(قوله: فقالا لي الخ) أي فأذنا له محبة في الثمرات الآجلة، وبغضاً للأعراض العاجلة. **(قوله: فيه دليل الخ)** أي وفيه دليل أيضاً على مراعاة الولد حق الوالد حيث لم يشغله ما هو فيه من الأنفس عن النفيس امتثالاً للأمر ببرّ الوالد رضي الله عن الجميع. **(قوله: ولا ينافي الخ)** جواب عما قد يرد. **(قوله: من استوى عنده الخ)** أي فوصف العبد بالزهد، إنما يكون بعد فناء النفس عن شهود غيره تعالى ذاتا وصفة خيراً وشراً، وذلك سهل لمن أشرف على مقام الصمدية، واطلع فيه على أن كل ما سواه تعالى عدم محض، وأن ما يظهر من حركاتهم ويسند إليهم، فهو ناشيء عن حكمة باهرة رزقنا الله السلامة والتسليم. **(قوله: لأن الزهد الخ)** أقول: لما كان الغرض من المال قضاء شهوة الجسم، وأقواها شهوة البطن، ثم الفرج، وآخرها شهوة اللباس رتبها الشارح، كذلك نفعنا الله بعلومه، ثم لما رأى المصنف أن أكبر حظوظ النفس حب التقدم والعلو، والغلبة على

بالناس، ولا يزهد في الحمد، ولا يبالي بالذم إلا من كمل زهده في الرياسة، وهي أعلى رتب الدنيا، ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس الصدّيقين حب الرياسة **(ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد)** لأنه بدأ بالأهم من العبادات، ويشهد له خبر: «ما تقرب المتقربون إليّ بمثل أداء ما افترضت عليهم»، فمن لم يحافظ على فرائضه، فهو لغيرها من النوافل أقل محافظة فليس بعابد، **(ومن رأى الأفعال كلها من الله تعالى)** ورأى نفسه محلاً لجريان ما قدر له، ورأى فضل ربه عليه في جميع أحواله **(فهو موحد لا يرى إلا واحداً، ولما مات ابن الجلاء نظروا إليه وهو يضحك فقال الطبيب: إنه حيّ ثم نظر إلى مجسته)** وهي الموضع الذي يجسه الطبيب **(فقال إنه ميت ثم كشف عن وجهه)** فوجده بحاله فتحير في أمره **(فقال: لا أدري أهو ميت أم حي)** وضحكه في الحقيقة بشرى له ودلالة على سعادته حيث رأى عند خروج روحه ملائكة ربه فبشرته بما أعده الله له ففرح بذلك وتبسم، ويبس جلده فاستمر بحاله **(وكان في داخل جلده)** أيام حياته **(عرق على شكل)** كتابة **(لله)** فيه دلالة على

الغير إذ أنه لا يتم الزهد إلا بالتجرد عن خبث هذه الحظوظ، وذلك أمارته استواء المدح والذم المفيد للصدق في التجرد المذكور، والله أعلم. **(قوله: ومن حافظ الخ)** أقول: لما كان لا يحقق هذا الوصف الشريف إلا أداء الفرائض في أول وقتها المنيف، حيث هو الذي به يدرك رضوان الله، وغيره مما يرجى به عفو الله قال: من حافظ الخ. **(قوله: إليّ الخ)** أي إلى فضلي ورحمتي وإحساني. **(قوله: من الله)** أي إيجاداً وخلقاً لحكمة علية، وقوله: ورأى نفسه محلاً الخ أي باعتبار تبريه من الحول والقوّة وقوله: ورأى فضل ربه الخ، أي كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] إلى غير ذلك من الآيات الشريفة، ولقول صاحب الحكم العطائية: من فضل الله عليك أن خلق، ونسب إليك فافهم. **(قوله: فهو موحد)** أي حقيق بهذا الوصف الشريف، وقوله: لا يرى إلا واحداً أي في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله.

(قوله: وهو يضحك) أقول لعل المراد به التبسم، إذ الضحك يلزمه صوت، ثم هو إمارة على ما بشر به من الخيرات، كما أفاده الشارح. **(قوله: وكان في داخل جلده)** لم يبين محله، وقوله: على شكل لله أي على هيئة، ورسم هذا الاسم الشريف. **(قوله: فيه دلالة على أنه عبد لله)** أي الذي أشهده مولاه المشاهد كلها على حسب ما يوافق وجه الحكمة الإلهية، ثم هذه المشاهد على أنواع، فمنها شهود المجمل، وهو رؤية الحق بالحق، وشهود المفصل في المجمل، وهو رؤية الكثرة في الذات الأحدية، وشهود المجمل في المفصل، وهو رؤية الأحدية في الكثرة، وشواهد الحق، وهي حقائق

أنه عبد لله خالص في عبوديته. (**وقال ابن الجلاء رحمه الله: كنت أمشي مع أستاذي فرأيت حدثا**) أي: شاباً أمرد (جميلاً) فجأة فلما استحسنته كررت نظري فيه متعجباً من كمال صورته وحسن هيئته (**فقلت لأستاذي يا أستاذ ترى**) بضم التاء أي: أتظن (**يعذب الله هذه الصورة**) مع كمال حسنها (**فقال**) له (**أونظرت إليه**) أي: هذا النظر المذموم (**سترى غبه**) أي: عاقبته (**قال: فنسيت القرآن بعده بعشرين سنة**) ونسيانه مذموم كما جاءت به الأخبار الصحيحة، في ذلك تحذير من النظر بالشهوة إلى المستحسنات فإنه يؤثر في القلوب آثاراً عظيمة ولو بعد حين، وسئل ابن الجلاء عن الفقر فسكت، ثم ذهب ورجع عن قرب، ثم قال: كان عندي أربعة دوانق فاستحييت من الله أن أتكلم في الفقر، فذهبت فأخرجتها ثم قعد وتكلم فيه، وقال لولا شرف التواضع كان الفقير إذا مشى يتبختر.

(**ومنهم أبو محمد رويم**) بضم الراء وفتح الواو وإسكان الياء (**ابن أحمد بغدادي**

الأكوان، وشواهد التوحيد، وهي تعينات الأشياء، فإن كل شيء له أحدية بتعين خاص يتميز بها عن كل ما عداه كما قيل:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وشواهد الأسماء، وهي اختلاف الأكوان بالأحوال والأوصاف والأفعال، كالمرزوق على الرازق، والحي على المحيي، والميت على المميت، وأمثالها فتأمل وافهم، والله بالحال أعلم. (**قوله: كنت أمشي الخ**) محصل ذلك الإشارة إلى أن أثر المخالفات يظهر في نقص الطاعات، ولو بعد زمن طويل على أن هذا النظر الواقع من مثل هذا الشيخ يبعد أن يصاحبه شهوة بهيمية، ونهايته أن ما ترتب عليه من العقاب كان أدباً له من فعل الصورة. (**قوله: أو نظرت إليه**) استفهام توبيخي. (**قوله: ونسيانه**) أي كلا أو بعضاً مذموم، أي محرم إن كان النسيان في زمن التكليف. (**قوله: وسئل ابن الجلاء الخ**) فيه تنبيه على إنه لا ينبغي الحث على الخير، ولا النهي عن الشر مع عدم التخلق بوصف الكمال، فيكون من قبيل ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦] قال بعضهم شعراً:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

(**قوله: لولا شرف التواضع**) أي ثابت بالأدلة الشرعية، ومأمور به فيها الحسن من الفقير العجب والتيه باعتبار ما يترتب على وصفه من الخيرات.

(**قوله: ومنهم أبو محمد رويم بن أحمد**) وقيل ابن محمد الفطن المكين له البيان والتبيين، كان عالماً بالقرآن ومعانيه، عارفاً بالتصوف ومبانيه، ومن كلامه: السكون إلى الأحوال اغترار، وقال: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين، وقال: الفقر له حرمة

من أجلة المشايخ مات سنة ثلاث وثلثمائة وكان مقرئاً فقيهاً على مذهب داود) الظاهري. (قال رويم: من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام، ويضيق على نفسه فيها فإن التوسعة عليهم اتباع العلم) أي: من حكم اتباعه لخبر: «يسروا ولا تعسروا» وبشروا ولا تنفروا وليتدرّب الإنسان في الخيرات، وينتقل من الواجبات إلى المندوبات، ويترك المحرمات ثم المكروهات ثم الشبهات، ثم أبواباً من الحلال مخافة الوقوع في شيء من الشبهات (والتضييق على نفسه من حكم الورع) الذي ينال به أرفع الدرجات. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: سألت رويما فقلت: أوصني فقال ما) ينال (هذا الأمر) أي: علم الصوفية (إلا ببذل الروح) أي: إفراغ

وحرمته ستره وإخفاؤه والغيرة عليه والضن يكشفه، وقال لي: عشرون سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام، حتى يحضر، وقال: التوكل إسقاط رؤية الوسايط، والتعلق بأعلى العلائق، وقال: الإخلاص في العمل لا يريد عوضاً في الدارين، وسئل عن نعت الفقرة، قال: إرسال النفس في أحكام الله تعالى، وقال: التصوف مبني على خصال ثلاث التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار، وقال: من أحب العوض تعوض إليه محبوبه، وقال: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك، والفتوة أن تعذر إخوانك في زللهم، ولا تعاملهم بما يحوج إلى الاعتذار إليهم، وقال: الصبر ترك الشكوى، والرضا التلذذ بالبلوى، واليقين المشاهدة بالبصيرة، وقال: الرضا استقبال الأحكام بالفرح، وقال: الشكر استفراغ الطاقة، وسئل عن وجد الصوفية عند السماع، فقال: يشهدون المعاني التي تعزب عن غيرهم، فتشير إليهم إليّ فيتمتعون بذلك من الفرح، ثم يقع الحجاب، فيعود ذلك بكاء فمنهم من يخرق ثوبه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يبكي كل إنسان على قدره، مات ببغداد سنة ثلاث وثلاثمائة.

(قوله: من حكم الحكيم الخ) محصله أنه ينبغي للمرشد في طريق إرشاده الأخذ بالأسهل في شأن المريد، والأشق في شأن نفسه، وذلك ليسهل العمل على المريد بسبب التدريج فلا يمل ولا يسأم، وبذلك يكون المرشد متبعاً طريق العلم في نفسه، وفي غيره. (قوله: ويضيق على نفسه) أي ليزداد نوره فتتأثر أتباعه بقوّة اليقين والاعتقاد، فيسهل لهم الطريق قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] فافهم. (قوله: وليتدرّب الخ) ما ذكره نفعنا الله به من تفاصيل التدريب كافٍ فيما على المرشد. (قوله: من حكم الورع) أي لأنه كف النفس، عما فيه شبهة.

(قوله: فقال: ما ينال الخ) محصله أنه لا يتحقق العبد باسم التصوف إلا بدوام المجاهدات وترك المألوفات من العادات الذي هو شبيه ببذل الروح في الصعوبة على

الجهد في الطاعات والإعراض عن الشهوات **(فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا)** الذي وصفناه فذاك **(وإلا)** بأن دخلت فيه بالأقوال وحفظ حكايات الرجال والتشبه بهم مع خلوك عما وصفناه فأنت بعيد منه **(فلا تشتغل بترّهات الصوفية)** بتشديد الراء أي: بطرقهم الباطلة، وخرافاتهم وكثرة كلامهم الخالية عن الأعمال، **(وقال رويم: قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم)** لك **(من قعودك مع الصوفية)** مع مخالفتك لطرقهم **(فإن كل الخلق)** غيرهم **(قعدوا على الرسوم)** أي: اكتفوا بظاهر العمل بالأبدان **(وقعدت هذه الطائفة على الحقائق)** وهي غلبة الأحوال على القلب ومشاهدة الرب في كل عمل كما قال ﷺ «أن تعبد الله كأنك تراه» فأهل الحقائق هم الطالبون لهذا المقام **(وطلب الخلق كلهم)** غير هؤلاء **(أنفسهم بظواهر الشرع وطالب هؤلاء أنفسهم**

النفس. **(قوله: أي إفراغ الجهد الخ)** أي، ولو أدى إلى تلف الروح السائغ بشاهد علم النقل. **(قوله: فأنت بعيد منه)** أي وقريب من الضرر حيث خالف ظاهرك باطنك، وهو شأن المنافقين أعاذنا الله من ذلك. **(قوله: بترهات الصوفية)** أي أباطيلهم جمع ترّهة. **(قوله: قعودك الخ)** أي فإذا لم يثق الإنسان من نفسه بالحبس على ما عليه هذه الطائفة من الأخلاق الحميدة، مع البعد عن التصنع بنقل عباراتهم، فعليه بالبعد كل البعد عن مجالستهم، ومخالطتهم الظاهرية مع الكمون بالصفات الدنيا، حيث كان ذلك من التعرض لكل بلية.

(قوله: وقعدت هذه الطائفة الخ) أي لكونهم وصلوا إلى مقام الولاية التي لا تتم غالباً إلا بعد قيام العبد بالحق بعد فنائه عن الخلق، فحينئذ يتولاه الحق تعالى، حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين، فيرى قيومية الحق لجميع الأشياء، فيراه في كل شيء فلا حقيقة عنده إلا به تعالى كما يشير إليه قوله جل جلاله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٧] فافهم. **(قوله: على الحقائق)** اعلم أن الحقائق أنواع أحدها حقيقة الحقائق، وهي الأحدية الجامعة لجميع الحقائق، وتسمى حضرة الجمع والوجود، وثانيها الحقيقة المحمدية، وهي الذات مع التعين الأول فله الأسماء كلها، وهو الاسم الأعظم، وثالثها حقائق الأسماء وهي تعينات الذات، ونسبها لأنها صفات يتميز بها الأسماء بعضها عن بعض، والرابعة حقيقة حق اليقين الذي هو شهود الحق حقيقة في مقام عين الجمع الأحدية، والله أعلم. **(قوله: وطالب الخلق الخ)** أي فالخلق غيرهم اكتفوا وقنعوا في الخروج من عهدة التكليف بالظاهر من أحكام الشريعة، ولم يرجعوا إلى الباطن منها حق الرجوع، حتى يستوي حال الظاهر، والباطن منهم بخلافهم، رضي الله تعالى عنهم، فإنه قد طالبوا أنفسهم بما لا ينال إلا ببذل الأرواح كالجد، والخروج عن جميع المألوفات، فحينئذ من خالطهم وخالفهم يخاف عليه نزع نور الإيمان من قلبه، فربما تعطل عليه أيضاً

بحقيقة الورع ومداومة الصدق فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون) أي: يتصفون **(به نزع الله نور الإيمان من قلبه)** لأن من سلك طريق الزهد والورع وطلب الفضائل، ولم يكن متخلفاً بذلك ولا مجتهداً في تحصيله فأما مراه يظهر زي الصالحين لطلب دنيا فانية من مال أو جاه وإما كذاب مدع لدرجة لم ينلها، وكل منهما مذموم لخبر: «من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به» وخبر: «المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور»[1]. **(وقال رويم: اجتزت)** أي: مررت **(ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك، وأنا عطشان فاستسقيت من دار ففتحت)** لي **(صبية بابها ومعها كوز فلما رأتني)** بزي الصوفية **(قالت)** استعجاباً واستنكاراً **(صوفي يشرب بالنهار)** فأثر كلامها في قلبي، فكانت لي موعظة **(فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط)** فيه دلالة على أن الصبية كانت من بيت علم حتى عرفت أحوال الصوفية، وأنهم المجتهدون في الأعمال. **(وقال رويم: إذا رزقك الله المقال)** أي: العلم وتعليمه

ما كان كلف به نفسه من حكم الظاهر، فيكون حينئذ من الهالكين. **(قوله: وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع)** أي تخلقوا به في نفس الأمر، أو تكلفوا التخلق به بالأخذ في أسبابه، وقوله: ومداومة الصدق أي إخلاص القصد له تعالى في كامل حركاتهم وسكناتهم.

(قوله: من سمع الخ) أي من قصد الغير بعبادته لحب محمدة مثلاً سمع الله به، أي أظهر نفاقه عند الخلق، فيشتهر عندهم بالمرآة جزاء لفعله القبيح، ومثل ذلك يقال في قوله، ومن راءى الخ. **(قوله: وخبر المتشبع بما لم ينل)** أي من أطعم نفسه شيئاً لم يطعمه لعدم وصوله إليه، وقوله: «كلابس ثوبي زور» معناه هو من يخيط في داخل كم قيمصه كماً آخر ليوهم أنه لابس ثوبين، وليس كذلك، ومحصل ذلك أن من ادعى حالاً أو مقاماً وهو عري عنهما في نفس الأمر، كان كالمتشبع بم لم ينل بجامع الكذب، والبهتان في كل. **(قوله: اجتزت الخ)** الغرض الإشارة إلى أن الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها على أي لسان عمل بها. **(قوله: قالت استعجاباً الخ)** أي فهي تشير إلى مقام الحرية، واعلم أنها مراتب حرية العامة، وهي تكون عن رق الشهوات وحرية الخاصة، وهي تكون عن رق المرادات لفناء إرادتهم في إرادته تعالى، وحرية خاصة الخاصة، وهي تكون عن رق الرسوم والآثار لأعماقهم في تجلي نور الأنوار، والاسم الجامع لتلك الأنواع هو الإنخلاع والإنطلاق عن رق الأغيار. **(قوله: إذا رزقك الله المقال الخ)** يريد رضي الله تعالى عنه أن نعمة التعلم مع العمل من أعظم النعم،

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٥، ٤٥، ٣، ٤٠، ٢٧٠، ٤، ٣١٣) والبخاري (رقاق ٣٦) ومسلم (زهد ٤٧، ٤٨) والترمذي (زهد ٤٨) وابن ماجه (زهد ٢١) والدارمي (رقاق ٣٥).

غيرك **(والفعال)** أي: العمل بعلمك **(فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة)** لأنك انتفعت بالعلم وعلمته غيرك مدة، ثم انقطعت إلى الله تعالى في آخر عمرك **(وإذا أخذ منك الفعال وأبقى عليك المقال فإنها مصيبة)** فيما فاتك من الأجر بما أخذ منك **(وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة وعقوبة)** لانقطاع عملك وتعليمك غيرك، ومن كلامه: الفقر له حرمة وحرمته ستره والغيرة عليه، فمن كشفه وأظهر فليس هو من أهله ولا كرامة، وقال: الصبر ترك الشكوى والرضا استلذاذ البلوى، والتعلق بأعلى الوثائق والتوكل إسقاط رؤية الوسايط.

(ومنهم أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي ساكن) وفي نسخة سكن **(سمرقند بلخي الأصل اخرج منها)** أي من بلخ **(فدخل سمرقند ومات بها وصحب أحمد بن خضرويه وغيره وكان أبو عثمان الحيري يميل إليه جداً)** أي: كثيراً **(مات سنة تسع عشرة وثلثمائة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت**

وحرمانهما معاً من أكبر المصائب، وبقاء العمل مع ترك التعليم، فهي نعمة غير أنها دون نعمة جمع التعليم مع العمل، وبقاء التعليم مع عدم العمل، فهي نقمة عظيمة لانتفاء ثمرة العلم، إذ العلم حينئذ يكون حجة على العبد لا له.

(قوله: الفقر له حرمة) أي احترام وصون، فلا يتم وصفه ممن أظهر حاجته لمثله من الخلق بل لمن يتكلف الغنى والتخلق بالقناعة قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. **(قوله: الصبر ترك الشكوى الخ)** أي على سبيل الضجر والقلق، أما بثها لصديق أو طبيب لا على هذا الوجه، فهو غير مذموم بل لا بأس به بل قد يكون مطلوباً، وقوله: والرضا استلذاذ البلوى أي باعتبار مصدر ذلك، وما يترتب على البلوى من الأجور العظيمة، وقوله: والتعلق بأعلى الوثائق أي الرجوع إليه سبحانه وتعالى في كل شيء صدر به القضاء والقدر، وقوله: والتوكل إسقاط رؤية الوسايط أي عدم الاعتماد عليها لأن حقيقته تفويض الأمر إلى من له الأمر، فتدبر. **(قوله: ومنهم أبو عبد الله محمد بن الفضل)** هو عارف عرف تزهده، وتبين بورعه إطلاقه وتقيده كان جزيل الاجتهاد في الخير محموداً في السير مشكوراً في السير بين الورى له من الناس قبول، ومعه بالتوفيق وصول، وكان من أكابر القوم، وساداتهم ومن كلامه العجيب: أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها، ولا بدّ له منها فإن من ملك نفسه عز، ومن ملكته ذل، وقال: ما خطوت أربعين خطوة لغير الله سبحانه وتعالى، وما نظرت أربعين سنة في شيء أستحسنه حياء من الله أسند الحديث عن قتيبة بن سعيد وغيره، وصحب ابن خضرويه وغيره، ومات بسمرقند سنة تسع عشرة وثلاثمائة. **(قوله: يميل إليه جداً)** أي لكونه كان متخلقاً بأخلاق كمل الرجال.

أحمد بن محمد الفراء يقول: سمعت أبا بكر بن عثمان يقول: كتب أبو عثمان الحيري إلى محمد بن الفضل يسأله ما علامة الشقاوة) في الشخص (فقال ثلاثة أشياء) أحدها (يرزق العلم ويحرم العمل) به (و) ثانيها (يرزق العمل ويحرم الإخلاص) فيه (و) ثالثها (يرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم) بزيادة اللام فيعاملهم بأسوأ المعاملات فتفوته الخيرات وتحل به البليات، (وكان أبو عثمان الحيري يقول: محمد بن الفضل سمسار الرجال) أي: يعرف رتبهم في الدين كما يعرف سمسار السلع قدرها وقدر أثمانها، وذلك لكمال معرفته بمراتب الدين وأحوال العارفين. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت) عبد الله الرازي يقول: سمعت محمد ابن الفضل يقول: الراحة وفي نسخة طلب الراحة (في السجن من أماني النفوس) لأنها خلاف وضعه والسجن هنا الدنيا قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[1] لأن المؤمن فيها مسؤول عن حركاته وسكناته وما في قلبه مأمور بملازمة أوامره ومنهي

(قوله: ما علامة الشقاوة الخ) إن قلت لم قدم السؤال عن الشقاوة دون السعادة قلت: لأن اجتناب أسباب الشقاوة من قبيل التخلية بالخاء المعجمة، والتخلق، والأخذ بأسباب السعادة من قبيل التحلية بالحاء المهملة، والتخلية مقدمة على التحلية في الطبع، فقدت في الوضع، ولأنه باجتناب أسباب الشقاوة يتهيأ للأخذ بأسباب السعادة فتأمل. (قوله: يرزق العلم ويحرم العمل) أي: وذلك من أقوى أسباب الشقاوة لفقد ثمرة العمل ولذا قدمه، وقوله: وثانيها يرزق العمل، ويحرم الإخلاص فيه، أي وإنما كان هذا من أسباب الشقاوة لحرمان ثمرة العمل وروحه، حيث لا أجر حينئذ له في مقابلته، وقوله: وثالثها يرزق صحبة الصالحين الخ أي، وإنما كان من أسباب الشقاوة لأنه قد دخل كنزا، وحرم فوائده، بل اكتسب المضارّ به. (قوله: سمسار الرجال) أي فهو مثله في مطلق المعرفة، وذلك لأنه نفعنا الله ببركاته بقوّة نور بصيرته الناشئة عن غاية مجاهدته ثبت له أشراف على ترب مقامات الرجال العظيمة منها، والأعظم كما يعرف السمسار قدر قيمها. (قوله: الراحة الخ) الغرض التحذير عن الطمع في طلب الراحة في الدنيا لكونها جبلت على الكدر، والكد والتكليف، وقد أخبر سيد المرسلين بأنها «سجن المؤمن»، فكيف بعد هذا يطلب المحال، فما هذا إلا أماني للنفوس لا طائل تحتها، فالحاذق من يشتغل فيها بعبادة ربه، ويترك الدنيا خلف ظهره، والله أعلم.

(قوله: لأن المؤمن الخ) مراده أن يكشف عن معنى كونها سجناً للمؤمن، ولكنه لحظ في ذلك ناموس التكليف، فكان العبد به مسجون، ولك أن تعتبره بالنسبة لما أعده

---

(١) أخرجه مسلم «زهد ١» والترمذي (زهد ١٦) وابن ماجه (زهد ٣) وأحمد بن حنبل (٢، ١٩٧، ٣٢٣، ٣٨٩، ٤٨٥).

عن مخالفة ربه، فهو محبوس عن كثير من شهواته، وحينئذ فطلبه الراحة فيها مع ذلك بعيد في العادات إلا أن يمن عليه ربه ويمده بمعونته ويلذذ له طاعاته فتصير راحته باعتبار آخر لا من جهة نيل شهواته وبهذا الاعتبار كانت قرة عين النبي ﷺ في الصلاة. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت محمد بن الفضل يقول: ذهاب الإسلام**) يكون من إهمال العلم والعمل به كما أشار إليه بقوله (**من**) أقوام (**أربعة**) قوم (**لا يعملون بما يعلمون**) لأن من لم يعمل بعلمه أهملهما معاً إذ فائدة العلم العمل به (**و**) قوم (**يعملون بما لا يعلمون**) لأن من عمل بما لا يعلم عمله غير صحيح فقد أهمل العلم والعمل به (**و**) قوم (**لا يتعلمون ما لا يعلمون**) لأن من لم يتعلم ما لا يعلم أهمل العلم، ومن أهمل العلم أهمل العمل به (**و**) قوم (**يمنعون الناس من التعلم**) كأن يظلموهم ويزاحموهم في أرزاقهم التي لا بد لهم منها فيلجئوهم إلى اشتغالهم بتحصيل أرزاقهم فلا يتفرغون لطلب العلم، ومن هذه صفته فقد أهمل العلم والعمل به، (**وبهذا الإسناد قال**) محمد بن الفضل (**العجب ممن يقطع المفاوز**) البعيدة مع المشاق الشديدة من إتعاب الجسد، وطول السفر ومفارقة الأهل والولد، وإنفاق المال الكثير وغيرها (**ليصل إلى بيته تعالى**) وحرمه (**فيرى**) فيه وفي نسخة ويرى (**آثار النبوّة**) والولاية (**كيف لا يقطع نفسه وهواه**)

الله له في الدارالآخرة من النعيم الأبدي، والخير السرمدي، فإن الإنسان، ولو من الله عليه بالتلذذ بالطاعات فيها، وغمره بالنعم، فهو باعتبار ما أعده له في الدار الآخرة كأنه في سجن فتأمل. (**قوله: وبهذا الاعتبار الخ**) أي بسبب ما جعل له فيها من التلذذ على خلاف عادة غيره من البشر ﷺ كانت قرة عينه في الصلاة. (**قوله: ذهاب الإسلام الخ**) أي ضياع أعماله التكليفية من أربعة، وذلك باعتبار الظاهر، وإلا فالمدار على ما سبق في عمله تعالى من خذلان هؤلاء الأذلاء. (**قوله: قوم لا يعملون بما يعلمون الخ**) وهؤلاء أشدهم، إثماً وبعداً عن منازل الرحمة، حيث لا عذر لهم، فكان علمهم حجة عليهم والعياذ بالله تعالى. (**قوله: إذ فائدة العلم الخ**) أي فمن ضيع الثمرة المقصودة منه، فكأنه لم يعلم بل ربما يكون عدم العلم ارجى من هذا العلم على معنى أن صاحبه أقرب للعفو في الجملة. (**قوله: عمله غير صحيح**) أي فهو به مأزور لا مأجور لتلبسه بعبادة فاسدة.

(**قوله: ومن أهمل العلم أهمل العمل**) أي لعدم علم خطر الترك. (**قوله: يمنعون الخ**) أي يكونون من أسباب المنع فعليهم وزره ووزر مزاحمتهم في أرزاقهم. (**قوله: العجب الخ**) محصل ذلك أنه يرجع للحث على كل من المشقتين لأن المجاهدة الأولى ترجع إلى الثانية باعتبار أنها سبيل إليها. (**قوله: كيف لا يقطع نفسه وهواه الخ**) أي بالسفر عنهما معاً ليصل إلى قلبه أي إلى اللطيفة الإنسانية المودعة فيه، ثم يسافر بها أيضاً

وشهوته (**ليصل إلى قلبه فيرى**) فيه (**آثار ربه عز وجل**) من نيل ما عنده من الكرامات، وأعلى الدرجات مع أن هذا أخف عليه من ذاك وأسرع منه في التقرب إلى الله ونيل ما ذكر لكونه من الأعمال القلبية، (**وقال: إذا رأيت المريد يستزيد من الدنيا فذلك من علامات إدباره**) لأنها مشغلة عن الإقبال على الله تعالى. (**وسئل عن الزهد فقال:**) هو (**النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعززاً وتطرفاً وتشرفاً**) وزهداً والإعراض عنها إن كان لخوف ضررها فهو الورع أو لقلة الرغبة فيها ونزاهة النفس عنها لصغر قدرها، فهو زهد أكثر المريدين أو لخوف الاشتغال بغير الله، فهو زهد العارفين، وقال: ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب في غير شيء والكلام في غير نفع والعظة في غير موضعها وإفشاء السر والثقة بكل أحد ولا يعرف صديقه من عدوه.

إلى نهاية السفر الأول، وهو رفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة، وإلى نهاية السفر الثاني، وهو رفع حجاب الوحدة عن وجه الكثرة العلمية الباطنية، ثم إلى نهاية السفر الثالث، وهو زوال التقييد بالضدين الظاهر والباطن بالحصول في عين أحدية الجمع، وإلى نهاية السفر الرابع، وهو الرجوع عن الحق إلى الخلق في مقام الإستقامة. (**قوله: مع أن هذا أخف عليه الخ**) أقول لعله باعتبار الظاهر وإلا فهذا تنافيه الحظوظ كلها، وذلك قد يجامعها فتدبر.

(**قوله: وقال إذا رأيت الخ**) أي فطلب الشريف مع التدنس برجس الخسيس منع في الحقيقة من نيل النفيس. (**قوله: تعززاً وتظرفاً**) أي وذلك لكونها أي الدنيا دنيئة، وطالب الدنيء دنيء، فمن ترفع عن طلبها فقد تعزز، أي حقق لنفسه وصف العزة، وكذلك الدنيا غالبها قاذورات ونجاسات، فمن لابسها تقذر بقذرها، وتنجس بنجاستها، ومن ترفع عنها فقد أثبت ظرافة نفسه ولطفها. (**قوله: فهو الورع**) أي لأن حقيقته التحرز عن الشبهات. (**قوله: فهو زهد العارفين**) أي لأنهم هم الذين لا يشغلهم عن الله تعالى شاغل دنيوي، أو أخروي. (**قوله: فهو زهد أكثر المريدين**) أي، وظاهر كلام المصنف لا يحتمل غيره إلا بتكلف.

(**قوله: الغضب في غير شيء**) أي في غير وجه فيه مراعاة حق الله تعالى، وقوله: والكلام في غير نفع أي كأن كان فيما لا يعني، وقوله: والعظة في غيره موضعها، أي بأن كانت لغير مراعاة حق الله تعالى بأن كانت لغرض دنيء، أو مع عدم قابلية المقول له، وقوله: وإفشاء السر أي الذي بين العبد وربه، أو المراد الأعم من ذلك ليشمل إفشاء ما يكره الغير إفشاءه من أسرار الأخوان، وقوله: والثقة بكل أحد، أي بالركون عليه، والتسليم له مع الغفلة عن خبر أخبر نقله.

(**قوله: ولا يعرف صديقه الخ**) أي لغباوته وجمود قريحته. (**قوله: ومنهم أبو بكر**

(**ومنهم أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق**) بفتح الزاي وتشديد القاف نسبة إلى الزق وعمله وبيعه (**الكبير**) ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله الزقاق مات سنة تسعين ومائتين وأغفله المصنف، وأما أحمد المذكور فلم يحضرني وقت موته وقد (**كان من أقران الجنيد من أكابر مصر، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن أحمد يقول: سمعت الكتاني يقول: لما مات الزقاق انقطعت حجة الفقراء في دخولهم مصر**) فيه تنبيه على كماله وانتفاع المريدين برؤيته فضلاً عن صحبته، فكان أهل الأقطار إذا أتوا إلى مصر مع أنها كثيرة الأرزاق لا يتهمون بأن مجيئهم إليها لكثرة الأرزاق إذا زعموا أنهم إنما قصدوا الزقاق لأهليته لذلك فلما مات قال الكتاني: انقطعت حجة الفقراء في دخولهم مصر لعدم من يقصدونه، فيتهمون بأن مجيئهم للدنيا وشهوتها. (**وقال الزقاق: من لم يصحبه التقى**) أي: التقوى (**في فقره أكل الحرام المحض**) أي: الخالص عن الشبهة لأن من لا تقوى عنده لا حذر له فيما يأخذه. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول: سمعت الزقاق يقول: تهت في تيه بني إسرائيل مقدار خمسة عشر يوماً**) فقاسيت مشقه شديدة من العطش (**فلما وقعت على الطريق استقبلني إنسان جندي فسقاني شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة**) لأن الغالب على الأجناد قلة التحفظ في الأموال وأخذها من كل جهة فالقسوة تدل على أن الماء الذي شربه لم يكن صافياً عن الشبهة، وفي ذلك تنبيه على كمال مجاهدته ومراقبته لأحواله.

أحمد بن نصر الخ) قال المناوي: هو العالم العابد الزاهد الراكع الساجد، ذو الجنان واللسان والثبات، كان شيخاً جليلاً قوالاً بالحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر متصدياً للإفتاء والإفادة راغباً في تحصيل الحسنى، وتكميل الزيادة إلى آخر ما ذكره المناوي، فارجع إليه إن شئت. (**قوله: انقطعت حجة الفقراء الخ**) أي انقطع الدليل لهم في دخولهم مصر قائلين أن دخولنا بقصد الانتفاع به.

(**قوله: وانتفاع المريدين برؤيته**) أي بمجردها بدون صحبته، ولا بعد حيث قوي نور المرشد المربي، وربما شوهد ذلك في بعض الموفقين، والله أعلم. (**قوله: من لم يصحبه التقى الخ**) أي، فإذا لم يتحقق العبد بحقيقة الورع في الضرورات لا يبعد تلبسه بالمحظورات بسبب قوة دواعي الشهوات. (**قوله: تهت الخ**) في قوة الدليل على ما قدمه قبله. (**قوله: فعادت قسوتها**) أي فأثرت في القلب ظلمة بسبب كونها غير خالصة عن الشبهة، فنشأ عن هذه الظلمة قسوة القلب. (**قوله: ومنهم أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي**) هو العارف البصير، والعالم الخبير له اللسان الشافي والبيان الكافي، معدود في

(ومنهم أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي لقي أبا عبد الله النباجي وصحب أبا سعيد الخراز وغيره) وهو (شيخ القوم وإمام الطائفة في الأصول والطريقة) وله مصنفات في التصوف (مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت عمرو بن عثمان المكي يقول: كلما توهمه قلبك) أي: تخيله (أوسخ) أي: عرض وخطر (في مجاري فكرتك أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو أنس أو ضياء أو جمال أو شبح أو نور أو شخص أو خيال فالله تعالى بعيد من ذلك) لأن ذلك إنما يتعلق بمن له مثال أو شبيه أو نظير والله تعالى منزه عن ذلك كله لأن ذلك مخلوق له ويستحيل أن يحل في شيء، وأن يحل فيه شيء وإلا لكان محصوراً محدوداً في الأوّل ومحلاً للحوادث وجرماً في الثاني وهو منزه عن ذلك (ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

الألباء محمود في الأطباء، أحكم الأصول وأخلص في الوصول، وساح في البلاد وتاح في الوداد، وكان من أئمة القوم الأمجاد له القبول التام بين الخاص والعام.

ومن فوائده: المروءة التغافل عن زلل الإخوان، وقال: إن الله جعل الاختيار موصولاً بالاختيار، وقال: الصبر الثبات مع الله وملاقاة بلائه بالرحب والدعة، وقال: وأغماه من عهد لم يقم له بوفاء، ومن خلوة لا تصحب بحياء، ومن أيام تفنى، ويبقى ما كان فيها أبداً. قال الحافظ: أبو نعيم كانت حظوظه في فنون العلم غزيرة وتصانيفه بالروايات والمسانيد شهيرة، نفعنا الله ببركات علومه.

(قوله: هو شيخ القوم الخ) أي مربي العدد من الرجال، وقوله: وإمام الطائفة، أي المقدم عليهم في علم أصول العقائد المتعلقة به سبحانه وتعالى، وكيفية طريق الإرشاد لمن أراد الوصول إلى نيل المقاصد الخيرية. (قوله: كلما توهمه قلبك الخ) الغرض له إفادة أنه سبحانه وتعالى مخالف للحوادث، وما يعرض لها توهماً أو غيره ذاتاً وصفة وفعلا، وذلك لأنه لا يقوم بأفكارهم، وأذهانهم إلا ما تقوى عليه بشرياتهم، والحق سبحانه وتعالى متعال عن ذلك، ولا يخفى أن التوهم إدراك الطرف المرجوح لكن الغرض انتفاء جميع الخواطر راجحة، أو مرجوحة. (قوله: فالله تعالى بعيد من ذلك) أي لأن هذه الحضرة يقال لها مجلى الذات الأحدية، وعين الجمع، ومقام أو أدنى والطامة الكبرى، وحقيقة الحقائق، وغاية الغايات، والهوية المطلقة، وغيب الغيوب، وكل ذلك مما لا سبيل للعبد أن يصل إليه حتى يصفه، أو يعبر عنه بعبارة أو يشير إليه بإشارة، والله أعلم. (قوله: ألا تسمع الخ) دليل لما قدمه من أن جميع ما يخطر للبشر بالتوهم، أو التخيل أو التفكر في ذاته أو صفته أو فعله، فالله تعالى بعيد منه، ومنزه عنه.

﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٣] فإن ذلك يدل على أنه لا نظير له في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله (**وبهذا الإسناد قال**) عمرو (**العلم**) بالله وبصفاته وأحكامه (**قائد**) للنفس إلى فعل الخيرات وترك المنكرات (**والخوف**) من العذاب والنقص عن مراتب العارفين (**سائق**) للنفس إلى ذلك (**والنفس حرون**) بفتح الحاء (**بين ذلك جموح**) بفتح الجيم (**خدّاعة روّاغة**) بالغين المعجمة أي: ميالة من راغ إلى كذا أي: مال إليه سراً (**فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد**) من فعل الخيرات وترك المنكرات، والحرن الكسل والوقوف عن السير والجموح والجماح والجمح الهرب من جهة إلى أخرى وهذا شأن النفس إذا حملت الأثقال إما أن تقف عن السير، أو

(**قوله: ليس كمثله شيء الخ**) تقدم أن الكاف زائداً، أو المراد بأمثل الصفة أو المثل بمعنى الذات، فلا تغفل. (**قوله: العلم قائد**) أي سبب فيه لأنه يلزم من العلم بأنه تعالى هو المخترع للعالم، وأن له صفات الكمال وأنه منزه عن ضدها، وأنه هو المرسل للرسل أن ينقاد إليه بالرضا لما يظهر من أحكامه وأقضيته ما يلائم وغيره، ويلزم من ذلك أيضاً دوام العمل بما جاءت به الشريعة المطهرة. (**قوله: والخوف سائق**) أي الخوف مما جاء من الوعيد على لسان سيد البشر بسوق المكلف على الجد في فعل المأمورات، وترك المنهيات بالنسبة للعامة، ويسوق العارفين على ما به كمالهم، ودوام ترقيهم حذراً من انتقاص مراتبهم، كما أشار إلى ذلك الشارح نفعنا الله به، وقوله: بين ذلك أي بين العلم القائد، والخوف السائق.

(**قوله: والنفس حرون**) أي شأنها التوقف عن السير فيما فيه الخير، فانقيادها لا يكون إلا بتوفيق الباري تعالى. (**قوله: جموح**) أي شرود بسبب قوّة الشهوات، والاسترسال مع المألوفات. (**قوله: خداعة**) أي كثيرة الخداع بتزيين الخبيث لميلها إليه طبعاً. (**قوله: رواغة**) أي تدس الدسائس سراً فربما يخفى على غير الحاذق الموفق.

(**قوله: فاحذرها الخ**) أي احذر مضارها ودم على العمل بمقتضى العلم المصاحب للخوف حتى بذلك تأمن من خداعها ودسائسها، فتترقى إلى المقاصد، ومعالي أمور الدين، والله أعلم. (**قوله: وهذا شأن النفس الخ**) محصله أن النفس، إذا كلفت بأداء ما طلب منها لها أحوال تعتريها تارة بالوقوف عن العمل، أو الهروب بدسائس خفية من خداع وغيره، فإذا كان العبد حكيماً حاذقاً ساسها بالترغيب، والترهيب مع التدريب، حتى ترتاض، فيصل حينئذ إلى المقصود بسهولة، والله أعلم. (**قوله: وقال لا تقع على الوجد عبارة**) أي لأن الحالات القلبية التي تثبت للعارف في أثناء مجاهداته التي تنشأ من لوامع الأنوار، وبوارق العرفان بواسطة التجليات الإلهية والأسرار القيومية بطريق الفيض

تهرب أو تخادع صاحبها أو تروغ إليه، فإذا أراد سيرها شوقها وخوفها بما ذكرناه ورفق بها في السير حتى تتعود الخير فتسير إليه بسهولة بعون ربها، ولا يحتاج إلى كمال القائد والسائق (**وقال: لا تقع على الوجد عبارة**) يعبر بها عنه (**لأنه سر الله عند المؤمنين**) الذي خصهم الله به وهم يعسر عليهم التعبير عنه وإن كان محسوساً لهم موجوداً فيما بينهم، وهذا كما لو قيل لك ما الفرق بين رائحة الزبد ورائحة المسك وطولبت بعبارة تميز بينهما لعسرت عليك وأنت تدرك الفرق بينهما قطعاً من نفسك، ولو قيل لك ما الفرق بين حلاوة السكر وحلاوة العسل لكان كذلك، وإذا عسرت العبارات عن تمييز هذه المحسوسات، فعسرها عن موارد القلوب وما يفتح به الحق ويخلفه فيها من المحبة والشوق والفرح والأنس وغيرها من أحوال القلوب أولى، وإنما يشير من منّ الله تعالى عليه بها بالإشارات ويقربها بالأمثال من الأمور المعلومة، ومن كلام عمرو: ثلاثة أشياء من صفات الأولياء الرجوع إلى الله في كل شيء والفقر إلى الله في كل شيء والثقة بالله في كل شيء، وقال: المروءة التغافل عن زلل الأخوان.

(**ومنهم سمنون**) بضم السين على المشهور (**ابن حمزة وكنيته أبو الحسن ويقال**

بالإلهامات الجبروتية، والنفحات الرحموتية لا تقع عليها عبارة، حيث هي من ديوان التقديس، فلا يمسه إلا المطهرون، ولا يتعرفه إلا المتنافسون يتنزه عن العبارة، ويصان عن الإشارة غيرة على الأسرار، مما يمنحه الأبرار، فهذا شرح الحال، والله ولي الإفضال. (**قوله: الذين خصهم الله به الخ**) أقول إذا تأملت شرح المؤلف لهذا المقام تقف على ما فيه، ومني عليك السلام. (**قوله: ثلاثة أشياء الخ**) أقول الحصر باعتبار أن ما ذكره أمهات الإمارات على نيل الكرامات، وإلا فلهم وبهم خوارق للعادات، فكيف حصر العلامات، كيف، وهم أمة السيد الفاتح الخاتم من جمع له ما تفرق من الكرائم. (**قوله: الرجوع إلى الله في كل شيء**) أي من أمور الدنيا والآخرة، وذلك لتوحد مقصودهم، وتفرد معبودهم ومطلوبهم، وبذلك قد تحققوا بالفقر إليه وعوّلوا في كل شيء عليه. (**قوله: وقال المروءة التغافل الخ**) أي ولذا قيل:

ليس الغبيّ بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

(**قوله: ومنهم سمنون**) هو إمام بالورع متصف، وعارف بفضله أهل الفضائل تعترف ناسك في العرض زاهد صوفي نفعه على المريدين عائد، وهو كما ذكره الشارح بصري الأصل، وسكن بغداد قال ابن عربي لما أساء الأدب مع الله تعالى، وأراد أن يقاوم القدرة الإلهية لما وجد في نفسه من حكم الرضا، والصبر ابتلى بالأسر الذي هو احتباس البول، فكان يتلوى منه كالحية على الرمل، إذ مقاومة القهر الإلهي سوء أدب، وما ابتلى الله

أبو القاسم) أصله من البصرة، ثم سكن بغداد **(صحب السري)** السقطي **(وأبا أحمد القلانسي، ومحمد بن علي القصار وغيرهم)** وكان من المشهورين بالمحبة والهيمان فيها فلذلك **(قيل أنه أنشد:**

وليس في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني)

إن كان يرجو سواك قلبي ... لا نلت سؤلي ولا التمني

عبده إلا ليضرع إليه ويسأله العافية، والنفس مجبولة على طلب حظها من العافية، فحين سأل هذا كان في حكم العافية، فلما سلبها بهذا البلاء طلبتها النفس بما جبلت عليه ألا ترى إلى عام العلماء، وحكيم الحكماء كيف سأل العافية، وأمر بسؤالها، فمن الأدب مع الله وقوف العبد مع عجزه وضعفه وفقره وفاقته انتهى. وكان سمنون عظيم الشأن جداً حكي في فواتح الجمال أنه كان إذا تكلم في المحبة جعلت قناديل الشونيزية تجيء، وتذهب يميناً وشمالاً، وفي الروض أنه تكلم في المحبة، فقال: لا أعلم أحداً على وجه الأرض يستأهل الكلام فيها فوقع طائر بين يديه، فقال: إن كان هذا وجعل يكلمه فيها، والطير يضرب بمنقاره الأرض، حتى سال دمه واضطرب ومات، وقيل له: إنا نذكر الله ولا نجد في قلوبنا حلاوة، فقال: احمدوا الله على أن زين جارحة من جوارحكم بذكره.

ومن فوائده: المحب لا يعبر عن شيء إلا بما هو أرق منه، ولا شيء أرق من المحبة فبم يعبر به عنها، وقال: أوّل وصل العبد هجرانه لنفسه، وأوّل هجران العبد للحق مواصلته لنفسه، وقال: مضي الوقت فصار الوقت مقتاً وفتك خراب، وأنت في المحراب، ومن كانت عبادته عنا كانت ثمرته ضنا، وقال: ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة، وقال: إذا بسط الجليل بساط المجد دخلت ذنوب الأوّلين والآخرين في حاشية من حواشيه، وإذا أبدى عيناً من عيون الجود ألحق المسيء بالمحسن، وسئل عن المحبة فقال: صفاء الود مع دوام الذكر، وعن التصوف، فقال: أن لا تملك شيئاً، ولا يملكك شيء، وكان جالساً على شاطىء دجلة، وبيده قضيب يضرب به فخذه حتى بان عظم فخذه، وتبدد لحمه، وهو يقول:

كان لي قلب أعيش به ... ضاع مني في تقلبه

رب فاردده علـيّ فقد ... ضاق صدري في تطلبه

وأغث ما دام بي رمق ... يا غياث المستغيث به

نفعنا الله بأسرار المحبين له، والمحبوبين لديه إنه جواد كريم. **(قوله: وليس لي في سواك حظ الخ)** أقول إنما قدم سلب حظه من السوى اهتماماً بالبعد عن سائر الحظوظ، ولأن ذلك من التخلية، وهي مقدمة في القصد، والحظ النصيب، وقوله: فكيفما شئت الخ أقول لما وصل إلى مقام الأخيار قد حاكا بسبب الاختبار فعومل بما يكون طريقاً في

لأن أفعال المحبوب كلها عند المحب محبوبة **(فأخذه الأسر)** بضم الهمزة أي: احتباس البول **(من ساعته)** تقول منه أسر الرجل يؤسر أسراً وفي صدر البيت الأول دلالة على محض العبودية، وفي عجزه شيء من الدعوى بأنه يصبر على البلوى، فلما اختبر بها شق عليه **(فكان يدور على المكاتب)** لكون الصبيان الذين فيها لم يذنبوا وهم مشتغلون بتعلم كتاب الله تعالى **(ويقول)** لهم رجاء إجابة دعائهم **(ادعوا لعمكم الكذاب)** في دعواه **(وقيل بل أنشد هذه الأبيات)** التي ذكر المصنف منها بيتاً **(فقال بعض أصحابه لبعض سمعت البارحة)** في المنام **(وكنت في الرستاق)** بضم الراء معرب من الرزداق أي: القربى يعني بالقرب من مكان الأستاذ **(صوت أستاذنا سمنون يدعو الله ويتضرع إليه وسأله الشفاء)** من علته **(فقال آخر)** من أصحابه **(وأنا أيضاً كنت سمعت هذا)** الكلام **(البارحة وكنت بالموضع الفلاني)** يعني الرستاق **(فقال ثالث ورابع مثل هذا)** الكلام **(فأخبر سمنون)** بذلك **(وكان قد امتحن بعلة الأسر وكان يصبر ولا يجزع فلما سمعهم يقولون هذا)** الكلام **(ولم يكن هو دعا)** بالشفاء من علته **(ولا نطق بشيء من ذلك علم أن المقصود منه إظهار الجزع تأدباً بالعبودية وستراً لحاله فأخذ يطوف على المكاتب ويقول)** للصبيان الذين فيها **(ادعوا لعمكم الكذاب)** في دعواه وفي كل من القولين المذكورين تنبيه على كمال سمنون ومراقبته لأفعال ربه

الإستبصار وإلا فلا حاجة إذ هو العليم، والغني الحكيم، وقوله: إن كان يرجو الخ أي إن وجد لقلبي أمل في غيرك فجزائي الدعاء على نفسي من نفسي بقولي:

لا نـلـت سـؤري ولا الـتـمـنـي

أي لم أصل إلى مطلوبي، ولم أنل ما تمنيته من محبوبي، ومحصل ذلك أنه قد انقطع إلى الحق، وغاب عن جميع الخلق. **(قوله: وفي صدر البيت الأوّل دلالة على محض العبودية)** أي بإفادة دوام الافتقار إليه تعالى دون ما سواه، وقوله: وفي عجزه شيء من الدعوى، أي بطلب الاختبار بغفلته عن معنى اسم الجبار. **(قوله: الكذاب في دعواه)** أي في دعواه الصبر على المحن الذي تضمنه طلب الاختبار، فإنه يدل على دعوى قوّة صبره. **(قوله: فلما سمعهم الخ)** محصل هذا أن السبب غير ما تقدم بل العلم بأن المقصود منه إظهار الجزع تأدباً مع دوام صبره ورضاه، ففعل ذلك امتثالاً. **(قوله: والقول الثاني أكمل الخ)** أقول الذي يظهر أن الأوّل أولى في معنى العبودية للظهور بما جبلت عليه البشرية، إذ لا يتحمل قهر الرب مربوب، ولا باني خطب من لطيف الخطوب، وقوله بعد روي أنه لما أخذه الأسر الخ يؤكد ما كتبناه، فتأمل على أن الذي صح عنه ﷺ سؤال العافية، والأمر به ولا طريق أكمل من طريقه، ولا صبر أقوى من صبره فإياك والتقليد، فإنه مذهب غير سديد.

وسبب دورانه على المكاتب على القول الأول إظهاره للجزع من قبل نفسه وعلى الثاني إظهاره له امتثالاً لما نبه عليه والقول الثاني أكمل وأنسب بحاله، روي أنه لما أخذه الأسر مكث أربعة عشر يوماً فكان يلتوي كما تلتوي الحية على الرمل ينقلب يميناً وشمالاً، فلما أطلق بوله قال يا رب تبت إليك وأنشد:

أنــا راض بــطــول صــدك عــنــي ... لــيــس إلا لأن ذاك هــــواكـــا
فــامــتــحــن بــالجفا ضـمـيري على الودّ ... ودعــنــي مــعــلــقــاً بــرجــاكــا

(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس محمد بن الحسين البغدادي يقول: سمعت جعفر الخلدي يقول: قال لي أبو أحمد المغازلي كان ببغداد رجل فرّق على الفقراء أربعين ألف درهم فقال لي سمنون: يا أبا أحمد ألا ترى ما قد أنفق هذا) من الدراهم **(وما قد عمله)** من الخير **(ونحن ما نجد شيئاً)** ننفقه **(فامض بنا إلى موضع نصلي فيه بكل درهم أنفقه ركعة فمضينا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف صلاة)** أي: ركعة كما في نسخة، فيه تنبيه على كمال منافسته ومسارعته في الخير، وكثرة اجتهاده فيه واقتدائه فيه بالنبي ﷺ وبسائر أهل الخير. **(وكان سمنون ظريف الخلق)** بضم الخاء واللام لأن الغالب على أحواله البسط كسائر أهل المحبة **(أكثر كلامه في المحبة)** فإن كل إناء بالذي فيه ينضح **(وكان كبير الشأن مات قبل الجنيد كما قيل)** قال ابن الجوزي: بعد سنة ثمان وسبعين ومائتين قال السراج ابن الملقن وهذا غلط فإن موت الجنيد كان في هذه السنة أو سنة سبع انتهى، ورأيت

(قوله: أنا راض الخ) محصله أنه لا يرضى بالصد إلا من حيث أنه مراد له تعالى، فالجنة مع الصد عذاب، والنار مع الرضا ألذ مصاب، وقوله: فامتحن أي فاختبر بالجفاء أي بالصد والحجب، وقوله: ضميري أي قلبي وسري، وقوله: على الود متعلق بدعني بعده، وقوله: معلقاً حال، وقوله برجاكا متعلق به. **(قوله: فرق على الفقراء الخ)** انظر إلى حال من تقدم تحزن على أهل زمانك وتغتم. **(قوله: وكان سمنون الخ)** أي، ولذا سهل إرشاده للطف خلقه، ولين جانبه، ومحبة الخلق له، فمن ذلك كانوا يقبلون عليه فينتفعون به في قريب من الزمان، والله أعلم. **(قوله: فإن كل أناء الخ)** أي وله الإشارة المحمدية، حيث قال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره. **(قوله: فقال الذي يأنس بالعدم)** أي الذي تسكن روحه إلى القلة والعدم، كما تسكن روح الغني الجاهل إلى غنائه، والله أعلم. **(قوله: ويستوحش)** أي تحصل لنفسه وحشة ونفرة من الغنى، وذلك باعتبار كونه شاغلاً في ذاته، وقوله: كما يستوحش الجاهل من الفقر أي لوقوفه مع الأسباب، واعتماده عليها جهلاً وغفلة عن خالق الخلق. **(قوله: وكان فؤادي الخ)** فيه إشارة إلى أن القلوب إذا لم تشتغل بمحبته وعبادته تعالى مع مراقبته فيها تعد فارغه، وإن ملئت بالأغيار

لابن الجوزي بدل بعد في وعليها لا غلط بتقديره موت الجنيد في سنة ثمان. وسئل سمنون عن الفقير الصادق فقال: الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقر وأنشد:

وكان فؤادي خالياً قبل حبكم وكان بذكر الخلق يهزا ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه فلست أراه عن جنابك يبرح
رميت ببين منك إن كنت كاذباً وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شيء في البلاد بأسرها إذا غبت عن عيني لعيني يملح
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

(ومنهم أبو عبيد) محمد بن حسان **(البسري)** بضم الموحدة نسبة إلى بسر وهي قرية بحوران **(من قدماء المشايخ صحب أبا تراب النخشبي سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت الدقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة ذي النون المصري)** أي يحيى الجلاء **(وأبي تراب النخشبي وأبي عبيد البسري سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن محمد البغوي يقول: سمعت محمد بن معمر يقول: سمعت أبا زرعة الحسني يقول: كان أبو عبيد البسري يوماً على جرجر)** أي: نورج **(يدرس)** به **(قمحاً له)** زرعه لقوته **(وبينه وبين الحج)** يعني الوقوف بعرفة

لعدم الفائدة بل للضرر الحاصل من ذلك، وفي قوله وكان يذكر الخلق الخ ما يؤيد ذلك، حيث أفاد أن ذكر الغير من الضير فتأمل.

(قوله: فلما دعا قلبي الخ) أي فلما طلب قلبي هواك أي ميله بالتوجه إلى عبادتك وطاعتك على حسب سابق عناية التوفيق منك، أجابه أي لباه ممتثلاً لداعي الحق وطالب الصدق، وقوله: فلست أراه عن جنابك يبرح، أي فهو من حين الدعوة والتلبية ملازم لخدمتك وطاعتك لا يبرح عن ذلك، ولا يتحول عنه، وقوله: رميت الخ أقول لما كان أعظم عذاب المحب إبعاده عن مشاهدة محبوبه دعا على نفسه بالبعد إن كان فيما إدعاه كاذباً، وهو عدم براحه عن أعتاب كرمه تعالى، وعدم فرحه بغيره في دار الدنيا، وعدم صلاحة شيء في عينه بالنسبة لما شاهده من مشاهدة الحق تعالى، وقوله: فإن شئت الخ ليس المراد منه أن الوصل وعدمه سواء عنده، بل المقصود إفادة الرضا بكل ما وقع بالقضاء، وذلك لفناء مراداته في مرادات سيده ومالكه، والله أعلم.

(قوله: لقيت ستمائة شيخ الخ) أقول في ذلك دليل على علو همته في طلب المرشد إلى طريق الحق رضي الله تعالى عنه. **(قوله: فما رأيت مثل أربعة)** أقول هذا لا

(ثلاثة أيام إذ أتاه رجلان) وليان **(فقالا)** له **(يا أبا عبيد تنشط)** معنا **(للحج فقال لا)** لكونه رأى أن ما هو فيه أولى من سفره معهما **(ثم)** بعد مضيهما **(التفت إليّ وقال)** لي **(شيخك على هذا)** الأمر المسمى بطي الأرض **(أقدر منهما يعني نفسه)** أظهر رحمه الله الكرامة لمن يقتدى به لتقوى نفسه بوقوعها وليكمل حسن ظنه به فينتفع به، وفيه تنبيه على أن الكرامة لا تختصر بمن يقطع الأسباب، ومن كلامه النعم طرد فمن أحب النعم أحب الطرد والبلاء قربة فمن أساءه البلاء أحب ترك القربة، وروي عن ابنه نجيب قال بينا أنا أنظر إلى البحر ليلة النصف من شعبان ووالدي بمكان مقابلي، وإذا بشخص يمشي على الماء، ثم على الهواء، ثم جاء إلى والدي فدخل من طاقته التي هو فيها ينظر إلى البحر، فجلس معه ملياً يتحادثان، ثم قام والدي يودّعه ورجع الرجل من حيث جاء يمشي في الهواء فقمت إلى والدي وقلت له يا أبت من هذا الذي كان عندك يمشي على الماء ثم الهواء فقال: يا بني وهل رأيته قلت: نعم قال: الحمد لله رب العالمين الذي سرني بك وبنظرك له يا بني هذا الخضر نحن اليوم في

ينافي وجود غيرهم، إذ فضل الله واسع، وإنما الحصر المذكور باعتبار من شاهد أنوارهم من أهل عصره، والله أعلم. **(قوله: لكونه رأى أن ما هو فيه أولى الخ)** أي لكونه الأهم باعتبار وجود من تلزمه مؤنتهم مثلاً، حيث مثله إنما يدور فعله على الأهم فالأهم. **(قوله: أظهر رحمه الله الخ)** أقول، وقد يجب ذلك إذا تعين طريقاً لجلب منفعة دينية أو رده مفسدة كذلك، ولهذا شاهد من السنة الشريفة. **(قوله: النعم طرد الخ)** أي ربما كانت النعم من أسباب الطرد باعتبار أنها قد تشغل العبد عن مراتب القرب من حضرة الرب، أو الكلام باعتبار الشأن والغالب، وحينئذ فلا ينافي ذلك أنها مزرعة للآخرة بالنسبة لمن وفق فيها بالعناية الأزلية، على أنّ الدنيا بما اشتملت عليه مبغوضة له تعالى ومحبتها تنافي محبته جلّ جلاله إذ شرط المحبة الموافقة، فتدبر والله أعلم. **(قوله: والبلاء)** أي الإمتحان في الدنيا بالأمراض وغيرها قربة أي قد يكون من أسباب القربة بالنسبة لمن صبر، ولم يجزع، ولم يشك لغيره تعالى شكوى ضجر والله أعلم.

(قوله: وروي عن ابنه الخ) انظر يا أخي ما تضمنته هذه القصة من العناية الإلهية بهذا الإنسان حيث سخر الله لزيارته كمل أهل العرفان ولا غرو فهو رب الفضل والإحسان. **(قوله: مليا)** أي جلوساً طويلاً.

(قوله: يمشي على الماء ثم على الهواء الخ) أقول المرتبة الثانية أعلى مما قبلها وعلى كل هو غير بعيد حيث الله هو الفاعل المختار. **(قوله: قال الحمد لله الخ)** إنما حمد الله تعالى على رؤية ولده لأنها تدل على خفة حجابه، وهي من أسباب قرب الوصول. **(قوله: قال الحمد لله الخ)** ثناؤه على الله تعالى سببه ما رأى من خفة حجاب

الدنيا سبعة، ستة يجيئون إلى أبيك وأبوك لا يروح إلى واحد منهم.

(ومنهم أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني) بكسر الكاف وقيل بفتحها

ابنه نفعنا الله ببركات الجميع. (قوله: وأبوك لا يروح الخ) انظر حكمة ذلك مع ثبوت فضل الزيارة والله أعلم.

(قوله: ومنهم أبو الفوارس شاه الخ) كان له دين متين وسلطان في التقوى مبين، أصله من أبناء الملوك فتشمر للسلوك وتعرى من الأعراض وتحرز من الأغراض، وأصل توبته أنه خرج يتصيد في برية، وإذا بشاب راكب أسداً وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب ثم قال: يا شاه ما هذه الغفلة اشتغلت بدنياك عن أخراك، وبلذاتك عن خدمة مولاك، ثم خرجت عجوز بيدها شربة ماء فشرب وناوله فسأله عنها فقال: هي الدنيا وكلت بخدمتي أما بلغك أنّ الله لما خلقها قال من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه، فخرج عن الدنيا وسلك الطريق وأقام شهراً كاملاً لا ينام فغلبه النوم، فرأى الحق سبحانه وتعالى في نومه، فكان بعد ذلك يتكلف النوم، ويقول: رأيت سرور قلبي في منامي. فأحببت التنعس والمناما. وورد على أبي حفص النيسابوري فوقف على حلفته، وكان عليه قباء فعرفه بالفراسة فقال الذي كنا نطلبه تحت العباء وجدته اليوم تحت القباء، ومن كلامه: من عرف ربه طمع في عفوه ورجا فضله، وقال: علامة الحياء ثلاثة وجدان الإنس بفقدان الوحشة والإمتلاء من الخلوة بإدمان التذكرة واستشعار الهيبة بخالص المراقبة. وقال: من صحبك على ما يحب وخالفك فيما يكره، فإنما يصحب هواه. وقال: الفتوة من طباع الأحرار واللؤم من شيم الأنذال وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب للأولياء لأن محبتهم محبة الله، وكان حاد الفراسة لا يخطىء أبداً، وقال: من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم، ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه وقلّ اشتغاله بهم. وقال: علامة الأنس بالله استحياشه من الغافلين والسكون إلى الوحدة، ومرافقه الأحبة، وقال: التوكل سكون القلب إلى الله تعالى في حالتي الموجود والمفقود، وقال: لأهل الفضل فضل ما لم يروه، فإذا رأوه فلا فضل لهم، ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها، فإذا رأوها فلا ولاية لهم، وكان بينه وبين يحيى بن معاذ صداقة ويجمعهما بلد فكان شاه لا يحضر مجلسه، فقيل له في ذلك فقال: عدم حضوري هو الصواب، فما زالوا به حتى حضر وجلس ناحية لا يبصر به، فألقى على يحيى السكوت، فلم ينطق فقال ههنا من هو أولى مني بالكلام، فقال شاه: قلت لكم الصواب فأبيتم، وقال: علامة الركون إلى الباطل التقرب إلى المبطلين، وأخرج أبو نعيم: بينما سهل التستري جالساً إذ سقطت حمامة لا تتحرك، فقال لبعض جماعته أطعمها وأسقها فطارت فقال: مات أخ لي بكرمان، وهو شاه فجاءت هذه تعزيني به، وكان من الأبدال فأرخ ذلك اليوم، فكان وقت سقوط الحمامة وقت خروج روح شاه، والله أعلم.

وإسكان الراء نسبة إلى كرمان (**كان من أولاد الملوك صحب أبا تراب النخشبي وأبا عبيد البسري وأولئك الطبقة**) أي الذين في طبقتهما (**وكان أحد الفتيان كبير الشأن مات قبل الثلثمائة وقال شاه**) الكرماني: (**علامة التقوى الورع**) الذي هو تجنب ما يخشى منه (**وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات**) بأن لا يدخل فيها (**وكان يقول لأصحابه: اجتنبوا الكذب والخيانة والغيبة، ثم اصنعوا ما بدا لكم**) والخيانة تشمل سائر المعاصي، فتشمل الكذب والغيبة ونص عليهما لأنهما أغلب شيء على الإنسان، ويكفي في المنع من ذلك آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧]. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي**) رحمه الله (**يقول: سمعت جدّي**) أبا عمر (**ابن نجيد يقول: قال شاه الكرماني: من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخط له فراسة**) لخبر: «ما تقرب المتقرّبون إليّ بمثل أداء ما افترضت

(**قوله: وكان أحد الفتيان**) أي من ثبت له التفتي، وهو قوّة بذل المال والجاه وغيرهما، مما قد يحتاج إليه الصاحب. (**قوله: علامة التقوى الورع**) أي من أمارات التقوى والتحقق بها الورع، وهو التوقف عما فيه شبهة، فعلى المكلف بذل الجهد والاجتهاد في كف النفس، حتى يندرج به في عدد عباد الله المتقين. (**قوله: اجتنبوا الكذب الخ**) إنما اقتصر على هذه الثلاثة لأنها أمّهات الخطايا والكذب هو التحدّث بخلاف الواقع عمداً مع الحق، ومع الخلق، والخيانة هي ضدّ الأمانة، والغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره، ولو كان بحضرته وبما فيه والله أعلم(**قوله: ثم اصنعوا الخ**) ليس الغرض من ذلك إباحة باقي المعاصي، بل إفادة أن من تخلق بالصدق والأمانة، وكف نفسه عن الغيبة بعد عن جميع المخالفات، وقد أشار الشارح نفعنا الله بعلومه، إلى أنّ الخيانة تشمل سائر المعاصي، وذلك واضح إذ هي نقض لعهد الامتثال، فإذا اجتنبها يلزم منه اجتناب سائر المعاصي فتأمل.

(**قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول**) أي ليتحقق لكم وصف الإيمان لأنه بدون متابعة كالعدم. (**قوله من غض بصره الخ**) أي غضه عما يقع عليه من المحارم التي حرمها الله عليه، وأمسك نفسه عن الشهوات أي حبسها عنها ليتحقق له وصف التقوى، وعمر باطنه بدوام المراقبة أي ليتحقق له الصدق والإخلاص، وظاهره باتباع السنة، أي بمتابعتها في أقواله وأفعاله لتتحقق له المحبة، وعود نفسه أكل الحلال، أي ما تحقق حله ليتنوّر قلبه، فهذا الأستاذ نفعنا الله به قد أتى بجوامع الأتباع، فجزاه الله عن أمّة سيدنا محمد خيراً. (**قوله: لم تخط له فراسة**) أي بسبب زيادة نور بصيرته الحاصل بالعلم أو بالإلهام التي يدرك بها صاحب البصيرة الأشياء على حقائقها على ما تقدّم مراراً.

عليهم»، وروي أن شاه كان بينه وبين يحيى بن معاذ الرازي صداقة، فجمعهما بلد واحد، فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل له في ذلك فقال: الصواب هذا فما زالوا به حتى حضر مجلسه وقعد ناحية ويحيى لا يشعر به فلما أخذ يحيى في الكلام ارتج عليه وسكت فقال لهم: هنا من هو أجدر بالكلام مني فقال لهم شاه: قلت لكم: الصواب أن لا أحضر مجلسه.

٤ **(ومنهم)** أبو يعوب **(يوسف ابن الحسين)** الرازي **(شيخ الري والجبال في وقته وكان نسيج وحده)** أي: لا نظير له **(في إسقاط التصنع)** للخلق بالطاعات والتزين بها عندهم **(وكان عالماً أديباً صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي، ورافق أبا سعيد الخراز مات سنة أربع وثلثمائة قال يوسف بن الحسين: لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصي)** غير الكفر **(أحب إليّ من أن ألقاه بذرة من التصنع)** لخطر أمره نعم التصنع والتجمل لقصد صحيح التجمل للأعياد والجمع وتعظيم العلم، فليس بمذموم بل محبوب. **(وقال يوسف بن الحسين إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص)** بأن يترك المندوبات ويرتكب المكروهات والشبهات ويقول: لم يفتني واجب ولم أرتكب محرماً **(فاعلم أنه لا يجيء منه شيء)** أبداً فيما رامه من معالي الأمور لأنها إنما تحصل غالباً بكمال الجدّ والاجتهاد، وهو بارتكابه ذلك قد ركن إلى الراحات والبطالات، فالمراد بالرخص ما قلنا لا ما ثبت على خلاف الدليل بعذر مع قيام السبب كالقصر والفطر في السفر وأكل الميتة عند الاضطرار **(وكتب)** يوسف **(إلى**

(قوله: أرتج عليه) يقرأ على صيغة المبني للمجهول، أي منع من النطق بسبب هيبة شاه المذكور، وذلك لعلو درجته وقوّة تنوّره، والله أعلم. **(قوله: قلت لكم الخ)** فيه تنبيه على أنه كان يحب ستر نفسه وغيره، رضي الله عنه. **(قوله: في إسقاط التصنع الخ)** أي التزين والتحسن للخلق بل كان يستعمل مع الخلق طريق الخفاء في العبادات تباعداً عن الاشتهار فيما بينهم بالخير لما فيه من التعرّض لأسباب القطيعة. **(قوله: وكان عالماً)** أي بالعلوم الشرعية والذوقية، وقوله: أديباً أي متفنناً في العلوم الأدبية. **(قوله: لأن ألقى الله الخ)** فيه مبالغة في الحذر من التصنع، وذلك لأنه من صفات المنافقين، والعياذ بالله تعالى. **(قوله: نعم التصنع الخ)** هو إستدراك صوري لأن ما ذكره من المطلوب شرعاً.

(قوله: إذا رأيت المريد الخ) الغرض الحث على الجدّ في العبادة، وتحمل أعباء التكليف والبعد عن أسباب الشهرة بالأخذ بالرخص لما في ذلك من الفتور، ودوام الغفلة. **(قوله: ويرتكب المكروهات والشبهات)** أي مما فيه نهي غير جازم لاحتماله التأويل، فهي رخص في الجملة، فلا يقال: ما نهي عنه غير مرخص فيه. **(قوله: لا ما ثبت الخ)** أي وذلك لخبر: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه».

الجنيد لا أذاقك الله طعم نفسك) أي: لذة شهواتها الذميمة كلذة الرياسة والمنزلة وتعظيم الخلق لك على الطاعة **(فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً)** لأن ذلك حجاب عن كل خير إلا أن يتداركك الله برحمته. **(وقال يوسف بن الحسين: رأيت آفات الصوفية في صحبة الأحداث)** أي: الشباب المرد **(و)** في **(معاشرة الأضداد)** أي: أضدادهم السالكين غير طريقتهم الحميدة **(و)** في **(رفق النسوان)** أي: نفعهم بقبول ما يدفعنه لهم على توهمهن فيهم ما ليس بمرضي، وذلك لأن الغالب في كل من الثلاثة عدم سلامة الدين، ومن كلام يوسف: الصوفية خيار الناس وشرارهم خيار

(قوله: لا أذاقك الله الخ) أي فقد دعا له بعبارة فائقة في المعاني بليغة في العبارة، فما أعظم ما أوتي من الحكمة رضي الله عنه. **(قوله: فإنك إن ذقتها الخ)** أي لأن شأن النفس إذا ذاقت من مألوفاتها شيئاً استرسلت، فيعسر إرجاعها وحينئذ فلا يرى صاحبها خيراً. **(قوله: في صحبة الأحداث)** أي ولا سيما الجميل منهم، وذلك لما قيل من أن دوام التعلق بهم ربما أدّى إلى سوء الخاتمة، والعياذ بالله تعالى. **(قوله: وفي معاشرة الأضداد)** أي لأنهم يفسدون عليهم أحوالهم بشؤم أخلاقهم وصفاتهم، إذ الطبائع ربما تأثر بعضها من بعض. **(قوله: وفي رفق النسوان)** أي لأنهنّ من حبال الشياطين ومحل الفتن، ولا يدللن على خير بما طبعن عليه، فالبعد عنهن أسلم، والله أعلم.

(قوله: الصوفية خيار الناس الخ) مراده أن الصوفي خير من غيره أعني غير الصوفي، فمن ثبت له الخير من الصوفية، فهو خير ممن ثبت له الخير من غيرهم وشرهم أقل من شر غيرهم لقربه لجهات الخير بخلاف الشر من غيرهم، ولذا قال فهم الخيار بكل حال أي سواء اعتبرت خيريتهم أو لا. **(قوله: وكان يقول الخ)** أقول ذلك من قبيل هضم النفس فظاهره غير مراد كما لا يخفى. **(قوله: ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي)** هو الصوفي الشافعي صاحب التصانيف المشهورة اشتهر بملازمة العبادة بين العباد، وتفرد من بين الصوفية بكثرة الرواية وعلو الإسناد، ناسك سلك طريق القوم وصل التهجد وهجر النوم، رحل في طلب الحديث والعلم، وتلفع بمروط التقوى والحلم، لقي الأكابر وأخذ أرباب المحابر، ومع ذلك كان صدراً معظماً وصوفياً محدثاً مفخماً كثير الكيس واللطافة غزير المعارف التي تحف أخلاقه وأعطافه، تحلى بعقوده جيد زمانه وتأرجت الأرجاء بعرف عرفانه، لقي أبا تراب النخشبي والبلخي وتلك الطبقة وسمع الكثير من الحديث بالعراق وغيره، وهو من أقران البخاري. وقال الحافظ ابن النجار في تاريخه: كان إماماً من أئمة المسلمين له التصانيف الكبار في التصوّف وأصول الدين ومعاني الحديث، وفي شيوخه كثرة، وقال السلمي في طبقاته له اللسان العالي والكتب المشهورة نفوه من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر بسبب تفضيله الولاية على النبوّة، وإنما كلامه في ولاية النبي، وقال أبو نعيم في الحلية: له التصانيف الكثيرة في الحديث وهو

شرار الناس فهم الخيار بكل حال، وكان يقول: اللهم إنك تعلم إني نصحت الناس قولاً، وخنت نفسي فعلاً فهب خيانتي على نفسي لنصحي للناس.

(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي) بكسر التاء والميم وبالذال المعجمة نسبة إلى ترمذ مدينة على طرف نهر بلخ المسمى بجيحون **(من كبار الشيوخ وله تصانيف في علوم القوم صحب أبا تراب النخشبي وأحمد بن خضرويه وابن الجلاء وغيرهم سئل محمد بن علي عن صفة الخلق)** بفتح الخاء وإسكان اللام **(فقال: ضعف ظاهر ودعوى عريضة)** أي: لا قدرة لهم على ما يجلب لهم نفعاً، ولا

مستقيم الطريقة ردّ على المرجئة وغيرها من المخالفين تابع للآثار. وقال ابن الجوزي: هو من أكابر مشايخ خراسان له التصانيف المشهورة، وكان يقول ما صنفت شيئاً لينسب إليّ لكن إذا اشتدّ عليّ وقتي أتسلى بمصنفاتي، وقال الكلاباذي في التعرف: هو من أئمة الصوفية، وقال ابن عطاء الله: كان الشاذلي والمرسي يعظمانه جداً ولكلامه عندهما الحظوة التامّة، ويقولان هو أحد الأوتاد الأربعة، فلا تلتفت لخرافات بعض المجازفين ممن طعن فيه بالزور والبهتان، وله حكم عليه الشأن منها قوله: كفى بالمرء عيباً أن يسره ما يضره وقال إذا سكنت الأرواح بالسر نطقت الجوارح بالبر، وقال: لا ينكر الكرامات إلا القلوب المحجوبة عن الله، فإن الكرامات إنما هي صنع الحق، وقال: الولي أبداً في ستر حاله والكون ناطق بولايته، ومدّعي الولاية ناطق بولايته والكون كله يكذبه، وقال: لا يسمى عالماً إلا من لم يتعد حدود الله مرّة في عمره، وقال: ما استصغرت أحداً من المسلمين إلا وجدت نقصاً في معرفتي وإيماني، وقال: ما منع الناس من الوصول إلا لركضهم في الطريق بغير دليل وأكلهم الشهوات وارتكاب الرخص والتأويلات، وقال: رأس مالك قلبك ووقتك، وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت أوقاتك بشغلك بما لا يعنيك، وقال: أقرب القلوب إلى الله سبحانه وتعالى قلب رضي بصحبة الفقراء وآثر الباقي على الفاني وشهد سوابق القضاء مع الناس من الأفعال، وقال: القناعة رضا النفس بما قسم لها، وقال: ما من نور في القلب إلاّ ومعه رحمة من الله بقدر ذلك والعبد ما دام في الذكر فالرحمة دائمة عليه كالمطر فإذا غفل قحط، وقال: الدنيا عروس الملوك ومرآة الزهاد، وله غير ذلك من الحكم البديعة.

(قوله: ضعف ظاهر) أي لأرباب البصائر، وإنْ خفي على أرباب البصر خاصة في بعض الأحايين على أنه ظاهر لكل من أرباب البصيرة والبصر في كل وقت عند من اعتبر، وقوله: ودعوى عريضة أي كاذبة ويظهر ذلك عند الإمتحان. **(قوله: ما صنفت حرفاً الخ)** فيه التبري من الحول والقوّة والبعد عن القواطع. **(قوله: كما حكي عن النوري الخ)** منه يعلم أنهم في وقت غلبة الأحوال عليهم ربما يصدر منهم ما لا يسوغ بحسب الظاهر في غير تلك الأحوال، ولا مانع من ذلك حيث تعين طريقاً للتداوي والله أعلم.

ما يدفع عنهم ضرراً ومع ذلك يدعون وينسبون لأنفسهم ما تفضل الله به عليهم، ومعنى عريضة عظيمة لأن من ادعى لنفسه ما لا ملك له فيه فقد أعظم الدعوى وزاد في الخطا (و) لذلك (**قال محمد بن علي**) المذكور (**ما صنفت حرفاً عن تدبير ولا**) صنفته (**لينسب إليّ منه شيء، ولكن كان إذا اشتدّ عليّ وقتي**) أي: طرأت عليّ الأحوال الغالبة (**أتسلى به**) أي: بالتصنيف بأن تجري الحكم على لساني فأشتغل بتعليقها لأتسلى بها ويخفف عني ما لا أقدر على حمله عادة من تلك الأحوال. كما حكي عن النووي أنه وجد ذات يوم ينتف شعر حواجبه فسئل عن ذلك فقال: الحقيقة غالبة عليّ، ولا قدرة لي على حملها فأنا اشتغل بذلك ليخف ما بي، وارجع إلى إحساسي.

(**ومنهم أبو بكر محمد بن عمر الوراق**) نسبه إلى بيع الورق (**الترمذي أقام ببلخ وصحب أحمد بن خضرويه وغيره وله تصانيف في الرياضات. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن محمد البلخي يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: من أرضى الجوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامات**) لمخالفته ما يقرّبه لمولاه وهذا يجده عنده في الدنيا وهو ظاهر

(**قوله: ينتف شعر حواجبه**) أي ومثل هذا يقال له التخريب بفعل من شدّة غلبة الأنوار عليهم فيخففون عن أنفسهم بذلك والله أعلم.

(**قوله: ومنهم أبو بكر محمد بن عمر الوراق**) هو البلخي له اليد الطولى في التصوّف، والباع المزيد في التعرف والتصرف ومن كلامه: للقلب صفات ستة حياة وموت وصحة وسقم ونوم ويقظة فحياته الهدى وموته الضلالة وصحته الطهارة والصفاء، وعلته الكدورة والعلاقة ويقظته الذكر ونومه الغفلة، ولكل منها علامة فعلامة الحياة المعرفة والرغبة والعمل بهما، وعلامة الموت ضدّ ذلك، وعلامة الصحة اللذة وعلامة السقم ضدّ ذلك، وعلامة اليقظة السمع والبصر والنوم بخلاف ذلك، وقال: شكر النعمة مشاهدة المنة، وقال: من اكتفى بالكلام دون الزهد تزندق، ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام ابتدع، ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسق، ومن تفنن في هذه كلها فقد تخلص، وقال له رجل إني أخاف من فلان فقال لا تخف منه فإن قلب كل من تخافه بيد من ترجوه، وقال: ربما أصلي ركعتين فانصرف وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء، وله فوائد أخرى ذكر المؤلف بعضها.

(**قوله: من أرضى الجوارح الخ**) أي فمن استرسل في شهواته وأنال كل جارحة من جوارحه حظها من الشهوات كان جزاؤه تأسيس الندامة في قلبه دنيا وأخرى وذلك بالتفكر، فيما أعاقه عن بلوغ الدرجات فلا حول ولا قوّة إلا بالله. (**قوله: وهذا يجده**

في الآخرة لأنه إذا رأى جزاء الأعمال ودرجات المجتهدين في الطاعات مع خلوه عن ذلك باشتغاله بالشهوات توالت على قلبه الندامات والحسرات. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر البلخي يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول)** في ذم الطمع فيما بأيدي الناس **(لو قيل للطمع من أبوك قال: الشك في المقدور)** أي: يتولد عنه كما يتولد الولد عن أبيه إذ لو تيقن العبد أن رزقه المقدّر له لا بدّ أن يأتيه في وقته لقل أو زال عنه طمعه فيما بأيدي الناس، **(ولو قيل)** للطمع **(ما حرفتك قال: اكتساب الذل)** كما أن الحرفة هي التي يكتسب الإنسان منها قوته ويلازمها كذلك من قوى طمعه لا يزال متذللاً لأبناء الدنيا، **(ولو قيل)** للطمع **(ما غايتك قال: الحرمان)** لأنه متى كان أصله شكا في المقدور وحرفته دوام الذل لمن لا يصلح التذلل له كان جديراً بأن لا ينيل الله من طمع ما طمع فيه لأنه لم يتوصل إليه بطريقه المعتبر، **(وكان أبو بكر الوراق يمنع أصحابه)** في ابتداء أمره **(عن الأسفار والسياحات ويقول: مفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك)** أي: سلوكك **(إلى أن تصبح لك الإرادة فإذا صحت لك الإرادة فقد ظهرت عليك أوائل البركة)** لأن من عزم على سلوك طريق الإرادة وعمارة أوقاته بالطاعات، وكان ضعيف النفس قليل الاعتياد للخير إنما يستعين على ذلك بقطع المشغلات والتفرغ له والصبر عليه فلو

عنده في الدنيا الخ) أقول ولكن مع ذلك يرجى له الخير حيث الندم المذكور من أكبر أركان التوبة، وهي سبب في الترقي إلى الخيرات، وبلوغ الدرجات والله أعلم.

(قوله: وهو ظاهر في الآخرة الخ) أي وإنما يكون فيها قبل الإستقرار في دار النعيم وإلا فبعد ذلك فلا حسد ولا حقد ولا غم ولا توهيم. **(قوله: ولو قيل للطمع من أبوك)** يشير إلى أنّ الطمع خبيث ذاتاً ومنشأ وذلك لأنه يتسبب عنه التهافت على الدنيا وتحصيلها بأي وجه، وإنْ كان فيه ذل ولأنه لا يكون إلاّ مع الغفلة عن مظهر القضاء والقدر الأزليين.

(قوله: لا بدّ أن يأتيه الخ) ويدل لذلك خبر لو يفرّ المرء من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت، أو كما ورد.

(قوله: قال اكتساب الذل) أي لأن من طمع فيما بيد غيره لزمه التذلل له ليصل إلى ما طمع فيه منه على حسب زعمه. **(قوله: قال الحرمان)** أي لأنه لا يكون إلاّ ما قدر كونه له فيحرم عما زاد عنه، ويحرم أيضاً أجر الصبر والقناعة والعفة، بل يكسب الوزر بسبب طمعه على أنه قد قيل من استعجل بشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

(قوله: بمنع أصحابه عن الأسفار الخ) أقول مرجع ذلك أن المريد من حقه أن لا

أخذ يسافر ويسيح عرض نفسه لكثير من الآفات ويشتت قلبه، وحقيقة الإرادة عندهم إفراغ الجهد في الطاعات لأنهم، قالوا: الإرادة بدء طريق السالكين إلى الله، وإنما يسلك طريق الله بالطاعات قالوا: والمريد من لا إرادة له بمعنى، أنه لا يتصرف بهواه بل بأمر مولاه، ومن كلام الورّاق: لا تصحب من يمدحك بخلاف ما أنت عليه، فإنه إذا غضب عليك ذمّك بما ليس فيك.

(**ومنهم أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز**) بتشديد الراء نسبة إلى خرز الجلود

يريد بل يكون صابراً على أعباء العبادات حتى ترد له الإشارات فافهم. (**قوله: عرض نفسه الخ**) أي لعدم الوثوق بالصبر من نفسه لضعف قوّته في ابتداء أمره. (**قوله: وحقيقة الإرادة الخ**) اعلم أنهم يستعملون الإرادات في المرادات فكأنها بقوّة العزم القلبي تتحقق بها المرادات والله أعلم.

(**قوله: إفراغ الجهد الخ**) أي على سبيل التدريج على ما يناسب حال المريد في ابتداء سيره إلى الله تعالى. (**قوله: لا تصحب من يمدحك الخ**)أي لعدم نصحه فلا أمانة عنده فهو، لا يؤمن عند الغضب منه على اختراع خلاف الواقع إذ لا فرق فتأمل.

(**قوله: ومنهم أبو سعيد أحمد الخ**) هو شيخ الطائفة المجاهد المراقب عارف يضرب به المثل خبير بالأدواء بصير بالعلل ناصر للتوصف وأهله قال الخطيب: كان أحد المشهورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية وحدث يسيراً، قال الجنيد: لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا أقام كذا كذا سنة ما فاته ذكر الحق تعالى بين الخرزتين، وقال السلمي الخراز أمام القوم في كل فنّ من علومهم، وكان عظيم المراقبة جاءه في بادية الموصل أسدان من ورائه فلم يلتفت فقربا منه وتعلقا به ولحسا خدّيه ونزلا عنه، وهو لا يعبأ بهما، ودخل بادية مرة بغير زاد فأصابته فاقة فرأى قافلة من بعد فسر بوصوله، ثم تفكر أنه اتكل على غير الله وسكن إلى الخلق فأقسم أن لا يدخلها إلاّ محمولاً فحفر له في الرمل إلى صدره وواري جسده فيه فسمعوا صوتاً في الليل أن لله ولياً حبس نفسه في الرمل فألحقوه فجاؤوه فأخرجوه وحملوه إلى القرية. ومن فوائده: المعرفة تأتي إلى القلب من عين الجود وبذل المجهود، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال علل الفناء ذهاب الحظ من الدارين، وقال: لا يكون شريفاً أبداً من لا يسكن جوعه إلا بالغذاء فإذا صارت الأذكار هي الغذاء، فقد حصل الشرف الأعلى ومحي الوصف الأدنى، وقال: ليس في طبع المؤمن قول لا، وقال: ليكن فرحك عند العطاء بالمعطي لا بالعطاء وتنعمك بالمنعم لا بالنعم، قال الغزالي قال الخراز لابن له عند موته عظني قال لا تخالف الله فيما يريد قال يا بني زدني قال لا تطيق ذلك قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصاً فما لبس قميصاً ثلاثين سنة، وقال: إذا بكت أعين

الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم، وقال: إذا جاءت البلوى تبين عندها الرجال، وقال: الإنس استبشار القلوب بذكر مولاها وسرورها وسيرها إليه وأمنها معه، وقال: المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شيء ولا يتسلى عنه بشيء ويتبع آثاره، ولا يدع استخباره، وقال: إذا أراد الله أن يوالي عبداً فتح له باب ذكره، فإذا استلذ به فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس، ثم رفع عنه الحجب، ثم أدخله دار الفردانية وكشف له حجاب العظمة والجلال فبقي بلا هو فصار زمناً فانياً فوقع في حفظه سبحانه، وقال: كنت في سفر وكان يظهر لي في كل ثلاثة أيام شيء آكله فمضى ثلاثة، ولم يظهر لي شيء فضعفت وقعدت فهتف بي هاتف أيما أحب إليك أن تعطى قوة وسبباً قلت قوة فقمت فوراً ومشيت نحو اثني عشر يوماً لم أذق شيئاً ولم أضعف، وقال تهت في البادية مرة فقلت:

أتيه فلا أدري من التيه من أنا ... سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
أتيه على جنّ البلاد وأنسها ... فإن لم أجد شخصاً أتيه على نفسي

فسمعت هاتفاً يهتف بي ويقول:

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ... ويفرح بالتيه الدني وبالإنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة ... لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي
وكنت بلا حال مع الله واقفاً ... تصان عن التذكار للجن والإنس

وقال أيضاً: كنت ببادية فجعت شديداً فغلبتني نفسي أن أسأل الله صبراً فسمعت هاتفاً يقول:

ويزعم أنه منا قريب ... وإنا لا نضيع من أتانا
ويسألنا القوي جهداً وصبراً ... كأنا لا نراه ولا يرانا

فأخذني الإستقلال فقمت ومشيت، وقيل له: بم عرفت الله قال: بجمعه بين الضدّين أي في صنعه، ثم تلا: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال: كنت بمكة فجزت على باب بني شيبة فرأيت شاباً حسناً ميتاً فنظرت في وجهه فتبسم، وقال: يا أبا سعيد أما علمت أن الأحياء أحياء وإنْ ماتوا، وإنما ينقلون من دار إلى دار، وقال: من لم يعرف نفسه كيف يعرف ربه وقال: من شهد صنع الربوبية في إقامة العبودية، فقد انقطع إلى ربه وحينئذ يسلم من الإستدراج، وقال: حقيقة المحبة تقطيع الفؤاد وتشتيت المراد ولولا لطف الله بعبده موسى لأصابه أعظم مما أصاب الجبل حال التجلي، وقال: المحبة أن لا ترى الإحسان إلا من محبوبك، ولا تطيع إلا مطلوبك، وقال: رأيت المصطفى فقلت اعذرني فإنّ محبة الله شغلتني عن محبتك فقال: يا مبارك من أحب الله فقد أحبني.

البسري والسري) السقطي **(وبشراً)** الحافي **(وغيرهم مات سنة سبع وسبعين ومائتين)** وقيل: سنة ست وثمانين ومائتين. **(قال أبو سعيد الخراز كل باطن يخالفه ظاهر)** من العلم بأن يقع في القلب شيء لا تشهد بصحته الشريعة **(فهو باطل)** أي: ليس بحق **(سمعت محمد بن حسين يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا العباس الصياد يقول: سمعت أبا سعد الخراز يقول: رأيت إبليس في النوم وهو يمر مني ناحية)** أي: بعيداً **(فقلت له تعال ما لك)** تمشي بعيداً استنكاراً لعادته مع بني أدم **(فقال)** لي **(أيش أعمل بكم)** أيها الزهاد **(أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس فقلت له وما هو قال الدنيا فلما ولى عني التفت إليّ وقال: غير أن لي فيكم لطيفة)** أي: أمراً يخفى عليكم كونه يضركم **(فقلت: وما هي قال: صحبة الأحداث)** أي: الشباب المرد ومثلها صحبة النساء الأجانب وبهذه الحكايات عرف أن جميع ما يتوسل به الشيطان إلى إهلاك الإنسان شهواته المتعلقة بالدنيا لكل من زهد فيها ضعفت خواطر الشيطان عنده وقل قبوله لها. **(وقال أبو سعيد الخراز: صحبت الصوفية ما صحبت فما وقع بيني بينهم خلاف قالوا)** له **(لم قال لأني كنت معهم)** قائماً **(على نفسي)** أي أتحمل عليها فلا أؤاخذ أحداً ما بدا منه، وفي ذلك تنبيه على كمال عقله، وإن الذين خالطهم لم يطلع منهم على ما يوجب إنكاره عليهم شيئاً وإلا لأنكر، وإنما كان يترك إنكار ما يختص به من الأذى لمعرفته بقدر نفسه وشدة

(قوله: كل باطن الخ) أي فعلى العاقل أن يدوم على إتهام نفسه وعدم الوثوق بها وبوارداتها حتى يعرضها على الكتاب والسنة فإن شهدا بها عمل بها وإلاّ رجع عنها. **(قوله: يخالفه ظاهر)** أي من أحكام النقل فعليه أن يدوم على الاتباع خشية الوقوع في خطر الابتداع. **(قوله: يقول رأيت إبليس الخ)** محصل ذلك التحذير من الشهوات بالبعد عن جميع المألوفات. **(قوله: استنكاراً لعادته)** أي من أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم.

(قوله: ما أخادع به الناس) أي من الميل إلى الدنيا وشهواتها. **(قوله: قال صحبة الأحداث)** أي ولو كان غير جميل من باب: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

(قوله: صحبت الصوفية ما صحبت) أي مدّة طويلة. **(قوله: قائماً على نفسي)** أي بحبسها على تحمل الأذى تخلقاً بالخلق الحسن. **(قوله: فلا أؤاخذ أحد الخ)** أي بما يخصني من الحقوق مما فيه نوع أذية لي. **(قوله: ليس في طبع المؤمن الخ)** أي كامل الإيمان لأنه قدم محمدي ولكونه خلق على الكرم وقوة البذل أو هو أغلبي. **(قوله: خزائن السماء الغيوب)** أي ما غاب علمه عنا ومن جملة ذلك الأرزاق قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وقوله وخزائن الأرض القلوب أي باعتبار أنها خزائن نفائس الأسرار.

مجاهدته في تحمل ما يلحقه بذلك، ومن كلامه: ليس في طبع المؤمن قول لا لأنه إذا نظر إلى ما بينه وبين ربه من أحكام الكرم استحيا أن يقول لا وقال في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] خزائن السماء الغيوب وخزائن الأرض القلوب.

(**ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي**) بفتح الميم وكسر الراء نسبة إلى بلاد المغرب (**أستاذ إبراهيم بن شيبان وتلميذ علي بن رزين عاش مائة وعشرين سنة، ومات سنة تسع وتسعين ومائتين كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت إليه يد**) وفي نسخة أيدي (**بني آدم سنين كثيرة وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعوّد أكلها. وقال أبو عبد الله المغربي: أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات**) بين أعمال القلب والجوارح بأن تكون واقعة على أفضل ما يرضي الله وفي نسخة بالمراقبات (**وقال**) أيضاً (**أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنياً وتواضع له**) لأنه تذللّ لمن لا يصلُح التذلل له (**وأعظم الخلق عزاً غني تذلل للفقراء وحفظ حرمتهم**) لأن ذلك

(**قوله: ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي**) هو أستاذ إبراهيم الخواص عمدة الصوفية ومرجع أهل الإختصاص كانوا كافة يأتمرون بأمره ويعرفون له جلالة قدره أخذ عن ابن رزين وجمع كثير من الأعيان حدث بشيء من علوم الحقائق فقام عليه أهل الظاهر وآذوه وطافوا به الأسواق على جمل بعد ضربه على رأسه ضرباً مبرحاً وأخرجوه من البلد فأقام ببغداد حتى مات، ومن كلامه: الفقير لا يرجع إلى مستند في الكون غير الإلتجاء إلى من إليه فقره ليغنيه بالاستغناء به، وقال: من ادّعى العبودية وله مراد باقٍ فيه فهو كذاب إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته في مرادات سيده، وقال: العارف تضيء له أنوار فينظر بها عجائب الغيب، قال إبراهيم بن شيبان: ما رأيته انزعج إلاّ يوماً واحداً كان على الطور وهو مستند إلى شجرة خروب، وهو يتكلم علينا فقال في كلامه: لا ينال العبد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد فانزعج واضطرب، ورأيت الصخور قد تدكدكت وبقي فلما أفاق كأنه نشر من قبر مات على جبل طور سينا.

(**قوله: يأكل مما وصلت إليه يد الخ**) أي لم يأكل مما يستنبته الآدميون بعد أعمالاً بسهم ولو بوجه. (**قوله: أفضل الأعمال الخ**) أي فالمطلوب حضور القلب وقت العمل حتى بذلك يتم له الإخلاص فيه، فعلى العامل تفريغ السر من السوي بمراقبة من على العرش استوى.

(**قوله: أعظم الناس ذلاً الخ**) أي لأنه قد انحط من أوج المعالي إلى الحضيض الأسفل حيث لا صارف له عن الطلب بلسان الحال ممن لا يصلح للنوال.

(**قوله: وأعظم الخلق عزاً الخ**) أي ووجه ثبوت عزه ظاهر حيث كان المقصود رب

إنما يفعل لله ولطلب ثوابه فقد تعزز بتذلله لمن يعزه وينال منه بركة فعله.

(ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق من أهل طوس سكن بغداد وصحب الحرث المحاسبي والسري السقطي توفي ببغداد سنة تسع وقيل سنة ثمان وتسعين ومائتين قال ابن مسروق: من راقب الله تعالى في خطرات قلبه) الداعية لأفعال قلبه وجوارحه **(عصمه الله في حركات جوارحه)** التابعة لحركات قلبه لأن من راقب الله قبل أفعال قلبه وبعد عروض الخواطر، ولم يعزم على الفعل حتى يعلم حكمه أيرضي الله أو يسخطه سلم من الزلل في بركات قلبه وجوارحه **(وقال)** أيضاً **(تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى)** لأنه تعالى حرم المؤمن دمه وعرضه وماله وجعل له حرمة فالقائم بها لله إنما قام بها امتثالاً لأمر الله وخوفاً منه **(وبه يصل العبد إلى محل حقيقة التقوى)** أي إلى الحالة التي تسمى حقيقة عند القوم وهي غلبة حالة الحق على المحق **(وقال شجرة المعرفة)** بأن يعرف الله بأنه الخالق

المظاهر. **(قوله: ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق)** هو المستأنس بالحق المستوحش من الخلق أخذ الحديث عن كثيرين، وهو من جملة علماء القوم كان معروفاً بالخير مذكوراً بالفضل متين الديانة متوشحاً بالأمانة ومن فوائده: بكثرة النظر إلى ما سوى الله تذهب معرفة الحق من القلب، وقال: من لم يحترز بعقله من عقله لعقله هلك بعقله، وقال: المؤمن يقوى بذكر الله والمنافق بالأكل والشرب، وقال: الحب قيد المحبين إذا صح وزمام المحبوبين إلى المحبين، وقال: من ترك التدبير عاش في راحة وله كرامات وجيد فراسات، ودرر فوائد وجواهر فرائد فارجع إليها إن شئت.

(قوله: من راقب الله في خطرات قلبه) أي بعرضها على أحكام الكتاب والسنة اتهاماً للنفس عصمه الله في حركات جوارحه أي يمنعه عن الزلل وعن الخطأ فيها إذ هي تابعة لحركات القلب المقدس بنور المتابعة. **(قوله: تعظيم حرمات المؤمنين الخ)** أي وذلك يكون بحبس النفس عن مجاوزة الحد الشرعي فيها نفساً وعرضاً ومالاً وقوله: من تعظيم حرمات الله أي لأنها تابعة لذلك وناشئة عنه وذلك بدوام الامتثال فيما ثبت لها من الأحكام وبذلك يتحقق للعبد حقيقة التقوى. **(قوله: لأنه تعالى حرم المؤمن الخ)** أي حرم سفك دمه والاستيلاء على ماله والخوض في عرضه بدون وجه شرعي، وذلك لكونه جعل له احتراماً في ذلك كله. **(قوله: وهي غلبة حال الحق على المحق)** أي وذلك بفناء مرادات العبد في مرادات الرب سبحانه وتعالى، وبمداومة متابعة رسوله وحبيبه.

(قوله: وقال شجرة المعرفة الخ) مراده بالمعرفة العلوم الشرعية والذوقية، وإنها تقوى وتثمر الأنوار القدسية إذا سقيت بماء الفكرة، أي إذا دام تعهد العبد معارفه، واتبعها بالتفكر في آيات الله سبحانه وتعالى الدالة عى انفراده تعالى بالإيجاد والإختراع. **(قوله:**

الواحد الذي لا ربّ سواه **(تسقى بماء الفكرة)** أي التفكر في تفاصيل أفعاله تعالى وانفراده بها عن جميع المخلوقات، ومعنى سقي معرفته بذلك أنه ينشرح به صدره ويتسع نظره في المخلوقات وينتفع به كما أن الشجرة إذا سقيت بالماء حسنت فروعها واخضر ورقها، وطاب ثمرها وانتفع بها جانيها **(وشجرة الغفلة)** عن الله **(تسقى بماء الجهل)** بمقدار ما فاته من الله من الخيرات، فكلما توالت غفلته عن شيء بعدت عنه فوائده فالغفلة عن الفوائد سببها الجهل بها **(وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة)** لأن العبد إذا كان معرضاً عن مولاه ثم من عليه بالتوبة ندم على ما مضى منه وعزم على أن لا يعود إلى ذلك **(وشجرة المحبة)** من العبد لله ومن الله للعبد **(تسقى بماء الاتفاق)** أي: اتفاق مراد العبد ومطلوب الرب تعالى **(و)** بماء **(الموافقة)** للكتاب والسنة التي بها يحصل رضا الله على العبد، وإذا رضي عليه أحبه وإذا أحبه والى عليه نعمه. **(وقال)** ابن مسروق **(متى طمعت في المعرفة)** بالله **(ولم تحكم)** أي: تتقن **(قبلها مدارج الإرادة)** أي: السلوك **(فأنت في جهل)** لأن العارف من توالى ذكره

ومعنى سقي معرفته الخ) بيان لوجه التشبيه، وهو أن الشجرة الحسية ما دام صاحبها يتعهدها بسقي الماء تحسن فروعها، ويخضرّ ورقها، ويبدو ثمرها على أحسن الأحوال لينتفع به صاحبه، كذلك المعرفة، إذا دام العارف يتعهدها بالتفكر في المصنوعات المختلفة الدالة على وحدة الصانع وقدرته فينشرح بذلك صدره، ويكثر خيره وبره.

(قوله: وشجرة الغفلة) أي التي ينشأ عنها الإعراض عن العلم، وعن العمل بواسطة الاشتغال بالحظوظ والشهوات، وقوله: تسقى بماء الجهل، أي تنمو وتزيد بدوام صفة الجهل، وتثمر غاية البعد عن درجات الأبرار، وتدني إلى دركات الأشرار. **(قوله: وشجرة التوبة الخ)** أي أصل التوبة وحقيقتها، والمقوم لتلك الحقيقة، إنما هو الندم بتجسر القلب على ما فرط من المخالفات، حتى بذلك يرد لقرع باب رب البريات بالإقلاع والعزم على عدم العود لقوة الرجاء من كرم الحق أن يجود. **(قوله: وشجرة المحبة الخ)** أي أصلها والمقوم لها إنما هو الاتفاق من أحب محبوباً وافقه، بل إذا كملت المحبات فنيت المرادات فافهم. **(قوله: من العبد لله الخ)** كان الأظهر تقديم محبة الله للعبد، إذ هي السبب الأقوى في محبة العبد لله قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] نعم يقال الواو، لا تفيد الترتيب. **(قوله: متى طمعت في المعرفة الخ)** أي في الوصول إلى هذه الدرجة، ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة، بحيث لم تتهيأ لقرع هذا الباب بما يأتي بيانه في الشرح، فأنت في جهل أي حيث سلكت غير السبيل، وأعرضت عن نور الدليل.

(قوله: لأن العارف الخ) منه تعلم إرادة الذكر القلبي واللساني معاً. **(قوله: ما**

لمعروفه وقلت غفلته عنه حتى قال بعضهم، ما رأيت شيئاً حتى رأيت الله قبله لشدة يقظته، وكثرة ذكره لربه ومدارج السلوك أولاً التوبة عن المحرمات، ثم عن المكروهات وهو الورع ثم عن الشبهات وهو الزهد، ثم عن السكون عن الأسباب المعتادة وهو التوكل، ثم الرضا بما يجريه الحق من المؤلمات ثم المحبة له تعالى وإفراغ الجهد في الموافقات التي هي إفراغ الجهد في الطاعات كما مر **(ومتى ما طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة فأنت في غفلة عما تطلب)** لأن التوبة مقدمة عى الإرادة التي هي إفراغ الجهد في الطاعات كما مر.

(ومنهم أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني) بفتح الهمزة وكسرها نسبة إلى أصبهان أشهر بلدة بالجبل **(من أقران الجنيد قصده عمرو بن عثمان المكي في دين ركبه فقضاه عنه وهو ثلاثون ألف درهم)** فيه تنبيه على كماله في رغبته في الخير **(لقي أبا تراب النخشبي والطبقة)** أي: الذين في طبقته **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الطبري يقول: سمعت علي بن سهل يقول: المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق)** لأنه إنما بادر إليها بعون الله وخلق

رأيت شيئاً حتى رأيت الله قبله) وذلك بفناء العبد عن جميع الخلق، فلم يشهد إلا الملك الحق، فمثله ممن يستدل بالمؤثر على الأثر، وبالمخبر على الخبر، وذلك أشرف المقامات لشهود الخالق قبل المخلوقات. **(قوله: ومدارج السلوك)** أي أسباب السير الموصلة إلى عليّ المقامات والأحوال الشريفة، وقوله: ولا التوبة الخ إنما كانت التوبة الأول من المدارج لأنها باب الأبواب، ومفتاح كنز الذخائر، ولا يخفى على ذي بصيرة وجه ترتيب ما بعد التوبة من المدارج. **(قوله: قبل تصحيح مقام التوبة)** أي قبل تحققك بحقيقتها فأنت في غفلة وجهل حيث أردت فتح الباب بدون تهيؤ له بالطهارة من رجس الذنوب بالاغتسال منها بماء التوبة والرجوع إليه سبحانه وتعالى.

(قوله: ومنهم أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني) هو من قدماء مشايخ أصبهان وأقران الجنيد صحب ابن النخشبي وابن معدان وغيرهما، جاب القفار والبلاد وما هاب الوحش والجلاد، وقطع المفاوز بعزم صاعد إلى أن أقر ليله الحالك بعد ما تطور في أطوار واقتحم الممالك، ومن كلامه: حرام على من عرف الله أن يسكن لغيره، وقال: من فقه قلبه أورثه ذلك الإعراض عن الدنيا وأهلها فإنّ من جهل القلب متابعة سرور لا يدوم، وقال: التصوف التبري عمن دونه والتخلي عما سواه، وقال: التوجه قريب من الظنون بعيد في الحقائق وانشد شعراً:

وقلت لأصحابي هي الشمس ضوؤها قـريـب ولـكـن فـي تـنـاولـهـا بـعـد

(قوله: المبادرة إلى الطاعات) أي المسارعة إليها بجد وهمة من علامات التوفيق أي

قدرتها له وهذا معنى التوفيق، **(والتقاعد عن المخالفات)** للطاعات **(من علامات حسن الرعاية)** لخواطر القلب وللعلم بمحمودها ومذمومها **(ومراعاة الأسرار)** أي: أعمال القلوب **(من علامات التيقظ)** لأفعاله كلها بمعرفة محمودها ومذمومها إذ لو لم يكن متيقظاً لها لم يراع أسرار قلبه وأصل ذلك خبر: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»، **(وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية)** لأن من علم أن جميع ما هو فيه من الطاعات والنعم من فضل ربه، ثم ادعاه وأضافه لنفسه لجريانه على يده مع معرفته بعجزه وعدم تأثير قدرته كان ذلك من رعونته وحمقه، **(ومن لم تصح مبادي إرادته)** باتباع الكتاب والسنة **(لا يسلم في منتهى عواقبه)** لأن البناء الصحيح إنما يكون باتباع ذلك وكمال الصدق والصبر، وهذا أقرب من قولهم من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة أي: من لم يكن له اجتهاد في مباديه مع قوة شبيبته، وصحته في بدنه على ما يرومه من الخيرات لم يقدر على ذلك بعد عجزه.

من إمارات سابق العناية الإلهية حيث خلق فيه القدرة على الفعل في أول الوقت.

(قوله: والتقاعد عن المخالفات) أي الحاصل بالإعراض عن الحظوظ من علامات حسن الرعاية أي بداعي محاسبة النفس فيما يخطر من خواطرها والعمل منها بما يظهر موافقاً لشاهد الكتاب والسنة، وقوله: ومراعاة الأسرار الخ أقول هو أعم ثمرة مما قبله وأكثر فائدة منه.

(قوله: من أخلص لله الخ) التخصيص بالعدد المذكور لسر علمه الشارع ﷺ.
(قوله: وإظهار الدعاوى الخ) أي بالتحدث عن نفسه بالتوفيق الإلهي والعمل بالسنة فذلك يعد من الحمق والجهل بالحقائق حيث غفل عن كونه محلاً لجريان القضاء والقدر فقد شهد ظاهر الحال مع غفلته عن قدرة الكبير المتعال على أن ذلك سبيل للشهوة، ومن نوع التصنع وهما مهلكان.

(قوله: من رعونات البشرية) أي بسبب كثرة جهالاتها بتوالي الغفلة على القلب وانطماس عين البصيرة. **(قوله: لا يسلم في منتهى عواقبه)** أي لأن الفروع تابعة للأصول، فإذا فسد الأصل فسد ما يترتب عنه وينشأ عنه. **(قوله: وهذا أقرب الخ)** أي أسهل في فهم المعنى المراد حيث صرح فيه بإيقاع الأعمال صحيحة بموافقة الكتاب والسنة، وهو يفيد ما أفاده القول الثاني مع زيادة تدرك بالتأمل لأن المصرح به فيه إنما هو الجد والاجتهاد في الأعمال من أوّل الإرادة، وإنْ كانت الصحة معتبرة فيه أيضاً فليتأمل.

(**ومنهم أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري**) بضم الجيم نسبة إلى جرير بن عباد من بني بكر بن وائل (**من كبار أصحاب الجنيد وصحب سهل بن عبد الله**) التستري وقد (**أقعد**) أي: أجلس (**بعد الجنيد في مكانه وكان عالماً بعلوم هذه الطائفة**) الصوفية (**كبير الحال مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول: مات الجريري سنة الهبير**)

(**قوله: ومنهم أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري**) هو من كبار أصحاب الجنيد كان غزير العلم صحيح الطريق عظيم الشأن نظم في التصوف ونثر ورقي منبر الوعظ كأنه في أعلاه حمام هدر، ومن كلامه: ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره، فإذ ذاك تخلص من العلل فما قرن حدث بقدم إلا تلاشى يبقى الأصل وتتلاشى الفروع، وقال: من رضي بدون قدره رفعه الله تعالى فوق غايته، وقال: إنَّ الله لا يعبأ بصاحب حكاية إنما يعبأ بصاحب قلب ورواية، واعتكف شهراً لا يأكل ولا ينام ولا يمد رجله، ولا يستند لحائط فقيل له كيف قدرت فقال علم صدق باطني فأعانني على ظاهري، وقال: من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة يصل إلى الكشف والمشاهدة، وقال كان بين أصحابنا رجل يكثر أنْ يقول الله الله وذلك أنَّ كل إناء بما فيه ينضح، وقال: قدمت من مكة فبدأت بالجنيد لئلا يبغيني فسلمت ثم مضيت لمنزلي، فلما صليت الصبح إذا به خلفي فقلت أنا جئتك أمس لئلا تبغيني قال ذلك فضلك وهذا حقك وكان لا يلبس إلا ثوباً واحداً فسأل عنه فقال كان ببغداد فقير لا يرى في السنة إلا مرة في الشتاء، ومرة في الصيف فسئل عن حاله فقال كنت مولعاً بكثرة لبس الثياب فرأيت كأني أدخلت الجنة وجماعة فقراء على مائدة فأردت الجلوس معهم فأقامني الملائكة وقالوا هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت صاحب ثوبين، فانتبهت ونذرت أن لا ألبس إلا ثوباً واحداً، وقال: من توهم أنَّ أعماله توصله إلى مأموله الأعلى أو الأدنى فقد ضل عن الطريق لأن المصطفى ﷺ يقول: «لن ينجي أحدكم عمله» فما لا ينجي من المخوف كيف يبلغ المأمول، ومن صح اعتماده على فضله فذاك الذي يرجى له الوصول، وجاء رجل فقال: كنت على بساط الإنس ففتح عليَّ باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مكاني فكيف السبيل إليه فبكى وأبكى وأنشده:

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبراً ... عن أهلها أو حائراً أو مشفقا
فأجابني داعي هواهم مسرعاً ... فارقت من تهوى فعز الملتقى

(**قوله: وكان عالماً بعلوم هذه الطائفة**) أي من علم الشرع والذوق بطريق الكسب والهبة. (**قوله: فحزت به بعد سنة**) أي وهو ميت كما تفيده آخر العبارة.

التي كان فيها هلاك الناس وتهبيرهم أي: تقطيعهم **(فجزت)** أي: مررت **(به بعد سنة فإذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره وهو مشير إلى)** توحيد **(الله بأصبعه)** فيه تنبيه على أنه كان مشغولاً بالله تعالى في وقت اشتغال الناس بأنفسهم عن أديانهم لشدة ما يطرقهم من المصائب الدنيوية لأنه لما وقع هذا الأمر العظيم علم أنه لا نجاة منه إلا بربه فأقبل عليه، وجلس مكانه متوجه القبلة معرضاً عن غيره فمات وهو كذلك مشيراً إليه. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: من استولت عليه النفس)** أي شهواتها من الغضب والكبر والحسد ونحوها **(صار أسيراً في حكم الشهوات محصوراً في سجن الهوى)** أي: لا يتفرغ للطاعات، ولا يفرق بين ما ينفعه وما يضره عند ربه **(وحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه لقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾)** [الأعراف: ١٤٦] أي: سأصرف قلوبهم عن فهم كتابي فلا يفهمونه ولا يجدون له لذة لامتلاء قلوبهم بالشهوات، فلا يتفرغون للتفهم. **(وقال الجريري: رؤية الأصول)** وهي الكتاب والسنة والإجماع تكون **(باستعمال الفروع وتصحيح الفروع)** المأخوذة منها تكون **(بمعارضة الأصول)** فكلما أراد العبد أن يعمل عملاً من صلاة أو صوم أو غيرهما، فلا بدّ أن يلتفت لأصوله ويعرف حكمه منها، وبهذا الاعتبار يكون الفرع مذكراً الأصل لاحتياجه إليه، وكذا لا يصح له فرع حتى يعرضه على الأصل فيشهد بصحته فكل منهما محتاج إلى الآخر إلا أن الفرع مذكر للأصل لضرورة الرد إليه والأصل

(قوله: مشيراً إلى توحيد الله) أي انفراده بالوحدانية. **(قوله: من استولت عليه النفس الخ)** محصله أن من غلبت عليه نفسه بشهواتها وحظوظها دامت غفلته عن كل خير ديني، فلا يتأثر بموعظة ولا بسماع حكمة، وذلك لكثرة ظلمات قلبه وجهالاته، أعاذنا الله وأحبتنا المؤمنين من ذلك. **(قوله: وحرم الله)** أي منع وصول الفوائد إلى قلبه، وقوله: وإنْ كثر ترداده على لسانه أي لأن الذكر بدون فكر لا يفيد. **(قوله: فلا يفهمونه)** أي فهماً مؤثراً في تحصيل الفوائد. **(قوله: رؤية الأصول)** أي أصول الأحكام الشرعية باستعماله الفروع أي فعند الالتفات إلى العمل يرجع الإنسان إلى الأصل ليوقع الفرع صحيحاً موافقاً للأصل. **(قوله: وتصحيح الفروع)** أي عند إرادة إيقاعها صحيحة يلزم الشخص أن يعرضها على الأصول فبالاعتبار الأوّل يكون الفرع مذكراً للأصل لاحتياجه إليه وكذا لا يصح الفرع إلاّ بعرضه على الأصل، فحينئذ يكون كل من الأصل والفرع متوقفاً على الآخر، وإنما جهة التوقف مختلفة فكل محتاج إلى الآخر غير أنَّ حاجة الفرع

شاهد للفرع بالصحة لضرورة شهادته له بها **(ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول)** المذكورة **(إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسايط)** بين الرب وعبده وهم الرسول وأصحابه والعلماء **(والفروع)** لأن الله شرفهما وعظمهما، فلا سبيل إلى أن يعظم العبد الأصول حتى يعظم فروعها والناقلين لها إلى عباده، وفي ذلك تنبيه على أن الجريري عارف بكمال الشريعة أصولها وفروعها، ومن كلامه: ما مددت رجلي في الخلوة منذ عشرين سنة فإن حسن الأدب مع الله أولى.

التذكير وحاجة الأصل الشهادة للفرع، فتأمل. **(قوله: ولا سبيل إلى مقام الخ)** محصله أن اعتقاد العظمة والصحة في الأصول فرع اعتقاد العظمة والصدق فيمن شرعها، وكان واسطة فيها واعتقاد عظمتها أعني الأصول لا يتم إلاّ بإيقاع الفروع صحيحة على موافقتها، وإلا فلا فائدة.

(قوله: ومن كلامه ما مددت رجلي الخ) أقول في هذا تنبيه على غاية مجاهدته للنفس وحملها على غاية الأدب في حقه تعالى. **(قوله: ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطا)** هو العالم الظريف والناسك الشريف له اللسان المبسوط والبيان الذي هو بالحق مربوط، وقف على مراتب المأسورين ومقامات أهل البلاء من المأخوذين، كان مفتياً في علوم الشريعة والحقيقة فهو ممن علا في طريق القوم قدره، واشتهر فيما بينهم ذكره وتميز فضله حتى عز في عصره أنْ يوجد مثله، ومن كلامه: الذوق أول المواجيد وأهل الغيبة عن الله إذا شربوا طاشوا وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا، وقال: أقبح من كل قبيح صوفي شحيح، وقال: ليس كل من صلح للمجالسة صلح للمؤانسة، ولا كل من صلح للمؤانسة يؤتمن على الأسرار، وقال: من ألزم نفسه السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة، وقال: إذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبك فأدّبها بمجالسة الحكماء، وقال: القلب إذا اشتاق إلى الجنة أسرعت إليه هدايا الجنة وهي المكروه، وقال من علامة الصادق رضا القلب بحلول المكروه، وقال: إدن قلبك من مجالسة الذاكرين لعله ينتبه من غفلته، وقال: القبض أوّل أسباب الفناء والبسط أول أسباب البقاء، فمن قبض فحاله الغيبة، ومن بسط فحاله الحضور، وقال رأيت في النوم قائلاً يقول أي شيء أصح في الصلاة قلت صحة القصد فقال هاتف، بل رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم، وقال: رؤية الثواب عند ذكر الله غفلة عن الله، وقال: العبودية ترك الاختيار ولزوم الإفتقار وإياك أن تلاحظ مخلوقاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلاً، وقال: أي منزلة إذا قام العبد بها قام مقام العبودية قال ترك التدبير، وقال: لا تجد السلامة حتى تكون في التدبير كأهل القبور، وقال: الرضا ترك الخلاف على الله تعالى فيما يجريه على العبد، وقال: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقال: الشوق احتراق الأحشاء وتقطع الأكباد، وله غير ما ذكر من الفوائد.

(ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي) بفتح الهمزة والمهملة نسبة إلى بيع الأدم جمع أديم (من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم كان الخراز يعظم شأنه وهو من إخوان الجنيد وصحب إبراهيم المارستاني مات سنة تسع وثلاثمائة. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا سعيد القرشي يقول: سمعت ابن عطاء يقول: من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه) لأنه ﷺ عارف بأفضل ما يحبه مولاه وما يقربه إليه ويرضاه فهو إنما يسلك بنفسه أفضل الطاعات بمعونة الله له في سائر الحركات والسكنات، فمن اتبعه في ذلك فلا مقام أفضل من مقامه ومنه محبة الله له قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] (وقال ابن عطاء: أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه عز وجل وغفلته عن أوامره ونواهيه وغفلته عن آداب معاملته) لأن الغفلة تعظم بحسب المغفول عنه فمن غفل عن الله كان ذلك أشد الغفلة لكونه غفل عن الأصل العظيم في عبادته، بل قد يؤدّي إلى الكفر ويليها الغفلة عن أوامره ونواهيه، وتليها الغفلة عن الآداب والفضائل، وهذا الترتيب مفاد من كلامه من حيث أن العادة تقديم الأهم فالأهم. (سمعت أبا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول: سمعت عبد الرحمن بن أحمد الصوفي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: كل ما سئلت عنه) مما يتعلق بالله أو بصفاته أو بأحكامه (فاطلبه) صحة (في مفازة العلم) أي: مجاله شبهها بالمفازة وهي الصحراء المتسعة لاتساع مجال

(قوله: ألزم نفسه الخ) أي ويشهد له خبر: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم». (قوله: ولا مقام أشرف الخ) أي ولذلك كان الخروج عنه ابتداع وغرور ودليل أشرفية متابعته ﷺ وضحه الشارح فتأمله. (قوله: ومنه محبة الله له) أي من مقامه الشريف محبة الله تعالى له على معنى أنه أفرغ عليه سائر نعوت الكمال والفضل ﷺ وزاده تشريفاً وتكريماً. (قوله: أعظم الغفلة الخ) يشير إلى أن الغفلة أنواع وأشدّها في الضرر الغفلة عنه تعالى كما أشار إليه الشارح في بيان مراد المصنف فعلى العاقل العمل بالأهم فالأهم والله أعلم.

(قوله: بل قد يؤدي إلى الكفر) أي إن قصر في علم موجده. (قوله: كل ما سئلت عنه الخ) محلصه أن أدلة المسائل فيما يتعلق به تعالى من مسائل الأحكام والذات والصفات منحصرة في العلم الشرعي ثم علم الحكمة ثم علم العقائد، فإنْ لم يوجد جواب المسائل في شيء مما ذكر فاضرب به وجه الشيطان لأنه من تلبيسه. (قوله: لاتساع مجال العلم) أقول وللإشارة إلى أنَّ العلم إنْ تجرد عن الذوق وفن الإشارة ربما كان مهلكة بالوقوع في الصادق الذي غلبته هواتف الحقيقة وخفي حالته عن الغير.

العلم وهي الأدلة المأخوذة من الكتاب والسنة **(فإن لم تجده)** فيها **(ففي)** أي: فاطلبه في **(ميدان الحكمة)** بفتح الميم أشهر من كسرها وهو قول العلماء العاملين وسماه ميداناً لأنه محل النظر ومجاري العبر **(فإن لم تجده)** فيه **(فزنه بالتوحيد)** هل تليق نسبته إلى الله تعالى صفة أو فعلاً أولا **(فإن لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان)** فإنه خاطر مذموم وإن استحسنته، وفي ذلك تنبيه على كمال عمله بمعرفته طرق الأحكام والخروج عما يلقيه الشيطان في قلوب العوام لتزل بهم الأقدام. وقال رضي الله تعالى عنه: علامة الولي أربعة: صيانة سره فيما بينه وبين الله، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمره، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلقه، ومداراته للخلق على تفاوت عقولهم، وقال: لما عصى آدم ربه بكى عليه كل شيء في الجنة إلا الذهب والفضة فأوحى الله إليهما لا تبكيان على آدم فقال ما لنا نبكي على من يعصيك فقال: وعزتي وجلالي لأجعلن قيمة كل شيء بكما ولأجعلن بني آدم خدماً لكما.

(ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص) نسبة إلى نسج الخوص **(من أقران الجنيد والنوري وله في التوكل والرياضات حظ كبير مات بالري سنة إحدى**

(قوله: وسماه ميداناً لأنه الخ) أي ولاتساعه أيضاً فإنْ أصل بروز الحكمة عن القلوب المقدسة التي ملئت بالأنوار حتى انصقلت بصائرها. **(قوله: فزنه بالتوحيد)** أي بما تقرر في علم التوحيد بأن تعرضه عليه، فإن وافقه فاتبعه وإلا فأعرض عنه. **(قوله: علامة الولي الخ)** أي الأمارة الدالة على ولايته ووصوله، وإن عناية الحق شملته أربعة، والحصر فيها لا يختفي سره، فتأمل. **(قوله: صيانة سره الخ)** أي حفظه من الخواطر والدسائس بسبب بقاء بعض الحظوظ، وقوله: وحفظ جوارحه أي بإمساكها على مقتضى الأمر والنهي الإلهيين، فلا يخرج عن ذلك في حركة أو سكون. **(قوله: واحتمال الأذى)** أي لأنه شرط معتبر في السائرين إلى الله تعالى مع أخذ معاذير الخلق، والله أعلم. **(قوله: ومداراته الخ)** أي لأنها سنة شريفة كما ثبت بها الخبر الصحيح، والله أعلم. **(قوله: لما عصى آدم ربه الخ)** أي حيث وقع منه صورة المعصية بالأكل من الشجرة بعد النهي عن الأكل منها ظاهراً وقد تعلقت الإرادة بالأكل منها باطناً، ومن بقية ما نقله الشارح نفعنا الله به تعلم أن من عظم أمر الله أورثه الله العز والشرف، فافهم.

(قوله: ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص) أوحد مشايخ وقته، وأجل أصحاب التوكل من أقران الجنيد، عارف كثرت فوائده وحسنت أخلاقه ومقاصده، انتفع به الطلاب وارتفع قدره بين ذوي الألباب، قال الغزالي: كان لا يقيم في بلد أكثر من أربعين يوماً، وكان رأساً في التوكل يرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قادحة في التوكل

وتسعين ومائتين كان مبطوناً) في المسجد (فكان كلما قام) من محله (توضأ) وفي

قال: وكانت عادته أن يخوض مع المريد في كل رياضة والقوى إذا اشتغل بالرياضة، وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حدّ الضعفاء تشبهاً بهم، وتلطفاً في سباقهم إلى السعادة، وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء انتهى، وكان يوماً في السياحة، وإذا عفريت صفعه فرفع رأسه إلى السماء وقال هكذا يفعل بمن يمشي في خفارتك فاستقبله ملك برأس العفريت، ومن فوائده من لم يصبر لم يظفر، وقال: من أراد الله بذل له نفسه فأدناه من قربه، ومن أراده لنفسه أشبعه من جنانه وأدناه من رضوانه، وقال: الناس رجلان حر وعبد، فالحر مهموم بتدبير نفسه ومتعوب بالسعي في مصلحته، والعبد طرح نفسه في ظل الربوبية والمتوكلون الواثقون بضمانه غابوا عن الأوهام وعن عيون الناظرين فعظم خطر ما أوصلهم إليه رجل قدر ما حملهم عليه فيا طيب عيش لو عقل ويا لذة وصف لو كشف، ويا رفعة قدر لو وصف، وكان عامة مناجاته:

برح الخفاء وفي التلاقي راحة ... هل يشتفي خل بغير خليله

وتأوّه فقيل له ما هذا التأوه، فقال كيف يفلح من يسره ما يضره وأنشد:

تعودت مس الضر حتى ألفته ... وأحوجني طول البلاء إلى الصبر
وقطعت أطماعي من الناس آسياً ... لعلمي بصنع الله من حيث لا أدري

وقال: جعت في البادية شديداً فاستقبلني أعرابي فقال الدعوى تهتك ستر المدعين فما لك والتوكل، وقال: العالم من عمل بعلمه، وإن قل، وقال: بقدر إعزاز المؤمن أمر الله يلبسه من عزه ويقيم له العز في قلوب الناس، وقال: شرط الفقير استواء أوقاته في الانبساط، وقال: لقيت الخضر في البادية فسألني الصحبة، فخفت أن يفسد عليّ توكلي بالسكون له ففارقته، وقال: المفاخرة والمكاثرة يمنعان الراحة، والعجب يمنع معرفة عيوب النفس والتكبر يمنع معرفة الصواب والبخل يمنع الورع، وقال: الهالك من ضل أواخر عمره حتى قارب المنون، وقال: التسليم أن تعلم أن الله أشفق عليك من نفسك، وقال: أشد ما يعذب الله به عباده مفارقة حضرته، وقال: اجتمع رأي سبعين صديقاً على أنّ كثرة النوم من كثرة شرب الماء، وقال دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن، وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين، وكان يقبض على لحيته ويقول:

هذا ولهي وكم كتمت الولها ... صوناً لحديث من هوى النفس لها
يا آخر محنتي ويا أوّلها ... أيام عناي فيك ما أطولها

وله غير ذلك من الفوائد.

(قوله: كان مبطوناً) أي مريضاً بداء البطن، وهو الإسهال أعاذنا الله من بلايا الدنيا

رواية دخل الماء فاغتسل **(وعاد إلى المسجد وصلى)** فيه **(ركعتين فدخل مرة الماء فمات)** فيه **(رحمه الله. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الخواص يقول: ليس العلم)** أي: النافع **(بكثرة الرواية)** فليس المكثر منها بعالم **(إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن)** أي: الأخبار **(وإن كان قليل العلم)** لأن كثرة الرواية ترجع إلى كثرة نقل الحديث من طرق وكذا قراءة القرآن بالروايات، فليس العلم بذلك وإنما هو بالعمل وباقتداء السنن وإن قل العلم لأنه إذا عرف ربه وأحكامه، ووعده ووعيده ونفسه وشيطانه ودنياه عرف أنه لا خلاص له إلا بطاعة الله وكرمه **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت الأزدي يقول: سمعت الخواص يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين)** وهي كلها متظافرة على الخير يعين بعضها بعضاً على تحصيله وأسها خلاء البطن من الطعام فإنه يلزم منه قله النوم وسرعة الفهم والبكاء وقت التضرّع، وهذه الحالة ترجى فيها الإجابة قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: ٤٣].

(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز من أهل الري جاور بمكة صحب أبا حفص وأبا عمران الكبير وكان من المتورعين مات قبل العشرة وثلاثمائة، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سمعت الدقي يقول: دخلت على عبد الله الخراز ولي أربعة أيام لم آكل فقال: يجوع أحدكم أربعة أيام ويصبح ينادي عليه الجوع، ثم قال ايش يكون لو أن كل نفس منفوسة) أي: مولودة **(تلفت فيما تؤمله عند الله تعالى ترى يكون ذلك كثيراً)** في ذلك تقوية لقلوب

والآخرة والمؤمنين. **(قوله: ليس العلم الخ)** أي فليس المقصود مجرد العلم الخالي عن ثمرته من العمل لأنه غير نافع، بل هو ضار ويدل له خبر: «ما قل ونفع خير مما كثر ولم ينفع»، والله أعلم.

(وقوله: دواء القلب) أي سبب شفاء داآته الباطنة وعيوبه الكامنة يتحقق للعبد بمواظبته على هذه الخمسة لأنها جماع الخير وسبب التنوير.

(قوله: فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أي فهلا تضرعوا وابتهلوا بالدعاء بدفع اليأس وقت مفاجأته إياهم أي فلولا بمعنى هلا التحضيضية. **(قوله: فقال يجوع أحدكم الخ)** يشير إلى أن الغرض العظيم تتحمل المشقات العظيمة في طلبه مع أنه لا أعظم منه تعالى، فلو بذلت الأرواح في طلبه لكان سهلاً هيناً أي فينبغي للمريد أن يدوم على الصبر

المريدين وحملهم على الجد فيما هم فيه لينالوا ما وعدهم الله به وفيه مكاشفة بما عليه التلميذ لا سيما قوله أربعة أيام، فلما رأى عليه آثار الجوع ورأى نفسه قد ذلت وانكسرت من الجوع قواها وأعانها بذلك ثم عرف ما يرجوه من الله تعالى على مجاهدته له، وإن نفسه لو تلقت لما ترجوه من فضل ربها لكان تلفها يسيراً في جنب ما تؤمل، ولم يأمره بحمل ما لا يطيقه وإنما قوى نفسه حتى لا يختل حاله ويرجع عن طريقته فإن الرفق بالنفس في السير أولى وتركها بلا مجاهدة مع هواها علامة الخذلان. **(وقال أبو محمد عبد الله الخراز: الجوع طعام الزاهدين)** لأنهم إنما يعانون على فراغهم للخيرات به كما يعتان الخلق على الحياة بالطعام **(والذكر طعام العارفين)** بالله لأنهم بعيدون عن المشغلات عنه معرضون عن الدنيا، بل وعن غيرها من جزاء الطاعات فلا يعتانون على ذلك إلا بذكر الله لأنسهم به وتلذذهم بقربه.

لينال أعز المطالب. **(قوله: وإن نفسه لو تلفت الخ)** أي ومن هنا قول بعض المحبين:

تمنت سليمى أن أموت صبابة ... وأسهل شيء عندنا ما تمنت

(قوله: الجوع طعام الزاهدين) أي لأنه سبب في خلو الأسرار عن الأغيار، فتتراسل بذلك بوارق الأنوار إلى بصائر قلوب الأخيار.

(قول: والذكر طعام العارفين) مراده الذكر باللسان وبالقلب، وإنما كان طعامهم الذكر لأنهم تحققوا بالله، ورفضوا ما سواه، فكانت حياتهم بالذكر، وتنعماتهم بالفكر، وأنسهم بالقرب فجناتهم بالمشاهدات، ونارهم بالغفلات فرضي الله تعالى عنهم، وأرضاهم عنا. **(قوله: ومنهم بنان)** أي الواسطي، ثم المصري عابد عارف وزاهد على الخير عاكف كريم الشأن والولاية جميل التربية والرعاية، صحب الجنيد وغيره، وله الكرامات السنية، والمواقف العلية سئل عن أجل أحوال الصوفية فقال: الثقة بالمضمون، والقيام بالأوامر، ومراعاة السر، والتخلي عن الكونين، وقال: رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب، وقال: بينا أنا أسير بين مكة وجدة، وإذا بشخص على بعد فأممته وسلمت عليه، وقلت له: أوصني فقال: يا بنان إن كان الله أعطاك من سر سره سراً فكن مع ما أعطاك، وإن كان لم يعطكه فكن مع الناس على ما هم عليه من الظاهر، وعليك بكتابة الحديث، وقال: كنت بطريق مكة، ومعي زاد فرأيت امرأة فقالت: يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك أتظن إنه لم يرزقك فرميت ما أحمل به، وقال: الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع والبريء جريء، والخائن خائف، ومن أساء استوحش، وقال: ليس بمتحقق في الحب من راقب أوقاته، وتحمل في كتمان حبه حتى ينهتك فيه، ويفضح ويخلع العذار إدلالاً، ولا يبالي بما يرد عليه من جهة محبوبه، ويتلذذ بالبلاء في الحب، وله غير ذلك.

(ومنهم أبو الحسن بُنان) بضم الموحدة (ابن محمد الحمال واسطي الأصل أقام بمصر ومات بها سنة ست عشرة وثلاثمائة كبير الشأن صاحب الكرامات سئل بنان عن أجلّ أحوال الصوفية فقال: الثقة بالمضمون)، وهو الرزق ليستريح من المشغلات عن الطاعات (والقيام بالأوامر) أي: بالمطلوب بها من العبادات قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] (ومراعاة) خواطر (السر) أي: القلب لتكون الأعمال خالصة لله تعالى لا لطلب الجزاء الذي وعد الله به عليها ولا لغيره (والتخلي من الكونين) أي: كوني الدنيا والآخرة بأن يعرض العبد عن حظوظ النفس، فلا يسكن بقلبه لغير مولاه فيهما. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسن بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: ألقى بنان الحمال بين يدي السبع) بأمر ابن طولون لما أمره بالمعروف أو لما نسب إلى خطأ في الدين، فإن الصوفية تجري على ألسنتهم كلمات لا يفهمها غيرهم فينسب قائلها إلى ذلك، فمنهم من ينسب إلى الزندقة، ومنهم من ينسب إلى الحلول ويمشى به إلى السلاطين (فجعل السبع يشمه، ولا يضره فلما أخرج) أي أطلق بسبب ما رؤي منه من هذه

(قوله: إلا ليعبدون) اللام للصيرورة والعاقبة بالنسبة لمن تعلق عمله القديم بإيمانه وعبادته على ما لا يخفى على من له المام، وقد تنزه الحق عن العلل والبواعث والأغراض في الأفعال والأحكام. (قوله: لتكون الأعمال خالصة لله) أي، والإخلاص سر القبول. (قوله: والتخلي من الكونين) أي بعدم الإلتفات إلى شيء منهما لا رغبة ولا رهبة بل يكون مقصوده مولاه. (قوله: ألقي بنان الحمال الخ) اعلم أن الإنسان متى قصر قلبه عليه تعالى، فلا يشهد غيره تعالى، فاعلاً في شيء من الأشياء لا يرجو غير الله، ولا يخاف غير الله، فإذا ثبت قدمه على هذا المقام دفع الله عنه شر جميع الأنام، والله أعلم.

(قوله: فإن الصوفية تجري الخ) أقول والله أعلم بالحقائق أن لهؤلاء الرجال شطحات يخرجون فيها إلى ميدان البسط، فلا يؤاخذون فيها بعدم الضبط بسبب تجليات جمالية، وواردات رحمانية يكشف لهم بها حجب الجمال، فيهيمون بعز الدلال فيخاطبون بالإلهام هلموا على المدام بعد أن يسمعوا شادي الأرواح يترنم بلا إثم ولا جناح، فيترجمون في حال سكرهم بالحال لما يشاهدون من مظاهر الإفضال بما لا تسعه العقول، ولا يوافق الحكم المنقول، حيث هم في الحضرات الغيبية والمشاهدات الجمالية بالترقي إلى المقامات الأحدية، بالوسايط الأحمدية والإشارات المحمدية، فمن لم يذق من شراب القوم نال ما نال بفائق اللوم إذ من جهل شيئاً عاداه، ووقف عن الغرض عند من عناه، ثم من راعى في اللوم المنقول، مما جاء على لسان سيدنا الرسول فلا ضرر عليه أن قصد الله، وإلا فقد عادى أولياء الله هذا ما ظهر لكاتبه الفقير، والله على كل شيء

الكرامة (**قيل له ما الذي كان في قلبك حيث شمك السبع قال: كنت أتفكر في اختلاف العلماء في سؤر السبع**) هل هو نجس أو لا، فيه تنبيه على كمال تثبته، ونظره لأفعال الله تعالى وأحكامه، أما نظره لأفعاله فلعدم التفاته للسبع الذي يهلك غالباً، وإنما كان نظره لما ينزله الله به من قضائه، وأما نظره لأحكامه فلتفكره في الطهارة، والنجاسة بالنظر إلى سؤر السباع.

(**ومنهم أبو حمزة البغدادي البزار**) لم أقف له على اسم (**مات قبل الجنيد**) في سنة يأتي بيانها (**وكان من أقرانه صحب السري**) السقطي (**والحسن المسوحي، وكان عالماً بالقراآت فقيهاً، وكان من أولاد عيسى بن أبان وكان أحمد بن حنبل يقول له في المسائل**) التي يسأل عنها (**ما تقول فيها يا صوفي قيل كان يتكلم في مجلسه يوم جمعة فتغير عليه الحال فسقط عن كرسيه، ومات في الجمعة الثانية، وقيل: مات سنة تسع وثمانين ومائتين قال أبو حمزة: من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه**) لإطلاعه على فائدته العظيمة (**ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ في أحواله وأفعاله وأقواله**) قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] (**وقال أبو حمزة: من رزق ثلاثة أشياء**) مع ثلاثة أخرى مكملة لها (**فقد نجا من الآفات: بطن خال**) من الطعام (**مع قلب قانع وفقر**) من الدنيا (**دائم معه زهد**

قدير. (**قوله: في سؤر السبع**) أي في حكمه من طهارة وضدها وسؤر السبع رطوبة فمه. (**قوله: من علم طريق الحق**) أي أسباب الوصول إلى مراتب المقربين، وقوله سهل عليه سلوكه أي تيسرت له العبادة، والمجاهدة بموافقتهما للمشروع عنه ﷺ، وقوله: ولا دليل الخ المراد حصر الدليل في المتابعة له ﷺ قولاً وفعلاً.

(**قوله: من رزق ثلاثة أشياء الخ**) يظهر من ذلك إن مراده حصر أسباب النجاة في المذكور، وهو كذلك باعتبار أنها أمهات الأسباب، وقوله: فقد نجا من الآفات أقول، ومن آفات الشبع والإمتلاء الكسل عن العبادات، وكثرة النوم، وفتور الجوارح، وقسوة القلب فلا ينتفع بموعظة، ولا يتأثر بزاجر، وكثرة الغفلة وقوّة شهوة الفرج التي هي من أسباب الكبائر، والتهافت على تحصيل الدنيا لأداء ما تدعو إليه الشهوات البطنية والفرجية، وغير ذلك من المفاسد، بل لو لم يوجد غير ما ذكرناه لكفى، ومن آفات الغنى الطغيان، ومجاوزة الحدود في النفس وفي الغير ومحبة الدنيا وما لابسها اللازم منه غالباً الغفلة عما يعني من أمر الدين، من آفات عدم الصبر السخط والقلق والشكوى، وعدم الرضا بما يجري من أحكام الربوبية، وغير ذلك من المفاسد. (**قوله: بطن خال من الطعام**) أي من فضوله بشاهد علم الشريعة، وقوله: مع قلب قانع أي راض فلا تطلع له لما بيد غيره، وقوله: وفقر دائم أي بالتقلل من الدنيا مع الإعراض عنها بالقلب، وقوله:

حاضر وصبر كامل معه ذكر دائم) إذ لا يكمل خلو بطنه إلا بقلة تشوقه إلى ما خلا بطنه عنه، ولا يقل تشوقه إلا بالقنع ولا يكمل فقره إلا بإعراضه بقلبه عن الدنيا، ولا يكمل صبره إلا بدوام ذكر الله، فيكون صبره عما فاته على ما هو فيه من شغله بالله وفي نسخة بدل معه مع في الموضعين الأخيرين كما في الأوّل.

(ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطي) نسبة إلى واسط العراق مدينة

وصبر كامل، أي حبس النفس على الرضا بكل ما يجري به القضاء معه ذكر وفكر دائم لا ينقطع. **(قوله: إلا بقلة تشوقه الخ)** أي وإلا كان جوعاً خالياً عن الثمرات. **(قوله: إلا بالقنع)** أي وإلا كان تصنعاً، وقوله: ولا يكمل فقره إلا بإعراضه الخ، أي وإلا مجرد دعوى، وقوله: ولا يكمل صبره إلا بدوام ذكر الله، أي لأن ذلك هو الذي يدل على الرضا، وقوله: فيكون صبره عما فاته أي من أسباب الخيرات على ما هو فيه أي لأجل اشتغاله بما هو فيه من وظائف الحال من العبادات والمجاهدات.

(قوله: ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطي) هو من كبار أتباع الجنيد فرغاني الأصل كان رفيع المقدار عالي المنار، وكانت جماعته الذين يحضرون ورده كل يوم خمسة آلاف، ولم يتكلم أحد مثله في أصول التصوف ألفاظه عالية وإشارته رفيعة، ولما دخل نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان بما كان يأمركم قالوا: بالتزام الطاعة، ورؤية التقصير فيها فقال: أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها برؤية منشيها ومجريها، ومن كراماته أنه سافر بحراً فانكسرت السفينة، فبقي مع امرأته على لوح فولدت في تلك الحالة، وعطشت جداً، فرفع رأسه فإذا برجل جالس في الهواء، وبيده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت، وقال: اشربا فشربا قال فقلت من أنت قال عبد لمولاك قلت بم وصلت إلى هذا قال بترك هواي لرضاه، فأجلسني على بساط الفردانية، ثم غاب عني، ومن فوائده قال: ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوي المروءة، وقال: الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب، وقال: الذكر الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب، وقال: العلماء بالله هم الذين رسخت أرواحهم في غيب الغيب وسر السرور فعرفهم الله تعالى ما لم يعرفه لغيرهم، وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرده من غيرهم، فخاضوا بحر العلم بالفهم، ثم بالكشف الذي كشف لهم عن مدخول الخزائن والمخزون، حتى شهدوا ما تحت كل حرف وكلمة من عجائب النصوص، واستخرجوا من بحارها الدرر والجواهر، ونطقوا بالحكمة، وقال: إن خفت من الله نسبته للبخل، وإن رجوته اتهمته ولا بدّ لك منهما، فلذلك كان النقص من لازمك، وقال: إذا تجلى الحق على السرائر ذهب الخوف والرجاء، وقال: ذهبت الطريق وأهلها، ولم يبق إلا حسرات، وقال: فقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه، وقال: من حال به الحال

مشهورة (**خراساني الأصل**) بضم الخاء نسبة إلى خراسان بلاد من الري وقيل من جبل حلوان إلى مطلع الشمس (**من فرغانة صحب الجنيد والنوري عالم كبير**) وفي نسخة عالماً كبير الشأن (**أقام بمرو ومات بها بعد العشرين والثلاثمائة قال**) أبو بكر (**الواسطي: الخوف والرجاء**) زمامان (**يمنعان العبد**) ويمسكانه (**من سوء الأدب**) مع الله ومع خلقه فإنه إن لاح له محبوب ومالت نفسه إليه وهو مكروه لمولاه ردّها عنه بزمام الخوف، وإن عرف طاعة لله ووجد نفسه فاترة عنها حفظ نفسه وأمسكها عن الإعراض عنها بزمام رجاء قربه من ربه، وكثيراً ما يطلق على الرجاء زمام بمعنى أنه يقود إلى الطاعات، وعلى الخوف سائق بمعنى أنه يمنع من المكروهات وكل صحيح (**وقال**) الواسطي (**مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل**) لأنّ العبد إذا

كان مصروفاً عن التوحيد، وقال: والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الأبد بما جريا في الأزل يظهران الوسمين على المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلمتها عليهم فأنى ينفع مع ذلك الألوان المصفرة، والأقدام المنتفخة، وقال: استعمل الرضا جهدك، ولا تدع الرضا يستعملك، فتكن محجوباً بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع، وقال: الموحد لا يرى إلا ربوبية صرفة تولت عبودية محضة فيها معالجة الأقدار، ومغالبة القسمة، وقال: كائنات محتومة بأسباب معروفة وأوقات معلومة، فاعتراض السريرة لها رعونة، ولما احتضر قالوا له أوصنا قال: احفظوا مراد الحق فيكم، وقال: الكلمة التي بها كملت المحاسن الإستقامة، وله من الفوائد غير ما ذكرناه رضي الله عنه. (**قوله: وفي نسخة عالماً كبير الشأن**) أي بتقدير ما يناسبه ككان محذوفة أو فعل آخر كأعني أو أخص، أو نحو ذلك.

(**قوله: الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد الخ**) أي فالأوفق بحال الإنسان أن يكون حاله متوسطاً بين الرجاء والخوف، وذلك باستعمال كل فيما يناسبه بشاهد أحكام الشريعة، وحينئذ فيدوم على المجاهدات بسائق الرجاء، وعلى ترك المألوفات بزاجر الخوف، والله أعلم. (**قوله: فإنه إن لاح له محبوب**) أي بظاهر التلبسات. (**قوله: بزمام الخوف وقوله: بعد بزمام رجاء**) الإضافة فيهما بيانية. (**قوله: وكل صحيح**) أي جعل كل من الرجاء والخوف زماماً أو سائقاً صحيح في المعنى لأن كلا منهما ما يقود ويسوق. (**قوله: مطالعة الأعواض الخ**) أي التشوّف إلى الأعواض بإيقاع العبادة بقصدها ناشىء عن الغفلة، والذهول عن منشأ الفضل منه تعالى بخلق قدرة الطاعة في العبد، وإلا فكان حقه غير ذلك لأن الله هو الفاعل المختار. (**قوله: الأعواض**) جمع عوض، وهو ما يكون في مقابلة الشيء، والمراد به هنا الأجر المرتب على عمل الطاعة، ويرشده إلى ذلك الحكم قول صاحب الحكم العطائية من فضله عليك أن خلق، ونسب إليك.

عرف أن جميع ما فيه من الطاعات من فضل ربه وملك له استحيا منه أن يضيفها لنفسه فضلاً عن أن يطلب عنها عوضاً أو يتشوّق إليه إذ لا يليق بمن كان مع سائر أفعاله ملكاً لغيره أن يطلب جزاء على خدمته، وينزل نفسه منزلة الأحرار المستأجرين، **(وقال الواسطي: إذا أراد الله تعالى هوان عبده ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف يريد به صحبة الأحداث)** أي: الشباب المرد أو المحدثين في دين الله تعالى ما ليس منه، فينبغي التباعد عنهم كما ينبغي التباعد عن الأنتان والجيف حقيقة، بل القرب منهم أشد ضرراً من القرب من هذين لأن ضرر القرب منهم عائد على الأديان وضرر القرب من هذين عائد على الأبدان. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز المروزي يقول: سمعت الواسطي يقول)** في ذم قوم تشبهوا بأهل الحق وليسوا منهم **(جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً)** لأنّ الإخلاص هو الإعراض عن الخلق فغلطوا وأعرضوا عن العلماء والأولياء فأساؤوا الأدب معهم زعما منهم أنهم مخلصون لا يلتفتون لغير الله **(و)** جعلوا **(شره نفوسهم انبساطاً)** لأن الانبساط هو حسن العشرة في المطعم والملبس والكلام، وحسن

(قوله: استحيا منه أن يضيفها لنفسه) أي لأن ذلك من الجهل والحمق. **(قوله: إذا أراد الله هوان عبده الخ)** أي إذا تعلقت إرادته تعالى بإهانة العبد، وخذلانه ألقاه إلى هؤلاء الأنتان أي جعل ميله إليهم، واشتغاله بهم لأجل تمام امتحانه، وضلاله بالتطلخ بنجاستهم الحسية والمعنوية، أعاذنا الله وأحبتنا من ذلك بل قيل إن هذا سبب لسوء الخاتمة، والعياذ بالله تعالى. **(قوله: أو المحدثين في دين الله)** يظهر أنه على صيغة اسم الفاعل أي المبتدعين في دين الله فتأمله. **(قوله: فينبغي التباعد عنهم)** أي ندباً أو وجوباً بحسب اختلاف الأحوال أو توهم الضرر أو ظنه. **(قوله: بل القرب منهم أشدّ ضرراً الخ)** أي لسهولة التطهير في النجاسات الحسية وصعوبته في المعنوية ما يشير إليه قوله: عائد على الأديان.

(قوله: جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً) أي وسبب ذلك جهلهم بمعنى الإخلاص، فمن أجل ذلك تركوا النظر للعلماء وللأولياء مع أنه لا يتحقق إلا بإرشادهم. **(قوله: لأن الإخلاص هو الإعراض عن الخلق)** أقول ذلك لازم لمعنى الإخلاص لا حقيقة معناه إذ هي تخليص القصد له تعالى في كل شيء. **(قوله: فغلطوا وأعرضوا عن العلماء)** أي عن احترامهم، والأخذ عنهم اللازم للإخلاص الذي زعموه سفهاً وجهلاً. **(قوله: وجعلوا شره نفوسهم الخ)** أي جعلوا إنهماكهم على الملاذ النفيسة في الدنيا انبساطاً أي نوعاً من أنواع التبسط، فيما خلق لهم غلطاً منهم عن الشر الخفي فيه. **(قوله: لأن الإنبساط هو حسن العشرة الخ)** أي وذلك لا يكون إلا بما ثبت من طريق المتابعة لا من طريق حظ

التصرف فغلطوا وجعلوا شرههم في ذلك انبساطاً وليس بانبساط بل هو شره ورغبة نفس (و) جعلوا (**دناءة الهمم جلادة**) لأن الجلادة هي التصبر في الأمور والتجلد لها فغلطوا وجعلوا فتورهم عن الطاعة جلادة، وليس بجلادة بل دناءة همة وقلة رغبة في الخير (**فعموا**) بذلك (**عن الطريق وسلكوا فيه المضيق**) الذي لا يصل منه الإنسان إلى خير (**فلا حياة**) أي: نشاط (**تنمو**) أي: تزيد (**في شواهدهم**) أي: مشاهدتهم (**ولا عبادة تزكو**) أي: تزيد (**في محاضرتهم**) ومخاطبتهم لقلة استحسان ما هم عليه، بل يتضرر من خالطهم بمشاهدتهم ورؤية أحوالهم فإنهم (**إن نطقوا فبالغضب وإن خاطبوا فبالكبر**) لاعتقادهم عظمة أنفسهم (**توثب**) بفتح المثناة والواو وبضم المثلثة أي: استيلاء (**أنفسهم**) على الأمور ظلماً (**ينبيء عن خبث ضمائرهم وشرههم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم**) أي: جبة قلوبهم (**قاتلهم الله**) أي لعنهم (**أنى يؤفكون**) أي: كيف يصرفون عن الحق مع قيام الدليل. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: سمعت بعض المراوزة**) أي: (**إنساناً صيدلانياً يقول: اجتاز الواسطي يوم**)

النفس. (**قوله: وجعلوا دناءة الهمم جلادة**) أي لفهمهم أن صبرهم عن الطاعة من نوع الجلادة الممدوحة، وما دروا لغباوتهم وجهالتهم أن ذلك خسة، وانحطاط عن أوجه الشرف.

(**قوله: فعموا بذلك عن الطريق**) أي فعميت بصائرهم، بما ارتكبوه من الأنواع الخسيسة عن طريق الحق، وسلكوا فيه المضيق أي الطريق الضيق الذي لا يصل به الإنسان إلى خير، فليس المراد بالمضيق ما يمكن الوصول منه ولو بمشقة بل المراد به المسدود الغير الموصل إلى المقصود. (**قوله: فلا حياة تنمو الخ**) أي فحياة من تخلق بمثل ما قدمه لا تزيد، فيما شاهدوه بالأوهام الكاذبة، ولا عبادة لهم تزكو فيما استحضروه بالخيالات الفاسدة، إذ حياتهم كلا حياة، وعبادتهم كلا عبادة بل ضرر ذلك هو المحقق، وشؤمه هو الأليق، فحينئذ من اجتمع عليهم وخالطهم، ورضي حالهم ربما يصيبه مثل ما أصابهم، ويحصل له ضرر مثل ضررهم، والله أعلم. (**قوله: فبالغضب الخ**) أي لبقاء نفوسهم بكامل حظوظها، وقوّة بشرياتهم بسبب عدم مهضماتها. (**قوله: توثب أنفسهم الخ**) أي قيامها، وغلبتها بسبب توفر شهواتها ينبيء أي يدل على خبث ضمائرهم أي أسرارهم الخبيثة، وشرهم في المأكول أي انهماكهم على الملاذ والشهوات يظهر ويكشف ما بسويداء قلوبهم أي لأن ظاهر الإنسان وباطنه كل منهما أمارة على الآخر.

(**قوله: قاتلهم الله الخ**) جملة دعائية، كما أشار إليه الشارح. (**قوله: أي كيف يصرفون الخ**) أي فلا سبيل إلى ذلك إلا بعمى بصائرهم قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى

جمعة بباب حانوتي قاصداً إلى الجامع فانقطع شسع نعله) أي: أحد سيوره التي تشد هي بها **(فقلت)** له **(أيها الشيخ أتأذن لي أن أصلح نعلك قال له: أصلح فأصلحت شسعه فقال: أتدري لم انقطع شسع نعلي فقلت)** له **(حتى يقول الشيخ فقال: لأني ما اغتسلت للجمعة فقلت له: يا سيدي ههنا حمام تدخله فقال: نعم فأدخلته الحمام فاغتسل)** في هذا تنبيه على كمال مراقبته لأفعال الله تعالى به وتأديبه له فرأى أنه لما قصر قصر به وأدبه لكنه تعالى لما أدبه جبره بكونه اغتسل ومضى إلى الجمعة، مغتسلاً مبادراً وهذا من عنايته به.

(ومنهم أبو الحسن بن الصائغ واسمه علي بن محمد بن سهل الدينوري) بفتح

﴿ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. **(قوله: فقال لأني ما اغتسلت الخ)** فانظر يا أخي إذا كان التأديب على ترك بعض المندوبات، فما ظنك بترك الواجبات لكن وقوع هذا لمثل هذا العارف يدل على أنه من جملة المحبوبين، ومن عباد الله المغربين بشاهد خبر: «إذا أحب الله عبداً عجل له العقوبة في الدنيا»، كما ورد. **(قوله: ومنهم أبو الحسن بن الصائغ الخ)** قال المناوي كان جليلاً وقوراً، جعل الله نصيبه من الديانة موفوراً لم يزل عن الناس في انقباض، ومعارفه في ازدياد كان يتكلم على الخواطر والبواطن، كثير الذكر حسن الورع آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وكان له كرامات ومقامات معروفة، وكانت الملوك تهابه، ومن كراماته أنه أتاه شاب فقبل رأسه فقال له: اذهب فاستوهب أمك الدفعة التي دفعتها إياها، فهو أولى بك من هذا، وكان إذا صلى بالصحراء في شدّة الحرّ يأتيه نسر فينشر جناحه عليه فيظله به، وأنكر على أمير مصر شيئاً فنفاه إلى القدس، فلما وصلها قال كأني باليائس يعني الأمير، وقد جيء به في تابوت إلى هنا، فإذا قرب من الباب عثر البغل، ووقع التابوت، فبال البغل عليه، فلم يلبث إلا يسيراً وقد وصل تسكين الأمير ميتاً في تابوت، فلما وصل إلى الباب عثر البغل، ووقع التابوت، وبال البغل عليه، وكان يصعد الجبال معدن السباع، فيقيم أربعين يوماً فلا يجسر أحد يصعد إليه، فإذا رجع لا يبقى أحد إلا ترك البيع والشراء، وجاؤوا ينظرون إليه تبركاً وتعظيماً، وجاء مغربي برسالة من الغرب فدخلوا أعلموه بأنه بالباب، فقال: لا أقبل رسالته فإنه خائن فتح الكتاب في الطريق، فكان كما ذكر، ومن فوائده: حرام على كل قلب مأسور بسبب من أسباب الدنيا أن يسرح في الغيوب، وقال: الأحوال كالبروق فإذا ثبتت فهو حديث نفس، وسئل عن صفة المريد فقال كما قال تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقال: من لم تظهر كراماته بعد مماته كما كانت أيام حياته، فليس بصادق. مات بمصر سنة ثلاثين وثلاثمائة، ودفن بالقرافة، وكان بينه وبين ابن يونس كلام، فماتا في عام واحد فرؤي ابن يونس يقول أصلح الله بيننا رب العالمين جلت قدرته.

الدال المهملة، وإسكان المثناة التحتانية وفتح النون والواو نسبة إلى دينور بلدة من بلاد الجبل **(أقام بمصر ومات بها وكان من كبار المشايخ قال أبو عثمان المغربي: ما رأيت من المشايخ أنور من أبي يعقوب النهر جوري ولا أكثر هيبة من أبي الحسن بن الصائغ مات سنة ثلاثين وثلاثمائة وقد سئل ابن الصائغ عن الإستدلال بالشاهد على الغائب، فقال: كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير على من لا مثل له ولا نظير)** قاله في معرض الرد على من أثبت له تعالى الجهة والجسمية، وألحق صفات القديم بصفات الحادث وإلا فلا استبعاد في الإستدلال المذكور من حيث إن الفرض أن الفعل لا بدّ له من فاعل، ولما كان العالم ممكناً وكل ممكن لا بدّ له من فاعل علم أن العالم له فاعل، وهو الله كما أن كل فعل في الشاهد كذلك **(وسئل عن صفة المريد فقال)** صفته **(ما قال الله تعالى و﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾)** [التوبة: ١١٨] يشير بذلك إلى أن المريد التائب كلما تفكر في سابق

(قوله: من الاستدلال بالشاهد على الغائب) أي بالمشاهد من العالم على الغائب بالحقيقة والكنه، وهو الحق تبارك وتعالى، وقوله فقال: كيف يستدل الخ أقول: يدل هذا منه على قوّة عرفانه، وزيادة نور بصيرته، حيث استبعد جعل الحادث دليلاً على القديم مع غاية المخالفة بينهما، فقد أشار إلى درجة كماله بشهود الحق قبل الخلق بل وأنه هو الدليل في الوجه الأحق، إذ شرط الدليل مقارنة المدلول، وذلك عند من له إلى الحق وصول، أما عند من غلب عليه الحجاب، فدليله ما ظهر من العلامات والأسباب تدبر تفهم، والله بالحال أعلم. **(قوله: وإلا فلا استبعاد)** أي وإلا نقل في معرض الرد بل قلنا من جهة كون الشاهد ممكناً، وكل ممكن لا بدّ له من فاعل، فلا يستبعد الإستدلال بالشاهد على الغائب بل ذلك هو الطريق الغالب في الاستعمال.

(قوله: فقال صفته ما قال الله تعالى الخ) أي فوصف المريد بأنه هو الذي عن مراد ربه لا يحيد ملازم للأعتاب مترجي فتح الباب مجد في العبادات مجتهد في الرياضات متعرض للرحمات ذاكر للزلات باذل عليها العبرات رافع أكف الضراعة لمن لا يضيع من أطاعه، غير أنه لما عز عليه المطلوب، وتوالت عليه صعاب الخطوب ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ودامت أحزانه وما برحت، ومع هذا وقعت له الإشارات فوقف مع المرادات، وبرىء من الحول والقوّة، وسلم لمن له الحكم والصولة، فتكشف له حجب العظمة والجلال، وظهر الحبيب بتيه الجمال، وعز الدلال ثم نادى لسان الحال لا تطمع فغير ذا محال. **(قوله: وضاقت عليهم الأرض بما رحبت الخ)** أي ضاقت عليهم أرض الشهوات بازدحام وارد الندامات، وحارس صميم العزمات على البعد عن سائر الحظوظات، وضاقت عليهم أنفسهم بسبق ما لا يؤنسهم فداموا على الأعتاب راجين فتح

ذنوبه وكثرة تفريطه توالت عليه الهموم والأحزان، وكلما رأى كسله وقلة رغبته في الخير لم يستقر به مكان وعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه فبكى وتضرّع، وأعرض عن كل مشغل لقلبه وبدنه (وقال) أيضاً (الأحوال) الآتي بيانها مع بيان المقامات لسرعة تغيرها (كالبروق) من حيث أن البرق يلمع للبصر ثم يقلع (فإذا ثبتت) تلك الأحوال في الشخص وتوالت عليه صارت حديث نفس بأن يحدث نفسه بما كان عليه كما قال (فهو) أي: مجموعها (حديث النفس وملاومة الطبع) الوجه وملاءمة الطبع يقال لاءمت بين القوم ملاءمة إذا أصلحت وجمعت بينهم، وإذا اتفق الشيئان فقد التأما ومنه قولهم هذا المقام لا يلائمني ولا تقل لا يلاومني، فإن هذا من اللوم قاله الجوهري وفي نسخة وملازمة الطبع، وفي أخرى ومداومة الطبع.

(ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن داود الرقي) بفتح الراء نسبة إلى الرقة مدينة على

الباب، وحيث الله هو أرحم الراحمين ومجيب دعوة السائلين وقابل المضطرين وتوبة التائبين منحهم عز القبول، وفاء بوعد سيدنا الرسول، تدبر تفهم حكمة العليم الأعلم. (قوله: الأحوال الخ) هي جمع حال، وهي كيفية وصفة باطنية تنشأ عن واردات إلٰهية فترد على القلوب من فيض علام الغيوب، تشرق فيها الأنوار فتزيد بها قوة الاستبصار، غير أن تلك الأحوال لا تدوم بل تتجدد بتجدد المدد الإلهي نعم هي إذا توالت على القلوب بواسطة النور رأى صاحبها الحق بالحق.

(قوله: حديث نفس) أي لكنه بالحق عن الحق غير أنها من حيث إنها واردات وإلهامات، فقد تختلف باختلاف التجلي الإلهي، وتلك الأحوال المتكررة تكون موافقة لقسمة من تكرر ورودها على قلبه لطهارة ذلك الطبع بسبب تخلصه من رق الشهوات إلى حرية التجرّد عن سائر المألوفات. (قوله: بما كان عليه) أي بما ثبت له بمناسبة استعداده، وسابق قسمته. (قوله: وملاومة الطبع) أي موافقته. (قوله: ومنهم أبو إسحاق إبراهيم الخ) قال المناوي كان صوفياً عالماً مفتياً ذا فضائل ومعارف وعبادة وصلاح، وحسن أخلاق من كبار مشايخ الرقة، ومن فوائده: من تولته رعاية الحق أجلّ ممن تولته رعاية العلم، وقال: خلقت الأرواح من الأفراح، فهي تعلو أبداً إلى محل الفرح من المشاهدة، وخلقت الأجساد من الأكماد، فلا تزال ترجع إلى كدها من طلب الشهوات الفانية والإهتمام بها، ومن قام إلى أوامر الله بالله كان مقبولاً قطعاً، ومن قام بنفسه كان بين قبول وردّ والفترة بعد المجاهدة من فساد الإبتداء، والحجب بعد الكشف من السكون إلى الأحوال، وقال: نفسك صائرة بك، وقلبك طائر بك، فكن مع أسرعهما، وقال: السياحة بالنفس لأرباب الظواهر علماً وشرعاً وخلقاً والسياحة بالقلب لأرباب البواطن حالاً ووجداً وكشفاً، وله غير ذلك نفعنا الله به.

طرق الفرات **(من كبار مشايخ الشام من أقران الجنيد وابن الجلاء وقد عمر وعاش إلى سنة ست وعشرين وثلاثمائة وقال إبراهيم الرقي: المعرفة إثبات الحق على ما هو خارجاً عن كل ما هو موهوم)** لأنه تعالى منزه عن كل ما هو موهوم، أو معلوم من المحدثات فمن عرفه تعالى بانفراده في ذاته وصفاته وأفعاله منزهاً له عن مشابهات خلقه، فهو العارف ومن توهم فيه شيئاً من صفات المخلوقين كمكان وزمان وهيئة لم يعرفه، فلا يسمى عارفاً **(وقال: القدرة)** بمعنى المقدور من ليل ونهار وحيوان وغيرها من سائر الحوادث **(ظاهرة)** للأبصار بعد عدمها **(والأعين مفتوحة ولكن أنوار البصائر)** أي بصائر العقول **(قد ضعفت)** عن إدراكها لتراكم المعاصي والأشغال الدنيوية عليها بحيث منعتها من الاستدلال بالصنعة على الصانع **(وقال: أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته)** التي تؤذيه، وإذا لم يقدر العبد على ردها عن نفسه التي هي أحب الأشياء إليه كان أضعف الخلق **(وأقوى الخلق من قوي على ردها)** لأن العبد طبعت نفسه على الميل لكل لذيذ والنفرة عن كل كريه فمخالفة طبعها وردها عن هواها من أصعب الأمور، فمن قوي على ذلك فهو أقوى الخلق وأشفقهم عن نفسه، **(وقال: علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ)** لأن المتابعة ثمرة المحبة، فمن ادعى أنه

(قوله: المعرفة إثبات الحق الخ) أي فالمعرفة الناجي صاحبها هي اعتقاد مخالفة الإله الحق لجميع الحوادث ذاتاً وصفة وفعلاً، وغير ذلك من باقي الاعتقادات سفه وجهل وتعرض للهلاك. **(قوله: القدرة الخ)** محصله إنّ القدرة التي هي صفة أزلية للباري تعالى التي بها الإيجاد والاختراع، ظاهرة باعتبار ظهور آثارها، فمن تفكر في الأثر علم منه المؤثر، فبثبوت الإمكان لذلك الأثر يتحقق وصف الوجوب الذاتي له تعالى، كما مشى عليه أهل الظاهر، فمن أعرض عن النظر على هذا الوجه، فإنما يكون إعراضه من انطماس عين بصيرته، والله أعلم. **(قوله: وقال أضعف الخلق الخ)** أي أشدّهم ضعفاً من ضعف عن رد شهواته الموجبة لهلاك نفسه التي بين جنبيه، إذ هي أحب الأشياء إليه فإذا ضعف عن دفع مؤلماتها فعن غيرها أضعف، والله أعلم. **(قوله: وأقوى الخلق الخ)** أي أشدهم قوّة من قوي بواسطة التوفيق الإلهي على ردها، فلإخراجه إياها عن طبعها بالميل إلى الحظوظ ثبت أنه الأقوى لصعوبة ذلك عادة إلا على من وفقه الله تعالى. **(قوله: وقال علامة محبة الله الخ)** إضافة محبة إلى الاسم الشريف من الإضافة إلى المفعول أي فأمارة محبة العبد له سبحانه وتعالى إيثار طاعته أي تقديمها على جميع المألوفات على موافقة المتابعات، إذ المحبة على ما قيل الموافقة، فمن ادعى محبته تعالى، ولم يؤثر طاعته على كل شيء من مألوفاته فدعواه كذب وزور.

يحب محبوباً ولم يتابعه كان كاذباً في محبته، ومن كلام الرقي: قيمة كل إنسان بقدر همته، فإن كانت همته الدنيا فلا قيمة له، وإن كانت همته رضا الله فلا يمكن إدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها.

(ومنهم ممشاد الدينوري من كبار مشايخهم) أي: الصوفية **(مات سنة تسع وتسعين ومائتين قال ممشاد: أدب المريد)** مع الخلق **(في التزام حرمات المشايخ**

(قوله: قيمة كل إنسان بقدر همته) أي بقدر الذي يهتم به من خواص نفسه، فإن كان دنيوياً كالحظوظ الخسيسة، فلا قيمة له أصلاً، وإن كان دينياً نفيساً كطاعة الإله وعبادته، والسعي في مرضاته، فلا قيمة له يعلمها البشر لأن إحسان الحق غير مقدور علمه لنا، والله أعلم. **(قوله: ومنهم ممشاد الدينوري الخ)** قال المناوي: من كبار المشايخ كان حسن الخلق والسياسة متحلياً بعقود الديانة والرياسة متلفعاً برداء التواضع والأدب، مترقياً إلى أعلى الرتب متتبعاً آثار مشايخ الطريقة سالكاً سبيل التصوف على الحقيقة، صحب ابن الجلاء ومن فوقه كان رأساً عظيماً في الزهد متين الديانة رصين الصيانة له أوراد يقوم بها في أوقاتها، وبعد ذلك لنفسه من أطيب أقواتها، ومن فوائده: الهمة مقدمة الأشياء فمن صلحت همته، وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال، وقال: أحسن الناس حالاً من أسقط عن نفسه رؤية الخلق، وكان في الخلوات لسره مراعياً، واعتمد في جميع أموره على من له أضحى كافلاً، وقال: المعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه فيها، وقال: إنما ورث الحكماء الحكمة بالصمت والتفكر، وقال: طريق الحق بعيد، والصبر عليه شديد، وقال: لو جمعت حكم الأولين والآخرين، وادعيت أحوال الأولياء والصادقين لم تصل إلى درجة العارفين حتى يسكن سرك إلى الله تعالى، وتثق به فيما ضمن لك، وقال: ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برّك، وعن ذكر من لا يغفل عن ذكرك، وأشرف على قوم فيهم قوال فسكتوا، فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغلت همي، ولا شفت بعض ما بي، وقال: قد علمت أن أحوال الفقراء كلها جد لم أمازح فقيراً، وذلك أن فقيراً قدم عليَّ فقال أريد أن يتخذ لي عصيدة، فجرى على لساني إرادة وعصيدة فتأخر الفقير ولم أشعر، فأمرت باتخاذها وطلبته، فقيل: انصرف فوراً وهو يقول: إرادة وعصيدة وهام على وجهه في البادية، ولم يزل يكررها حتى مات. قال الذهبي في تاريخ الإسلام: قيل لمشاد عن الموت كيف تجد العلة قال: سلوا العلة عني فقيل: له قل لا إله إلا الله، فحول رأسه إلى الجدار وقال:

أفنيت كلي بكلك … هذا جزاء من يحبك

ومات سنة تسع وتسعين ومائتين رحمه الله.

(قوله: أدب المريد الخ) أي الوصف الذي يلزم المريد التخلق به مع الحق والخلق

وخدمة الإخوان،و) مع الحق تعالى في **(الخروج عن الأسباب وحفظ آداب الشرع على نفسه)** ولا يكمل ذلك إلاّ بالعلم والعمل به.

(وقال ممشاد ما دخلت قط على أحد من شيوخي إلا وأنا خال من جميع مالي) من حال ومقام وغيرهما **(انتظر بركات ما يرد عليّ من رؤيته)** ومجالسته **(وكلامه فإن من دخل على شيخ بحظه)** أي: برؤية نفسه أو بنية الإمتحان، أو معرفة ما عنده **(انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته وكلامه)** فلا يحصل له بركاتها إلا إذا أحسن ظنه به وقصده لينال من علمه أو أدبه أو بركة دعائه، ومن كلامه: صحبة أهل الصلاح تورث في القلب الصلاح وصحبة أهل الفساد تورث في القلب الفساد. **(ومنهم خير بن عبد الله النساج)** بفتح النون وبالجيم نسبة إلى نسج الثياب **(صحب أبا حمزة**

يكون في التزام حرمات المشايخ أي بدوام احترامهم وإجلالهم وامتثال أمرهم، وأدبه يكون بالنسبة للإخوان بخدمتهم أي وتحمل أذاهم ومواساة فقرائهم وغير ذلك، ويكون أدبه بالنسبة للحق في الخروج عن الأسباب أي عن اعتمادها، والركون إليها، وذلك بالرجوع إلى مسببها توكلاً، وبحفظ آداب الشرع في نفسه علماً وعملاً. **(قوله: ما دخلت على أحد قط من شيوخي إلا وأنا خال الخ)** أي ما دخلت عليهم إلا في حال فراغ قلبي من جميع ما لي من الأحوال والمقامات، وتخليته من شائبة الاعتراضات، وذلك ليتهيأ لنيل بركاتهم وكراماتهم، وإنما بين ما كان عليه نفعنا الله به ليقتدى به فيه، والله أعلم.

(قوله: برؤية نفسه الخ) أي برؤية حال من الأحوال، أو مقام من المقامات، أو بحظ نفسه بالامتحان لأجل معرفة ما عنده انقطع عن بركات رؤيته المجرّدة عن حظوظ النفس، وهذا كما ترى من طرق الحرمان، والعياذ بالله تعالى. **(قوله: ومن كلامه صحبة أهل الصلاح الخ)** أي والدليل على ذلك التأثر بسبب ميل النفس، والطبع إلى ظاهر الحال. **(قوله: ومنهم خير بن عبد الله النساج)** قال المناوي في طبقاته: النساج بالجيم أستاذ الجماعة كان ممن أقام دولة الصوفية وقام بنصرها، وقعد بالمصلحة في رفع أمرها، وأقيمت به دعوتها، وعزت بعزته ذروتها، وكان عظيم المراقبة كثير الأدب والمجاهدة، وقد قيل: التصوّف مراقبة الأحوال، ولزوم الأدب في كل حال. أخذ عن السري، وتلك الطبقة العالية، ودخل جنة المعارف، وجنى قطوفها الدانية من أشجارها الحالية، وكان له حظ في الكرامات، وتاب في مجلسه الشبلي، والخوّاص لما أبصرا فيه من الخوارق والآيات، وأصله من أهل سامرة، ثم سكن بغداد وكان شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وَمن فوائده: الصبر من أخلاق الرجال، والرضا من أخلاق الكرام، وقال: العمل الذي يصل به العبد إلى الدرجات العلا رؤية التقصير، والعجز والضعف، وقال: لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله بيده فلم يعصمه، ولا علم أرفع من علم من علمه

البغدادي ولقي السري) السقطي **(وكان من أقران أبي الحسن النوري إلا أنه عمر عمراً طويلاً، وعاش كما قيل مائة وعشرين سنة)** ومات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة **(وتاب في مجلسه الشبلي والخواص وكان أستاذ الجماعة وقيل: كان اسمه محمد بن إسماعيل)** أصله **(من سامرّة)** بضم الميم وتشديد الراء، وبالهاء مدينة ويقال لها سامرّاء بألف بدل الهاء وسر من رأى ونزل بغداد **(وإنما سمي خيراً النساج لأنه خرج إلى الحج)** وكان قد عاهد الله أن لا يأكل الرطب فغلبته نفسه يوماً فأخذ نصف رطل، وأكل منه واحدة **(فأخذه رجل على باب الكوفة وقال)** له يا خير يا آبق تهرب مني، وكان له عبد اسمه خير قد هرب منه فوقع على المذكور شبهه من سواد وغيره فقال **(أنت عبدي واسمك خير وكان أسود)** فبقي متحيراً وعلم من أين أخذ **(فلم يخالفه)** للضرورة فلم يبق له إلا الرضا بما قدره الله عليه إلى أن يفرج عنه **(فاستعمله الرجل في نسج الخز)** الذي كان ينسجه عبده **(فكان يقول له يا خير فيقول: لبيك، ثم قال له الرجل بعد سنين)** وقيل: بعد أربعة أشهر **(غلطت)** فيك **(لا أنت عبدي ولا اسمك خير)** فامض إلى حال سبيلك **(فمضى)** إلى حال سبيله، وعنه أنه قال: فقمت ليلة فتوضأت، وقمت إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي: إلهي لا أعود إلى ما فعلت، فأصبحت وقد ذهب عني الشبه وعدت إلى صورتي التي كنت عليها فاطلقت وثبت على هذا الاسم، **(وقال: لا أغير اسماً سماني به رجل مسلم وقال: الخوف سوط الله يقوم به أنفساً قد تعودت سوء الأدب)** مع الحق أو الخلق ممن أمر

الله الأسماء كلها فلم تنفعه في وقت جريان القضاء عليه، وقال: أتاني شاب من البغداديين وقد انطبقت يده، فقلت: مالك قال: حللت عقدة من عقد أزارك، فأخذت منه درهماً فشلت يدي فمسحت يده بيدي فردّها الله عليه، وناولته الدرهم، وقلت: اشتر به شيئاً ولا تعد، وقال: قص موسى لبني إسرائيل، فصعق واحد فانتهره فأوحى إليه بطيبي باحوا، وبوجدي صاحوا، فلم تنكر على عبادي، وقال لتلميذه أبي الحسن المالكي قبل موته بثمانية أيام أنا أموت يوم الخميس، وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة فكان كذلك، ومات عن مائة وعشرين سنة، فهو من أقران النوري وطبقته لكنه عمر طويلاً، فلذلك ذكر في طبقته، وإن تأخرت وفاته إلى القرن الرابع نفعنا الله ببركات علومه. **(قوله: وإنما سمي الخ)** أي فالغرض من هذه القصة بيان سبب الإمتحان الذي وقع له بمخالفة العهد الحاصلة بأكل الرطب، وهو وإن كان مباحاً غير أنه بالنسبة لمثل هذا الأستاذ كالمحظور بسابق عهده، والله أعلم. **(قوله: وعلم من أين أخذ)** أي علم سبب أخذه وامتحانه بهذه المحنة، وهو أكله الرطب.

(قوله: وقال الخوف سوط الله الخ) أي ولذا تقدّم عن بعضهم أنه يطلق عليه

بحسن الأدب معه، وكل من الخوف وسوء الأدب درجات، وكل مقام شريف يتأتى للعبد أن يحسن أدبه فيه، وإن يسيئه، فلا يتخلص من سوء أدبه إلا بالخوف والعبد قد يخاف البعد، وقد يخاف الحجاب وقد يخاف التأديب على سوء الأدب. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسن القزويني يقول: سمعت أبا الحسن المالكي يقول: سألت من حضرموت خير النساج عن أمره فقال: لما حضرت صلاة المغرب غشي عليه، ثم فتح عينيه وأومأ**) إلى ملك الموت (**في ناحية البيت وقال**) له (**قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور، وما أمرت**) أنت (**به لا يفوتك وما أمرت أنا به يفوتني ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد ومات فرؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال**) لسائله (**لا تسألني عن هذا ولكن استرحت من دنياكم الوضرة**) أي ذي الرائحة الكريهة، وفي نسخة القذرة هذا من جملة الكرامات بأن يكرم الله عبده برؤية ملك الموت وبإعلام الله له بوقت موته ليتأهب للقدوم عليه وليجري على لسانه ما فيه بيان فضيلته عند ربه واغتنام طاعته.

(**ومنهم أبو حمزة الخراساني بنيسابور أصله من محلة ملقاباذ من أقران الجنيد**

السابق، وبإشارة تسمية الخوف بالسوط يفهم أنه زاجر لبعض نفوس خصت بسوء الأدب، وذلك لردّها عن المخالفات إلى الطاعات، وأعلى من ذلك من يكون زاجره الأجلال، وله الإشارة بخبر «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»، والله أعلم. (**قوله: يقوم به أنفساً**) أي يعدلها به لتدوم على طريق الاستقامة، وقوله: ممن أمر الخ بيان لما قبله من قوله مع الحق أو الخلق.

(**قوله: وكل من الخوف وسوء الأدب درجات**) أي بحسب حال من اتصف بهما من البشر، وقوله: والعبد الخ هو توضيح لما قدمه، أي فالخوف مختلف باختلاف المخوف منه باعتبار درجة الخائف ارتفاعاً وانحطاطاً. (**قوله: عن أمره**) أي عما حصل له في هذا الوقت الهائل على كثير من الخلق. (**قوله: وقال له قف الخ**) أقول وفي هذا دليل على كرامته عند ربه، حيث أهله لأمر هذا الرسول العظيم بعبارة ربما تشير بالتسوية في العبودية والأمر، وبأنه يعلم اللحظة التي قدرت وفاته فيها، ويعلم أنه بقي عليه هذا الوضوء والصلاة، وفضل الله واسع، والله أعلم.

(**قوله: ومنهم أبو حمزة الخراساني**) قال المناوي: أصله من محلة ملقاباذ من أقران أبي تراب والجنيد والخراز، صوفي وقته، وآية في حسن سيرته وسمته، وكان ورعاً زاهداً.

ومن كلامه: من استشعر ذكر الموت حبب إليه كل باقٍ، وبغض إليه كل فانٍ،

والخراز وأبي تراب النخشبي وكان ورعاً ديناً قال أبو حمزة من استشعر ذكر الموت) أي: فطن له واتخذه شعاره والشعار في الأصل من الثياب ما يلاصق البدن ويلازمه والدثار ما كان فوقه أي: من لازم قلبه ذكر الموت **(حبب إليه كل باقٍ وبغض إليه كل فان)** لأن ذلك يحمل على العمل وتحسينه والإعراض عن يسير الدنيا وتحقيره، **قال ﷺ**: «أكثروا من ذكر هادم اللذات» يعني الموت رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وفي رواية فإنه ما كان في كثير أي: من الأمل إلا قلله ولا في قليل من العمل إلا كثره والموت مفارقة الروح الجسد **(وقال)** أيضاً **(العارف بالله يدافع عيشه)**

وقال: العارف يدافع عيشه يوماً ليوم، وقال: علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة، وسمع بعض أصحابه يلوم إخوانه على إظهار وجده وغلبة الحال عليه في مجلس فيه بعض الأضداد فقال: أقصر يا أخي فالوجد الغالب يسقط التمييز، ويجعل الأماكن كلها مكاناً واحداً والأعيان عيناً واحدة، فلا لوم على من غلبه الوجد فاضطر إلى إبدائه، وسئل هل يتفرغ المحب لشيء سوى محبوبه، فقال: لا لأنه بلاء دائم وسرور منقطع، وأوجاع متصلة لا يعرفها إلا من باشرها، وقيل له أوصني فقال: هيء زادك للسفر الذي بين يديك، ومن كراماته أنه وقع في بئر في طريقه إلى مكة، وسدت عليه، وكان خلاصه منها بسبع من السباع فانشأ:

نهاني حيائي منك أن أكتم الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي ... إلى غائبي واللطف يدرك باللطف
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب أنك في الكف
وتحيي محباً أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

(قوله: من استشعر ذكر الموت الخ) أي من وفقه الإله لتذكر الموت كل وقت استشعار اعتبار وعظة حبب إليه كل باقٍ، وبغض إليه كل فانٍ، أي: فهو لا يميل إلا إلى ما يقربه من ربه من أنواع العبادات والقربات، ويبغض كل فان وزائل من الشهوات، والملائمات من علق الدنيا. **(قوله: أكثروا من ذكر الخ)** اعلم أن المراد ما يشمل الذكر بكسر الذال، وضمها أي المتعلق باللسان وبالقلب، والله أعلم.

(قوله: أي من الأمل الخ) وقيل: أي من السيئات والذنوب إلا قللها بل قد يعدمها بواسطة التوبة الصحيحة المتقبلة، وذلك لخبر: «التوبة تجب ما قبلها من الذنوب». **(قوله: والموت مفارقة الروح الجسد)** أي وقيل: إنه عدم الحياة عما من شأن أن يكون حيا، وعلى ذلك فمعناه عدمي، وقيل إنه عرض يضاد الحياة، وهو الموافق قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] فيكون وصفاً وجودياً، ولذلك تعلق به الإيجاد.

(قوله: وقال أيضاً العارف بالله يدافع عيشه الخ) أي يحصل ما يقوّم بنيته يوماً بيوم،

الذي تقوم به حياته (يوماً بيوم ويأخذ عيشه) بأن يشتغل في دنياه بما يقربه من ربه من

وذلك لقناعته وشرف نفسه، وتوكله على ربه مع عدم وثوقه بحياته زيادة على هذا الزمن، بل، ولا على لحظة منه، فمحصله أن العارف لا يحصل إلا القوت الضروري للوقت الفاني، ويأخذ عيشه الذي به حياته الأبدية يوماً ينقضي ليوم لا انقضاء له، وذلك يوم القيامة، ووقت النعيم السرمدي فهو لا يشتغل في الدنيا إلا بما يقربه إلى ربه، وشتان ما بين العيشين واليومين، أي فرق عظيم بين عيش شهواني ينقضي ولا يثمر بل قد يضر، وعيش هنيء سرمدي دائم، وبين يوم يمضي، وينقضي من حيث لا يشعر به، ويوم لا انقضاء له، ولا يقدر نعيمه، والله أعلم. **(قوله: قال هيء زادك الخ)** أي وفيما ذكره تنبيه على تذكر عدم الإقامة في هذه الدار، فهو فيها كالمسافر في الخطر وانقضاء المدة بل ربما يعلم المسافر زمن سفره، ولا كذلك هو لجهل وقت الموت، فحينئذ ينبغي الاستعداد بالزاد خشية العطب بدونه ولا سيما والسفر طويل والخير قليل. **(قوله: بقيت مجرماً الخ)** أي فهو يشير إلى أنه كان دائم التجرد، وذلك باقتصاره على كساء ساتر لبدنه، ويديم السفر مع المجاهدات والرياضات، فكان قليل الراحة تطلع عليه الشمس وتغرب، وهو مشتغل بعبادة ربه، وكلما خطرت له خواطر العادات أخذ في دفعها بالجدّ في التجرّد القلبي عن المشغلات. **(قوله: ومنهم أبو بكر دلف الخ)** قال المناوي: دلف بن جحدر أبو بكر الشملي، وقيل: اسمه جعفر بن يونس حكاه السلمي، وقيل: غير ذلك، إمام اشتهر شرفه وسمت في جنان المعرفة غرفه، وأضاء كوكب زهده وديانته، ونما فرع ورعه وصيانته كان والياً بنهاوند وبالبصرة، وكان والده حاجب الحجاب للموفق، ثمّ تاب صاحب الترجمة، وصحب الجنيد والنساج والطبقة، وصار أوحد وقته علماً وحالاً تفقه على مذهب الإمام مالك، وكتب حديثاً كثيراً، ثم شغلته العناية عن الرواية، وكان يأخذه الوله ويرد في أوقات الصلاة إلى حسه، حتى لا يفوته شيء مما يتوجه إليه التكليف، ثم إذا فرغ من صلاته أخذه الوله، فلا يعقل، وسمع بياعاً يقول الخيار وعشرة بدرهم فصاح، وقال: فكيف الشرار، وصاح يوماً في السماع فقيل له فيه فقال:

لا يسمعون كما سمعت كلامها   خروا لعزة ركعاً وسجودا

ومن فوائده وحكمه: لا يكمل فقير حتى تستوي حالاته سفراً وحضراً وغيبة وشهوداً، وقال: ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق، وليس من جذبته أنوار قدسه إلى أنسه كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته، وقال: رفع الله العباد على قدر هممهم، فلو أجرى على الأولياء ذرة مما أجراه على الأنبياء لذابوا وتقطعوا، وقال: كل صديق ليس له كرامة فهو كذاب، وقال: العارفون نيام والجاهلون أموات، وقال: من عرف الله حمل السموات والأرض على شعرة من جفن عينيه، ومن

لم يعرفه لو تعلق به جناح بعوضة ضج لحمله، وقال: الانبساط مع الحق بالقول ترك أدب، وقال: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا، فانظر إلى مزبلة أو إلى نفسك، فخذ كفا من تراب، فإنك منه خلقت، وفيه تعود، وقال: ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور، وأنشد في الذكر:

ذكرتك لا إني نسيتك لمحة ... وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام عليّ القلب بالخفقان
فلما أراني الوجد أنك حاضري ... شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ... ولاحظت معلوماً بغير عيان

وسئل أي شيء أعجب قال: من عرف الله تعالى، ثم عصاه، وقال: لا تأمن على نفسك، وإن مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغرور إلى دار الأمن، وسأله رجل أي الصبر أشد قال: الصبر في الله قال: لا قال الصبر مع الله قال: لا قال: الصبر لله قال: لا قال: فأي شيء قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي فكادت روحه أن تخرج، ثم أنشد:

الصبر يجمل في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يجمل

وحج فلما رأى الكعبة أغمي عليه، ثم أنشد:

هذه دارهم، وأنت محب ... ما بقاء الدموع في الآماق

وسمع قائلاً يقول شعراً:

أسائل عن ليلى، فهل من مخبر ... يكون له علم بها كيف تنزل

فصاح، وقال: والله ما عنه في الدارين من مخبر، وقيل له: ما بال الرجل يسمع الشيء ولا يفهم معناه، فقال:

رب ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً ... فبكت حزناً وهاجت حزني
فبكائي ربما أرّقها ... وبكاها ربما أرّقني
ولقد تشكو فما أفهمها ... ولقد أشكو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضاً بالجوى تعرفني

وقال: طموح الآمال قد خابت إلا إليك، وقال: التصوّف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك، وقال: المحبة كلها لها وهج إن استقرّت في الحواس قتلت، وإن سكنت في النوس أسكرت، فهي سكر في الظاهر، وصحو في الباطن، وسئل ما الحكمة في أنه تعالى ذم الاستهزاء، والمكر، ثم فعلهما فقال شعراً:

ويقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله، فيحسن منك ذاكا

هيء زادك للسفر الذي بين يديك) لأن الزاد هو الوسيلة في الوصول إلى المقصود، وزاد العبد في الوصول إلى ربه ملازمة طاعته ودوام ذكره له وفاء بقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الطيب المكي يقول: سمعت أبا الحسن المصري يقول: سمعت أبا حمزة الخراساني يقول: كنت قد بقيت محرماً في عباء) بالمدّ أي كساء ويقال فيه عباة وعباية (أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس عليَّ وتغرب) وأنا مسافر (كلما حللت أحرمت) أي: كان إذا تحلل من حجة جدد إحرامه بمكة ومضى إلى بلاده مسافراً السفر المذكور وأقام محرماً إلى أن يرجع إلى مكة فيأتي بمناسك الحج، ثم يتحلل ويحرم وهكذا، وكان مقصوده دوام شعثه وقلة تعبه بلباسه وتنظفه، وهذا يؤذن بأن ذلك فيه زيادة فضيلة عند الصوفية، والأفضل عند الفقهاء خلاف ذلك إذ الأفضل أن يحرم بالحج من الميقات، وفي أشهر الحج (توفي سنة تسعين ومائتين) لو قدمه على عادته في ذلك كان أولى.

(ومنهم أبو بكر دلف) بضم المهملة وفتح اللام (ابن جحدر الشبلي) نسبة إلى شبلة قرية من قرى أسروشنه الآتي ضبطها (بغدادي المولد والمنشأ وأصله من أسروشنه) بضم الهمزة وإسكان السين وضم الراء، وإسكان المعجمة (صحب الجنيد ومن في عصره، وكان شيخ وقته) أي: لا نظير له في وقته (حالاً وظرفاً) بضم الظاء المعجمة من الظرافة وهي الكياسة (وعلماً مالكي المذهب عاش سبعاً وثمانين سنة

وكان يقول في مناجاته: إلهي إن هربت منك طبلتني، وإن قصدتك أتعبتني، فليس لي معك راحة، ولا مع غيرك أنس فالمستغاث منك إليك، وحضر عنده جمع من المريدين، فوجدهم غفلة لا يذكرون فقال شعراً:

كفى حزناً بالواله الصب أن يرى ... منازل من يهوى معطلة قفرا

وقال: الأنس وحشتك من جميع ما يقطعك عنه، وقال: المحبة نتيجة الهمة، ومن علت همته غلبت محبته، وقال: المحبة بحار بلا شاطىء، وليل بلا آخر، وعلة بلا طبيب، وبلاء بلا صبر، ويأس بلا رجاء، ووقع له أن زوجته ناولته لبناً فقال: أخاف أن يضرّني فأقام سنين يقول: يا رب اغفر لي، فإنك وعدت بالمغفرة من لا يشرك بك، وأنت تعلم إني لم أشرك فقيل له: ولا يوم اللبن، فخجل، وذلك لإضافته الضر إليه، وله غير ذلك من العجائب نفعنا الله بأسراره.

(قوله: حالاً وظرفاً) أي فكان لا نظير له في مجاهداته ومعاملاته لربه، وفي كياسته وحذقه وذكاء قريحته وتدبيره وفي علمه الشرعي والذوقي.

ومات) في ذي الحجة (سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقبره ببغداد ولما تاب الشبلي في مجلس خير النساج أتى) الشبلي (دماوند) وجمع أهلها (وقال لهم: كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل) هذا من كمال صدقه وعدم التفاته إلى حظ نفسه والتذلل في استحلال الخصوم لأن الغالب على الولاة عدم جريانهم على مقتضى العلم، فلما تاب تنصل من حقوق الخالق، وبقي عليه حقوق المخلوقين فأتى إلى البلدة التي كان والياً عليها وجمع أهلها وقال لهم ما ذكر. **(وكانت مجاهدته في بدايته فوق الحد)** المعتاد غالباً. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: بلغني أنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم)** فيه دلالة على كمال حرصه على الخير وكأنه بالغ فيما فعله وإلا فقد كان يمكنه أن ينال اعتياد السهر بقلة الأكل والشرب وكان يبالغ في تعظيم الشرع **(ولو لم يكن من تعظيمه للشرع إلا ما حكاه بكر أن الدينوري في آخر عمره لكان كثيراً)** في التعظيم وهو ما ذكره بقوله **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس البغداي يقول: كان الشبلي رحمه الله يقول)** أي: ينشد **(في آخر أيامه)** وقد نقله الله من مقامات مذمومة إلى مقامات محمودة **(وكم من موضع لو مت فيه. لكنت به نكالاً)** أي: عبرة لغيري **(في العشيرة)** في الدنيا والآخرة فأراد بالموضع المقامات المذمومة التي نقله الله منها إلى المقامات المحمودة وفيما قاله شكر لله تعالى على ما نقله الله إليه مما كان عليه. **(وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جد)** في الطاعات **(فوق جد من عاصره ويقول:**

(قوله: ولما تاب الشبلي الخ) أقول وفي ذلك إشارة وتنبيه على فعل مكملات الرجوع إلى الحق باستحلال الخلق، وإن تحقق الخلو من حقوقهم اتهاماً للنفس بالذهول والتقصير، وبذلك يتم هضم النفس، فيستعد للدرجات الرفيعة والشرف. **(قوله: تنصل الخ)** أي فالخروج من حقوق الآدميين معتبر في تحقق التوبة، والله أعلم. **(قوله: فوق الحدّ المعتاد)** أي المعتاد لمثله من أرباب المجاهدات. **(قوله: فيه دلالة على كمال حرصه الخ)** أي حيث تسبب في سهره للعبادة بما قد يضر من الاكتحال بالملح بمسوّغ علمه. **(قوله: كان الشبلي رحمه الله يقول)** أي تحدثاً بالنعمة، كما أشار إليه الشارح. **(قوله: جدّ في الطاعات)** أي بذل الوسع فيها بالتلاوة والذكر، وغير ذلك من أعمال البر. **(قوله: خير كسب المرء عمل يمينه)** أي أفضل الكسب ما حصل عن عمله وفعله، وهذا صادق بما ينفع دنيا وأخرى، فما قاله ظاهر نفعنا الله بعلومه.

(قوله: قال فبينا أنا اتفكر الخ) فيه تنبيه على صدق الخاطر الذي بسببه حصل الاقلاع عما كان عليه من البخل، ووجود السر مستوراً فيمن حقق له الخاطر من الفقير، والمزين ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. **(قوله: فرميتها في دجلة الخ)** انظر على أي وجه

هذا شهر عظمه ربي فأنا أول من يعظمه) ممن عاصرني. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يحكي ذلك عنه)** وإنما قال ذلك ليقتدي به تلامذته، ومن كلامه وقد سئل عن حديث: «خير كسب المرء عمل يمينه»: إذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ما شئت ومد يدك واسأل الله، فذلك كسب يمينك؛ وعنه أنه قال: كنت جالساً يوماً فجرى بخاطري أني بخيل فقلت أنا بخيل فجاوبني خاطري وقال بلى إنك بخيل فقلت مهما فتح الله عليَّ اليوم لأدفعنه إلى أوّل فقير يلقاني قال: فبينا أنا أتفكر إذ دخل عليّ شخص ومعه خمسون ديناراً فقال: اجعل هذا في مصالحك فأخذتها، وخرجت وإذا أنا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الصرة فقال لي أعطها للمزين فقلت: إنها دنانير فقال أوليس قد قلنا إنك بخيل فناولتها للمزين فقال لي من عادتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجراً فرميتها في دجلة وقلت: ما أعزك أحد إلا أذله الله.

(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش نيسابوري) وأصله **(من محلة الحيرة وقيل: من ملقاباذ صحب أبا حفص)** الحداد **(وأبا عثمان)** الحيري **(ولقي الجنيد وكان كبير الشأن وكان يقيم في مسجد الشونيزية)** بضم المعجمة وإسكان الواو وكسر النون نسبة إلى شونيز مقبرة ببغداد **(مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة**

صح رميه الدنانير، فلله خرق العوائد، وله العلم بالأسرار في الأحكام. **(قوله: ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الخ)** قال المناوي: هو النيسابوري له اللسان الناطق، والخاطر الفائق، وكان للحق قوّالاً، وعلى الولاة صوّالاً، كبيراً قدره منيراً بدره، صحب الجنيد وأبا حفص وأبا عثمان وتلك الطبقة، وأقام ببغداد، وكان يقول عجائب الدنيا في التصوّف ثلاثة الشبلي في الإشارات، والمرتعش في النكت، وجعفر الخلدي في الحكايات، ومن فوائده: أصول التوحيد معرفة الله بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأضداد عنه بالكلية، وقال: أفضل الأعمال رؤية فضل الله في السراء والضراء، وقال: سكون القلب لغير الله عقوبة عجلت في الدنيا، وقال: من كمل إسلامه أحبه الحق، ومن كمل إيمانه استغنى عن الخلق، قال ابن عربي في التجليات: نصب كرسي في بيت من بيوت المعرفة بالتوحيد، فظهرت الآلوهية مستوية على ذلك الكرسي، وأنا واقف على يميني رجل عليه ثلاث أثواب ثوب لا يرى، وثوب ذاتي له وثوب معار عليه، فسألته من أنت قال: سل منصوراً فقلت: من هذا، فقال المرتعش: قلت: أراه من اسمه مضطراً لا مختاراً، فقال: المرتعش بقيت على الأصل، والمختار مدع ولا اختيار قلت ما بنيت توحيدك قال: على ثلاث قواعد قلت: توحيد على ثلاث قواعد ليس بتوحيد فخجل قلت: لا تخجل ما هي قال: قصمت ظهري، ثم ذكرها.

قال المرتعش: الإرادة حبس النفس) أي: صبرها **(عن مراداتها والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا)** من العبد **(بموارد القضاء عليه)** وافق الوارد هواه أو خالفه، وذلك لأن ما يؤمر العباد بالصبر عنه أو عليه ثلاثة أشياء: صبر عن المنهيات من محرّمات ومكروهات وصبر على المأمورات من واجبات ومندوبات وصبر على ما ينزل بالعبد من الله مما يخالف هواه وهو المعبر عنه بقوله والرضا الخ **(وقيل له)** أي: للمرتعش **(إن فلاناً يمشي على الماء فقال عندي أن من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي في الهواء)** الذي هو أعظم من المشي على الماء وذلك لأن المشي عليهما من خوارق العادات وهي لا تعد كرامة إلا إذا قارنتها الاستقامة بأن لا يخلّ العبد بشيء من مأموراته ومنهياته والاستقامة هي الأصل والدليل على صحة الكرامات، فمن مكنه الله من نفسه، وقهر له هواه حتى لم يخلّ بشيء من ذلك، فهو المستقيم فالاستقامة أفضل من أعلى الكرامات، إذ حاصل كلامه أنه لما قيل له أن فلاناً يمشي على الماء قال: من وهبه الله الاستقامة فقد وهب له ما هو أفضل من المشي في الهواء الذي هو أفضل من المشي على الماء فقد قيل للنبي ﷺ أن عيسى

(قوله: الإرادة حبس النفس الخ) أقول فيؤول كلامه رضي الله تعالى عنه إلى أن الإرادة ترك الإرادة، وذلك معناه القيام على النفس بالرياضات والمجاهدات، حتى تفنى عن مراداتها استغناء بمرادات الحق تبارك وتعالى، والله أعلم. **(قوله: والرضا من العبد بموارد)** أي متعلقات القضاء عليه، أي على المكلف من نوع الإنسان. **(قوله: على ما ينزل بالعبد)** أي من المحن، والبلايا الدنيوية. **(قوله: فقال عندي أنّ من مكنه الله الخ)** أقول، وأعلى من ذلك ما أشار إليه سيد العشاق قدّس الله سره في تائيته حيث قال:

فيا مهجتي ذوبي جوى وصبابة ويا لوعتي كوني كذاك مذيبتي

حيث نادى مهجته بتنزيلها منزلة من يعقل، وهي بقية الروح الحيواني، وذوبانها سبباً للموت، والجوى الحرقة في الباطن، والصبابة العشق، واللوعة حرقة القلب بنار الوجد، ومحصله أنه طلب الموت المعنوي ليحيا الحياة الأبدية. **(قوله: فهو أعظم من المشي في الهواء)** أي لأن ذلك لا يتم إلا بعد فناء النفس عن كامل حظوظها، فحينئذٍ يتحقق لها الاستقامة، وهي أصل الكرامة ومنشؤها، فكانت أفضل بهذا الاعتبار، حيث هي أصل كل خير والله أعلم.

(قوله: إلا إذا قارنتها الاستقامة) أي وإلا كانت مكراً به واستدراجاً أعاذنا الله من ذلك. **(قوله: فالاستقامة أفضل الخ)** أي ووجه ذلك صعوبة مشقة الدوام عليها مع عدم ملايمتها للنفس مع أنها الباب الموصل لجميع الخيرات، ولذا قيل أصعب ما ورد على الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]. **(قوله: فقد قيل للنبيّ الخ)** ذلك دليل على

ابن مريم عليه السلام مشى على الماء فقال: لو ازداد يقينا لمشي في الهواء.

أن المشي في الهواء أعلى من المشي على الماء غير أن قوله في الخبر: «لو ازداد يقيناً» الخ ليس المراد منه نفي زيادة اليقين عنه عليه السلام، بل المعنى أنه لو فعل على مقتضى زيادة يقينه الذي هو ثابت له لمشى في الهواء، والله أعلم. **(قوله: ومنهم أبو علي أحمد بن محمد الروذباري)** قال المناوي: بضم الراء، وسكون الواو ودال مهملة وموحدة مفتوحة وآخره راء، فانظره مع ما ذكره الشارح قال: كان من أئمة الصوفية، وعلماء الشافعية ساد أهل ذلك المذهب في زمانه، حتى صار أمثلهم طوع مرامه، وقوساً في يده يرمي به إلى غرض سهامه، بغدادي الأصل من أبناء الوزراء والرؤساء، ونسبه متصل صحب في التصوف الجنيد، وفي الفقه ابن شريح، وفي الحديث إبراهيم الحربي، وفي النحو جماعة منهم ثعلب، وكان يفتخر بذلك، أقام بمصر وصار فقيهها ومحدثها وصوفيها يقصد للأخذ عنه من جميع الآفاق، أتاه جمع من الفقراء فاعتل واحد منهم فامر واحداً منهم بخدمته، فملوا فخدمه بنفسه حتى مات فدفنه، فلما أراد فتح رأس كفنه ليضجعه مستوياً فتح عينيه، وقال: يا أبا علي لأنصرنك بجاهي يوم القيامة، كما نصرتني بمخالفة نفسك. مر أبو علي يوماً على الفرات، وقد عرضت لنفسه شهوة السمك، فقذف الماء سمكة نحوه، وإذا برجل يعدو ويقول: أشويها لك فشواها له وأكلها، ومن كلامه الإشارة الإبانة عما تضمنه الوجد من المشار إليه، وفي الحقيقة الإشارة تصحبها العلل، والعلل بعيدة من الحقائق، وقال: لو تعلم أهل التوحيد بلسان التجريد لم يبق محب إلا مات حالاً، وقال: والاهم قبل أفعالهم وعاداهم قبل أفعالهم، ثم جازاهم بأفعالهم، وقال: المريد من لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله له، والمراد لا يريد من الكونين شيئاً غيره، وقال: المشاهدة للقلوب، والمكاشفة للأسرار والمعاينة للبصائر والمرئيات للأبصار، ومن نظمه:

روحي إليك بكل ما قد أجمعت ... لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي إليك بكلها عن كلها ... حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة فلعلها ... متعتها من نعمة فتمتعت

وقال: كيف تشهده الأشياء وبه فنيت ذواتها، أم كيف غابت الأشياء عنه وتطهرت بصفاته، فسبحان من لا يشهده شيء، ولا يغيب عنه شيء شعر:

إنّ الحقيقة غير ما يتوهم ... فانظر لنفسك أيّ حال تعزم
أتكون في القوم الذين تأخروا ... عن حقهم، أو في الذين تقدموا
لا تخدعن فتلوم نفسك حين لا ... يجدي إليك تأسف وتندم

وقال:

ولو مضى الكل مني لم يكن عجباً ... وإنما عجبي للبعض كيف بقي

(**ومنهم أبو علي أحمد بن محمد الروذباري**) بضم الراء وإسكان الواو وفتح المعجمة نسبة إلى روذباري موضع عند طوس وقيل قرية من قرى بغداد (**بغدادي أقام بمصر ومات بها سنة اثنتين**) وقيل ثلاث (**وعشرين وثلاثمائة صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء والطبقة**) أي: ومن في طبقهم (**وهو أظرف المشايخ**) في وقته (**واعلمهم بالطريقة**) أي: بطريقتهم في التصوّف. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سئل أبو علي الروذباري عمن يسمع الملاهي ويقول: هي لي حلال لأني قد وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال فقال نعم قد وصل ولكن**) وصل (**إلى سقر**) أي: جهنم لأنّ الملاهي محرّمة فكيف لا تؤثر في مرتكبها، (**وسئل عن التصوّف**) وقد رأى قوماً يزعمون أنهم صوفية، وهم يشتغلون بالهزل من اللهو واللعب، والبطالة كمن يشتغل بالسماع مع الزمر والغناء (**فقال: هذا مذهب كله جد فلا تخلطوه بشيء من الهزل سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذبادي يقول: من علامة الاغترار أن تسيء، فيحسن الله إليك فتترك**) أنت (**الإنابة**) أي: الإقبال عليه (**والتوبة توهماً**) منك (**أنك تسامح في الهفوات وترى أن ذلك من بسط الحق لك**) وذلك لأن العبد يستحق على إساءته العقوبة، فإذا لم يؤاخذه الحق فوراً اغتر بذلك، وظن أنه يعفي عنه فكيف إذا أحسن إليه وإنما لم يعاجله بالعقوبة لأنه لا يخاف الفوت،

أدرك بقية روح فيك قد تلفت ... قبل الفراق، فهذا آخر الرمق

وله غير ذلك من الفوائد الشعرية والنثرية، مات سنة عشرين وثلاثمائة، ودفن بالقرافة بقرب قبر ذي النون المصري.

(**قوله: فقال نعم قد وصل الخ**) منه يعلم بطلان ما ذهب إليه بعض المدعين من أن سماع آلات الملاهي يختلف باختلاف الوارد فيه، وأنه بحسب ذلك قد يكون طاعة، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فإنه ﷺ حرّمها وعدها من الملاهي، وهو أعلم بجميع الواردات فيها حال السماع فاعلمه، ولا تغتر بقول الجهال ممن عادتهم التلبيس على العوام. (**قوله: فلا تخلطوه الخ**) أقول من ذلك يعلم فساد حال من يستعمل شيئاً من الزمر والطبل في حالة الذكر، ويزعم أنّ في ذلك نشاطاً على العبادة نعم فيه نشاط، ولكن مصيره الانحطاط، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(**قوله: من علامة الاغترار الخ**) أي لأنه كيف يليق بعاقل أن يقابل الحسنات بالسيئات مع أن الذي ينبغي له أن يقابل الإحسان بشكر المحسن بدوامه على ما به رضاه،

فمن وقع في معصية وأراد الله توفيقه عجل له العقوبة، وألهمه التوبة على الفور وإن أراد خذلانه لم يعاجله حله بالعقوبة وأسبغ عليه نعم الدنيا ليغفل عن التوبة، فيدوم إصراره فيزداد إثماً قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقال: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية، وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣] **(وقال** أبو علي **(كان أستاذي في التصوف الجنيد وفي الفقه أبو العباس بن شريح وفي الأدب ثعلب، وفي الحديث إبراهيم الحربي)** قاله تحدثاً بالنعمة ودلالة على الخير فإن من أخذ عن هؤلاء الأئمة يرغب في الإقتدا به، ومن كلامه: من رزق ثلاثة أشياء فقد سلم من الآفات بطن جائع معه قلب قانع وفقر دائم معه زهد حاضر وصبر كامل معه قناعة دائمة، وهذا قريب مما مر عن أبي حمزة البزار.

(ومنهم أبو محمد عبد الله بن منازل) بفتح الميم **(شيخ الملامتية)** الذين يخربون على أنفسهم وأوحد وقته صحب حمدون القصار وكان عالماً وكتب الحديث

ولكن من يضلل الله فلا هادي له. **(قوله: عجل له العقوبة الخ)** أي، ويدل لذلك خبر: «إذا أحب الله عبداً عجل له العقوبة في الدنيا». **(قوله: قال تعالى الخ)** أي وقال أيضاً: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقال جل من قائل: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]، وغير ذلك من الآيات. **(قوله: ومن كلامه من رزق ثلاثة أشياء الخ)** أي من جمعها في الاتصاف بها وتقدم عليها، كما أفاده الشارح.

(قوله: ومنهم أبو محمد عبد الله بن منازل) قال الشيخ المناوي: شيخ الملامتية بنيسابور أوحد وقته كان عالماً ديناً وإماماً صيناً، وافر الجلالة سافر البسالة صحب القصار وغيره، وكان متبحراً في علوم الشرع من حديث وفقه وغيرهما، ثم طلق العلائق، وأعرض عما يحجبه عن الله تعالى، وهوى الخلائق، ومن فوائده: من مقت نفسه عند نفسه عاش الناس في ظله، وقال: عبر بلسانك عن حالك، ولا تكن بكلام غيرك حاكياً، وقال: العبد يظهر دعوى العبودية، ويضمر وصف الربوبية، وقال: أفضل أوقاتك وقت تسلم فيه من هاجس النفس، وقال له بعضهم: رأيت في المنام أنك تموت إلى سنة فلو استعددت للخروج قال: لقد أجلتنا إلى أمد بعيد، ثم قال شعراً:

يا من شكا شوقه من طول فرقته ... اصبر لعلك تلقى من تحب غداً

مات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

(قوله: الذين يخربون على أنفسهم) أي يفعلون ما ظاهره التخريب مع تعمير الباطن

الكثير و (مات بنيسابور سنة تسع وعشرين أو ثلاثين وثلاثمائة. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن المعلم يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن) لأن من ضيع الآكد فهو لغيره أضيع (ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا يوشك أن يبلى بالبدع) لأنها ضدها. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: أفضل أوقاتك وقت تسلم فيه من هواجس نفسك) أي: خواطرها الداعية إلى الراحات والشهوات (ووقت يسلم الناس فيه من سوء ظنك) بهم ولا يسلم العبد من ذلك إلا إذا كان مشغولاً بإصلاح نفسه مقبلاً على مرضاة ربه. والوقت: الزمان، وقد يطلق عند القوم على حال العبد في الوقت وكل صحيح هنا وإن رجح الثاني بأن الفضل إنما يرجع إلى فعل العبد وحاله لا إلى الزمان وسيأتي بيان حقيقة الوقت في محله.

(ومنهم أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي) بفتح المثلثة والقاف نسبة إلى

وسببه والله أعلم الغيرة منهم بإخفاء شريف أحوالهم، وعدم محبة الإطلاع على أسرارهم، أو تقليل الأنوار مخافة التلاشي مع زيادتها، وقد تقدم أن الكمال في الظاهر تبعاً لحكم الباطن أشرف وأحكم، والله أعلم. (قوله: إلا ابتلاه الله الخ) الغرض الحث على دوام مراقبة الله تعالى، وذلك لا يكون إلا بالبعد عن كامل الحظوظ التي منها ما ذكره الأستاذ رضي الله تعالى عنه. (قوله: وإن رجح الثاني الخ) فيه أنه قد ثبت التفضيل باعتبار الزمان في كثير من الأخبار إلا أن يحمل على أن ذلك باعتبار الواقع فيه كما أفاده الشارح نفعنا الله به.

(قوله: ومنهم أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي) قال المانوي في طبقاته: الإمام الجليل الجامع بين العلم والتقوى المتمسك من حبال الشريعة والحقيقة بالسبب الأقوى المقتدى به في فقه الشافعية أكثر من علوم الشرع في كل فن، ثم عطل علومه كلها، واشتغل بالتصوّف وبه ظهر التصوّف في إقليم نيسابور، تفقه على محمد بن نصر المروزي، وتصوّف على حمدون القصار وغيره، حكي أن الشبلي بعث إليه رجلاً، وأمره أن يعلق مجلسه سنة، ويحمله إليه بحيث لا يشعر ففعل وميز مجالس الغدوّ من العشي فتأمله الشبلي، ثم قال: كلامه بالغدو في علم الحقائق معجز وبالعشي رديء فاسد بعيد عن تلك العلوم انتهى، وذلك لأنه كان يحلو في ليله بسره فيصفو كلامه بالغدوة، وقال الشبلي للرجل هل رأيت بداره شيئاً من الفرش والآنية قال: أما الفرش فنعم فصاح الشبلي وقال: هذا الذي غير عليه حاله، وكان رأساً في الفقه، قال له ابن خزيمة: لا يحل لأحد منا يفتي وأنت حيّ، وقال الضبعي: ما عرفنا الجدل والنظر حتى ورد علينا الثقفي من

ثقيف جده (**إمام الوقت صحب أبا حفص وحمدون القصار وبه ظهر التصوّف بنيسابور مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الثقفي يقول: لو أن رجلاً جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ**) عارف (**أو إمام**) في الفقه (**أومؤدّب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه**) أي حمقها (**لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات**) وإلى ذلك يشير قولهم: من لم يكن له شيخ كان الشيطان شيخه لأن النفس كثيرة التلبيس عظيمة الخداع توهم العبد أنه صادق، وهو كاذب، وإنه موف بعزمه وهو ناكث، وأنه زاهد وهو راغب، وأنه معتمد على الله متوكل وهو ساكن إلى الأسباب، وإنما يعرف ذلك من نفسه بتنبيه شيخ يلقي إليه قياده أو فقيه يستفتيه في سائر أموره أوصاحب ناصح ينبهه على ما ظهر له من نقص، ومن لم يتأدب في نفسه ويجاهد هواه حتى يعرف أسباب الصلاح والفساد بالطريق القويم لم يصلح أن يكون طبيباً يداوي غيره من العباد. (**وقال أبو علي رحمه الله: يأتي على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه لمؤمن**) ويسلم من الإهانة (**إلا بعد استناده إلى منافق**) له باطن وظاهر ولذلك قيل: يعامل الناس في أوّل الأمر بالدين، فإن دينهم بحجزهم عن الظالم، فإن ضعف

العراق، نقل عنه الرافعي في مواضع من الشرح منها في الجمع بين الصلاتين وغير ذلك، ومن كلامه: كمال العبودية العجز والقصور عن معرفة علل الأشياء بالكلية، وقال: لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صواباً من صوابها إلا ما كان خالصاً من خالصها إلا ما كان موافقاً للسنة، وقال قد وسع الله على عباده بالغفلة عنه ولولاها ما هنأ لهم عيش لعظيم ما كانوا يشاهدونه، وقال: ليس شيء أولى بأن تمسكه في نفسك، ولا شيء أولى بأن تغلبه من هواك، ومن نظمه:

إلى كم يكون الصدّ في كل ساعة ... وكم لا تملين القطيعة والهجرا
رويدك إن الدهر فيه كفاية ... لتفريق ذات البين فارتقب الدهرا

ولد سنة أربع وأربعين ومائتين، ومات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة. (**قوله: لو أن رجلاً الخ**) أي فلا بدّ من المرشد، كما يدل له قولهم لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط فحينئذٍ لا بد من المرشد على كل حال، ولو كان المريد عالماً بجميع العلوم.

(**قوله: وإلى ذلك يشير قولهم الخ**) أقول ويرشد إلى فضيلة المرشد خبر: «لأن يهدي الله بك رجلاً» الحديث، حيث أشار إلى اعتبار الشيخ، وثبوت شرف الإرشاد، والله أعلم. (**قوله: ومن لم يتأدب في نفسه الخ**) الغرض لذلك خبر: «بدأ الدين غريباً»

دينهم عوملوا بالمروءة لأن من له مروءة لا يرضى بتعاطي الظلم حفظاً لمروءته فإن ضعفت مروءتهم عوملوا بالرغبة في الخير، فينال بعضهم من بعض بحسن الثناء عليه في معاملته، فإن ضعفت الرغبة في الخير عوملوا بالرهبة، أي الخوف من الأذية، فإن من أمن شره استهين وظلم ومن لم يؤمن منه ذلك قضيت حوائجه فإن استند إلى ظالم كان ذلك أسرع لقضاء حوائجه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. **(وقال)** أبو علي **(أف)** بكسر الفاء وفتحها، وضمها مع تنوينها، ودونه بمعنى مصدر أي تباً وقبحاً **(من أشغال الدنيا)** مالاً وجاهاً **(إذا أقبلت، وأف من حسراتها إذا أدبرت)** بعد تعلق القلب بها **(والعاقل من لا يركن إلى شيء)** صفته أنه، **(إذا أقبل كان شغلاً وإذا أدبر كان حسرة)** أي أشد تلهفاً على ما فاته لأن الدنيا كلما اتسعت على العبد كثر شغله بها وحفظه وتنميته لها وفيما قاله: دليل على تحقير الدنيا، واستنقاص أهلها، ومن كلامه: لا يلتمس تقويم من لا يستقيم، ولا تأديب من لا يتأدب، وقال: أربعة أشياء لا بدّ للعاقل من حفظها: الأمانة والصدق والأخ الصالح والسريرة.

(ومنهم أبو الخير الأقطع مغربي الأصل سكن تينات) بكسر المثناة الفوقية، وإسكان التحتية وبالنون وبالمثناة الفوقية بعد الألف قرية على أميال من المصيصة،

الحديث، فضعف الدين آخر الزمان ثابت عنه ﷺ. **(قوله: عوملوا بالرهبة الخ)** أي ولذا قال المتنبي شعراً:

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه ... إن اتسعت بالحلم طرق المظالم

(قوله: وقال أبو علي اف الخ) الغرض التنبيه على ما في إقبال الدنيا، وما في إدبارها من الضرر الديني والدنيوي، مع دناءتها في الحقيقة، فعلى الكامل أن يعرض عنها اختياراً حتى لا يقع في الضرر. **(قوله: لا يلتمس تقويم الخ)** أي فلا يقيد تعديل غير المستقيم لسابق خذلانه بالإمارات الدالة على ذلك، ومثل ذلك يقال فيما بعده.

(قوله: من حفظها) أي التخلق بها على الدوام. **(قوله: ومنهم أبو الخير الأقطع)** قال المناوي في طبقاته: هو التيناتي نسبة إلى تينات قرية ببلاد المشرق صاحب الكرامات الغريبة، والأحوال العجيبة، وكان وافر الحنو والتعطف ذا وفاء وسكون، وأياد تغار منها الأنهار والعيون، وأصله من المغرب، وقدم المشرق، فصحب ابن الجلاء وغيره، وكان واحد وقته في التوكل تاتيه السباع، والهوام فتأنس به وتأوي إليه، وسئل عن ذلك فقال الكلاب يأنس بعضها ببعض، ومن كلامه: لا يجوز التصدر للمشيخة إلا لمن فرغ من تهذيب نفسه، ومن بقي عليه بقية، فهو مريد والمريد لا يكون له مريد، وقال: لا تسألوا الله أن يصبركم وسلوه اللطف بكم لأن تجرع مرارة الصبر شديد لمثلنا، فإن زكريا لما بلغ

وهي مدينة على ساحل البحر **(وله كرامة وفراسة حادة كان كبير الشأن مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة. قال أبو الخير)** وفي نسخة وقال: **(ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة)** للعلم والعمل به **(ومعانقة)** أي: ملازمة **(الأدب)** مع الحق والخلق الصادق ذلك بملازمة أداء النوافل **(وأداء الفرائض وصحبة الصالحين)** أي: لا يكمل العبد في خير حتى يلازم فرضه ونفله لخبر: «ما تقرب إليّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه» الحديث وتقدم بيانه في أوائل الكتاب.

(ومنهم أبو بكر محمد بن علي) بن جعفر **(الكتاني)** بفتح الكاف وبالمثناة

المنشار لرأسه أنّ لشدة الوجع، فأوحى الله إليه، وعزتي وجلالي لأن صعدت منك أنة ثانية لأمحون اسمك من ديوان النبوّة، وقال: حرام على قلب مشوب بحب الدنيا أن يسبح في روح الغيوب، وقال: من أحب اطلاع الناس على علمه، فهو مراء، أو على حاله فهو كذاب، وسبب قطع يده أنه عقد مع الله عقداً أن لا يمدّها لشيء من نبات الأرض لشهوة فنسي، وتناول عنقوداً من شجر البطم، فلاكه ثم تذكر فرماه، فخرج بعض الأمراء لطلب قطاع الطريق فظنه منهم فقطع يده، وكان ينسج الخوص بإحدى يديه ويقوت نفسه وله كرامات كثيرة راجعها إن شئت في طبقات المناوي ومن شعره:

أنحل الحب قلبه والحنين ... ومحاه الهوى، فما يستبين
ما تراه العيون إلا ظنوناً ... وهو أخفى من أن تراه العيون

مات بمصر سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ودفن بالقرافة بباب تربة مسلم السلمي بجنب منارة الديلمية بقرب ذي النون، والمشهد الذي عليه بناه الفخر الفارسي، وقيل: أنه رأى المصطفى، فأمره ببنائه وقال: من صلى فيه ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة تبارك، والثانية بعدها ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]، ويسأل حاجته إلا قضيت والله أعلم.

(قوله: ما بلغ أحد الخ) أي فلا يمكن الوصول إلى الله إلا بطريق متابعته ﷺ والتأدب بآدابه فمن ظهر بغير ذلك فهو ضال مضل. **(قوله: ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل)** أي زيادة على أداء الفرائض، وحينئذٍ فلا يقال يلزم فضل النوافل على الفرائض على أن النافلة قد تفضل الفريضة، كما في ابتداء السلام ورده.

(قوله: ومنهم أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني) قال المناوي: كان يأمر بتقوى الله على المنابر، وتنطق بها ألسنة أقلامه من أفواه المحابر، ومع ذلك كان بها أوّل مأمور، وأوّل من أسفر له صبحها من سواد الديجور، ومن فوائده: كن في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك، وقال: خوف القطيعة أفضل من عبادة الثقلين، وقال: علامة الزهد

الفوقية نسبة إلى الكتان وعمله (**بغدادي الأصل صحب الجنيد والخراز والنوري وجاور بمكة إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: نظر الكتاني إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس فقال: هذا رجل أضاع حق الله في صغره فضيعه الله في كبره**) أي: لو تعوّد في صغره القناعة باليسير وتخلق بالورع والتوكل لم يحوجه الله آخر عمره إلى سؤال الناس وأما التصدي للسؤال على الطرقات فهو في غاية البشاعة كما لا يخفى. (**وقال الكتاني: الشهوة**) لبني آدم (**زمام الشيطان**) أي: يجرهم بها إلى المعاصي (**من أخذ**) الشيطان (**بزمامه**) بأن تمكن منه لشدة محبته لشهواته (**كان عبده**) فيكون من أصحاب السعير.

(**ومنهم أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري**) بفتح النون، والراء نسبة إلى

في شيء من الدنيا سرور القلب بفقده، وتحمل أذى الخلق، وقال: من يدخل في هذه المفازة يحتاج إلى أربعة أشياء: حال يحميه، وعلم يسوسه، وورع يحجزه، وذكر يشوشه، وقال: إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى به، وقال: رأيت المصطفى ﷺ، فقلت: ادع الله أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم ألف مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، وقال: رأيت حوراء، فقلت لمن أنت قالت لمن حبس نفسه عن مألوفها، وقال: الإنس بمخلوق عقوبة، والقرب من الدنيا وأهلها معصية والركون إليهم مذلة، وقال: العارف من يوافق معروفه في أوامره، ولا يخالفه في شيء من أحواله، وقال: العبادة اثنان وسبعون باباً أحد وسبعون في الحياء من الله سبحانه وتعالى، وواحد في جميع أنواع البر، وقال: من أصبح، وعنده همان هم المعاصي، وهم جمع المال فالله منه بريء، وقال: كان في رأسي وجع فرأيت المصطفى ﷺ، فقال: اكتب هذا الدعاء: اللهم بثبوت الربوبية وبعظيم الصمدية، وبسطوات الإلهية، وبقدم الجبروتية، وبقدرة الوحدانية، فكتبته وجعلته على رأسي فسكن حالاً. (**قوله: نظر الكتاني الخ**) فيه تنبيه على أن من فرط في صغره، فدام على إهمال النفس، ولم يراع تأديبها بإرجاعها إلى طريق الورع يبقى على الهمل مبعداً في حال كبره، والله أعلم. (**قوله: الشهوة زمام الشيطان الخ**) أقول: لما كان الخوف والرجاء زمام الرحمن، وزاجر للإنسان لزم أن الشهوة زمام للشيطان. (**قوله: كان عبده**) أي أسيره يستعمله في المخالفات ليوقعه في الدركات.

(**قوله: ومنهم أبو يعقوب**) هو صوفي عصره على الإطلاق، وإمام وقته باتفاق الحذاق، قال أبو عثمان المغربي: ما رأيت أنور منه، وأما في الوعظ فهو من فرسان منابره، وأبطال محاريبه ومحابره كم أذاب حصاه قلب صلب تحت كرسيه ومنبره، وكم أسال دمعاً إذا جرى تعثر في محجره، ومن فوائده: من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعاً،

نهرجور بلدة بالمشرق **(صحب أبا عمرو المكي وأبا يعقوب السوسي والجنيد وغيرهم مات بمكة مجاوراً بها سنة ثلاثين وثلاثمائة. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين أحمد بن علي يقول سمعت النهرجوري يقول الدنيا بحر والآخرة ساحل)** له **(والمركب)** السائرة فيه **(التقوى والناس سفر)** بإسكان الفاء أي مسافرون في المركب، هذا من باب الاعتبار لأن الناس في الدنيا ليسوا مقيمين لأنها ليست دار قرار فهم فيها كالمسافرين باختلاف الليل والنهار إلى آخر أعمارهم، فأشبهت البحر، والآخرة دار استيطان فأشبهت ساحل البحر، فمن سافر إليها بحسن استعداد، وكمال زاد وصل إلى محل القرار سالماً غانماً، ومن فرط في ذلك غرق، وهلك وتوالى عليه الألم قبل الوصول وبعده، لأن الآخرة دار الجزاء. **(سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت النهر جوري يقول رأيت رجلاً في الطواف بفرد عين يقول أعوذ بك منك فقلت ما هذا الدعاء فقال نظرت يوماً إلى شخص**

ومن كان غناه بالمال لم يزل فقيراً، ومن طمع في الخلق لم يزل محروماً، ومن استعان على أمر بغير الله لم يزل مخذولاً، وقال: إنما ساد أهل الله الخلائق لأنهم طلبوا الحقائق، وقال: إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء مصيبة، وقال في حديث: احترسوا من الناس بسوء الظن أي بسوء الظن بأنفسكم لا بالناس، وقال: أفضل الأحوال ما قارن العلم، وقال: مفاوز الدنيا تقطع بالإقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب، وقال: العابد يعبد الله تعالى تخويفاً والعارف يعبده تشريفاً، وسئل عن التصوف، فقال: تلك أمّة قد خلت. ودخل عليه، وهو في النزع، فقيل له: قل لا إله إلا الله، فتبسم وقال أياي تعني وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة، ثم مات فوراً، وذلك في ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

(قوله: الدنيا بحر الخ) أي فهي بذاتها مهلكة بدون سبب من أسباب النجاة كالتقوى الشبيهة بالسفينة، والغرض المقصود الوصول إليه إنما هو الآخرة، والناس مسافرون يطلبون الغرض، فالدنيا كالبحر والآخرة كالساحل والتقوى كالسفينة، فالكائن في الدنيا بدون تقوى هالك كراكب البحر بدون سفينة، ويقرب ذلك المعنى خبر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور» لأنه لما كان من شأن الغريب عدم الأنس حمل المخاطب على ذلك، ثم لما احتمل أن الغريب قد يقيم ويأنس قال: أو عابر سبيل ثم لما كان السفر قد يطول، فربما يحصل فيه الانس قال وعد نفسك الخ، فسبحان من خص رسوله ﷺ بالحكم، وجوامع الكلم. **(قوله: فقال نظرت يوماً الخ)** فيه إشارة إلى أن بعض البلاء الدنيوي قد يكون في مقابلة الزلات، وهو كذلك كما يشير إليه أيضاً خبر: «ما أصاب المؤمن من مصيبة إلا بذنب ارتكبه» والله أعلم. **(قوله: فخذ**

فاستحسنته، وإذا لطمة وقعت على بصري فسألت عيني، فسمعت هاتفاً يقول لطمة بنظرة ولو زدت لزدناك) فخذ حذرك منا هذا من جملة الكرامات فإن من عجلت له عقوبته على عمله في الدنيا حتى يسلم من عذاب الآخرة فقد أكرم إذ ليس بين العذابين نسبة، وقد روى الترمذي خبر: «إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا، وإذا أراد به شراً أمسك عنه عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة» قيل ولما كان في اللفظ المذكور بشاعة أنكره النهرجوري بقوله ما هذا الدعاء فاحتاج قائله إلى أن يعرفه سببه ولو قال أعوذ برضاك من سخطك لكان ظاهراً. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت النهرجوري يقول: أفضل الأحوال ما قارن العلم)** أي: ما شهد له العلم بالصحة والكمال فإنه الدال على الفاضل والأفضل من الأحوال والأعمال وأفضل الأعمال ما وقع على أعلى درجات الكمال وتبرأ منه فاعله ورآه فضلاً من ربه.

(ومنهم أبو الحسين علي بن محمد المزين) وهو من يحلق الشعر **(من أهل**

حذرك منا) قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. **(قوله: وقد روى الخ)** فيه بشرى لمن عجلت له العقوبة في الدنيا لما لا يخفى. **(قوله: ولما كان في اللفظ الخ)** انظر ذلك مع وروده كذلك. **(قوله: أفضل الأحوال)** أي صفات المؤمن التي تعرض له، وقوله: ما قارن العلم أي ما وافق العلم الشرعي إذ غير ذلك من تلبيس الشيطان.

(قوله: ومنهم أبو الحسن) قال المناوي: هو البغدادي من كبار الشيوخ كان إمام زمانه، وصدر أوانه، وانتهت إليه رياسة الصوفية، ورقي بسيادته في المراتب العلية، وجمع له من المناقب ما لم يجمع في وقته لسواه، حتى ترك كل حاسد، وعدوّ يتلظى في نار جواه قال: كنت بمكة فوقع بقلبي انزعاج، فخرجت أريد المدينة فإذا بشاب مطروح، وهو في النزع فقلت لا إله إلا الله ففتح عينيه، وقال شعراً:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي ... وبداء الهوى يموت الكرام

ثم مات فجهزته ودفنته، فسكن ما بي فرجعت إلى مكة، ومن كلامه: إذا غلب ذكر الله فنيت فيه الدنيا والآخرة، وقال: التوحيد أن ترجع إلى الله وحده في كل أمورك، وتعلم أن ما حصل في قلبك فالله بخلافه، وقال: الطرق إلى الله سبحانه وتعالى بعدد النجوم، فلم يبق منها إلا طريق واحد هو الفقر إلى الله تعالى، وقال: من طلب الطريق إلى الله تعالى بنفسه تاه في أوّل قدم، وقال: من لم يصلح لمشاهدته شغله بخدمته، وقال: لو كان الرجل على عبادة الثقلين، وهو يساكن الدنيا بقلبه لم يعبأ الله به، وكل من أبقى عنده قوت غد فهو مساكن للدنيا، وقال: من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه، وقال: المودّة من المحبة كالرأس من الجسد، وقال: دخلت البادية على التجريد حافياً

بغداد من أصحاب سهل التستري والجنيد والطبقة) أي: ومن في طبقتهما (مات بمكة مجاوراً بها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وكان ورعا كبيراً. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت المزين يقول: الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب الأوّل) حيث لم ينبه للتوبة فإنه لو تاب بعد الأوّل محى عنه وسلم من العقوبة بالثاني (والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة الأولى) عجله له مولاه في دنياه وله في أخراه ثواب كل من الحسنتين (وسئل المزين عن التوحيد فقال: أن تعلم أن أوصافه تعالى بائنة) وفي نسخة مباينة (لأوصاف خلقه) فإنه (باينهم بصفاته قدماً كما باينوه بصفاتهم حدثاً) فلا شبه بينهما في ذات ولا صفة ولا فعل (وقال) المزين (من لم يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق ومن استغنى بالله تعالى أحوج الله الخلق إليه) لأن ما يحتاج الناس إليه في دنياهم أعمال وعلوم وأقوات وحسن معاشرة فمتى مكن الله تعالى العبد في العلم والعمل به ويسر له أرزاقه وحسن أخلاقه عاش مستغنياً بمولاه، واحتاج إليه من لم يكن كذلك.

(ومنهم أبو علي بن الكاتب واسمه الحسن بن أحمد صحب أبا علي الروذباري

حاسراً، فخطر ببالي أنه ما دخلها أشد تجرداً مني، فقال لي إنسان من خلفي يا حجام كم تحدّث نفسك بالأباطيل، وحضر ميتاً يبكي عليه فأنشد:

ويبكي على الموتى، ويترك نفسه ... ويزعم أن قد قل عنهم عزاؤه
ولو كان ذا عقل، ورأي وفطنة ... لكان عليه لا عليهم بكاؤه

مات، وقبر بمكة سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة.

(قوله: الذنب بعد الذنب الخ) أي فتكرر الذنوب سببه عدم إخلاص التوبة من الذنب الأول، فحيث لم يخلص له توبة لتصقل قلبه من نكت الملك قلب من وقع منه الذنب، فقد جوزي بالوقوع في ذنب آخر ليثبت إبعاده عن منازل المقرّبين، والله أعلم. (قوله: وله في أخراه الخ) دفع به ما يتوهم من أنه لا ثواب غير هذا الحاصل في الدنيا فأفاد أنه ثابت مع التضعيف حسبما دلك عليه الدليل الشريف. (قوله: فقال إن تعلم الخ) أي فيجب اعتقاد مخالفته تعالى للحوادث ذاتا وصفة وفعلاً ولشرف هذه العقيدة اعتبر التوحيد بها، وذلك لا ينافي وجوب اعتقاد غيرها من العقائد الواجبة له تعالى. (قوله: من استغنى بالله تعالى الخ) أي فمن التزم طريق القناعة، ودام اشتغاله بمولاه، واكتفى بما قسمه له، ولم يتطلع لغير ذلك كان جزاؤه عند الله أن يجعل حاجات غيره من الخلق راجعة إليه.

(قوله: ومنهم أبو علي بن الكاتب الخ) قال المناوي: كان من كبار مشايخ مصر والشام، ومن أعاظم أهل الحقائق الأعلام، وافر العرفان مثمر الأفنان أخذ عن الروذباري وغيره.

وأبا بكر المصري وغيرهما كان كبيراً في حاله) أي: شأنه **(مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة قال ابن الكاتب إذا سكن الخوف)** أي خوف زلل اللسان **(القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه)** ليسلم من ذلك **(وقال ابن الكاتب المعتزلة نزهوا الله تعالى)** عن أن يخلق الشر والكفر وسائر المعاصي **(من حيث العقل)** أي: من حيث أنهم اعتمدوا محض النظر العقلي **(فأخطأوا)** لغفلتهم عن الدليل السمعي كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] **(والصوفية نزهوه من حيث العلم)** أي: من حيث أنهم اعتمدوا مع النظر العقلي الدليل السمعي **(فأصابوا)** فيما اعتقدوه من أنه تعالى يخلق ما ذكر.

(ومنهم مظفر القرمسيني) بكسر القاف وإسكان الراء وكسر الميم والسين المهملة نسبة إلى قرمسين مدينة بجبال العراق **(من مشايخ الجبل)** أي: جبل سفح قاسون **(صحب عبد الله الخرّاز وغيره قال مظفر القرمسيني: الصوم على ثلاثة أوجه صوم الروح)** وهو يحصل **(بقصر الأمل)** بإمساكها عن طوله المؤدّي غالباً إلى عدم

ومن كلامه: إذا انقطع العبد إلى الله بكليته، فأوّل ما يفيده الاستغناء به عن الناس، وقال: روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها، وتدل عليهم وإن ستروها، وقال: المعتزلة نزهوا الله من حيث المعقول، فأخطأوا والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا، وقال: من سمع الحكمة ولم يعمل بها فهو منافق، وقال: صحبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم، وقال: يقول الله من صبر علينا وصل إلينا، وقال: إن الله سبحانه وتعالى يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه، وإن لم يشكره أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته، وقال: إذا سكن الخوف القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه. **(قوله: لم ينطق اللسان الخ)** أي لأن حلية القلوب تكسب الجوارح آثارها، وعليه إن ضد ذلك يعلم حكمه بحكم الضد. **(قوله: المعتزلة الخ)** فيه تنبيه على أن العقل مجرّداً عن العلم الشرعي لا ينفع، ولا يفيد غير الضرر، ولذلك نقل في الأصول الفقهية لا حكم قبل الشرع، أي لأنه ﷺ طبيب القلوب، ومحقق المطلوب. **(قوله: ومنهم مظفر القرمسيني الخ)** قال المناوي: من أجلة مشايخ الجبل صحب الخرّاز وطبقته، وكان واحد في طريقته ذا مجاهدة أوصافها مأثورة وأخلاق محاسنها مشهورة.

ومن فوائده: أخس الفقراء قيمة من قبل رفق النسوان والظلمة، وقال: من تأدّب بآداب الشريعة تأدّب به أتباعه، ومن تهاون بآدابها هلك وأهلك، ومن لم يأخذ الأدب عن حكيم لم يتأدّب به مريد مات في هذا القرن، والله أعلم. **(قوله: الصوم على ثلاثة أوجه الخ)** أي وذلك باعتبار معنييه اللغوي والشرعي. **(قوله: صوم الروح)** وهو يتحقق بقصر

الاجتهاد في الخيرات **(وصوم العقل)** الذي به تعرف المصالح والمفاسد وهو يحصل **(بخلاف الهوى)** أي: بإمساكه عن الميل إلى الهوى **(وصوم النفس)** أي ذات الإنسان وهو يحصل **(بالإمساك عن الطعام)** الشامل للشراب **(و)** عن **(المحارم)** من المحرمات ونحوها والمراد أن حقيقة صومها الإمساك عن الطعام ونحوه وكماله الإمساك عن المحرمات ونحوها كالغيبة والنميمة والكذب لخبر البخاري: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه». **(وقال مظفر: أخس الأرفاق)** أي: الإحسان **(أرفاق النسوان لك على أي وجه كان)** من أوجه الأرفاق الحاصل مع مخالطتهنّ أو بدونها مع تلفظ أو بدونه لأنّ ذلك محل تهمة ولأنهنّ بما يرفقن من أموال أزواجهنّ بغير إذنهم، ويزعمن أنّ ذلك بر وخير لهنّ ولأزواجهنّ **(وقال: الجوع إذا ساعدته القناعة فهو مزرعة الفكر)** والتأمل في أنواع العلوم ومعرفة المصالح والمفاسد **(وينبوع الحكمة)** وهي إصابة الصواب كما مرّ مع زيادة **(وحياة الفطنة)** أي: الفهم للمفاسد والمصالح **(ومصباح القلب)** أي: منوره بالعلم وهذا كله لبعده عن المشغلات من محبة كثرة الطعام والتلذذ بأنواع المشتهيات. **(وقال: أفضل أعمال العبيد حفظ أوقاتهم الحاضرة)** لأن الماضية قد تخلص بالتوبة أو بغيرها والآتية لعله لم يدركها **(وهو)** أي: حفظهم لها **(أن لا يقصروا في أمر)** مطلوب شرعاً **(ولا يتجاوزا عن حد)** حده الشرع. **(وقال: من لم يأخذ الأدب عن حكيم)** وهو من يضع

الأمل، فتدوم على شرفها إذ الكدورات تعرض لها من طول الأمل، وهي بهذا الاعتبار تسمى نفساً وصوم العقل، وهو يتحقق بخلاف الهوى، أي الميل للحظوظ، فبذلك توجد فائدته من كونه مانعاً وعاقلاً لصاحبه وصوم النفس، وهو يتحقق بكل من الإمساك عن الطعام والشراب، وعن المحارم أي ما حرّم الله على عبده. **(قوله: فليس لله حاجة أن يدع الخ)** أي فلا حظ لهذا عند الله إلا الجوع ولا أجر له. **(قوله: أخس الأرفاق الخ)** أي فينبغي البعد عما يتعلق بهنّ دفعاً للريبة ولشبهة أن يكون من مال الأزواج. **(قوله: وقال الجوع إذا ساعدته القناعة الخ)** أي وثمرة الجوع المصاحب للقناعة أن يكون مزرعة الفكر، أي مادّة الواردات على الفكر من العلوم الشرعية والذوقية، وينبوع الحكم لكونها إنما تنشأ غالباً عنه، وحياة الفطنة أي ذكاؤها وصفاؤها، ومصباح القلب أي سبب تنويره بالنور الإلهي المحمد للبصيرة.

(قوله: وقال أفضل أعمال العبيد الخ) أي، ويؤيده ما تقدّم من قول بعضهم الصوفي ابن وقته، أي فلا ينظر إلى الماضي خوف ضياع الحال، ولا إلى ما يأتي لأنه لا يدري ما يقضيه فيه الكبير المتعال. **(قوله: وقال من لم يأخذ الأدب عن حكيم الخ)** المراد به العارف بالآداب والأدواء وأدويتها، حتى يداوي كل عليل ومريد بما يوافق علته وإرادته،

الأشياء مواضعها ويقابل أمراض القلوب بأدويتها **(لم يتأدّب به مريد)** لأن من لم يكن كذلك لا يقتدى به لأنّ من سلك طريقاً واحداً من طرق الخير وجاءه مريد ليقتدي به فدله على طريقه الذي سلكه مع اختلاف أمراض القلوب كان كطبيب يسقي الناس من إناء واحد لكونه تداوى به وربما ضرت غيره فضلاً عن أن تنفعه.

(ومنهم أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري من أقران الشبلي من مشايخ الجبل عالم ورع صحب يوسف بن الحسين وغيره ومات بقرب الثلاثين وثلاثمائة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول من حكم الفقير) المبني طريقته على الزهد في الدنيا **(أن لا يكون له رغبة فيها)** لأنها حقيرة لا تزن عند الله جناح بعوضة فحقه أن لا يأخذ منها إلا ما تدعو إليه الضرورة **(فإن كان ولا بدّ)** له من الرغبة في شيء منها بأن لم يصل إلى مقام الزهد بالكلية **(فلا تجاوز رغبته كفايته يمني)** القدر **(المحتاج)** هو **(إليه)** فإنها تختلف باختلاف الأشخاص **(وبهذا الإسناد قال)** أبو بكر الأبهري **(إذا أحببت أخاً في الله تعالى فأقلل مخالطته)** وفي نسخة من مخالطته **(في الدنيا)** فإن القلوب لها إقبال وإدبار فإن دعتك حاجة إلى مخالطته فيها فاعتمد على إيثارك له على نفسك لا بإيثارك نفسك عليه.

وهذا في الحقيقة من شروط المرشد المعتبرة في صحة إرشاده، إذ لو لم يكن كذلك لضر المريدين، ولم ينفعهم كما بينه الشارح.

(قوله: ومنهم أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري) قال المناوي: صوفي عالم على المكانة، وافر الهمة متين الديانة قانع بالكفاف ملازم للزهد والورع والعفاف، وهو من مشايخ الجبل، وأقران الشبلي، وتلك الطبقة.

ومن فوائده: من كان من أهل الجمع، فلا يشهد إلا الله، وقال: في الوقوع في المحن ثلاثة أمور التطهير والتكفير والتذكير، فالتطهير من الكبائر، والتكفير من الصغائر، والتذكير لأهل الصفا، وقال قوم سألوه بألسنة الأعمال، وقوم سألوه بألسنة الرحمة، فكم بين من سأل ربه بربه، وبين من رجا ربه بعلمه، وقال همة الصالحين الطاعة بلا معصية، وهمة العلماء المزيد في الصواب، وهمة العارفين زيادة تعظيم الله في قلوبهم، وهمة أهل الشوق سرعة الموت، وهمة المقرّبين سكون القلب إلى الله، مات قريباً من الثلاثين وثلاثمائة. **(قوله: أن لا يكون له رغبة فيها)** أي، وإلا لنافى زهده. **(قوله: لا تزن الخ)** أقول ذلك ربما يكون له حكم المحسوس، وتوضيح الواضحات من المشكلات. **(قوله: فاقلل مخالطته الخ)** أي، كما يشهد له: «زرغبا تزدد حباً». **(قوله: فاعتمد على إيثارك له)**

(ومنهم أبو الحسين بن بنان) بضم الموحدة (ينتمي) أي: ينتسب له صحبة (إلى أبي سعيد الخرّاز من كبار مشايخ مصر قال ابن بنان: كل صوفي كان هم الرزق قائماً في قلبه فلزوم العمل) بالعلم (أقرب له) من غيره في الخلوص من ذلك لأن عمدته فراغ قلبه من المشغلات، وأشد المشغلات له ما تدعو إليه الحاجة من أنواع الدنيا فمتى كان القلب مشغولاً بذلك اشتغل عما خلق له من معرفة الله تعالى ومعرفة الآخرة، ومتى قوي يقينه وتوكله على مولاه بما يحتاجه أعرضت نفسه عن الأسباب الدنيوية، وسكن قلبه لله تعالى (وعلامة سكون القلب إلى الله تعالى أن يكون بما في يد الله) أي: عنده وفي نسخة يدي الله (أوثق منه بما في يده) أي: عنده، قال الله

أي تقديمه على نفسك. (قوله: ومنهم أبو الحسين بن بنان) هو شيخ مصر وتلك الأعمال المعروف بالحمال إمام زاهد، وعارف ومجاهد، أوقاته معمورة وأحواله مشهورة، وعظ بالجم الكثير وسقط المريدون منه على خبير، صحب الخرّاز وغيره.

ومن فوائده: أنه قال الناس يعطشون في البراري، وأنا عطشان على شاطىء النيل، وقال: آثار المحبة إذا بدت رياحها وهاجت، تميت أقواماً وتحيي آخرين، وقال: من علامة سكون القلب إلى الله تعالى انشراحه إذا زالت عنه الدنيا، وقال: ذكر الله باللسان يورث الدرجات، وذكره بالقلب يورث القربات، وقال: تتشعب شعبة المحبة من دوام ذكر إحسان الله فيه تتنسم ريح المحبة عن قريب، وقال: الإكثار من الوجد من علامة الصدّيقين، وله غير ذلك من الفوائد.

(قوله: قائماً في طلبه) أي مشغلاً له بسبب قلة يقينه فعلاجه ملازمته للعمل بالعلم، فإنه دواء له ينشأ عنه قوّة اليقين، وحسن التوكل عليه تعالى، فيما يحتاجه لمعاشه. (قوله: فلزوم العمل بالعلم أقرب له) أي أقرب لخلاصه من هذا الداء الشاغل لقلبه لأنه برجوعه إلى ما ذكر يثق بأن ما قدّر كونه لا بدّ من وجوده وما لا فمحال وجوده، وبذلك يزول ما بقلبه والله أعلم. (قوله: لأن عمدته) أي ما يعتمده في زوال ذاته فراغ قلبه من تلك الوساوس الشيطانية التي لا يزيلها إلا علمه بأن الأمر دائر بين ما يكون، وما لا يكون، والسعي والهمة لا تأثير لهما في كون ما لا يكون، ولا في جلبه، ولا في رد ما يكون ولذا قيل شعراً:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة   أبداً وما هو كائن سيكون
يسعى الذكي فلا ينال بسعيه   حظاً ويحظى عاجز ومهين

(قوله: وعلامة سكون القلب الخ) أي إمارة طمأنينة القلب بما عند الله تعالى أن يكون بما في يد الله أي بما في قدرته أوثق منه بما في يده، أي لأن ما بيده عرضة للتلف بسارق أو حريق أو غيرهما من أسباب التلف، ولا كذلك ما عنده تعالى، فإذا تم له هذا المقام تيسرت له الخيرات كالصدقة وأعمال البر وسرعة القيام بأداء الحقوق المتعلقة

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨] وقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣] **(وقال)** أبو الحسين **(اجتنبوا دناءة الأخلاق)** كترك العفو عن الزلات ومساعدة ذوي الحاجات والأعمال الصالحات **(كما تجتنبون الحرام)** وفي نسخة المحارم لأن ارتكاب ذلك، وإن كان مباحاً ربما يوقع في الحرام فالإنكفاف عن المباح يحفظ العبد عن الوقوع في الحرام أما أدنى الأخلاق كالرياء والعجب والحسد والشماتة، فمحرّم يجب اجتنابه، ومن كلامه: لا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله.

(ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرمسيني شيخ وقته صحب أبا عبد الله

بالحق وبالخلق. **(قوله: قال الله تعالى)** أي، وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠] إلى غير ذلك من الآيات.

(قوله: اجتنبوا دناءة الأخلاق الخ) يريد بها الأخلاق المذمومة بشاهد الشريعة، وإن لم تكن محرّمة فالمراد الحث على فعل الفاضل، أو الأفضل منها، وقوله: كما تجتنبوا الحرام مراده التشبيه في مطلق النهي، وإلا فالنهي عن المحرّم آكد بسبب الوعيد عليه. **(قوله: أما أدنى الأخلاق الخ)** مقابل لقوله الدناءة التي أريد منها الدنيء، وحكمه أي الأدنى قد تكفل ببيانه الشارح نفعنا الله به. **(قوله: لا يعظم أقدار الأولياء الخ)** أي لأنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل. **(قوله: ومنهم أبو إسحاق إبراهيم الخ)** قال المناوي: شيخ الجبل في زمانه، وإمام أهل الحقائق في أوانه صحب الخوّاص والمغربي، وكان شديداً على المدعين متمسكاً بالكتاب والسنة ملازماً لطريق الأئمة.

ومن كلامه: ما قطع الطريق على الفقراء، وأهلكهم إلا ميلهم لما عليه أهل الدنيا، وقال: من تكلم في الإخلاص، ولم يطالب نفسه به ابتلاه الله بهتك سره عند الأقران والإخوان، وقال: بينما أدور في جبل لبنان إذ خرج شاب أحرقته السموم والرياضة، فلما رآني ولى هارباً فتبعته، وقلت: عظني بكلمة فقال: احذره فإنه غيور، ولا يحب أن يرى في قلب عبده سواه، وسئل عن وصف العارف فقال: كنت على جبل الطور مع شيخنا أبي عبد الله المغربي، فبينما نحن ذات يوم قعود بمكان فيه عشب، فتكلم الشيخ في علوم المعارف، فرأيت شاباً يتنفس، فاحترق ما بين يديه من العشب الأخضر فقال الشيخ: هذا هو العارف، وقال: إذا دخل الخوف قلباً أحرق مواضع الشهوات منه، وخرب رغبة الدنيا عنه، وقال: إياك أن يشغلك عن الله شاغل فقل: من أعرض عنه فاقبل عليه، وقال: الشرف في التواضع والعز في التقوى، والحرمة في القناعة، وقال: ما بت تحت سقف، ولا بمحل عليه غلق أربعين سنة، وكنت أشتهي شبعة من عدس، فلم يتفق فدخلت

المغربي وأبا إسحاق الخوّاص وغيرهما) مات سنة ثلاثين وثلاثمائة (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا يزيد المروزي الفقيه يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أراد أن يتعطل) عن أعمال البر (ويتبطل) منها (فليلزم الرخص) بأن يترك المندوبات ويرتكب المكروهات والشبهات ويتقصر على فعل الواجبات وترك المحرمات والراغبون في تحصيل المكارم والأخلاق الحميدة لا يرضون به، بل يطلبون الأولى لكمال جدهم ورغبتهم في عمارة أوقاتهم بأفضل أعمالهم (وبهذا الإسناد قال) أبو إسحاق (علم الفناء) عن غير الله (و) علم (البقاء) مع الله (يدور) كل منهما (على إخلاص الوحدانية) علماً وحالاً (و) على (صحة العبودية) جهداً وامتثالاً فمتى جهد العبد في موافقة مولاه وكمل إخلاصه له وإعراضه عمن سواه فنى عن غيره لكمال شغله به وبنجواه ومتى جدّ في ذلك واشتدّ رجاؤه فيما طلب فني عن نفسه، وبقي مع مولاه والبقاء بعد الفناء، فإن الفناء الإعراض عن غير الله والبقاء استغراق في ذكره وقربه (وما كان غير هذا) أي: غير ما ذكر من إخلاص الوحدانية وصحة العبودية (فهو المغاليط والزندقة) والوسوسة. (وقال إبراهيم) القرمسيني (السفلة) بكسر الفاء وهم أراذل الناس (من يعصي الله عز وجل) ولم يتب،

الشام، فحمل إليّ عضادة فيها عدس فتناولت منه وخرجت، فرأيت قوارير معلقة فيها خمر فكسرتها، فحملت إلى السلطان، فأمر بضربي مائة وسجنت فبقيت مدّة، حتى دخل أبو عبد الله المغربي استاذي البلد، فشفع فيّ، فلما وقع بصره عليّ قال ايش فعلت قلت شبعة عدس بمائة خشبة، والسجن قال: نجوت مجاناً. مات سنة ثلاثين وثلاثمائة.

(قوله: من أراد الخ) أفاد بذلك أن المقتصر في عبادته على فعل الواجبات، وترك المحرّمات يطلق عليه عاطل، ومن ذوي البطالة، وهو كذلك لأنه قد فوّت على نفسه الفضائل والفواضل. (قوله: علم الفناء الخ) مراده أن تحقق مقام الفناء عما سواه تعالى، والبقاء به تعالى لا يكون إلا باخلاص الوحدانية، وصحة العبادة فباختلافهما قوّة وضعفاً يكون التفاوت في هذين المقامين الشريفين، فكلما زاد اشتغاله به تعالى، وبعبادته مع مراقبته زاد في المقامين المذكورين حتى يفنى عن فنائه بترقيه إلى مقام جمع الجمع والله أعلم. (قوله: والبقاء بعد الفناء) أي لأن الأوّل وجود، والثاني عدم والوجود بعد العدم، ولأن الثاني من باب التخلية، والأوّل من باب التحلية، وهي بعد التخلية.

(قوله: فهو المغاليط) أي لما يلزمه من شهود غير الفاعل المختار في شيء من الأشياء، والله أعلم. (قوله: السفلة الخ) إنما سموا بذلك لانحطاطهم، وتأخرهم عن رتبة الأبرار والمقرّبين، بما كسبوا بفعل المخالفات والمعاصي. (قوله: من ترك حرمة المشايخ الخ) أي من ترك احترامهم على حسب المتابعة، والامتثال ابتلى الخ أي كان جزاؤه

ومن كلامه: من ترك حرمة المشايخ ابتلي بالدعاوي الكاذبة وافتضح بها، ومن تكلم في الإخلاص ولم يطالب نفسه به ابتلاه الله بهتك ستره عند أقرانه وإخوانه، ومن كلامه: قال لي أبي يا بني تعلم العلم لآداب الظاهر واستعمل الورع لآداب الباطن وإياك أن يشغلك عن الله شاغل فقل من أعرض عنه فأقبل عليه.

(ومنهم أبو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار من أرمينية) بفتح الهمزة بلدة من بلاد الروم وفي نسخة أرمية **(له طريقة يختص بها في التصوّف وكان عالماً ورعاً وكان ينكر على بعض العارفين)** وفي نسخة العراقيين **(في إطلاقات وألفاظ لهم قال ابن يزدانيار، إياك أن تطمع في الأنس بالله وأنت تحب الأنس بالناس، وإياك أن تطمع في**

ذلك، ويدل لذلك خبر: «ما أصاب المؤمن من مصيبة إلا بذنب ارتكبه». **(قوله: ابتلاه الله بهتك ستره الخ)** أي جزاء على وصفه المذموم، ويدل له ما تقدّم مراراً، وهو: «من سمع سمع الله به» الحديث. **(قوله: يا بني تعلم العلم الخ)** أي تعلم العلم الشرعي لآداب الظاهر، أي لاصلاح عمل الجوارح الظاهرة، واستعمل الورع لآداب الباطن، أي لاصلاح الجوارح الباطنة. **(قوله: وإياك)** أي احذر أن يشغلك عن الله شاغل، أي أن يصرفك ويحول بينك وبين حق الله تعالى عليك صارف وحائل، بسبب غلبة الحظوظ، وقوله: فقل من أعرض عن الخ فيه غاية التخويف.

(قوله: ومنهم أبو بكر الحسين بن علي الخ) كان جليل القدر رحيب الباع والصدر، وافر المهابة ظاهر الإنابة، أصله من أرمينية كان ينكر على مشايخ العراق، كالجنيد أحوالهم الفاضحة لأسرار الطريق.

ومن كلامه: من استغفر الله تعالى، وهو ملازم لشهوة الذنب حرّم الله عليه التوبة والإنابة، وقال: الحياء ثلاثون قسماً منها حياء الخيانة، كحياء آدم لما أكل من الشجرة، وحياء التقصير كحياء الملائكة، حين قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وحياء الإجلال كما روي أن إسرافيل تسربل بجناحه حياءً من ربه، وقال: المريد طالب، والعارف مطلوب، والمطلوب مقبول، والطالب مرغوب، وقال: الروح مزرعة الآخرة لأنها معدن الرحمة، والبدن مزرعة الشر لأنه معدن الشهوة، فالروح مطبوعة على إرادة الخير والنفس على إرادة الشر، وسئل عن العبد إذا خرج إلى الله سبحانه وتعالى على أيّ أصل يخرج، فقال: على أن لا يعود إلى ما منه خرج، ولا يراعي غير من إليه خرج، ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ منه، فقيل له: هذا حكم من خرج من عدم، فما علامة وجدانه قال: وجود الحلاوة في المستأنف عوضاً عن المرارة في السالف.

(قوله: وكان عالماً) أي بعلوم الظاهر والباطن، ولكنه في ذلك كان ينكر على بعض العارفين ما عساه يفصح عن بعض أسرارهم. **(قوله: اياك أن تطمع الخ)** أي ويدل له أن

حب الله وأنت تحب الفضول) في القول والعمل **(وإياك أن تطمع في المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس)** إذ الأمر العظيم لا ينال إلا مع الهمة واجتماع القلب، فكمال كل من الأنس بالله والمحبة له وارتفاع المنزلة عنده إنما يكون بكمال الإخلاص، والإعراض عما ينال من الناس من مدح وذم ونحوهما مما يعبر عنه بالوساوس.

(ومنهم أبو سعيد بن الأعرابي واسمه أحمد بن محمد بن زياد البصري) بكسر الباء وفتحها نسبة إلى البصرة بفتح الباء أفصح وأشهر من كسرها وضمها البلدة المشهورة **(جاور الحرم)** أي: فيه **(ومات به سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة)** عن ثلاث وتسعين سنة **(صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي والنوري وغيرهم قال ابن الأعرابي: أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد)** لأنه حينئذ خسر الدنيا والآخرة لأنه معذب القلب في دنياه متعوب في رضا من لا ينفعه رضاه ولا ينال مع ذلك إلا ما قدره له مولاه ومحاسب ومعذب في أخراه إلا أن يعفو عنه من خلقه وسوّاه. وسئل أبو سعيد عن أخلاق الفقراء **فقال:** أخلاقهم السكون عند الفقد والإضطراب عند الوجد والأنس بالهموم

الاشتغال بشيء ينافي الاشتغال بغيره، إذ المشغول لا يشغل، فمتى وجدت في نفسك التفاتاً إلى الغير لحظة، فاعلم أنك لم تخلص له تعالى. **(قوله: ومنهم أبو سعيد بن الإعرابي الخ)** هو البصري الإمام العامل من للواء الزهد حامل، تعلق باطواق الأخلاق الجميلة وجاور بالحرم المدّة الطويلة، صحب الجنيد وطبقته وصنف كتباً في الطريق، وكان له دراية تامة بسياسة المريدين، وكان مع هذا من كبار المحدّثين وصفه الذهبي وغيره بالإمام الحافظ الثقة الزاهد سمع من الدماري الزعفراني وتلك الطبقة، وروى عنه الطبراني والخطابي وخلق، وذكر بعضهم أنه كتب عنه ألف جزء.

ومن كلامه: قل من ادّعى القوّة في أمر إلا وخذل، ووكل إلى نفسه، وقال: مدارج العلوم بالوسايط، ومدارج الحقائق لا تكون إلا بالمكاشفة، وقال: أفضل أوقاتك وقت يكون الحق فيه عنك راضياً، وقال: من أخلاق الفقراء السكون عند الفقد والاضطراب عند الوجد، والأنس بالهموم، والوحشة عند فرح الناس بالدنيا، وله غير ذلك من الفوائد رضي الله عنه. **(قوله: أخسر الخاسرين)** أي أشدهم خسراناً من أبدى للناس صالح أعماله، أي أظهرها لهم تصنعاً فهو من الرياء العملي ومن الكبائر محبط للثواب والعياذ بالله تعالى. **(قوله: وبارز بالقبيح الخ)** أي لعدم مبالاته بارتكاب المخالفات. شش **(قوله: لأنه معذب القلب الخ)** علة للعلة. **(قوله: فقال أخلاقهم السكون عند الفقد)** أي طمأنينة القلب، وتسليمه ورضاه عند الفقد، أي عند عدم وجود ما يحتاجه

والوحشة عند الأفراح؛ والإضافة في حبل الوريد للبيان ولكل إنسان وريدان وهما عرقان بصفحتي العنق.

(ومنهم أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي) بضم الزاي وتخفيف الجيم ويقال: بفتح الزاي وتشديد الجيم نسبة إلى عمل الزجاج وبيعه (النيسابوري جاور بمكة سنين كثيرة ومات بها صحب الجنيد وأبا عثمان والنوري والخوّاص ورويما مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت جدّي أبا عمرو بن نجيد يقول: سئل أبو عمرو الزجاجي ما بالك تتغير عند التكبيرة الأولى) أي تكبيرة الإحرام (في الفرائض فقال لأني أخشى) ألاّ (أفتتح فريضتي بخلاف الصدق) فأكون كاذباً لكوني أخبرت بما ليس متحققاً فيَّ (فمن يقول الله أكبر وفي قلبه شيء أكبر منه أو قد كبر شيئاً سواه على مرور الأوقات فقد كذب نفسه على لسانه) ومن ثم كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا توضأ اصفرّ لونه وتغير، فإذا سئل عن ذلك قال: ويلكم أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم له،

لمعاشه. (قوله: والاضطراب عند الوجد) أي الحركة الشديدة عندما يجدونه من الأشواق، والواردات بزيادة الأنوار، وقوله: والأنس بالهموم، أي الرضا وعدم الانزعاج والقلق بوقوع ما يهم من أمور الدنيا، وقوله: والوحشة أي نفرة القلب عند حدوث الأفراح، بما يلائم القلوب وذلك لأن مقام البسط مزلة قدم للعبد، فربما هنا فيه هفوة، والله اعلم.

(قوله: ومنهم أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي) أي النيسابوري صحب الجنيد والطبقة وكان شيخ عصره وفخر مصره خير حبر تقتبس الفوائد من نوره، ويغترف من بحره، قيل: إنه حج نحو ستين حجة، ومكث بمكة أربعين سنة لا يبول ولا يتغوّط في الحرم، بل يخرج للحل، فكم كتب له بالوصول وصول، حيث لم يكن له بين الرسول رسول.

ومن كلامه: من تكلم على حال لم يصل إليه كان كلامه فتنة لمن يسمعه، وحرّم الله عليه الوصول لذلك الحال، وقال: الحمية في القلب تصحح الإخلاص، وملازمة النفس ترك الإدعاء ومجانبته، وقال: مما جرّبناه لرد الضالة اللهمّ يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع عليّ ضالتي، ويقرأ قبله سورة الضحى ثلاثاً، وقال في حديث: تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة، إن المراد بالتفكر نسيان النفس. (قوله: فقال لأني أخشى الخ) في ذلك تنبيه على أنه كان كثير المراقبة لأفعاله، وإشارة إلى الغير أن يكون كذلك إذ القول والفعل مع الغفلة من غلبة الحظوظ. (قوله: وهذا جار) أي يفعل بالنسبة لغيره تعالى ممن يخاف بأسه سفهاً وجهلاً، إذ الضار النافع هو الله تعالى، فكان ذلك له تعالى

وهذا جار فيما بين الغافلين في دنياهم إذا دعوا إلى الحضور بين يدي السلاطين لحقهم ما ذكرناه خوفاً من أدنى ضرر، فكيف بسلطان السلاطين **(وقال)** أبو عمرو الزجاجي **(من تكلم عن حالة لم يصل إليها)** موهماً أنه نالها **(كان كلامه فتنة)** أي: بلية ومحنة **(لمن يسمعه)** لأنه قد يغتر به فيدعي مثله بل وفتنة لأنه يعترض عليه ولأن حاله يناقض ما تكلم به **(و)** كان كلامه **(دعوى)** باطلة **(تتولد في قلبه)** فيكون متشبعاً بما لم ينله **(وحرمه الله)** بسبب ذلك **(الوصول إلى تلك الحال وقد جاور بمكة سنين كثيرة لم يتطهر في الحرم، بل كان يخرج إلى الحل ويتطهر فيه)** احتراماً للحرم وتعظيماً له.

احق، بل هو الحق. **(قوله: من تكلم عن حالة الخ)** أي بأن ادعى الوصول إلى ما لم ينله من الأحوال والمقامات، كان كلامه فتنة، أي ناشئاً عن افتتانه، وقد يفتتن به غيره أيضاً، فهو كالمتشبع بما لم ينل.

(تم الجزء الأوّل، ويليه الجزء الثاني
وأوّله، ومنهم أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير)



فهرس المحتويات